العقيدة الإسلامية

(سؤال وجواب)

د. راشد سعد العليمي

العقيدة الإسلامية

(ســــؤال وجــــواب)

د. راشد سعد العليمي

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

هذه النسخة
للنظر من الإخوة والأخوات الأفاضل
لإبداء الرأي والملاحظات
قبل الشروع بالطباعة

الطبعة الأولى

(١٤٣٩هـ - ٢٠١٨ م)

أيها القارىء الكريم

لا تحرمنا من نصيحتك

@راشد العليمي

@rashidalolaimi



المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعُوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ..

ثم أما بعد:

فمن فضل الله ونعمته عليّ أن تمّ إنجاز الجزء المتعلق **بقضايا العقيدة،** تحت عنوان (ما يتعلق بالعقيدة..سؤال وجواب) وهي مسك الختام لسلسلة كتب أركان الإسلام، وقد سبقها ما يتعلق بالطهارة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والأضحية على طريقة السؤال والجواب؛ لتيسير توصيل المعلومات الشرعية إلى أفهام عامة المسلمين بإذن الله، وترغيبا لهم في فهم هذه الأمور المهمة في حياتهم، ولجعل تعبّدهم لربهم سبحانه وتعالى في كيفيةٍ شرعيةٍ واضحة، وبمنهج علمي صحيح ميّسر بالعرض.

ومن المعلوم عند كل مسلم ومسلمة الأهمية البالغة لتعلّم ما يتعلق بهذا الجانب العظيم، فهو مدار الدين، وأساس بعثة الأنبياء عليهم السلام، وعليه مدار الفوز بالجنة، والنجاة من النار، وهو أول أمر كان يهتم به نبي عند الدعوة إلى الله.

ولقد تأخرتُ كثيراً بالبدء في هذا الجزء المهم من هذه السلسلة المباركة، لأسباب كثيرة، ثم عقدت العزم في تجميع الأسئلة المتعلقة بهذا الجانب بعد إلحاح من الأصدقاء والأحباب لتقديم هذه السلسلة بهذه الطريقة من التعليم الميسر.[1]

١- بعد الشروع في جمع ما يتعلق بالأسئلة المتعلقة بجوانب العقيدة، وجدت بتوفيق الله وفضله في مكتبة (صيد الفوائد) بالإنترنت بحثًا قيما للشيخ الفاضل/ **وليد بن راشد السعيدان** حفظه الله، ووجدته قد سبقني في الكتابة والتقعيد وتحرير القول في جوانب العقيدة، وعلى شكل السؤال والجواب، فنهلت مما كتبه، في كتابه: (إتحاف أهل الألباب بمعرفة التوحيد والعقيدة في سؤال وجواب).

وسيرًا وفق النسق الذي انتهجته في كتبي[٢]، ألا وهو طريقة الإجابة المختصرة، والعبارة الموجزة، وتسهيل العبارة بما يتناسب مع أفهام عامة المسلمين، وليس العلماء أو طلبة العلم، فقد حرصت على الآتي:

- تجزئة الإجابة قدر الإمكان لتوصيل الفائدة.
- التقليل من الأدلة في المسألة الواحدة.
- الإكثار من الأسئلة في الإجابة الواحدة؛ سعيا وراء توضيح السؤال، وبيان المطلوب بأقصر الكلمات.
- تكرار بعض الإجابات لمناسبتها بمواقعها.
- عزو الآيات إلى مواضعها في المصحف، وتخريج الأحاديث مع الاقتصار على الصحيحة منها.

ولله الحمد كله، أن يسّر إتمام هذا الجانب، ثم أتقدم بجزيل الشكر لكل من راجع هذا الكتاب، وأبدى ليّ فيه النصح والتوجيه والتصحيح، فجزاه الله كل خير.

والله أسأل أن يجعل في هذا الجمع الفائدة والنفع للمسلمين، وأن يكون لي لا عليّ، فهذا جهد المقلّ الضعيف، ولا حول لي فيه ولا قوة، والفضل كله للحي القيوم، ثم بما يسّر لي فيه من نظر في كتب العلماء الأفاضل، وبما استفدته من توجيه الأحباب.

سبحان ربك رب العزّة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

كتبه: **د. راشد بن سعد العليمي**

٢- تم بعون الله إتمام كتاب الزواج ومعه الطلاق على نفس النمط في التأليف، وبعون الله سيتم الفراغ من كتاب: المعاملات المالية المعاصرة.

الفصل الأول:
العقيدة تعريفها وأساسها

المبحث الأول: مقدمات عقدية.

المبحث الثاني: مصادر الاستدلال.

المبحث الثالث: المؤلفات في العقيدة والتوحيد.

المبحث الرابع: أبرز صفات أهل السنة.

المبحث الخامس: أهمية دراسة العقيدة.

المبحث السادس: فضائل دراسة العقيدة.

المبحث السابع: مميزات عقيدة أهل السنة والجماعة.

المبحث الثامن: خصائص التوحيد.

المبحث التاسع: العقيدة وعلم الكلام.

المبحث العاشر: الأدلة لصحة منهج أهل السنة.

المبحث الأول



مقدمات عقدية

١. ما تعريف كلمة (عقيدة) لغة؟

العقيـدة في اللغة: من العقـد؛ وهو الربط، والإبـرام، والإحكام، والتوثق، والشدّ بقوة، والتماسك، والإثبات؛ ومنه اليقين والجزم.

والعقد نقيض الحَل، ويقال: عقده يعقده عقداً، ومنه عقدة اليمين والنكاح، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾. (المائدة: ٨٩)

٢. ما تعريف مصطلح (عقيدة) اصطلاحاً؟

العقيدة اصطلاحا: الحُكم الذي لا يقبل الشك لدى معتقده.

والعقيدة في الاصطلاح الحاضر: ما يُقصد به الاعتقاد دون العمل؛ كعقيدة وجود الله وبعث الرسل، وما يتعلق بالغيبيات.

وورد أيضـاً: أنـه مجموعـة قضايـا علميـة فـي أصـول تؤخذ مـن الكتاب والسنة.

٣. هل تعريف العقيدة بالاصطلاح العام، متعلقٌ فقط بالعقيدة الصحيحة؟

لا، إذ كل ما عقد الإنسـان عليه قلبه جازماً به فهو عقيدة، سـواء كان حقاً، أو باطلا.

٤. ما تعريف مصطلح (التوحيد) لغة ؟

مشتق من وحّد الشيء إذا جعله واحداً، فهو مصدر وَحّدَ يَوَحِّد، أي: جعل الشيء واحداً.

٥. ما تعريف كلمة (التوحيد) اصطلاحاً؟

إفراد الله سبحانه بما يختصّ به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

٦. ما العلاقة بين مصطلح (العقيدة)، ومصطلح (التوحيد)؟

علم العقيدة وعلم التوحيد مترادفان عند أهل السنة، وإنما سمي علم التوحيد بعلم العقيدة بناء على الثمرة المرجوة منه، وهي انعقاد القلب على التوحيد وعلى أسس العقيدة، انعقادًا جازما لا يقبل الانفكاك.

٧. هل بينهما افتراق؟

نعم، بينهما عموم وخصوص، قد يفرق بينهما بأن العقيدة أعم، والتوحيد أخص، فالعقيدة تعم جميع أصول الإيمان والغيبيات، بينما التوحيد خاصة بالركن الأول من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالله.

وقد يفرّق بينهما اصطلاحاً، باعتبار أن علم التوحيد هو العلم الذي يتوصل به على إثبات العقائد الدينية بالأدلة المرضيّة.

وأن علم العقيدة يزيد عليه بردّ الشبهات وتفنيد الأدلة الخلافية، وفيه ما يتعلق بعلم الغيب، وأشراط الساعة والملائكة، ونحو ذلك.

فيجتمعان في معرفة الحق بدليله.

٨. هل أطلق العلماء على بعض المؤلفات مصطلح: توحيد أو عقيدة؟

نعم، جرى السلف على تسمية كتبهم في العقيدة بكتب التوحيد، ككتاب التوحيد لابن خزيمة، كما أنهم اطلقوا عليها كتب العقيدة، كما فعل الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله في كتابه: (عقيدة السلف أصحاب الحديث) والإمام اللالكائي رحمه الله في كتابه: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة).

المبحث الثاني

مصادر الاستدلال

٩. ما المصادر التي يُؤخذ منها المعتقد؟

أمور الاعتقاد ومسائله لا يُستدل لها إلا بأمرين، هما: كتاب الله جل وعلا، وما صحّ من سنة نبيه ﷺ، فإنهما المعين الصافي الذي لا شوب فيه ولا كدر.

١٠. المصادر السابقة، تكون وفق فهم من؟

يتعامل معهما وفق فهم سلف الأمة؛ وهم الصحابة رضي الله عنهم، وأئمة التابعين ومن تبعهم بإحسان من أهل الاجتهاد، وهم سلف الأمة.

١١. لماذا جاء تقييد فهم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة؟

لأنهم خير القرون فقهاً وعلمًا واعتقادا، وأقربهم فهماً لمراد النبي ﷺ في قضايا الدين، وهم الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية، لقوله ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ). رواه البخاري.

١٢. هل يقال لهذا الجانب: الإجماع؟

نعم، فالإجماع مصدر من مصادر الأدلة االاعتقادية؛ لأنه يستند في حقيقته إلى الوحي المعصوم، وأكثر مسائل الاعتقاد محل إجماع بين الصحابة والسلف الصالح، ولا تجتمع الأمة في أمور العقيدة ولا غيرها على ضلالة وباطل.

١٣. هل إجماع الصحابة والتابعين حجة على من بعدهم؟

نعم، فإجماعهم تحديدًا في مسائل العقيدة حجة شرعية ملزمة لمن جاء بعدهم، وهو إجماع معصوم، ولا يجوز مخالفته.

١٤. ما الدليل الشرعي على تحديد مصادر العقيدة؟

من أدلة هذا:

- قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء:١١٥)
- عن العرباض رضي الله عنه قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ، فأوصنا. فقال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمعِ والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة). رواه أحمد وأبو داود

١٥. ما أقوال الصحابة رضي الله عنهم في هذا الجانب؟

أقوالهم رضي الله عنهم كثيرة، ومن ذلك:

- قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم).

وقال رضي الله عنه: (إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتّبع ولا نبتدع، ولن نضلّ ما تمسكنا بالأثر) .

- وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة).

١٦. ما أقوال العلماء في هذا الجانب؟

- قال محمد بن سيرين: (كانوا - أي السلف - يرون أنهم على الطريق ما كانوا على الأثر).
- وقال عبدالله بن الديلمي: (إن أول ذهاب الدين ترك السنة، يذهب الدين سنة سنة، كما يذهب الحبل قوة قوة).
- وقال جمعٌ من السلف رحمهم الله تعالى: (الاقتصاد في السنّة خيرٌ من الاجتهاد في البدعة).

١٧. ماأسباب تفرّق الأمة؟

سببه لأنها ضلّوا في أمور العقيدة؛ حيث لم يقدموا في أخذها كتاب ربهم وسنّة نبيهم ﷺ، بل قدّموا ما رأوه من عقولهم وأفكارهم، أو بفهم غير منضبط لنصوص الوحيين، وأخطر جوانب التفرق ما كان في العقيدة.

١٨. ما المثال على ذلك سعة الأمر في الأمور الفقهية، عن التحذير بالخوض في الأمور العقدية؟

مثال سعة الأمر في القضايا الفقهية: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ لما رجع من الأحزاب: (لا يُصلّين أحدٌ العصر إلا في بني قُريظة)، فأدرك بعضَهم العصرُ؛ فقال بعضهم: لا نُصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نُصلي، لم يُرَد منا ذلك، فذُكِر للنبي ﷺ فلم يُعنّف واحدًا منهم. رواه الشيخان

ومثال التحذير في القضايا العقدية: روى أحمد وغيره من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب. فقال لهم: (ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم)!. قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله ﷺ لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده».

١٩. ما المصطلحات التي تُطلق على (أهل السنة والجماعة)؟

هم: السلف، والطائفة المنصورة، وأهل الحديث والأثر.

٢٠. هل هناك طوائف أخذت معتقدها من غير الكتاب والسنة النبوية؟

نعم، طوائف كثيرة خالفت في اعتقاداتها منهج الكتاب والسنة.

٢١. ما الأمثلة من الفرق على ما سبق بيانه؟

من ذلك أهل الكلام المذموم؛ جعلوا الأساس العقل في معتقدهم، فما وافقه من النقول أخذوه واعتمدوه، وما خالفه ردوه واتهموه، فتارة يردّونه لأنه خبر آحاد، وتارة يردّون المعنى بالتحريف الذي يسمونه تأويلاً.

٢٢. ما المراد بحديث الآحاد؟

خبر الآحاد: هو كل حديث لم تتوافر فيه شروط التواتر، وخبر الآحاد له أقسام، وخبر الأحاد إذا صح سنده حجة في مسائل العقيدة عند أهل السنة.

المبحث الثالث

المؤلفات في العقيدة والتوحيد

٢٣. ما الكتب التي يمكن النهل منها لمعرفة الاعتقاد الصحيح؟

من المؤلفات التي حملت مصطلح (التوحيد):

- كتاب (التوحيد في الجامع الصحيح) للبخاري، (ت: ٢٥٦هـ)
- كتاب (التوحيد وإثبات صفات الرب) لابن خزيمة (ت: ٣١١هـ).
- كتاب (التوحيد) لابن منده (ت: ٣٥٩هـ).

ومن المؤلفات المعتمدة والتي حملت اسم **(العقيدة) أو الاعتقاد:**

- كتاب (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) للالكائي (ت: ٤١٨هـ).
- كتاب (عقيدة السلف أصحاب الحديث) للصابوني (ت: ٤٤٩هـ).

٢٤. هل هناك كتاب معاصر في العقيدة يُنصح بتدريسه للصغار خاصة؟

نعم، كتاب (التوحيد) للشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١١١٥هـ)، فهو من الكتب التي جعل الله لها القبول في التلقي والفهم، وله الشروح الكثيرة من العلماء الأجلاء.

٢٥. هل السنة النبوية لها علاقة بتحقيق الاعتقاد الصحيح؟

نعم، فقد تقرر لدى العلماء بأن السنّة النبوية تعدّ من مصادر التلقي للعقيدة الصحيحة وطريق من طرق إثباتها، ولذا جعل بعض السلف (السنّة) هي الاتباع، وجعلها بعضهم الإسلام، والقولان غير متعارضين، لأن الإسلام هو تعبير عن العقيدة الصحيحة، والاتباع يعبر عن طريق التلقي ومنهجه.

٢٦. هل كتب العلماء كتباً متعلقة بالسنّة لإثبات العقيدة الصحيحة؟

نعم، فحينما صار معنى (السنّة) هو اتباع العقيدة الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة، استعمل هذا اللفظ في هذا المعنى الإمام أحمد بن حنبل في كتابه:

(السنّة)، فقد ضمّنه العقيدة الصحيحة الثابتة بنقل العدول عن الرسول ﷺ وأصحابه، وكذا فعل عبد الله بن الإمام أحمد في كتابه: (السنة)، وأيضا كتاب: (السنّة) لابن أبي عاصم.

٢٧. هناك تداولٌ لمصطلح (أصول الدين)، فما معنى هذا المصطلح؟

تعني المبادئ العامة والقواعد الكلية الكبرى التي بها تتحقق طاعة الله ورسوله والاستسلام لأمره ونهيه، وهذا المعنى لا يُراد به إلا علم العقيدة والتوحيد.

٢٨. هل استخدم بعض علماء أهل السنّة هذا المصطلح؟

نعم، فقد ألّف بعض العلماء كتباً في الاعتقاد تحمل اسم أصول الدين:

ومن ذلك: كتاب: (الإبانة عن أصول الديانة) للأشعري (ت: ٣٢٤هـ).

وكتاب: (الشرح والإبانة عن أصول الديانة) لابن بطة (ت: ٣٧٨هـ).

٢٩. ما القول فيمن وصف العقيدة بأنها شريعة من الله؟

هذا وصف صحيح استخدمه بعض العلماء في مؤلفاتهم العقدية.

٣٠. لو أمكن توضيح ما سبق قوله؟

الشريعة هنا كالسُنة، فقد يُراد بها ما سنّه الله وشَرَعه من العقائد، وقد يراد بها ما سنّه وشرعه من العمل، وقد يُراد بها كلا المعنيين.

٣١. من الذي ألّف تحت مسمى (الشريعة)، وأراد بها مصطلح العقيدة؟

من تلك المؤلفات:

- (الشريعة) لأبي بكر الآجري رحمه الله. (٣٦٠ هـ)
- (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة) لابن بطة العكبري الحنبلي رحمه الله. (٣٨٧ هـ)

٣٢. هل هناك صلة بين العقيدة والإيمان؟

نعم، إذ النسبة بينهما فيها عموم وخصوص مطلق، فالإيمان بعض مسائل العقيدة.

٣٣. هل هناك ارتباط بالتأليف بين قضايا العقيدة والإيمان؟

نعم، فقد صنّف السلف كتباً باسم (الإيمان)، بحثت قضايا التوحيد ومسائل الاعتقاد جميعا، ومنها:

- كتـاب (الإيمـان ومعالمه وسـننه واسـتكمال درجاته) للإمـام أبي عبيد القاسم ابن سلام البغدادي رحمه الله. (٢٢٤ هـ)
- كتاب (الإيمان) للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي رحمه الله. (٢٣٥ هـ)
- كتاب (الإيمان) للحافظ محمد ابن منده رحمه الله.(٤٧٠ هـ)

المبحث الرابع

أبرز صفات أهل السنة

٣٤. ما أبرز صفاتهم؟

الصفات الدالة عليهم كثيرة، لكن من أبرزها ما يلي:

أولا: أنهم لا يأخذون معتقدهم إلا من الكتاب والسنة الصحيحة.

ثانيا: أن النقل[٣] عندهم مقدّم على العقل، والعقل عندهم وسيلة لفهمه.

ثالثا: يعتقدون جزما أنه لا يتعارض النص الصحيح مع العقل السليم.

رابعا: أنهم وسط بين فرق الأمة، كوسطية الأمة بين الأمم.

خامسا: وقوفهم حيث وقف النص، فلا يقصرون عنه ولا يزيدون عليه.

سادسا: أنهم يأخذون بأخبار الآحاد الصحيحة في إثبات أمور الاعتقاد.

سابعًا: اعتقادهم لا يتغيّر ولا يتبدلّ على مرِّ الأزمنة؛ لأنه مبني على أدلة من الكتاب والسنّة يقينية، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثامناً: أنهم المشهود لهم بالنجاة والنصر في الدنيا والآخرة، كما ورد في حديث الافتراق، من حديث معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: (ألا إن رسول اللّه ﷺ قام فينا فقال: (ألا إنّ من قبلكم من أهل الكِتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملّة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون فِي النّار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة) رواه أبو داود

وورد بلفظ: (وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلّا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول اللّه؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي). حسّنه الألباني في صحيح الترمذي

تاسعًا: أن مذهبهم هو الأعلم والأحكم والأسلم.

عاشرًا: أن إثباتهم للصفات لا تمثيل فيه، وتنزيههم لله تعالى لا تعطيل فيه.

الحادي عشر: أنهم لا يقعون ولا يتطاولون على خيار الأمة وسلفها بقدحٍ ولا غيره، بل يستغفرون لهم ويترضّون عنهم.

٣- أي الأحكام المنقولة من الوحيين (القرآن أو السنة) وفق فهم سلف الأمة

الثاني عشر: أنهم لا يتسمّون إلا باسم الإسلام والإيمان، أو ما ورد به الدليل، أو وقع عليه إجماعهم.

الثالث عشر: أنهم لا يوالون ولا يعادون على شعارات زائفة، وأسماء تافهة، وأصول ملفقة، بل عمدتهم في ذلك الكتاب والسنة، فيوالون من والاهما، ويعادون من عاداهما.

الرابع عشر: أن الحق يدور معهم حيث داروا، فلا يمكن أبدًا أن يكون الحق مع طائفة دونهم، بل هم ميزان الطوائف، فمن وافقهم من الطوائف فإنه ينال من الحق بقدر هذه الموافقة، ومن خالفهم فإنه زائغ عن الصراط المستقيم بقدر هذه المخالفة.

الخامس عشر: أن الغيبيات عندهم مبناها على التوقيف [٤] فلا يثبتون منها أو ينفون إلا وفق الدليل، ولا يقحمون عقولهم فيما ليس لها فيه مجال.

السادس عشر: أن علمهم هو العلم النافع، وعملهم هو العمل الصالح، وذلك لأنه مبني على الكتاب والسنة وعلى الإخلاص والمتابعة.

السابع عشر : أنهم لا يضرّهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ثابتين على الحق.

الثامن عشر: أنهم أكمل الناس إيمانًا، وأعمقهم علمًا، وأقلهم تكلفًا، وأشدهم متابعة للكتاب والسنة، وأكملهم تحقيقًا لمراتب الدين من الإسلام والإيمان والإحسان، كما قال فيهم ابن مسعود رضي الله عنه .

التاسع عشر: أن معهم الحق المطلق، وأما غيرهم فليس معه إلا مطلق الحق، أي بعض الحق.

العشرون : أنهم الموفقون للشُرب من حوضه ﷺ، فلا يُذادون عنه كما يُذاد غيرهم؛ لأنهم لم يُحدِثوا ولم يبدلوا ولم يغيروا.

الحادي والعشرون: أنهم متفقون فلا يفترقون، ومؤتلفون فلا يختلفون.

الثاني والعشرون: أنهم لا يستشكلون شيئا مما ورد في الوحيين، فليس منهم إلا الإيمان والتسليم.

٤- التوقيف: هو التمسك بما ورد في الشرع بعيدا عن إعمال الرأي في النص.

المبحث الخامس

أهمية دراسة العقيدة

٣٥. ما أهمية دراسة ما يتعلق بالعقيدة؟

أهميتها تظهر بمعرفة أنها قوام العلاقة بين العبد وربه سبحانه، وهي السبب لدخول الجنة أو الحرمان منها، وهي مناط السعادة في الدنيا والآخرة.

٣٦. ما مدى حرص النبي ﷺ على تبيان ما يتعلق بأمور العقيدة؟

هذا هو أساس بعثته للناس كافة، وتبصيرهم بعقيدتهم، ودلالتهم إلى ما يقربهم لمرضاة الله بعيدًا عن الشرك، والبدع.

٣٧. ما القول فيمن يترك إرشاد الناس للعقيدة، من باب عدم وقوع التفرّق بين المسلمين؟

هذا من الغشّ لهم، وفيه دلالة على عدم فهم الهدي النبوي الصحيح، بل وفيه رضا بوقوع البدع والشركيات في المسلمين حينما نسكت عن النصح والحث على العقيدة الصحيحة وفق ما كان عليه الصحابة y.

٣٨. ما الموضوع العام الذي يبحثه العلماء في العقيدة؟

يتمحور البحث حول أصول الإيمان الستة، فهي أصول العقيدة الصحيحة، وكذلك ما ثبت في الكتاب والسنة.

٣٩. ما الموضوعات التفصيلية التي يبحثها العلماء في أمور العقيدة؟

يدور التفصيل على أمور منها:

١- ذات الله تعالى، والبحث فيما يتصف به تعالى، وما يتنزّه عنه، وبيان حقه على عباده.

٢- ما يتعلق بالرسل أو النبوات، والبحث فيها من الحيثيات التالية: ما يلزم ويجب عليهم، ما يجوز في حقهم، وما يجب على أتباعهم.

٣- الغيّبيات: وهو ما يتوقف الإيمان به على الخبر الصحيح، وليس للعقل

في إثباتها أو نفيها مدخل؛ كأشراط الساعة وتفاصيل البعث.

٤ - القدر، والأخبار الواردة فيه، ويتبعه الرد على أهل الأهواء والبدع، والموقف منهم.

٤٠. هل تعلّم ما يتعلق بأمور العقيدة، واجب على كل مسلم؟

نعم واجبٌ على كل مسلم ومسلمة معرفة حق الله تعالى على عباده، ليتعرفوا كيف يحققون له سبحانه ما يستحقه من العبادة.

٤١. ما هو أول واجب على المسلم أن يتعلّمه في أمور الدين؟

قال الإمام ابن القيم: (اعلم أن التوحيد هو أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل...ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب).[٥]

٤٢. ما القول فيمن قال: إن أول واجب على المكلف هو التفّكر والنظر؟

هذا لا دليل عليه، بل هو مخالف لسيرة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، ويؤدي إلى ما لا يحمد عقباه.

٤٣. ماذا يُشترط للتكليف بالتوحيد؟

يشترط ثلاثة شروط، وهي: العقل، والبلوغ، وبلوغ الدعوة.

٤٤. كيف ظهر مُراد الله تعالى في علم التوحيد؟

حينما نعلم بأن مراد الله تعالى يجمع أموراً ثلاثة، وتترتب عليه أمور ثلاثة:

- فهو يجمع أن الله تعالى أراده وأحبه، فأمر به.
- ويترتب على كونه أمر به أن يثيب فاعله، ويعاقب تاركه.
- وأنه ينهى عن مخالفته، لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده، فالأمرُ بالتوحيد

٥- مدارج السالكين (١/ ١١٤)

نهيٌ عن الشرك.

٤٥. ما تقرير هذا في كتاب ربنا سبحانه؟

قال تعالـى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْـلاَمَ دِينًـا﴾ (المائـدة: ٣) ولهـذا كان القـرآن من فاتحتـه إلى خاتمتـه التقرير الواضـح للتوحيـد بأنواعـه، أو في بيان مقتضياتـه ومكملاته، أو في البشـارة بعاقبة الموحدين في الدنيا والآخرة، أو في النذارة بعقوبة المشـركين والمعاندين فيهما.

٤٦. هل كانت حياة النبي ﷺ تبيانا وتفصيلاً لهذا الجانب العظيم؟

نعـم، فحياة النبـي ﷺ ودعوته كانت بياناً علميًا وعملياً تحققت فيها معاني التوحيد، وقطعت فيه مواد الشرك على الوجه الأتم الأكمل.

٤٧. ماذا قال العلماء عن أهمية التوحيد؟

قـال ابـن تيمية رحمـه الله: «وقـد كان النبي ﷺ يحقق هـذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك، إذ هذا تحقيق قولنا: لا إله إلا الله، فإن الإله هو الـذي تألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم، والإجلال والإكرام، والرجاء والخوف».[٦]

٤٨. الكافر بالتوحيد الصحيح، ما الوصف الذي يمكن إطلاقه عليه؟

سـمّى الله تعالى غير الموحد ميتـاً، قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لا تُسْـمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْـمِعُ الصُّـمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّـوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنـتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَـن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْـمِعُ إِلاَّ مَـن يُؤْمِـنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْـلِمُونَ﴾ (الـروم: ٥٢-٥٣)، فمقابلة الموتى بالسامعين تدل على أن الموتى هم المشركون والكافرون.

٤٩. ما العقيدة التي نطلق عليها أنها هي الصحيحة، ويجب التمسّك بها؟

العقيدة التي توصف بالصحة ووجوب الالتزام بها هي ما كان عليه رسـول الله ﷺ وأصحابه، وتابعوهم وتابع تابعيهم إلى يوم الدين، كما قال سبحانه:

٦- مجموع الفتاوى (١/ ١٣٥) باختصار. يحسم: يقطع عنهم.

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.(التوبة: ١٠٠).

٥٠. هل الأصل في الناس وجود التوحيد، أو الشرك فيهم؟

الناس كلهم يولدون على الفطرة والإيمان، وينشأون عليها، ما لم تصرفهم عنها صوارف الشر والضلال، من التربية على الكفر والضلال، ومن الأهواء ووساوس الشياطين، وشبهات المبطلين، وشهوات الدنيا.

٥١. ما الدليل على ما سبق تقريره؟

جاء في الحديث القدسي: (... وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً..). رواه مسلم

وأخبر الرسول ﷺ عن هذا بقوله: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه). متفق عليه

٥٢. هل هذا موجود من أول إنسان؟

نعم، يتوجه إلى أول إنسان وهو آدم ﷺ من باب أولى، فعقيدة التوحيد والخير والصلاح هي الأصل الذي كان عليه آدم ﷺ، والأجيال الأولى من ذريته كانوا على التوحيد الخالص، حتى جاء الشيطان إلى قوم نوح وسول لهم ورغبهم بالشرك شيئا فشيئا حتى وقعوا فيه، فبعث الله إليهم نوحا.

٥٣. ما دعوة الرسل جميعا؟

دعوة الرسل جميعا هي توحيد الله بعبادته وتقواه وطاعته، وطاعة رسله، واجتناب الشرك، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل:٣٦)

٥٤. ما دليل ما سبق تقريره؟

نبي الله نوح ﷺ، قال لقومه:﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾

(الأعراف: ٥٩)، وكذلك قال هود، وأيضا صالح، وإبراهيم، عليهم السلام.

٥٥. من أراد أن يدعو للإسلام وأراد أن يجمع الناس بعيداً عن التوحيد والتحذير من الشركيات، فما مصير دعوته؟

كل دعوة لا تقوم على أساس تحقيق التوحيد والحذر من الشرك في أي زمان وأي مكان، فإنها دعوة قاصرة وناقصة، وسيكون نصيبها إما الفشل، وإما الانحراف عن الحق، أو هما معاً، لأن هذا أصل عظيم من أصول الدين، متى غفلت عنه الأمم وقعت في كارثة الشرك والابتداع.

٥٦. ما التوجيه لمن أراد أن يجمع الناس تحت مظلة الإسلام، بغضّ النظر عن تصحيح المعتقد فيهم؟

هذا من الغشّ لهم، ولعل هذا الداعي له مآرب سياسية دنيوية حزبية، وليست الغاية عنده توجيه الناس للحق الذي حرص عليه النبي ﷺ في دعوته.

٥٧. ما القول فيمن يقول: إن الدعوة للتوحيد من الفروع أو القشور، وواجب فقط الدعوة للأخلاق وتجميع الناس تحت أي فكر؟

هذه أقوال وأفكار من لم ينطلق في دعوته من منطلق الأنبياء والرسل، فمنهجهم يؤدي إلى تهميش أصل الأصول وهو التوحيد، ومن الغريب أنهم جعلوا الأصول فروعًا، والفروع أصولا، على ما في هذا التقسيم من مؤاخذات.

٥٨. هل تم التنبيه على هذا من العلماء؟

نعم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (أما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول، وبين نوع آخر وتسميته مسائل الفروع، فهذا الفرق ليس له أصل لا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام، وإنما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع، وعنهم تلقاه من ذكره من الفقهاء في كتبهم، وهو تفريق متناقض).[٧]

٧- مجموع الفتاوى (٢٣/٣٤٦-٣٤٧)

٥٩. هل الخلل الذي يقع من بعض الناس عقدياً له سبب في دراسة أو إهمال العقيدة؟

نعم، وهذا مما لا شك فيه، فعلى قدر تدريس العقيدة الصافية وفق ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم سنجد الوضوح والسلامة في عقيدتنا وأفكارنا وسلوكنا.

المبحث السادس

فضائل دراسة علم التوحيد

٦٠. ما فضل علم التوحيد بين بقية العلوم الشرعية؟

إذا كانت العلوم الشرعية كلها فاضلة لتعلقها بالوحي المطهر؛ فإن علم التوحيد يعتبر في الذروة من هذا الفضل العميم، حيث حاز الشرف الكامل دون غيره من العلوم.

٦١. كيف ظهر فضله على بقية العلوم الشرعية؟

ظهر هذا بالنظر إلى جهات ثلاث: موضوعه، ومعلومه، والحاجة إليه.

٦٢. ما فضله من جهة موضوعه؟

حينما نعلم بأن التوحيد يتعلق بأشرف ذات، وأكمل موصوف، وهو الله الحيّ القيّوم، المتفرد بصفات الجلال والجمال والكمال؛ فيكون لأجل هذا أشرف العلوم موضوعًا ومعلومًا.

وكيف لا يكون كذلك، وموضوعه رب العالمين، وبما نقله إلينا عنه صفوة خلق الله أجمعين، ومآل العباد ختامًا؛ إما إلى جحيم أو إلى نعيم، وشرف العلم بشرف المعلوم.

٦٣. كيف ظهر شرف هذا العلم من جهة معلومه؟

حينما نعلم بأن علم التوحيد هو مراد الله الشرعي، الدّال عليه وحيه وكلامه الجامع للعقائد الصحيحة، كالأحكام الاعتقادية المتعلقة بالإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والبعث بعد الموت، فيقال بكل يقين بأن شرفه لاحتوائه لهذه الجوانب الشريفة كلها.

٦٤. هل قرر النبي ﷺ هذا الشرف للتوحيد؟

نعم، فقد سُئل النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟ فقال: (إيمان بالله ورسوله). رواه البخاري

٦٥. كيف ظهر فضله من جانب الحاجة إليه؟

يظهر ذلك بالنظر إلى جملة أمور، منها:

- أن اللـه تعالـى طلبـه، وأمر به كل مكلـف، وأثنى على أهلـه، ومدح من توسّـل به إليه، ووعدهم أجرًا عظيمًا، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء﴾ (البينة:٥).
- أن عقيـدة التوحيـد هـي الحـق الذي أرسـلت مـن أجله جميع الرسـل، قـال تعالـى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَـا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُـولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّـهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).
- أنـه حـقُ الله علـى عباده، كما فـي حديث معـاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا) . متفق عليه
- أنه ملة أبينا إبراهيم عليه السلام التي أمرنا الله باتباعها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٣).
- أن الله تعالى جعل الإيمان شـرطًا لقبـول العمل الصالح وانتفاع العبد به في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٤).
- إذا جـاء العبد بغير الإيمان فقد خسـر جميع عمله الصالح في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥).
- أن سـعادة البشـرية في الدنيا متوقفة على علم التوحيد، لأن حاجة العبد إليـه فـوق كل حاجة، وضرورتـه إليه فوق كل ضـرورة، فلا راحة ولا طمأنينة ولا سـعادة إلا بـأن يعرف العبد ربه بأسـمائه وصفاته وأفعاله من جهة صحيحة، صادقة ناصحة، وهي جهة الوحي.

٦٦. ما فضائل التوحيد على الموحّد؟

الفضائل كثيرة، ومنها:

- أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخفّ عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه.
- أن التوحيد إذا كمُل في القلب حبّب الله لصاحبه الإيمان وزيّنه في قلبه، وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.
- أنه يخفّف عن العبد المكاره، ويهوّن عليه الآلام، فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان، يتلقى المكاره والآلام بقلبٍ منشرح، ونفس مطمئنة، وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.
- أنه يحرّر العبد من رقّ المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي، ويكون مع ذلك متألها متعبدا لله تعالى، لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.
- أن التوحيد إذا تمّ وكمُل في القلب وتحقّق تحققا كاملا بالإخلاص التام، فإنه يصير القليل من عمله كثيرًا، وتُضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص في ميزان العبد بحيث لا تقابلها السماوات والأرض وعمّارها من جميع خلق الله، كما في حديث البطاقة التي فيها أن: (لا إله إلا الله) وزنت تسعة وتسعين سجلا من الذنوب، كل سجل يبلغ مد البصر، وذلك لكمال إخلاص قائلها.
- أن الله تكفّل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا، والعزّ والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال.
- أن الله يدفع عن الموحّدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمنّ عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره.

المبحث السابع

مميزات عقيدة أهل السنة والجماعة

٦٧. بماذا تتميز عقيدة أهل السنة عن غيرها؟

تتميز بأمور كثيرة، منها:

- سلامة المصدر، وذلك باعتمادها على الكتاب والسنة وإجماع السلف.

وهذه الخاصية لا توجد في مذاهب أهل الكلام والمبتدعة، الذين يعتمدون على العقل والنظر، أو على الكشف والحدس والإلهام والوجد، وغير ذلك من المصادر البشرية الناقصة الباطلة.

- قيامها على التسليم لله ولرسوله ﷺ؛ لأن العقيدة غيب، والغيب يقوم ويعتمد على التسليم والتصديق المطلق لله تعالى ولرسوله ﷺ والتسليم بالغيب من صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها، قال تعالى: ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾. (البقرة: ١-٣).

- اتصال سندها بالرسول ﷺ والصحابة والتابعين قولاً وعملاً، وعلمًا واعتقادًا، بخلاف عقائد المبتدعة التي خالفوا فيها السلف، فهي محدثة، ولا سند لها من كتاب أو سنة، أو عن الصحابة.

- الوضوح والبيان، وخلوها من التعارض والتناقض والغموض، والفلسفة والتعقيد في ألفاظها ومعانيها، لأنها مستمدة من كلام الله المبين، وكلام رسوله الأمين.

- سلامتها من الاضطراب والتناقض، وذلك لاعتمادها على الوحي، وقوة صلة أتباعها بالله، وتحقيق العبودية له وحده، والتوكل عليه وحده، وقوة يقينهم بما معهم من الحق، وسلامتهم من الحيرة في الدين، ومن القلق والشك والشبهات، بخلاف أهل البدع فلا تخلو أهدافهم من علة من هذه العلل.

- هي عقيدة الجماعة والاجتماع، ذلك أنها الطريقة المثلى لجمع شمل المسلمين ووحدة صفهم، وإصلاح ما فسد من شؤون دينهم ودنياهم، لأنها تردّهم إلى الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين، وهذه الخاصية لا

يمكـن أن تتحقـق على يد حـزب، أو دعوة أو أنظمـة لا تقوم على هذه العقيدة أبداً، والتاريخ شاهد على ذلك.

- البقـاء والثبات والاسـتقرار، فعقيدتهم في أصول الديـن ثابتة طيلة هذه القرون، وإلى أن تقوم السـاعة، بمعنى أنها متفقة ومسـتقرة ومحفوظة، رواية ودراية، في ألفاظها ومعانيها، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل.
- التوقيفيـة (الربانيـة)، وتعني أن أهل السـنة لا يقتبسـون عقيدتهم إلا من القرآن والسـنة، لا من عقل ولا ذوق ولا كشف، ولا يجعلون شيئا من ذلك معارضـاً للوحي، ويقفون عند النص ولا يتجاوزونه بتحريف أو تأويل باطل.
- العقلانية، ونعني بذلك موافقة عقيدة أهل السنة والجماعة للعقل السليم، واهتمامهـا بـه، وإعلاء منزلتـه ومكانته، وتوفير طاقتـه وتصريفها فيما يفيد.
- الوسـطية، فهي وسـط بين عقائد فرق الضلال المنتسبة إلى دين الإسلام، فهي في كل باب من أبواب العقيدة وسط بين فريقين آراؤهما متضادة، أحدهما غلا في تلك الأبواب، والآخر قصر فيه.

٦٨. ما حال من ابتعد عن عقيدة أهل السنة؟

حالـه مثـل حال طائفـة مـن العلماء الذيـن قضوا وقتـاً طويلا فـي البحث والقـراءة البعيدة عن القرآن والسـنة الصحيحة، فامتـلأت قلوبهم بالحيرة، وكتبهم بالتشـكيكات المريبة في العقيـدة، وكثيرا منهم رجعوا إلى الحق، أو أعلنوا حيرتهم في أواخر عمرهم.

٦٩. هل هناك حالة دالة على التقرير السابق؟

هـذا مـا حصل للإمام أبي الحسـن الأشـعري، حيث رجع إلـى عقيدة أهل السنة والجماعة في (الإبانة)، بعد الاعتزال ثم الأشعرية.

وأيضا الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في (التمهيد).

وكذلك أبو محمد الجويني (ت ٤٣٨هـ)، والد إمام الحرمين في (رسالة في إثبات الاستواء والفوقية).

ومثله إمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ) في (الرسالة النظامية).

والشهرستاني، (ت ٥٤٨هـ) في (نهاية الإقدام).

والرازي (فخر الدين) (ت ٦٠٦هـ) في (أقسام اللذات)، وغيرهم كثيرون.

المبحث الثامن

خصائص التوحيد

٧٠. هل التوحيد مجرد معرفة الإنسان أن له رباً خالقاً؟

لا، قال ابن القيم رحمه الله: «ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله ربّ كل شيء ومليكه، كما كان عبّاد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها».[٨]

٧١. ما الخصائص التي يتميز بها التوحيد؟

من تلك الخصائص التي يتميز بها التوحيد، ما يأتي:

١/ أنه الغاية التي خُلقنا لأجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)

٢/ أن التوحيد هو أصل دعوة الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل:٣٦)

٣/ أنه أول واجبٌ على المكلف للدخول في دين الإسلام، قال النبي ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله). متفق عليه

٤/ أنه سببٌ للأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢)

٥/ أن التوحيد فيه السلامة من الاضطراب والتناقض، بخلاف العقائد الأخرى، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء:٨٢)

٨- مدارج السالكين (١/ ٣٣٠) بتصرف

٦/ أنه موافق للفطر السليمة والعقول المستقيمة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم:٣٠)

٧/ أن التوحيد هو الرابطة الباقية المستمرة في الدنيا والآخرة، ولا يوجد رابطة بين الناس إطلاقا مثل رابطة التوحيد، قال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧)

٨/ سلامة مصدره، فهو مأخوذ من القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

٩/ فيه الثبات والحفظ، والله سبحانه تكفل بحفظ هذا التوحيد وحفظ هذا الدين وبقائه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج:٣٨)

١٠/ أن الموحّد لا يخلّد في نار جهنم، ولو عُذّب فيها يسيرًا بسبب ذنب، ومردّه إلى الجنة والخلود فيها.

١١/ أن قبول الأعمال الصالحة متوقف على التوحيد، فكل عمل فيه شرك ولو خفياً فإنه لا يُقبل.

١٢/ أن التوحيد سببٌ لمغفرة الذنوب، ونيل شفاعة النبي ﷺ، ولو فعل العاصي ما فعل من الذنوب، طالما لقي الله موحدًا لا يشرك به شيئا.

١٣/ اشتماله على ثمار كثيرة وفضائل عديدة.

المبحث التاسع

العقيدة وعلم الكلام

٧٢. ما المقصود من مصطلح (علم الكلام)؟

هـو علم يُراد بـه القدرة على المخاصمـة في العقائد، والمناظـرة فيها، بإيراد الحجج والشبه، ودفع إيرادات الخصوم، وفق قواعد منطقية.

٧٣. لماذا تم إطلاق مصلح (علم الكلام) عليه؟

قيل: لخلوّه من المعاني الجديدة، وهو زيادة كلام مما لا يفيد.

وقيل: هو كثرة الجدال حول مسألة كلام الرب سبحانه ومسائل القدر.

وقيل: لأن المتكلمين يتكلمون فيما ينبغي فيه السكوت، وقد عرفوا بالكلام المخالف لأدلة الشرع.

٧٤. أيهما أكثر فيه: الحق والنفع، أو الجدال وحشو الكلام؟

الباطل فيه أكثر من النافع، لهذا حذر منه السلف، ويجب تركه.

٧٥. هل يمكن القول بأنه للجدل أقرب منه إلى الهداية؟

نعـم، هو باختصار علم الجدل العقدي المذمُوم شـرعًا، فهـو مراء بالكلام، ومتعلـق بإظهـار المذاهب والانتصـار لها، وليـس لبيان الأدلة من مشـكاة النبوة.

٧٦. متى ظهر (علم الكلام) بين المسلمين؟

في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم، بدأت الثقافات الدخيلة تدبّ على الناس، حيث ظهرت بدع الجهمية والقدرية والمرجئة وغيرهما.

٧٧. هل كان له تشجيع من بعض خلفاء المسلمين؟

نعـم، وعلـى وجه التحديـد الخليفة العباسـي المأمون، حينما شـجّع حركة الترجمة لكتب فلاسفة اليونان والهند.

٧٨. متى نشأ التأسيس لعلم الكلام؟

نشأ في مقابل ظهور شبهات المعتزلة المستمّدة من علوم اليونان الوثنية.

٧٩. ما أساس فكرتهم؟

الجمع بين الأدلة الشرعية مع حجج الفلسفة الوثنية، فظهر من بعد هذا الخليط المتناقض مما يقال له: علم الكلام.

٨٠. هل نجد عند علماء أهل السنة تعلقاً بدراسة وتدريس علم الفلسفة؟

هذا غير موجود عندهم، لقبيح هذا العلم وعدم الفائدة منه في الآخرة.

٨١. ما الفرق بين علم الكلام وعلم العقيدة والتوحيد؟

يتبين الفرق من خلال معرفة الأمور التالية:

أولا: علم التوحيد يعتمد فيه على الكتاب والسنة، وإجماع السلف، والمعقول الصحيح المستند إليها.

أما علم الكلام فهو علمٌ يعتمد فيه على الألفاظ المنطقية، والأقيسة الكلامية والقوانين العقلية، فهو متأثرٌ بعوامل خارجية عن دلالة الكتاب والسنة.

ثانيا: علم التوحيد علمٌ شرعيٌ لا بدعة فيه.

وعلم الكلام علمٌ مبتدع لم يعرفه الرسول ﷺ، ولا الصحابة، ولا التابعون.

ثالثا: علم التوحيد لا يشتمل على أي لفظ بدعي، ولا مصطلح فلسفي.

أما علم الكلام فمبني أساسًا على كثير من الألفاظ البدعية والمصطلحات المنطقية والآراء الفلسفية.

رابعا: أصل علم التوحيد مأخوذ من الكتاب والسنة، وبالتالي هو عقيدة القرون الفضلة.

وأما علم الكلام، فهو علمٌ حادث نتيجة مؤثرات خارجية، بسبب ترجمة كتب المنطق والفلسفة اليونانية الوثنية.

خامسا: آثار علم التوحيد محمودة.

وأما آثار علم الكلام مذمومة.

سادسا: إن علم التوحيد أداة للمحقّ على المبطل، وذلك بإظهاره لباطله.

وأما علم الكلام فهو أداة للمحق والمبطل، وهو إلى المبطل أقرب.

سابعا: الدارس للتوحيد الصحيح لا يرجع عنه، لأنه يعلم يقينا أنه الحق،

أما من خاض غمار في علم الكلام وتعمّق به، فإنه إما أن يرجع عنه، أو أن يصل إلى مرحلة الشك والحيرة والاضطراب، وهذا دلالة واضحة على بطلانه.

ثامنا: حثّ الأئمة والعلماء على دراسة التوحيد المستمّد من الوحيين، مع تحذيرهم من الخوض في علم الكلام لخطر عاقبته.

٨٢. هل من الأهمية التقيّد باللفظ الشرعي؟

نعم، وهذا واجب.

٨٣. ما سبب وجوب التقيّد بالمصطلح الشرعي في قضايا العقيدة تحديدا؟

لأن الله سبحانه هو أعلم بما يستحقه من صفات أو أسماء، فوجب التقيد بما أخبر به سبحانه عن نفسه، أو بما ورد في كلام النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ (البقرة:١٤٠)

٨٤. هل من المشروع وصف الله سبحانه بمصطلحات فلسفية؟

ليس بمشروع، إذ من الأدب وصف الله بما وصف به نفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، بما ورد في القرآن أو السنة الصحيحة.

٨٥. ما دليل التقرير السابق؟

دليله قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠) فلن نصل إلى ما يستحقه الله من أسماء أو صفات له إلا بالتقيّد بما وصف به نفسه العليّة سبحانه.

٨٦. ما تحذيرات علماء المسلمين مع من أراد تعلّم علم الكلام؟

- قال الإمام سفيان الثوري: «عليكم بالأثر، وإياكم والكلام».
- قال عبد الله بن داود الخريبي: سألت سفيان الثوري عن الكلام؟ فقال: «دع الباطل، أين أنت عن الحق؟ اتبع السنة ودع الباطل».
- سُئل الإمام الأوزاعي عن الكلام، فقال: «اجتنب علمًا إذا بلغت فيه المنتهى نسبوك إلى الزندقة! عليك بالاقتداء».
- قال الإمام عبد الرحمن بن مهدي: «من تعلّم الكلام، فآخر أمره الزندقة، ومن طلب الحديث؛ فإن قام به كان إمامًا، وإن فرط فيه ثم أناب يوما يرجع إليه، وقد عتقت وجادت».
- قال الإمام مالك: «لعن الله عمرو بن عبيد! فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل، يدل على باطل».
- وقال أيضا: «الدنو من الباطل هلكة، والقول في الباطل يصرف عن الحق، ولا خير في شيء من الدنيا بفساد دين المرء ولا مروءته».
- قال الإمام الشافعي: «لأن يُبتلى المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خيرٌ من أن يُبتلى بالكلام».
- وقال أيضا: «حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام».
- وقال أيضا:«من تزيّا بالكلام فلا أفلح».
- وقال: «ما رأيت أحداً ارتدى بالكلام فأفلح».

٨٧. هل كان سلف الأمة يحذّرون أولادهم من علم الكلام؟

نعم، فقد أوصى معاوية بن قرة ابنه، فقال: «يا بني، إياك والنظر في الكلام؛ فإن الناظر في الكلام كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد بصيرة ازداد تحيّراً».

٨٨. هل يتصور أن المتعلّم لعلم الكلام أنه استفاد علماً لم يكن عند الأولين؟

هذه الشبهة ظهرت قديما، وردّها أئمة الهدى والدين؛

- سُئل الإمام مالك عن الكلام والتوحيد، فقال: «محالٌ أن يُظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد! والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله» فما عصم به الدم والمال فهو حقيقة التوحيد».
- وسُئل الإمام أبو العباس ابن سريج: ما التوحيد؟ فقال: «توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، وتوحيد أهل الباطل: الخوض في الأعراض [٩] والأجسام، وإنما بُعث النبي ﷺ بإنكار ذلك».

٨٩. هل ممكن أن ينتفع المسلمون بدراسة الفلسفة والمنطق؟

لا نفع منهما، بل الجهل بهما سلامة، ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله: «لا يحتاج إليه الذكي، ولا ينتفع به البليد». [١٠]

وقال أيضا: «والبليد لا ينتفع به، والذكي لا يحتاج إليه، ومضرّته على من لم يكن خبيرًا بعلوم الأنبياء أكثر من نفعه، فإن فيه من القواعد السلبية الفاسدة ما راجت على كثير من الفضلاء، وكانت سبب نفاقهم وفساد علومهم». [١١]

٩٠. من يقول: إن نهي السلف إنما كان عمّن تعلّمه ليبطل به الدين، أما من تعلّمه ليردّ به على أهل الجهل والأهواء فيكون ذلك ممدوحا، ما البيان له؟

جواب هذا هو الآتي: قال أحمد بن الوزير القاضي: «قلت لأبي عمر الضرير: الرجل يتعلم شيئا من الكلام؛ يردّ به على أهل الجهل؟ فقال:

٩- العَرَض: ما لايقوم بنفسه، كاللون والطعم، والجسم: هو الموجود القائم بنفسه، ويقولون عنه الجوهر

١٠- الرد على المنطقيين (ص: ٣)

١١- الفتاوى الكبرى (٥/ ٨٧)

الـكلام[١٢] كله جهل، لا تتعلـم الجهل، فإنك كلما كنـت بالجهل أعلم كنت بالعلم أجهل».

٩١. أيهما فيه البركة والسعادة: كلام الصحابة، أو كلام علماء الكلام والفلاسفة؟

علم الصحابة أحكم وأعلم وأسـلم لقربه من مشـكاة النبوة، وكثرة البركة، ولذا نجده قليل الكلمات كثير الرحمات.

وعلم أهل الكلام والفلسفة كثير الكلمات قليل البركة والعمل الصالح.

٩٢. عند مَن مِن الفرق الإسلامية اشتهر مصطلح (علم الكلام)؟

إطـلاق علم الكلام يُعرف عند جميع الفـرق المتكلمة، كالمعتزلة والماتريدية والأشاعرة وفلاسفة المتصوفة، وفلاسفة الشيعة، ومن يسلك سبيلهم.

٩٣. ما حكم التعامل والتمسّك بعلم أهل الكلام في الجانب العلمي؟

لا يجـوز التعامل بـه، لأن علم الكلام حـادث مبتدع، ويقـوم على التقوّل على الله بغير علم، ويخالف منهج السلف في تقرير قضايا العقائد.

٩٤. هل يمكن إطلاق وصف (الفلسفة) على العقيدة الإسلامية؟

لا، لا يجوز إطلاق علم الفلسفة على علم العقيدة.

٩٥. ما سبب هذا المنع؟

لأسباب كثيرة، منها:

- الفلسـفة مبناها على الأوهـام والعقليات الخيالية، والتصـورات الخرافية عن أمور الغيب المحجوبة عن الناس.
- مصدرها وثنيات أهل اليونان، ممن كانوا يطمحون لبلوغ الحكمة من تصورات سـقيمة مـع آلهتهـم الباطلة، أمـا علم العقيـدة فقد ورد بالشـرع من الله سبحانه، وبتبليغ من أعلم الناس بربهم وهم الرسل بوساطة الوحي.
- الفلسـفة مـن نتاج عقول بشـرية قاصرة، والعقيدة هي مـن العليم الحكيم سبحانه.

١٢- أي تعلّم علم الكلام والمصطلحات الفلسفية.

٩٦. ما القول في استعمال مصطلح (الإلهيات) لما يتعلق بأمور العقيدة؟

تطلق كلمة الإلهيات على العقيدة عند أهل الكلام والفلاسفة والمستشرقين وأتباعهم وغيرهم، وهو خطأ، لأن المقصود بها عندهم فلسفات الفلاسفة، وكلام المتكلمين والملاحدة فيما يتعلق بالله تعالى.

المبحث العاشر

دلالات لصحة منهج أهل السنة

٩٧. ما هي المناهج والطرق لفهم ودراسة أمور العقيدة؟

هناك ثلاثة طرق لفهم ودراسة العقيدة، وهي:

الأول: منهج الصحابة، القائم على الاستدلال من الكتاب والسنة الصحيحة.

الثانية: المنهج العقلاني، الذين يدعو إلى تقديم وتحكيم العقل قبل وعلى النقل الشرعي.

الثالثة: المنهج الباطني؛ الذي يعتمد على تفسير النصوص بتفسيرات باطنية، تحت قاعدة أن هذا فهم لخاصة العلماء.

٩٨. هل هناك أوجه دالة على صحة منهج السلف؟

الأدلة على صحة هذا المنهج كثيرة، منها:

- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة:١٣٧)، فجعل الله سبحانه الإيمان بمثل ما آمن به الصحابة علامة على الهداية، وجعل التولي عن ذلك دليلاً على الشقاق والضلال.
- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ (النساء:١١٥)، وسبيل المؤمنين هو ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام قولاً وعملاً واعتقاداً، ولصحته وسلامته حرّم الله الخروج عنه واتباع غيره، وتوعد على ذلك بجهنم وسوء المصير.
- قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:١٠٠)، فأثنى الله

على من اقتدى بالصحابة بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ وهذا لأن الصحابة رضي الله عنهم تلقوا الدين عن النبي ﷺ بلا واسطة، وفهموا من مقاصده ﷺ، وعاينوا من أقواله وسمعوا منه مشافهة ما لم يحصل لمن بعدهم والذي جعلهم على صحة ونجاة وتوفيق.

٩٩. ما قول من جاء من بعد الصحابة في صحة منهج الصحابة؟

- قال الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى..... فلئن قلتم حدث بعدهم فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا وتجاوز آخرون فضلوا، وإنهم فينا بين ذلك لعلى هدى مستقيم.» [١٣]
- قال إبراهيم النخعي -من التابعين-: «لو بلغني عن الصحابة أنهم لم يجاوزوا بالوضوء ظفراً ما جاوزته، وكفى بالقوم وزراً أن تخالف أعمالهم أعمال أصحاب نبيهم ﷺ، والآثار عن التابعين وتابعيهم مستفيضة بذلك. فالسعيد من سار مسار هذه القرون الثلاثة المفضلة ولم يحد عنه يمنة أو يسرة».

١٠٠. على ماذا يقوم منهج السلف في الاستدلال والنظر؟

إن منهج السلف الصالح مبناه على الدليل من الكتاب والسنة، ولاريب أن الكتاب والسنة حقٌ وصدق وصواب، وما بُني على الحق فهو حق، وما بُني على الصدق فهو صدق، وما بني على الصواب فهو صواب.

١٠١. ما المقصود بمنهج السلف، وبمنهج الخلف؟

نعني بالسلف: النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان.

ونعني بالخلف: المتأثرون بالمناهج الكلامية الفلسفية، وسائر طوائف أهل الكلام.

١٣- أخرجه أبو نعيم في الحلية وابن بطة في الإبانة الكبرى، وابن القيم في إعلام الموقعين

١٠٢. هل يمكن أن يكون الحق للمنهجين، أو لمنهج واحد؟

نظرا لتنافر مذهب السلف مع مذهب الخلف، فحينئذٍ لا يخلو:

- إما أن يكون الحق مع السلف.
- وإما أن يكون مع الخلف.
- أو يكون الحق مع المذهبين.
- أو لا يكون الحق مع أي مذهب.

١٠٣. لماذا لايمكن القول أن الحق مع الخلف؟

لا يمكن القول بهذا؛ لأسباب:

- لأنه يلزم عليه تجهيل السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه، وهذا من أعظم القدح في خير قرون الأمة.
- ويلزم عليه أيضاً أن من اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ كانوا أجهل الخلق، وأضلّهم وأبعدهم عن الهدى في أبواب الاعتقاد.
- يلزم عليه أيضًا أن الحق لم يزل خافيًا غامضًا ملتبسًا، ولا يدري عن حقيقة أمره، حتى جاء أولئك المتأخرون الفلاسفة فاستخرجوه بغرائب الألفاظ، ومستكره العبارات، التي هي للألغاز أقرب منها إلى العلم والبيان والهدى.
- يلزم عليه أن النبي ﷺ لم يبيّن لأمته أصول الدين، وأنه أوقعهم في الحيرة في أمور العقيدة، وحاشاه ﷺ عن هذا.
- يلزم عليه أيضًا أن الصحابة قد ضلوا في هذا الباب - أي باب الاعتقاد - وأضلوا غيرهم؛ لأنهم علموا الأجيال التي جاءت بعدهم أبواب الاعتقاد، وهذا قدح عظيم فيهم.

١٠٤. أيهما متوافق مع منهج الصحابة؟

منهج السلف هو المتوافق كل الموافقة مع ما كان يعتقده الصحابة والتابعون وتابعوهم.

١٠٥. ما سبب هذا التأكيد؟

من المعلوم أن الصحابة والتابعين هم خير قرون الأمة بشهادة النص الصحيح، وهذا المدح لم يكن ليحصل لو كان المنهج مخالفًا للكتاب والسنة، فلما مُدحوا بذلك ومنحوا هذه الشهادة العظيمة دلّ ذلك على صفاء اعتقادهم، وصحة مذهبهم، وأن الحق معهم يدور حيث داروا.

١٠٦. ما الدليل على هذا التأكيد؟

دليله قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥)

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ). متفق عليه

١٠٧. ماذا سيستفيد اللاحق من السابق؟

هذه الشهادة بالخيرية فيها حثّ للأمة اللاحقة أن تقتفي آثار الأمة السابقة، وإننا لو سبرنا فرق الأمة كلها لم نجد أشدهم شبهًا بالسابقين، ولا ألزمهم اتباعًا لهم، ولا أعظمهم موافقة لاعتقادهم ولا أشدهم تمسكًا بالكتاب والسنة إلا أهل السنة والجماعة، فيلزم من ذلك أن يكون أهل السنة هم أهل الهدى وأهل المعتقد الصافي والصراط المستقيم.

١٠٨. لماذا لا نقبل تقديم المعقول على المنقول، مثل حال مناهج الخلف من العلماء؟

سبب هذا لأمور، منها:

أولا: لأن النقل من الله، فهو إذا الكامل الصحيح، وأما العقل فهو قاصر.

ثانيا: أن العقول متفاوتة، فما سيثبته عقل سينفيه آخر، فأي العقول سيكون هو لحكم في حال الاختلاف؟

ثالثا: أن الله جعل العقول وسيلة لفهم النصوص، ولم يجعله أصلاً.

رابعا: لم يكن تقديم العقل على النقل من هدي النبي ﷺ ولا الصحابة، بل

هو قول مُحدث.

خامسا: أن الله أمرنا أن نأخذ الدين من الوحيين؛ القرآن والسنة الصحيحة، ولم يأمرنا بالرجوع إلى العقل، إلا في سبيل التفكر والاستنتاج.

١٠٩. الفرقة الناجية الوارد التمسك بها في الأحاديث الصحيحة، هل تعني التمسك بمنهج السلف؟

نعم، ففي بعض روايات حديث الافتراق، أن النبي ﷺ قال: (كلها في النار إلا واحدة). قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: (من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)، فهذا النص يشهد أن من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو الناجي.

١١٠. لماذا لا يمكن تطبيق الحديث السابق على الفرق الإسلامية الأخرى؟

من نظر إلى سائر الفرق لن يجد فرقة إلا وعندها من المخالفة لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الشيء الكثير، سواءً في اعتقاداتهم أو أعمالهم، إلا أهل السنة والجماعة، فإنهم الفرقة الوحيدة التي هي على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه في الاعتقاد وفي العمل، وهذا يفيد أنها الفرقة الناجية، ونجاتها دليل على صحة مسلكها وسلامة منهجها، فإن النجاة ثمرة السلامة في الاعتقاد والعمل، فهم الناجون بشهادة الصادق المصدوق ﷺ.

١١١. ما الدلالة على خطأ اعتقاداتهم، وابتعادها عن الكتاب والسنة؟

من الدلالة على ذلك أننا نلاحظ بأن كل فرقة من هذه الفرق افترقت في اعتقاداتها إلى فرق شتى، وهذا الاختلاف والتنافر والتناقض دليل على فساد أصول هذه الفرق.

١١٢. هل منهج الصحابة رضي الله عنهم كان له الثبات وعدم التغيّر؟

نعم، فمنهج الصحابة، وهم سلف الأمة، لم يتغيّر ولم يتبدّل على مرّ الأزمنة والعصور، ومع اختلاف الأمكنة والبلدان، لأن المصدر عندهم واحد.

١١٣. ما حال منهج السلف من قضية الائتلاف وعدم التفرق؟

إذا نظرنـا إلى أهل السـنة وجدنـا أنهم مؤتلفـون لا يختلفـون، ومتحدّون مؤتلفـون لا يفترقـون، أصولهـم واحـدة، وطريقهـم واحـدة، وعقيدتهـم واحدة، يأخذه الآخر عن الأول، واللاحق عن السابق.

وحينما نقرأ الكتب الكثيرة في عقيدتهم ومنهجهم نجد كأنها لمؤلف واحد، لهـذا فهو المذهب الذي ترتاح له القلوب، وتنشـرح له الصدور وتطمئن له النفـوس، ليس بين أهله اختـلاف في أصوله وقواعـده، ولا تنافر في أدلته وثوابته؛ لأنه مبني على أصل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

١١٤. ما حال علماء الخلف مع مناهجهم؟

كبار المتعمّقين في مناهج الخلف قد أعلنوها صريحة أنهم ليسوا علي شيء، وأن أصولهـم وقواعدهـم التي عظّموها وأفنوا فيهـا أعمارهم، وألّفوا فيها المؤلفات لا توصل إلى الهدى ولا إلى علم نافع، فإذا هم يعترفون في آخر أمرهـم أنها خرافات عقيمة، فمنهم من أسـعفه الله برحمته وهداه في آخر أمره إلى مذهب السلف، ومنهم من بقي مترددًا في ضلاله.

١١٥. ما أقوالهم في هذا التردد؟

- قال أبو حامد الغزالي: (أكثر الناس شكًا عند الموت، أهل الكلام).
- وقـال الـرازي: (لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسـفية فلم أرها تشـفي عليلاً ولا تروي غليـلاً، ورأيت أقرب الطـرق طريقة القرآن، أقـرأ في الإثبـات ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، واقرأ في النفـي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، ومن جـرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي).

١١٦. أيهما يمكن أن يُقال أنه أخذ من ميراث الأنبياء: علماء السلف أو الخلف؟

علمـاء السـلف هم ورثة الأنبياء والمرسـلين، فقـد تلقوا علومهـم من منبع الرسـالة الإلهيـة وحقائق الإيمان، فكل مـن كان هذا طريقـه كان الحق معه ولا شك، وإلا لفسدت العلوم وهلكت البشرية كلها.

فإن الخلف قد تلّقوا ما عندهم من المجوس والمشركين وضلال اليهود واليونان، أفيكون أعداء الله تعالى وأعداء الرسل أعلم وأحكم وأهدى من الرسل وأتباعهم؟

١١٧. لمن تكون له الغلبة في المناظرات العلمية الشرعية؟

إننا لا نزال - ولله الحمد والمنة - نرى ونسمع ونقرأ انتصارات السلف بالحجة والبرهان، فما يتبجح صاحب بدعة ببدعته، ولا مفتون بقوله المخالف للكتاب والسنة إلا وقيض الله له من جنده من يريق دم بدعته، ويقطعها من دابرها، والأمثلة على ذلك كثيرة شهيرة.

١١٨. ما أوضح مثال لقضية الحجة في النقاش؟

مثاله ما وقع بين الإمام أحمد بن حنبل مع المعتزلة في دولة بني العباس.

١١٩. على ماذا تدلّ هذه الانتصارات في المناظرات العقدية؟

لما أعلا الله منارهم، وثبت أقدامهم، ونشر علومهم في كل الأزمان، دلّ ذلك أنهم على الحق، وأن مذهبهم هو الصواب الصحيح، ومن قال بغيره فقد قدح في حكمة الله تعالى وعدله، ونسبة إلى ما لا يجوز من وصف السوء - تعالى الله عن كل أوصاف النقص علوًا كبيرًا-.

١٢٠. هل علّم النبي ﷺ أمته ما يتعلق بكيفية الفهم لباب الأسماء والصفات؟

نعم، فإنه من المحال في العقول السليمة نسبة الصحابة إلى الجهل في باب معرفة الله بأسمائه وصفاته؛ ذلك لأن النبي ﷺ قد علم أمته آداب الخلاء، والطعام والشراب، والنوم ونحوها، وبيّنها لهم البيان الشافي الكافي، ولا مقارنة بين هذه الآداب وبين باب معرفة الله بأسمائه وصفاته وغيرها من أبواب الاعتقاد، فإذا كان النبي ﷺ قد بين هذه الآداب البيان الكامل التام فإنه من باب أولى أن يكون بيانه لأبواب الاعتقاد أكمل وأتم.

الفصل الثاني: أنواع التوحيد

مقدمة: أنواع التوحيد.
المبحث الأول: ما يتعلق بتوحيد الربوبية
المبحث الثاني: ما يتعلق بتوحيد الألوهية
المبحث الثالث: مايتعلق بالشرك
المبحث الرابع: ما يتعلق بالكفر وأقسامه
المبحث الخامس: ما يتعلق بالتكفير وشروطه
المبحث السادس: نواقض كلمة التوحيد

أنواع التوحيد

١٢١. ما المقصود من كلمة: (توحيد)؟

هو توجيه العباد إلى تحقيق العبادة لمعبودٍ واحدٍ فقط، لايشاركه فيها أحد.

١٢٢. ما أقسام التوحيد؟

يمكن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

١٢٣. هل هناك من تقسيم آخر له؟

نعم، بعض السلف يجعله قسمين اختصارًا:

الأول: توحيدٌ في المعرفة والإثبات، ويشمل توحيده سبحانه في ربوبيته وأسمائه وصفاته.

والثاني: توحيد في القصد والطلب، وهو توحيد الألوهية، أي العبادة لله.

وقيل أيضا من جهة الأفعال:

توحيد الربوبية: إفراد أفعال الله لله تعالى.

توحيد الألوهية: إفراد أفعال العبد لله تعالى.

١٢٤. ما نوع الاختلاف في هذه التقسيمات؟

هو اختلافٌ شكلي وتنوع لا تضاد، أي هو اختلاف في العبارة والبيان.

١٢٥. هل هذا التقسيم؛ من المشروع، أو المبتدع في دين الله؟

هو من المشروع، لأنه موافق لما ورد في كتاب الله والهدي النبوي، وفيه تيسير للفهم والتوضيح لما يتعلق بقضايا العقيدة، وما هو إلا استقراء لنصوص الوحي، فلا تخرج عن ما سبق بيانه.

١٢٦. هل يمكن وضع قسم رابع وهو(توحيد الحاكمية) لما سبق من أقسام؟

لا، لم يكن هذا منهج علماء أهل السنة، وهو أمر مبتدع.

١٢٧. ما الخطأ في هذا التقسيم؟

الخطأ يظهر من وجوه عدّة، منها:

١- هذا تقسيم لم يقل به أحد من العلماء المتقدمين، فهو تقسيم مُبتدع.

٢- الحاكمية تدخل في توحيد الربوبية، من جهة أن الله يحكم بما يشاء، لأن الرب هو الخالق المالك المدبّر للأمور، فلا معنى لإفرادها بتقسيم مستقل لها.

٣- الحاكمية تدخل أيضا في توحيد الألوهية، من جهة أن العبد عليه أن يتعبّد الله بما حكم به، فلا معنى إذا لإفرادها بتقسيم مستقل لها.

٤- لو جعلنا لكل جانب في توحيد الألوهية، أو الربوبية توحيداً خاصاً بها، لجعلنا لكل عبادة توحيدا مستقلا بها.

٥- الحاكمية أيضا داخلة في باب الأسماء والصفات، فنثبت له سبحانه صفة الحكم ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ (الرعد:٤١)، ونثبت له اسم الحكم سبحانه.

٦- الأصل في تقسيم العلوم هو تقريبها واختصارها وانتقاء عبارات جامعة مانعة حتى يقرب الفهم للمتعلم، ومن الخطأ الإسهاب في التقسيم.

٧- وضع توحيد رابع تحت مسمى (الحاكمية) قد يكون ذريعة لفهم خاطئ عند بعضهم، فيقول كلمة الحق ويريد بذلك الباطل، كحال الخوارج في كلمتهم: «إن الحكم إلا لله».

٨- من أراد هذا الأمر فكأنه يطمح لجعل الحكم والخلافة من الأمور التي ينشدها شرعنا ابتداء، وهذا الصنيع فيه مشابهة للمعتقد الخارجي، وذريعة لانتشار الفكر التكفيري.

المبحث الأول

ما يتعلق بتوحيد الربوبية

١٢٨. ما المقصود بتوحيد الربوبية؟

هو توحيد الله بأفعاله، وإفراده واختصاصه بالخلق والملك والتدبير والإحياء والإماتة، ونحو ذلك.

١٢٩. هل هناك من توضيح أوضح لهذا الجانب؟

نعم، أن يقال هو ما تفضّل الله به على عباده.

١٣٠. هل يمكن القول بأنه متعلّق بما ينزل علينا من ربنا سبحانه، وما يختص به؟

نعم، يمكن قول هذا، أي بما أنعم به علينا ربنا، وما اختص به من أمور.

١٣١. ما مدار هذا التوحيد؟

مداره على ثلاثة أمور:

١- **الخلق**: فالله خالق كل شيء، وما سواه مخلوق.

٢- **الملك**: فالله سبحانه مالك الملك، وما سواه مملوك.

٣- **الأمر**: فلله سبحانه الأمر كله، ولا معقّب لحكمه، سواء الأمر الكوني أو الشرعي.

١٣٢. ما أدلة هذا التوحيد في القرآن الكريم؟

قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾. (فاطر:٣)

وقال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾. (البروج:١٦)

وقال تعالى: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾. (البقرة:١٠٧)

والآيات في ذلك كثيرة.

١٣٣. هل من عرف أن له رباً موجوداً، ويرزقه، سيكون من بعد هذه المعرفة من

المؤمنين وأصحاب الجنة؟

هذه المعرفة والإقرار بها وحدها ليست بكافية للحكم على شخص بالإسلام.

١٣٤. ما سبب عدم الكفاية؟

لم ينكر هذا القسم من التوحيد إلا مكابر، ولذلك مشركي العرب كانوا يقرّون بهذا التوحيد، لكن لم يقرّهم النبي ﷺ على وجوده لوحده في أنفسهم.

١٣٥. ما دليل هذا القول؟

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾. (العنكبوت: ٦١)

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾. (المؤمنون:٨٤-٨٩)

١٣٦. ماذا فعل النبي ﷺ مع الكفار، مع إقرارهم بهذا التوحيد؟

مع إقرارهم بهذا الجانب من التوحيد، ومعرفتهم أن الخالق لهم هو الله، والمتصرّف في الكون هو سبحانه، إلا أن النبي ﷺ أمرهم بتوحيد العبادة، أي إظهار العبادة لله وحده لا شريك له.

١٣٧. هل الإقرار بوجود الله مركوزٌ في الفطرة؟

نعم، ووقع الخطأ عند من لم يجعلوا العبادة لله وحده.

١٣٨. من هو الكافر الذي ذكره القرآن، وأنكر وجود الله تعالى؟

عُرف هذا الإنكار ظاهرًا عن فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل:١٤)، وقال تعالى عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾. (الإسراء: ١٠٢)

١٣٩. ما هي الفِرق التي أنكرت وجود الرب سبحانه؟

الدهريـون، وهـم الذين ينسـبون المـوت إلى الدهـر، الذين أنكـروا توحيد الربوبية، قال تعالى حاكيًا مقالتهم الكفرية: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ .(الجاثية:٢٤)

وعـرف أيضًـا إنكاره ظاهرًا عـن طائفة الثنويـة، الذين يزعمـون أن للعالم خالِقَين؛ النور والظلمة.

١٤٠. هل هذه الفرق تُنكر ظاهرا وباطنا حقيقةً الربوبية لله؟

كل هذه الطوائف لا تستطيع أن تنكر هذا التوحيد باطنًا، وإن أنكروه مكابرة وظلمًا ظاهرًا.

١٤١. ما الدليل على هذا اليقين؟

لأن هذه المعرفة متقررة في الفطرة، قال تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليهـا لا تبديل لخلـق الله ﴾ . وقال تعالى: ﴿إِذْ أَخَذَ رَبُّـكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (الأعراف:١٧٢).

وفـي الحديـث: (خلقت عبـادي حنفاء فجـاءت الشـياطين فاجتالتهم عن دينهم). رواه مسلم

١٤٢. هل هناك من يقول إن المطلوب هو الإقرار بتوحيد الربوبية؟

نعم، هناك بعض الطوائف تقول: إن التوحيد المطلوب على لسـان الرسـل هو توحيد الربوبية!

وهـذا مجانب للصواب، بل التوحيد المطلوب، والذي لأجله نزلت الكتب وأرسلت به الرسل هو توحيد الألوهية، والنصوص الشرعية تبيّن هذا.

١٤٣. هل هناك من علاقة بين علم الإعجاز مع التقرير لتوحيد الربوبية؟

نعـم، إذ فيـه تقرير لعظمـة الله تعالى فـي ملكوته، فهو الخالق لكل شـيء،

وجعلها السبيل في بيان أنه هو المستحق للعبادة.

١٤٤. ما القول مع من يهتم بالإعجاز العلمي كثيرًا للمسلمين؟

هذا مخالف للهدي النبوي، لأسباب:

- الإعجاز بجميع أنواعه ينفع ابتداء مع غير المسلمين، ليقودهم إلى توحيد العبادة لله، وليس مع مسلم يعرف من ربه.
- لم يكن من الهدي النبوي الإهتمام الكثير بهذا الجانب مع الصحابة رضي الله عنهم، لكنه ﷺ كان يهتم بتوضيح ما يتعلق بالعبادة، بعيدًا عن الشرك والبدع.
- من يبالغ بالاهتمام في هذا الجانب مع المسلمين نراه في جانب آخر لا يحذر من البدع والشركيات.

المبحث الثاني

توحيد الألوهية
(توحيد العبادة)

١٤٥. ما المقصود من هذا العنوان؟

المقصود منه بيان ما الأمور التي يجب إفرادها لله تعالى تعبداً وقصداً.

١٤٦. هل العنوان فيه اختلاف تنوع أو تضاد؟

هو اختلاف تنوع من جهة النظر:

- فباعتبار اضافته إلى الله، يُقال له (توحيد الألوهية).
- وباعتبار إضافته إلى الخلق، يُقال له (توحيد العبادة).

١٤٧. ما هي كلمة التوحيد؟

كلمة التوحيد هي: (لا إله إلا الله)، وهي العروة الوثقى.

١٤٨. ما أركانها؟

أركانها اثنان:

- النفي، في قولنا: (لا إله)، وهذا نفي لجنس الآلهة.
- والإثبات، في قولنا: (إلا الله)، وهو إثبات الألوهية لله تعالى وحده.

١٤٩. ما معنى شهادة التوحيد؟

معناها: أنه لا معبود **بحقٍ** في هذا الوجود إلا الله تعالى.

١٥٠. لماذا تمت إضافة كلمة (بحقٍ) في التعريف؟

لأن هناك معبودات كثيرة باطلة في الوجود.

١٥١. ما دليل هذا التقييد؟

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾. (لقمان:٣٠)

١٥٢. ما أمثلة المعبودات التي توجه لها بعض الناس؟

عُبـدت الملائكة والشـمس والقمر، وعُبد الجن والشـياطين، وعُبد الشـجر والحجر والنجوم، وكل هذه عبادات باطلة.

١٥٣. ما وجه الخطأ؟

فيه صرفٌ للعبادة لمن لا يستحقها، وإنما العبادة الحقة هي لله تعالى، ولذلك فلابد من قولك (بحقٍ)حتى يخرج ما عُبد بالباطل.

١٥٤. هل هناك من خالف في هذا المعنى لكلمة التوحيد؟

نعم، فبعض الطوائف تقول إن معناها: (لا خالق إلا الله)، أو (لا رازق إلا اللـه)، أو (لا قـادر علـى الاختراع إلا الله)، وهذا صحيـح في ذاته! أي أن الله هو خالق ورازق، ولكنه ليس هو المعنى الصحيح لكلمة التوحيد.

١٥٥. ما التوحيد الذي نزلت به الكتب، وأُرسلت به الرسل؟

هـو توحيد الألوهية، وهو توحيد العبادة، وهو توحيد القصد والطلب، أي توحيد الله بأفعالنا.

١٥٦. هل هذا الجانب هو الذي اتفقت حوله الرسل؟

نعم، وهنـاك قـاعـدة يجـب حـفـظها وهــي: (أن أصل دين الأنبياء واحد، وشرائعهم مختلفة)، ولذلك قال ﷺ: (نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد وشرائعنا مختلفة). متفق عليه

١٥٧. ماذا نقصد من القاعدة السابقة؟

نقصد (بأصلِ الدين): أي الدعوة إلى هذا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.(النحل:٣٦)

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾. (الأنبياء: ٢٥)

١٥٨. ما توضيح ما سبق من دعوة الأنبياء؟

فهذا أول الرسل نوح ﷺ ومن جاء بعده من الرسل؛ كصالح، وشعيب قالوا جميعا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾. (الأعراف: ٥٩)

١٥٩. هل هذا التوحيد هو المطلوب من الناس التمسك به؟

نعم، هذا التوحيد هو المطلوب من جميع الأمم على لسان أنبيائهم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

١٦٠. هل الخلاف بين الناس مع الأنبياء كان بسبب هذه القضية؟

نعم، وهو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء وأممهم، وهو الذي بسبب رفض الاعتقاد به ومحاربة أهله، أهلك الله تعالى الأمم الكافرة السابقة.

١٦١. اذكر شيئًا مما يدُل على فضل كلمة التوحيد العظيمة من القرآن؟

النصوص الواردة في فضلها كثيرة جدًا، ومن ذلك:

- قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾. (محمد:١٩)
- وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. (آل عمران:١٨)

١٦٢. اذكر شيئًا مما يدل على فضل هذه الكلمة العظيمة من السنّة؟

- قال النبي ﷺ: (من مات وهو يعلم ألا إله إلا الله دخل الجنة) رواه مسلم
- وقال ﷺ: (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله). رواه مسلم
- وقال ﷺ: (ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق - قالها ثلاثًا -). متفق عليه
- وقال ﷺ: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه). رواه البخاري
- وقال ﷺ: (أشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة). متفق عليه.

١٦٣. هل شهادة التوحيد من أعظم الأذكار؟

نعم، قال ﷺ: (قال موسى: يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به. قال: يا موسى قل: لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله). رواه ابن حبان والحاكم

١٦٤. ما فائدة كلمة التوحيد لأهل الكبائر يوم القيامة؟

تكون لهم نجاة وشفاعة بإذن الله من الخلود في جهنم.

١٦٥. ما دليل التقرير السابق؟

- قال ﷺ: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير) رواه البخاري

١٦٦. ماذا نستفيد من النقولات الكريمة السابقة؟

هذه النقول وغيرها مما يدلنا على عظم هذه الكلمة وفضلها، بل ورد أنها أفضل الذكر كما في الحديث: (أفضل الذكر لا إله إلا الله). رواه الترمذي

١٦٧. ما شروط الانتفاع بهذه الكلمة؟

هذه الكلمة لا يتم الانتفاع بها إلا لمن حقّق مع قولها سبعة شروط، وهي: العلم، الإخلاص، اليقين، الصدق، المحبة، القبول، الإنقياد.

١٦٨. هل من قول يجمع هذه الشروط بعبارة واضحة؟

نعم، قال الشيخ حافظ الحكمي في منظومته (سلم الوصول):

العلم واليقين والقبول والانقياد فادْرِ ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه

١٦٩. ما توضيح ذلك بالأدلة؟

الأول: العلم، وضده الجهل، والمقصود: العلم بمدلولها من نفي الإلهية عما سوى الله تعالى، وإثباتها لله وحده جل وعلا وأنه لا يستحق أحد العبادة إلا هو سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩)، فأمره بالعلم بذلك.

وقال ﷺ: (من مات وهو يعلم ألا إله إلا الله دخل الجنة) رواه مسلم، فاشترط العلم بذلك.

الثاني: الإخلاص، وضده الشرك، وهو أن يقولها خالصًا من قلبه مجتنبًا ما يضادها مطلقًا أو ما ينقص كمالها الواجب وهو الشرك الأكبر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾. (الزمر:٢)

وقال ﷺ: (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله). رواه مسلم

الثالث: اليقين، وضده الشك، ومعناه: أن يقولها وهو معتقد لمدلولها الاعتقاد الجازم بيقين راسخ كرسوخ الجبال بلاشك أو ريب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾،(الحجرات:١٥)
وقال ﷺ: (أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيُحجب عن الجنة). رواه النسائي

الرابع: الصدق، وضده الكذب، أي لا بد أن يتوافق قول الباطن مع القول الظاهر، فيكون قلبه مصدقًا بمدلول هذه الكلمة، وليس كالمنافقين الذين قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون:١)، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر:٣٣)أي جاء بلا إله إلا الله مصدقًا بها قلبه، وقال ﷺ: (من قال لا إله إلا الله صدقًا من قلبه حرمه الله على النار). رواه البخاري

الخامس: المحبة، وضدها الكره والبغض، ومعناه: أن يقولها محبًا لها ولمدلولها ومحبًا لله ورسوله ﷺ ومحبًا لما يحبه الله ورسوله، قال

تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِله﴾.(البقرة:١٦٥)

وقال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين). متفق عليه

السادس: القبول، وضده الردّ، ومعناه: أن يقبل ما دلت عليه هذه الكلمة من النفي والإثبات ويقبل ما جاء به النبي ﷺ من الشريعة، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.(النساء: ٦٥)

السابع: الانقياد، وهو العمل بما تقتضيه هذه الكلمة، قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(البقرة:١١٢)، وقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (والله لو منعوني عناقًا – كانوا يؤدونها للنبي ﷺ لقاتلتهم على منعه) متفق عليه.

١٧٠. هل يمكن زيادة شرط ثامن لما سبق بيانه؟

نعم، وهو (الكفر بالطاغوت).

١٧١. ما دليل هذا الشرط؟

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾. (البقرة: ٦٠)

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. (البقرة:٢٥٦)

وقال ﷺ: (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله). رواه مسلم

١٧٢. ما الفرق بين القبول والانقياد ؟

القبول هو عمل القلب، فهو واجب الباطن، وأما الانقياد فهو عمل الجوارح، أي هو واجب الظاهر، والانقياد علامة القبول وكلما ازداد القبول في القلب تحقق كمال الانقياد في الظاهر.

١٧٣. كيف يكون تحقيق التوحيد؟

يكون تحقيق التوحيد:

- بتصفيته من شوائب الشرك كله أكبره وأصغره.
- والتصفية من شوائب البدعة كلها الاعتقادية والعملية.
- والتصفية من شوائب المعصية.

١٧٤. هل تحقيق ما سبق يعني وصول الإنسان للعصمة؟

لا، لكن المقصود أن يكون مجانبًا لهذه الأمور الابتعاد التام المطلق، وإذا وقع منه الخلل في شيء من ذلك فليبادر بالتوبة النصوح المستجمعة لشروطها.

١٧٥. ما ثواب من حقق التوحيد؟

الثواب لذلك: دخول الجنة، بل قد يكون بذلك من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)﴾. (المؤمنون)

وقال ﷺ في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب: (هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون). رواه البخاري

١٧٦. هل تحقيق التوحيد يتفاوت بين أهل الإيمان؟

نعم، يتفاوت بينهم بتفاوت ما يقع في قلوبهم من الإيمان والتصديق، وحرصهم على تجنب الشرك والبدع والمعاصي، ومدى تحقيق التوكل في القلب.

١٧٧. ما تعريف الطاغوت؟

هو كل ما تجاوز به العبد حدّه من معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاع غير الله.

١٧٨. ما مثال هذا المعبود؟

مثاله: قوله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات [14] نساء دوس على ذي الخلصة) وهو صنم دوس التي تعظّمه في الجاهلية.
وكالشياطين التي تأمر بعض الطوائف من السحرة والكهنة وغيرهم بعبادتهم ،كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾. (سبأ: ٤٠- ٤١)

١٧٩. ما مثال الطاغوت المتبوع؟

مثال المتبوع: كالملوك الظلمة الكفرة الذين يأمرون أتباعهم بمخالفة الشريعة. والتحاكم إلى الأعراف والعادات القبلية، والقوانين الوضعية والرضا بها، ويحاربون تطبيق الشريعة ومن يدعو إلى تطبيقها.

١٨٠. ما مثال الطاغوت المطاع؟

أما المطاع: فكالأحبار والرهبان وعلماء السوء الذين يحلّون ما حرم الله ويحرّمون ما أحل الله، فيطاعون في ذلك، كما في الحديث، عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: (يا عدي اطرح عنك هذا الوثن)! وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة:٣١)، قال: (أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه). رواه الترمذي

١٨١. هل يصحّ اطلاق وصف الطاغوت على كل من عبده الناس؟

لا يصح هذا، فلابد من التنبيه على أمر، وهو أن من عُبد من دون الله وهو غير راضٍ بذلك فإنه لا يسمى طاغوتًا، مثل من يجعل عيسى إلها.

١٨٢. بعض الناس يُطلق لفظ (الطاغوت) على الحاكم المسلم الذي فيه شيء من الظلم في أمور الدنيا، فهل هذا صحيح؟

١٤- أي ترقص

هـذا لا ينبغي، فنرى بعض من تلفّظ بهـذا الوصف يرميه في حال منعه من أمور دنيا، وقد غلب عليه الهوى فاستدل بأمر شرعي ليهيّج عواطف الناس على الحاكم المسلم ويثوروا عليه.

١٨٣. هل ورد أن سلفنا كانوا يطلقون هذا الوصف على حكام المسلمين؟

لا، وهـذا ما نلاحظه من سـيرة الإمـام أحمد رحمه الله حيث لـم يُنقل أنه وصـف مـن عذبوه مـن الخلفاء أنهـم طواغيت، علـى الرغم أنهـم خالفوا الصحابة في الاعتقاد، ووقعوا في معتقات خطيرة.

المبحث الثالث

ما يتعلق بالشرك

١٨٤. ما أهمية دراسة ما يتعلق بالشرك؟

أخطر ما نحذّر منه في حياتنا هو الشرك بالله تعالى.

١٨٥. هل ورد التحذير منه في الشرع الحكيم؟

نعم، ويمكن القول أن القرآن الكريم في كل سورة هناك التحذير الصريح أو التلميح من قضية من الشرك، والسنة النبوية ممتلئة بمثل هذا.

١٨٦. هل يمكن لأحد أن يأمن من الوقوع في الشرك؟

لا، فالشرك لا يأمنه أحد، ولهذا كان من دعاء إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾. (إبراهيم:٣٥)

وكان من دعاء النبي ﷺ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لما لا أعلم). صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد

١٨٧. ما القول مع من يزعم أنه لا حاجة لتدريس ما يتعلق بقضايا الشرك؟

هذا من الجهل، وقلة الفقه في الدين، لأن من المعلوم أنه ما من نبي إلا وكان يحذّر قومه من الوقوع من الشرك، بل الله سبحانه كان يحذر نبيه ﷺ من الوقوع في الشرك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر:٦٥)، ولهذا كان النبي ﷺ ينبّه أصحابه من الوقوع في الشرك.

١٨٨. ما أنواع الشرك؟

قسَّم أهل العلم رحمهم الله تعالى الشرك إلى قسمين:

- الشرك الأكبر.
- الشرك الأصغر.

المطلب الأول: ما يتعلق بالشرك الأكبر.

١٨٩. ما هو الشرك الأكبر؟

هو تسوية غير الله في شيء من خصائص الله؛ في ربوبيته أو إلوهيته، أو أسمائه وصفاته وأفعاله.

١٩٠. ما خطورة الشرك على إسلام أي إنسان؟

هو أعظم ذنب عصي الله به، فهو أكبر الكبائر.

١٩١. ما هي أمثلة الشرك الأكبر؟

من أمثلة هذا:

- أن يجعل الإنسان لله ندا؛ إما في أسمائه وصفاته، فيسميه بأسماء الله ويصفه بصفاته، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف:١٨٠)، ومن الإلحاد في أسمائه تسمية غيره باسمه المختص به أو وصفه بصفته كذلك.
- أن يجعل له ندًا في العبادة، بأن يضرع إلى غيره تعالى من شمس أو قمر أو نبي أو ملك أو ولي مثلا بقربة من القرب صلاة أو استغاثة به في شدة أو مكروه، أو استعانة به في جلب مصلحة، أو دعاء ميت أو غائب لتفريج كربة، أو تحقيق مطلوب، أو نحو ذلك.
- أن يجعل لله ندًا في التشريع، بأن يتخذ مشرّعا له سوى الله، أو شريكا لله في التشريع يرتضي حكمه، ويدين به في التحليل والتحريم؛ عبادة وتقربا وقضاء وفصلا في الخصومات، أو يستحله وإن لم يره دينا.

١٩٢. ما حكم من وقع في الأمور السابقة؟

هذه الأنواع الثلاثة هي الشرك الأكبر الذي يرتد به فاعله أو معتقده عن ملة الإسلام.

١٩٣. ماذا رتّب الشرع عليه من عقوبات؟

من تلك العقوبات:

- أن الله لا يغفره إذا مات صاحبه ولم يتب منه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. (النساء:٤٨)
- أن صاحبه خارج عن ملة الإسلام، حلال الدم والمال، وبمعنى آخر نقول: الشرك الأكبر ينافي مطلق الإسلام.
- أن الله لا يقبل من المشرك عملاً صالحا، وما عمله من أعمال سابقة تكون هباء منثورا.
- يحرم أن يتزوج المشرك بمسلمة، كما يحرم أن يتزوج المسلم بمشركة.
- إذا مات المشرك فلا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولايدفن في مقابر المسلمين.
- إن دخول الجنة عليه حرام، وهو مخلّد في نار جهنم.
- أن الشرك الأكبر موجب للعداوة المطلقة، والبغضاء المطلقة.[١٥]
- أن تحريم الشرك الأكبر تحريم مقاصد، أي متعلق بالاعتقاد القلبي.

١٩٤. من الذي يحكم عليه بالكفر أو الاستتابة؟

يتولى ذلك ولي أمر المسلمين، فإن تاب قبلت توبته ولم يُقتل وعُومل معاملة المسلمين

المطلب الثاني: ما يتعلق بالشرك الأصغر

١٩٥. ما بيان الشرك الأصغر؟

كل ما كان سببا ووسيلة ومفضية للشرك الأكبر، وجاء في النصوص الشرعية تسميته شركا فيكون من الشرك الأصغر.

١٩٦. ما أمثلة هذا النوع؟

كالرياء، والحلف بغير الله، وغيره.

١٥- ليس كل العداوة وليس كل البغض، أي يمكن التعايش معه في أمور الحياة لو كان هناك مشركا في الجوار، فنبغض اعتقاداته، لكننا لا نعتدي عليه.

١٩٧. ما حكم هذا النوع؟

يعتبر من الكبائر.

١٩٨. ما الأحكام المترتبة عليه؟

- لا يخرج فاعله عن الملة، أي أنه ينافي كماله الواجب.
- لا يحبط إلا العمل الذي خالطه، على تفصيل.
- يوجب مـن البغض والعداوة بمقداره فقط، أي أنه يوجب مطلق العداوة، لا العداوة المطلقة.
- داخل في حيز المغفرة إن شاء الله تعالى..
- يستحق الواقع فيه العذاب ولا يوجب له الخلود، بل يُعذب بقّدّرِه، أو إلى ما شاء الله تعالى، ثم يخرج إلى الجنة.
- أن تحريمـه تحريمٍ وسـائل، ولذلـك فالقاعدة تقول: (كل وسـيلة للشـرك الأكبر فشركٌ أصغر).

١٩٩. ما حكم مصاحبة الشرك الأصغر للعمل الشرعي؟

يؤدي هذا لبطلان الثواب، كما في الرياء.

المبحث الرابع

ما يتعلق بالكفر

٢٠٠. ما المراد من هذا العنوان؟

المراد منه توضيح ما يتعلق بهذا الأمر المهم من أحكام شرعية.

٢٠١. ما قول أهل السنة في هذا الجانب؟

قالـوا: «ولا نكفّر أحدًا مـن أهل القبلة بذنبٍ، ما لم يسـتحلّه، ولا نقول لا يضُر مع الإيمان ذنب لمن عمله».

٢٠٢. هل الشرك هو الكفر، أم بينهما اختلاف؟

الكفر والشرك كالإسلام والإيمان، إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

٢٠٣. ما تبيان القول السابق؟

أي إذا ذُكر الكفر وحده دخل معه الشرك، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ (آل عمران:١٠)، أي والذين أشركوا كذلك.

وإذا ذُكر الشـرك وحده دخل معه الكفر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء:١١٦) أي ولا يغفر أيضًا أي أن يكفر به.

أما إذا اجتمعا في نص واحد، فإن الشرك يكون معناه صرف شيء من أمور التعبد لغير الله، أما الكفر فهو جحد شـيء معلوم من الدين بالضرورة، أو ترك العمل بما ورد الدليل الصحيح الصريح بتكفير تاركه.

٢٠٤. هل هناك من عبارة موجزة تجمع ما سبق؟

نعم، يقال: كل شرك فهو كفر، وليس كل كفرٍ شركًا.

٢٠٥. ما أقسام الكفر؟

يمكن تقسيم الكفر إلى قسمين: أكبر وأصغر.

٢٠٦. ما الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر؟

الكفر الأصغر يظل في دائرة الإسلام لا يخرج منها، وإذا لقي الله عز وجل بتلك الذنوب، فإنه يكون مستحقا للعقوبة، إلا أن يعفو الله عنه.

بخلاف الكفر الأكبرِ فإن فاعله خارج عن الإسلام، وإذا مات على كفره أدخله الله النار خالداً مخلدا فيها.

المطلب الأول: ما يتعلق بالكفر الأكبر

٢٠٧. ما أمثلة هذا القسم؟

من أمثلته: التكذيب، أو الاستحلال، أو الاستكبار، أو الإعراض، أو الشك.

٢٠٨. هل يقع هذا الكفر بالاعتقاد فقط؟

لا، قد يقع بالقول أو الفعل، ولو لم نعلم عن الاعتقاد.

٢٠٩. ما دليل القول السابق؟

قال الإمام ابن تيمية: (ومن استهزأ بالله وآياته ورسوله فهو كافر باطنًا وظاهرًا، وأن من قال: إن مثلِ هذا قد يكون في الباطن مؤمنًا بالله وإنما هو كافر في الظاهر، فإنه قال قولا معلوم الفساد بالضرورة من الدين).[١٦]

٢١٠. ما حكم هذا النوع من الكفر؟

حكمه حكم الشرك الأكبر.

٢١١. ما بيان القول السابق؟

قال ابن تيمية: «فمن قال بلسانه كلمة الكفر من غير حاجة، عامدا لها، عالما بأنها كلمة كفر، فإنه يكفر بذلك ظاهرا وباطنا، ولا يجوز أن يقال: إنه في الباطن يجوز أن يكون مؤمنا، ومن قال ذلك فقد مرق من الإسلام، قال سبحانه: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ

١٦- الفتاوى (٧/ ٥٥٧-٥٥٨)

بِالْأِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[17]

٢١٢. ما أنواع هذا النوع من الكفر؟

أنواعه عديدة منها:

١/ كفر التكذيب والإنكار:

٢١٣. ما بيان هذا الكفر؟

هو أن يُنكر المكلف شيئا من أصول الدين، أو أحكامه، أو أخباره الثابتة ثبوتا قطعيا بالقرآن أو السنة النبوية.

٢/ كفر الشك:

٢١٤. ما بيان هذا الكفر؟

أن يتردّد المسلم في إيمانه بشيء من أصول الدين المجمع عليها، أو لا يجزم في تصديقه في خبر، أو حكم ثابت، أو أمر معلوم من الدين بالضرورة.

٣/ كفر الامتناع والاستكبار:

٢١٥. ما توضيح هذا الكفر؟

أن يصدّق بأصول الإسلام وأحكامه بقلبه ولسانه، ولكن يرفض الانقياد بجوارحه لحكمٍ من أحكامه استكبارا وترفعا.

٤/ كفر السبّ والاستهزاء:

٢١٦. ما بيان هذا النوع؟

أن يستهزىء، أو يسبّ شيئا من دين الله تعالى مما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو مما يعلم هو أنه من دين الله.

١٧- الصارم المسلول على شاتم الرسول ((١/ ٥٢٣)

٥/ كفر البغض:

٢١٧. ما بيان هذا النوع؟

هو أن يكره دين الإسلام، أو شيئاً من أحكامه وشرائعه.

٦/ كفر الإعراض:

٢١٨. ما بيان هذا النوع؟

هو الصدّ عن القبول لما يحبه الله تعالى.

٢١٩. هل كل إعراض له نفس الحكم بالتكفير؟

لا، فهناك إعراض يوصل إلى التكفير، وآخر غير مكفر.

القسم الأول: الإعراض المكفر

٢٢٠. ما أقسام الإعراض المكفر؟

ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الإعراض عن الاستماع لأوامر الله تعالى، كحال الكفار الباقين على دياناتهم المحرّفة.

الثاني: الإعراض عن الانقياد لدين الله الحق، وهذا كحال الكفار الذين دعاهم الأنبياء إلى الحق فأعرضوا.

الثالث: الإعراض عن العمل بجميع أحكام الإسلام وفرائضه بعد إقراره بقلبه الإيمان، مثل حال من نطق بالشهادتين، ثم نراه لا يصلي ولا يصوم ولا يحج ولا غيرها.

٢٢١. من أعرض ظاهراً عن الدين، ما الحكم عليه؟

الإعراض عن دين الله بالكلية كفر أكبر

٢٢٢. ما تعليل هذا الحكم؟

لأنه لابد أن يصحبَ هذا الإعراضَ الظاهري كفرٌ اعتقادي، أي اعراض

قلبي وعدم انقياد، وهذا مبناه على أصل التلازم بين الظاهر والباطن، خلافاً للجهمية والمرجئة الذين يقدرون وجود كفر الظاهر مع وجود الإيمان في القلب.

القسم الثاني: الإعراض غير مكفر

٢٢٣. ما بيان القسم الثاني، الإعراض غير المكفر؟

هو أن يترك المسلم بعض الواجبات الشرعية غير الصلاة، ويؤدي بعضها.

٢٢٤. ما مثاله في العبادات؟

مثل حال من يصلي ثم لا يصوم.

٧/ كفر النفاق

٢٢٥. ما بيان هذا النوع؟

هو إظهار الإنسان الإيمان، وإضماره أو كتمانه الكفر.

٢٢٦. هل هناك من تقسيم لهذا الجانب؟

يمكن تقسيمه لجانبين:

الأول: النفاق الأكبر الاعتقادي: أن يظهر الإنسان الإيمان ويبطن ما يناقضه، ولهذا المنافقون أسوأ حالا من الكفار.

الثاني: النفاق الأصغر: وهو النفاق العملي، وهو أن يظهر عملا صالحا ويبطن الرياء أو السمعة، أو يقع في صفة من صفات المنافقين؛ كالكذب أو الخيانة، إخلاف العد، فهو مشابه بأفعاله للمنافقين.

المطلب الثاني: ما يتعلّق بالكفر الأصغر

٢٢٧. ما المقصود من هذا العنوان؟

المقصود بيان أن كل ما أطلق عليه الكتاب أو السنة كفراً ولم يصل إلى حد الكفر الأكبر، مع بقاء اسم الإسلام لفاعله، وهذا يُقال له كفراً أصغر.

٢٢٨. ما مثال هذا النوع؟

من أمثلة هذا:

- قتال المسلم لأخيه المسلم دون حق، قالﷺ:(سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر). متفق عليه
- الطعن في أنساب الناس وقبائلهم، والنياحة على الميت بلطم الخدود، وشق الجيوب، قال ﷺ : (اثنتان في الناس هما بهم كفر؛ الطعن في النسب، والنياحة على الميت) رواه مسلم .
- انتساب الولد إلى غير أبيه مع علمه بوالده، لقولهﷺ: (لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر). متفق عليه
- أن تنكر المرأة حق زوجها وإحسانه لها، فقد رأى النبي ﷺ أكثر أهل النار من النساء، فسُئل عن سبب ذلك، فقالﷺ: (لأنهن يكفرن الزوج، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك ما يسوؤها، قالت: ما رأيت منك خيرا قط). رواه البخاري

٢٢٩. هل الوصف لهذه الذنوب بأنها كفر أصغر يستدعي عدم الخوف منها؟

ليس معنى تسمية تلك الذنوب كفراً أصغر أن يتهاون الناس في ارتكابها، وإنما المراد مزيد تحذير وتنفير منها، فهي أعظم إثما من الكبائر، ويجب على فاعلها التوبة منها، والرجوع إلى الله سبحانه.

٢٣٠. ما سبب إطلاق الشرع وصف الكفر على ما سبق من أعمال؟

لم يطلق الشرع وصف الكفر على هذه الأعمال إلا لما لها من آثار خطيرة على مستوى الأفراد والمجتمعات:

٢٣١. ما آثار الكفر الأصغر؟

من الآثار المتوقع وقوعها من تلك الأمور، ما يأتي:

- إشهار المسلم سيفه في وجه أخيه المسلم مؤذن بانفراط عقد الأخوة، وفتح أبواب الفتن بين المسلمين.
- تعرية الإنسان من نسبه، من أعظم المخاطر التي تهدد الحياة الاجتماعية.

- النياحة على الميت، تشتمل على كثير من المفاسد العقدية والاجتماعية ؛ كالتسخط وعدم الرضا بالقدر، وترك الصبر على المصائب والبلايا،
- انتساب الولد إلى غير أبيه، سببٌ لتفكك الروابط الأسرية.
- جحود المرأة حق زوجها، من أسباب المشاكل الزوجية وخراب البيوت، وذلك لأن الأسرة مبناها على الاحترام المتبادل، وتقدير كل طرف للآخر، وبانتفاء هذا التقدير والاحترام تبقى البيوت عُرضة للزوال والانهيار.

المبحث الخامس

ما يتعلق بحكم التكفير

٢٣٢. ما المقصود من العنوان؟

يُقصد به متى يمكن شرعاً إطلاق حكم (كافر) على شخص ما.

٢٣٣. هل القضية من الأهمية بمكان ليتم توضيحها؟

نعم، فالتكفير حقٌ لله وحده، ونتيجة لسوء الفهم لهذا الأمر وجدنا من يسارع لإطلاقه على المسلمين، بلا دليل ولا علم.

٢٣٤. ما الدليل على أن التكفير حقٌ لله وحده سبحانه؟

قال شيخ الإسلام[١٨]: (فلهذا كان أهلِ العلم والسنة لا يكفِّرون مَن خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفِّرهم؛ لأنَّ الكفرَ حكمٌ شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذَب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله؛ لأنَّ الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله، فلا يكفر إلاَّ من كفَّره الله ورسوله، وأيضاً فإنَّ تكفير الشخص المعيَّن وجواز قتله موقوف علىٍ أن تبلغه الحجّة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلاَّ فليس كلٌ من جهل شيئاً من الدِّين يكفر) .

٢٣٥. ما عاقبة إطلاق الكفر على إنسان؟

هذا يعني الحكم عليه بالطرد من رحمة الله، وبالخلود في نار جهنم.

٢٣٦. ما النصوص الشرعية الدالة على خطورة التكفير؟

النصوص كثيرة، ومن ذلك:

- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (أيما رجلٌ قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما). متفق عليه
- عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (من دعا رجلاً بالكفر، أو

١٨- الرد على البكري (ص:٢٥٨ ـ ٢٦٠)

قال: يا عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه[١٩]). متفق عليه

- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يرمي رجل رجلا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك). رواه البخاري

٢٣٧. ما توضيح العلماء للنصوص السابقة؟

قال ابن دقيق العيد: «وهذا وعيد عظيم لمن كفّر أحداً من المسلمين وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين من المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث لما اختلفوا في العقائد فغلطوا على مخالفيهم وحكموا بكفرهم، وخرق حجاب الهيبة في ذلك من الحشوية، وهذا الوعيد لاحق بهم إذا لم يكن خصومهم كذلك..».[٢٠]

المطلب الأول: ضوابط التكفير

٢٣٨. هل واجب على كل مسلم دراسة الضوابط المتعلقة بحكم التكفير؟

نعم، وذلك لخطورة هذا المنحى في حياتنا، وولوج بعض الناس فيه بجهل، فكانت لهم الآثار الوخيمة عليهم وعلى الأمة كافة، فكان لزاما التعرّف على ضوابطه.

٢٣٩. ما الضوابط الواجب مراعاتها في التكفير؟

من تلك الضوابط:

١/ الأصل في المسلم بقاء إسلامه، حتى يتحقق زوال ذلك بيقين، قال ابن حجر: «من ثبت له عقد الإسلام بيقين، لا يخرج منه إلا بيقين».[٢١]

٢/ أهل السنة لا يكفّرون بالمعاصي، ولو كانت كبائر.

٣/ أن التكفير متعلق بالتكذيب والجحود، قال النووي: «واعلم أن مذهب

١٩- حار عليه: أي رجع على القائل شؤمه ووباله.

٢٠- إحكام الأحكام (٤/ ٧٦)

٢١- فتح الباري (٢/ ٣١٤)

أهل الحق أنه لا يكفّر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع، وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم بردته وكفره». [22]

٤/ أنه لا يشهد على مسلم معيّن أنه كافر، أو أنه من أهل النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت.

المطلب الثاني: أقسام التكفير

٢٤٠. ما أقسام التكفير عند أهل السنة؟

التكفير عند أهل السنة نوعان:

- تكفير بالوصف الأعمّ، أو العام.
- وتكفير بالوصف الأخصّ، أو الخاص.

أولا: التكفير العام

٢٤١. ماذا نعني بالتكفير الأعمّ، أو العام؟

نعني بالتكفير الأعم: أي أن يكون الحكم بالكفر متوجهًا إلى القول أو الفعل ذاته، بعيدا عن النظر إلى القائل أو الفاعل، ويُقال له التكفير المطلق.

٢٤٢. ما مثال قول العلماء لهذا التقرير؟

كقول أهل السنة: من شبّه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف به نفسه كفر، ومن حلف بغير الله فقد أشرك، ومن صرف عبادة لغير الله فقد أشرك، ومن قال بخلق القرآن كفر، ومن ترك الصلاة فقد كفر، ونحو ذلك.

٢٤٣. هل يقصدون شخصا معينا؟

لا يقصدون بذلك الحكم العام على فردٍ بعينه، فهذا غير مراد لهم، ومن فهم من كلامهم ذلك فقد غلا في الفهم ونسبهم إلى ما لم يقولوا به.

٢٤٤. ما حكم إطلاق التكفير العام (المطلق)؟

٢٢- شرح مسلم (١/ ٢٤٢)

التكفير العام جائز باتفاق أهل السنة، فمتى ما ثبت بالدليل الشرعي الصحيح أن هذا القول أو الفعل كفر؛ فيجوز الحكم عليه بذلك.

٢٤٥. كيف نفهم قول العلماء في هذا الجانب؟

من توضيح أقوالهم رحمهم الله:

منها: القائل بخلق القرآن فقد كفر، لا يلزم منه تكفير كل قائل بذلك بعينه.

ومنها: من شبّه الله بخلقه فقد كفر، لا يلزم منه تكفير كل مشبهٍ بعينه.

ومنها: من ترك الصلاة فقد كفر، لا يلزم منه تكفير كل تارك بعينه.

ومنها: من أنكر معلومًا من الدين بالضرورة كفر، لا يلزم منه تكفير كل منكر بعينه.

٢٤٦. هل يلزم من التلفّظ بالتكفير العام دخول الناس فيه؟

الحكم بالكفر على وجه العموم لا يلزم منه تكفير كل الناس بأعيانهم .

٢٤٧. ما تعليل التقرير السابق؟

تعليله أنه قد لا ينطبق في الشخص المعيّن شرطٌ من شروط التكفير، أو يوجد فيه مانع من موانعه، فلا تلازم بين الحكم العام والحكم الخاص، ولذلك فإن العلماء قد قعّدوا هذه القاعدة العظيمة في هذا الباب المهم والتي تقول: (التكفير العام لا يستلزم تكفير الأعيان[٢٣]، إلا بعد توفر الشروط، وانتفاء الموانع).

٢٤٨. ما الخطأ الناتج من الخلط بين التكفير العام والخاص؟

حصل بسبب الخلط بين التكفير العام وتكفير الأعيان مفاسد عظيمة منها، وفتن كثيرة، لازلنا نعايش آثارها إلى اليوم.

٢٤٩. ماذا يشترط في التكفير العام؟

يُشترط فيه النظر إلى حقيقة القول أو الفعل، هل هو كفر أم لا؟

٢٣- الأعيان: يعني كل شخص بذاته.

ثانيا: التكفير الخاص

٢٥٠. ما المقصود بالتكفير الخاص (المعين)؟

يقصد به تنزيل حكم التكفير على شخص معين.

٢٥١. ما مثال العلماء لهذا الجانب؟

مثاله كأن يقال: فلان كافر! ويسمى، أي يتم ذكر اسمه.

فيُقال مثلا: كفر سالم، أو كفر طارق، فهو الحكم على المعين بالكفر لإتيانه بأمر يناقض الإسلام.

٢٥٢. متى يمكن التعرّض لذات المتكلم؟

لا يتعرض القائل إلى قائله أو فاعله إلا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع.

٢٥٣. ماذا يشترط في التكفير الخاص، أو تكفير الأعيان؟

هذا التكفير يُشترط فيه النظر إلى توافر الشروط وانتفاء الموانع، فإنها قد تتوفر في شخص ولا تتحقق في شخص آخر.

٢٥٤. لماذا لا نحكم على كل من فعل أو قال أمرا كفريا بالكفر؟

قال الشيخ ابن عثيمين: «الواجِب قبل الحكم بالتّكْفير أن يُنْظَر في أمرين:

الأول: دلالة الشرعِ على أنّ هذا مُكَفِّر؛ لئلا يُفْتَرى على الله الكَذِب.

الثاني: انطباق الحُكم على الشخص المُعَيّن؛ بحيث تتم شروط التكفير في حَقِّه، وتنتفي الموانع».

٢٥٥. هل التكفير المعيّن منتشر عن علماء أهل السنة؟

المنقول عن أهل السنة في تكفير الأعيان قليل جدًا، مقارنة بما نُقل عنهم من التكفير العام.

٢٥٦. ما توضيح قول السلف لإطلاق التكفير في الكثير من المسائل العقدية؟

قال ابن تيمية رحمه الله: «وكنت أُبين لهم أنما نُقل لهم عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضا حقٌّ، لكن يجب

التفريـق بين الإطـلاق والتعيين، وهذه أول مسـألة تنازعـت فيها الأمة من مسائل الأصول الكبار وهي مسألة (الوعيد)...»ا.هـ.[٢٤]

٢٥٧. لماذا هذا الأمر العقدي لا يتناوله عوام المسلمين؟

ذلك أن تكفير المعين يحتاج فيه إلى نظر من وجهين:

الأول: معرفة هل هذا القول أو الفعل الذي صدر من هذا المكلّف، مما يدخل في أنواع الكفر أو الشرك الأكبر، أو لا؟

والثانـي: معرفـة الحكـم الصحيح الذي يُحكـم به على هـذا المكلف، وهل وجدت جميع أسـباب الحكم عليـه بالكفر، وانتفت جميع الموانع من تكفيره، أو لا؟

٢٥٨. مما سبق بيانه، فحكم التكفير، مسؤولية من؟

هذا يجعل مسـألةَ تكفير المعين من المسـائلِ التي لا يَحكم فيها على شخص أو جماعة، إلا ولاة الأمر، من الأمراء وأهلُ العلم.

٢٥٩. ما القول بمن يُسارع برمي حكم التكفير على أي مسلم؟

قال ابن تيمية رحمه الله: « وإذا عُرف هذا، فتكفير المعيّن من هؤلاء الجهال وأمثالهـم - بحيث يحكم عليه بأنه من الكفـار - لا يجوز الإقدام عليه إلا بعـد أن تقـوم على أحدهم الحجة الرسـالية التـي يتبين بها أنهـم مخالفون للرسـل، و إن كانت هذه المقالة لا ريـب أنها كفر، وهكذا الكلام في تكفير جميـع المعينـين مع أن بعـض هذه البدعة أشـد من بعض، وبعـض المبتدعة يكـون فيـه مـن الإيمان ما ليس فـي بعض، فليـس لأحد أن يكفّـر أحدًا من المسـلمين، وإن أخطـأ وغلط حتـى تقام عليه الحجة وتبـين له المحجة، ومن ثبـت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشـك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة و إزالة الشبهة».[٢٥]

٢٦٠. ما خطورة المسارعة للتكفير المعيّن بلا دليل؟

٢٤- مجموع الفتاوى (٣/ ٢٣٠)

٢٥- مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٠٠- ٥٠١)

قال الامام الشوكاني: «اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار، فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة: (أن من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) هكذا في الصحيح، وفي لفظ آخر في الصحيحين وغيرهما: (من دعا رجلا بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه) أي: رجع، وفي لفظ في الصحيح: (فقد كفر أحدهما) ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير...».[٢٦]

٢٦١. أيهما عنده التكفير أكثر ويسارع له؛ أهل السنة أو المبتدعة؟

قال ابن تيمية: «والخوارجُ هم أوّلُ من كفَّرَ المسلمينَ، يُكفِّرون بالذنوب، ويُكفِّرُون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلُّون دمهُ وماله، وهذه حال أهل البدع يبتدعُونَ بدعة ويُكفِّرون من خالفهم فيها، وأهلُ السنة والجماعة يتّبعُون الكتاب والسنة ويُطيعونَ اللّهَ ورسولهُ فيتّبعُون الحق، ويرحمُون الخلق».[٢٧]

المطلب الثالث: شروط وموانع للتكفير

٢٦٢. ما الشروط الواجب مراعاتها قبل إطلاق لفظ التكفير؟

شروط التكفير وموانعه هي كما يلي:

الأول: العقل، فإنه شرط ، وضده الجنون، وهو مانع.

الثاني: البلوغ، فإنه شرط، وضده الصغر، وهو مانع.

الثالث: العلم، فإنه شرط، وضده الجهل، وهو مانع.

الرابع: الإرادة، فإنها شرط، وضدها الإكراه، وهو مانع.

الخامس: القصد، فإنه شرط، وضده الخطأ، وهو مانع.

السادس: عدم التأويل، فإنه شرط، وضده وجود التأويل، وهو مانع.

٢٦- السيل الجرار (٤/ ٥٧٨)

٢٧- مجموع الفتاوى - (٣/ ٢٧٩)

٢٦٣. ما تفصيل القول في الشروط السابقة للتكفير؟

تفصيله يكون وفق الآتي:

الشرط الأول: العقل.

٢٦٤. ما المقصود بهذا الشرط؟

أي أن يكون قائل الكفر أو فاعله عاقلاً، وضد العقل الجنون، فالعقل شرط، والجنون مانع.

٢٦٥. ما الحكم في من كان فيه المانع السابق؟

من فعل شيئًا من المكفرات قولية كانت أو فعلية وهو مجنون فإنه لا يحكم عليه بمقتضاه، وذلك لفوات شرط وهو العقل، ووجود مانع وهو الجنون.

٢٦٦. ما دليل الحكم السابق؟

ورد في الحديث: (رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق) رواه النسائي. وهذا الشرط متفق عليه بين العلماء.

الشرط الثاني: البلوغ.

٢٦٧. ما المراد من هذا الشرط؟

أي أن يكون قائل الكفر أو فاعله بالغًا، وضد البلوغ الصغر، فالبلوغ شرط، والصغر مانع من التكفير.

٢٦٨. ما الحكم مع من كان فيه المانع السابق؟

من فعل شيئًا من هذه المكفرات؛ قولية كانت أو فعلية، وهو صغير لم يبلغ، فإنه لا يُحكم عليه بمقتضاه، وذلك لفوات شرط مهم وهو البلوغ، ووجود مانع، وهو الصغر.

٢٦٩. ما دليل هذا الشرط؟

ورد عـن النبـي ﷺ: (رُفع القلم عن ثلاثة، عن النائم حتى يسـتقيظ، وعن الصبي حتى يَشبّ، وعن المعتوه حتى يعقل). رواه النسائي

الشرط الثالث: العلم.

٢٧٠. ما المراد من هذا الشرط؟

أي أن يكون فاعل الكفر أو قائله عالماً بما يقول.

وضد العلم الجهل، فالعلم شرطٌ، والجهل مانع من التكفير.

٢٧١. كيف نطبّق هذا الشرط؟

من فعل شيئًا من المكفرات؛ قولية كانت أو فعلية ،وهو جاهل بحقيقة الحال، ومثله حقيقة يجهل، فإنه لا يُحكم عليه بمقتضاه، وذلك لفوات شـرط وهو العلم، ووجود مانع وهو الجهل.

٢٧٢. هل هذا يُقال له عند العلماء: «العذر بالجهل»، وما أمثلة الجاهل؟

نعم، ومن أمثلة الجاهل: الرجل حديث العهد بإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة.

٢٧٣. هل نلتفت إلى أي جهل يتعلق به الفاعل؟

لا، إذ لابد أن يكون ذلك الجهل يعتبر من الجهل الذي العذور به في حقيقة الأمر، وهو الذي يعبر عنه الفقهاء بقولهم: (**ومثله يجهل**).

فلا يُتصور تصديق جهالة إنسان يهين كتاب الله وهو يعيش بين المسلمين.

٢٧٤. ما دليل هذا الشرط؟

قـال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة:٢٨٦) والجهل نوع من الخطأ، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا﴾، وتكليف العبد بما لا يعلمه تكليف له بما لا يطَاق، وهو منتفٍ شرعًا.

٢٧٥. ماذا قال العلماء في هذا الجانب؟

قالوا أن الجهـل عذرٌ معتبرٌ مطلقًا، سواء في مسائل الشريعة أو العقيدة.

٢٧٦. هل الجهل يعتبر من الأعذار في بعض المسائل العقدية أو جميعها؟

ذكر ابن تيمية أن القول بعدم العذر في مسائل الاعتقاد مسلك المبتدعة، أما أهل السنة فهم يعذرون الجاهل في كل المسائل، لكن بهذا الشرط المعبر عنه بقولهم: (ومثله يُجهل).

٢٧٧. هل هناك من حوادث عملية تدلّل على هذا الشرط؟

نعم، مما يدل على ذلك:

- حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين في صلاة أهل قباء إلى القبلة المنسوخة، فعذروا بذلك، وسبب العذر الجهل بالدليل الناسخ، فإذا كان هذا حال أهل قباء مع قربهم من المدينة فكيف بحال البعيدين عن المدينة، فالكل قد عُذر ولم يؤمر بالإعادة، وسبب العذر هو الجهل.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث المسيء صلاته وأنه قال: (والذي بعثك بالحق لا أحسن غيره، فعلمني)، وذلك يفيد أن جميع صلواته السابقة كانت كهذه الصلاة التي قال فيها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فإنك لم تصل)، ومع ذلك فلم يأمره بإعادة هذه الصلاة، ولأن وقتها لا يزال حاضرًا وقد بلغه العلم الشرعي في الكيفية الصحيحة للصلاة في وقتها فلزمه إعادتها.

- حديث عمر وعمار لما بعثهما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأجنبا فلم يجدا الماء، فأما عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلم يصل، وأما عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتمعّك في الصعيد كما تتمعّك الدابة ...الحديث. رواه البخاري.

ووجه الاستشهاد: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الصفة الشرعية ولم يأمر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقضاء ما فاته؛ لأنه تركه حال كونه غير عالم بحقيقة الحال، ولم يأمر عمارًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالإعادة مع أنه لم يتطهر الطهارة الشرعية على الصفة الشرعية، مما يدل على أنه عذرهما لعدم العلم.

- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة الرجل الذي أسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي، فقال لأبنائه: (إذا أنا مت فأحرقوني، ثم ذروني في يوم ريح حتى لا يقدر عليَّ ربي فيعذبني) رواه البخاري

فهـذا الرجـل وقع فـي مكفّرين، وقع فـي إنكار القـدرة، وإنكار بعث الأجسـاد، ولكنـه لم يكفـر، بدليل أنه قيـل له في آخـر الحديث: (قد غفرت لك) ، فلو كان كافرًا لما دخل فيٍ حيز المغفرة، فلما غُفر له علمنا أنه لم يكفر بقوله هذا؛ لأنه كان جاهلاً بحقيقة القول، فعُذر لجهله.

- ما رواه مسـلم عن عائشـة قالت: لما كانت ليلتي التـي كان النبي ﷺ فيها عنـدي... - فذكـرت حديثًا طويلاً - وفيه أنها قالت: يا رسـول الله، مهمـا يكتم الناس يعلمه الله؟ قـال: (نعم ...) الحديث، وهذا موضع الشـاهد منه، فهذه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها سألت النبـي ﷺ: هـل يعلـم الله كل مـا يكتم النـاس؟ فقال لهـا النبي ﷺ: (نعم).

وهذا يدل على أنها لم تكن تعلم ذلك من قبل، ولم تكن قبل معرفتها بذلك كافرة، وإن كان الإقرار بذلك بعد قيام الحجة من أصول الإيمان، لكنها عُذرت لعدم علمها بذلك.

٢٧٨. مـن قـال كلمـة الكفـر جهلاً، فهـل نُسـارع إليـه بالتكفيـر، أو إلـى توجيهه ومناصحته؟

سُـئل الشـيخ عبد الرزاق عفيفي [٢٨] عن حكم المستهزىء بالدين أو الرسول أو القـرآن، هل يكفر ولو كان جاهلا، فقـال: « هذا الباب كغيره من أبواب الكفـر، يُعلم ويُؤدب، فإن علِّم وعاند بعد التعليم والبيان كفر، وإذا قيل لا يعذر بالجهل فمعناه يُعلم ويؤدب، وليس معناه أن يكفّر».

الشرط الرابع : الإرادة

٢٧٩. ما المراد من هذا الشرط؟

معناه أن يفعل المسلم الفعل الكفري، أو يقول القول الكفري مريدًا مختارًا طائعًا، وضد الإرادة الإكراه، فالإرادة شرط والإكراه مانع.

٢٨٠. هل من وقع في أي مكفرات رغما عليه، نحكم عليه بالكفر؟

٢٨- فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي (ص:٣٧٢)

لا، فمن فعل أو قال شـيئًا من المكفرات وهو مكره على ذلك فإنه لا يحكم عليه بمقتضاه، وذلك لفوات شرط، وهو الإرادة ووجود مانع وهو الإكراه.

٢٨١. ما دليل هذا القول؟

دليلـه قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِـنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل: ١٠٦)، وقال ﷺ: (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) . رواه ابن ماجه

٢٨٢. هل هذا يشمل الأقوال والأفعال في حال الإكراه؟

هـذا العذر عذرٌ عام في الأقوال والأفعال الكفريـة التي يُكره عليها، لا في الأقـوال فقط، فـإن هذا تخصيص للدليل بلا مخصـص، والآية وإن نزلت علـى سـبب خاص، فإن المتقـرر في القواعـد: (أن العبرة بعمـوم اللفظ لا بخصوص السبب).

٢٨٣. ما الدليل على أن العجز من الموانع للتكفير؟

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا﴾.

الشرط الخامس: القصد

٢٨٤. ما المراد من هذا الشرط؟

معناه أن يقول الكفر قاصدًا حقيقة ذلك القول، وأما من سـبق لسـانه بقول شـيء من ألفاظ الكفر بلا قصد فلا شـيء عليه، وهو الخطأ، والله تعالى لا يؤاخذنا إلا بما تعمدت قلوبنا، وأما الخطأ فهو معفو.

٢٨٥. ما دليل هذا الحكم؟

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وكان الله غفورًا رحيمًا﴾ (الأحزاب: ٥)

ولـما قال الرجـل عندما وجد راحلته: (اللهم أنت عبـدي، وأنا ربك)، قال ﷺ معتذرًا عنه: (أخطأ من شدة الفرح). متفق عليه

٢٨٦. ما وجه الاستشهاد من الحديث على عدم التكفير للقائل؟

وجه الاستشهاد: أن هذا الرجل قال هذه الكلمة الكفرية بلا قصد، وإنما أخطأ في هذا القول من شدة الفرح الذي داخله ، فعُذِر لأنه لم يك قاصدًا حقيقة هذا القول.

الشرط السادس: عدم التأويل.

٢٨٧. ما المقصود من هذا الشرط؟

معناه أن يتلبّس العبد بشيء من الأقوال أو الأفعال التي هي كفر ومن غير قصد لذلك، ويكون سببه القصور في فهم الأدلة الشرعية دون تعمد للمخالفة، بل هو يعتقد صواب نفسه وأنه على الحق.

٢٨٨. هل اتفق العلماء على التقرير السابق؟

نعم، وقد قال العلماء: كل متأول فليس بآثم، بل هو معذور بتأويله، بشرط أن يكون تأويله مما يسوغ في لسان العرب، وهذا العذر يجب النظر فيه بعين الرحمة للخلق الموجبة لبيان الحق بيانًا شافيًا كافيًا، مع العلم بأن الأفهام تختلف، والمسائل قد يشتبه بعضها ببعض.

٢٨٩. ما الدليل على ما سبق تقريره؟

من الأدلة على ذلك:

منها: ما ثبت في الصحيح من حديث أسامة في قتله الرجل المشرك بعدما قال: لا إله إلا الله، فقال له النبي ﷺ: (أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله)؟! قال: يا رسول الله، إنما قالها خوفًا من السلاح).

ووجه الاستشهاد به أن النبي ﷺ لم يوجب الدية على أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أنه قتل مسلمًا في الظاهر، والمسلم معصوم الدم، وهذا دليل على أنه عذره؛ لأنه كان متأولاً في قتله هذا، فإنه ظن أنه وإن قال: لا إله إلا الله، فإنها لا تعصم دمه؛ لأنه يريد بقولها التعوّذ من القتل فقط، ولا يريد حقيقة الإسلام، فجعل النبي ﷺ ذلك التأويل عذرًا له في إسقاط الدية عنه.

منهـا: عـن ابـن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: (بعـث النبي ﷺ خالـد بن الوليـد إلى بني جذيمـة، فدعاهـم إلـى الإسـلام، فلـم يحسـنوا أن يقولوا: أسـلمنا! فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسـر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابيٍ أسـيره! حتى قدمنا على النبـي ﷺ فذكرناه، فرفع النبي ﷺ يديه فقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد - مرتين -). رواه البخاري

ووجه الاستشـهاد به هـو أن خالدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتل هـؤلاء مجتهداً متأولاً، وقـد تبـرّأ النبـي ﷺ من ذلـك، ومع هذا لـم يؤاخذه النبـي ﷺ، ولم يوجب عليه القصاص أو الدية؛ لأنه كان متأولاً.

ومنها: ما رواه البخاري من قصة حاطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيها أن عمر قال: (يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، دعني فأضرب عنقه...).

وفـي الصحيـح أيضًـا مـن حديث جابـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فـي قصة صـلاة معاذ بأصحابه العشـاء، وأنه أطال عليهم الصلاة، فاعتزل رجل وتجوّز في صلاته، فقال معاذ: (إنه منافق) الحديث.

ووجـه الاستشـهاد بهمـا: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصـف حاطبًا بأنـه خان الله ورسـوله، ومعاذ وصف الرجـل بأنه منافق، ومع ذلـك فقد عذرهما النبي ﷺ في رميهما ذلك لهذين المسـلمين؛ لأنهما - أي عمر ومعاذ - كانا متأولين في قولهما ذلك، وهذا واضح.

ومنهـا: حادثـة سـجود معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بين يـدي النبي ﷺ متأولاً فـي ذلك - إن صح الحديث -، فإن معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يرد التعبد له بهذا السـجود، وإنما أراد به التحية والتقدير؛ لأنه رأى بعض أساقفة الشام يسجد بعضهم لبعض تحية وإكرامًا، فأراد أن يفعل ذلك مع النبي ﷺ، ومع ذلك فلم يحكـم عليه النبي ﷺ بشـيء، وإنما أخبره بأن ذلـك لا يجوز، وأنه لا يسجد إلا لله تعالى، مما يدل على العذر بالتأويل.

ومنهـا: مـا رواه محمد بن نصر المروزي بسـنده عن طارق بن شـهاب قال: (كنـت عنـد علـي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حـين فـرغ مـن قتـال أهـل النهـروان، فقيل

لـه: أمشـركون هم؟ قال: من الشـرك فـروا. فقيل: فمنافقـون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم)؛ وذلك لأنهم متأولون، فعذرهم علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أجل ذلك، لـم يحكم عليهم بالكفر أو النفـاق، وعلى ذلك جرى عامة أصحاب النبـي ﷺ الذين أدركهم الخوارج، بل قـال الإمام الزهري رحمه الله تعالى: (وقعت الفتنة وأصحاب رسـول الله ﷺ متوافرون، فأجمعوا أن كل دم أو مـالٍ أصيـب بتأويـل القـرآن فإنـه هدر، أنزلوهـم منـزلة الجاهلية).

٢٩٠. هل مما سبق ذكره يمكن القول إن من فعل الكفر متأولاً لا نحكم بتكفيره؟

نعم، وهذا ما صرّح به أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الخوارج أنهم ليسوا كفارًا ولا منافقـين، قـال ابن رشـد: « كل من قاتل على التأويـل فليس بكافر بتةً، أصله قتال الصحابة، وكذلك الكافر في الحقيقة هو المكذب لا المتأول».[٢٩]

الشرط السابع: التقليد

٢٩١. ما المقصود من هذا العنوان؟

يُقصـد مـن يكون في جهـة وموضع، ولـم تبلغه الأدلة علـى التكفير، وهو يقبل كلام من غيره بلا دليل.

٢٩٢. ما الحكم على المقلّد لو قال بعض الأمور الكفرية؟

له العذرالشرعي بسبب عذر التقليد.

٢٩٣. ما قول العلماء في هذا الجانب؟

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية: «المحفـوظ عن أحمدَ وغيره مـن الأئمة، إنما هـو تكفيـر الجهمية المُشَـبّهة وأمثال هـؤلاء... مع أن أحمدَ لـم يكفِّر أعيان الجهمية، ولا كل مَن قال: «إنه جهمي» كفَّره، ولا كل مَن وافق الجهمية في بعـض بدعهم؛ بـل صلّى خلف الجهمية الذين دعَوْا إلـى قولهم، وامتحنوا

٢٩- بداية المجتهد (٢/ ٤٥٨)

الناس، وعاقبوا مَن لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة، لم يكفِّرهم أحمدُ وأمثاله؛ بل كان يعتقد إيمانَهم وإمامتهم، ويدعو لهم، ويرى الائتمام بهم في الصلوات خلفهم، والحج والغزو معهم، والمنع من الخروج عليهم، ما يراه لأمثالهم من الأئمة».[30]

٢٩٤. هل هناك من يجعل التقليد ليس بعذر لدفع التكفير عن المسلم؟

نعم، هناك من يعتقد أن الواجب على كل مسلم عبادة الله على بصيرة وعلم شرعي، وأن التمسك في أصول العقائد بظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل هو أصل الضلال.

٢٩٥. ما الدليل على بطلان معتقدهم؟

من أدلة هذا عن طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد، ثائر الرأس، نسمع دوي صوته ولا نفهم ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام. فقال له رسول الله ﷺ: « خمس صلوات في اليوم والليلة».

قال: هل عليّ غيرهنّ؟ قال ﷺ: لا ، إلا أن تطوع . قال ﷺ: وصيام شهر رمضان. قال: هل عليّ غيره؟ قال ﷺ: لا، إلا أن تطوّع.

وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل عليّ غيرها؟ قال ﷺ: لا، إلا أن تطوع. فأدبر الرجل وهو يقول: « والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. قال رسول الله ﷺ: « أفلح إن صدق». رواه النسائي

٢٩٦. ما وجه الاستدلال من الحديث السابق؟

هذا الرجل قلّد في دينه، ولم يستفصل عن الحيثيات في الأحكام الشرعية، ولم يأمره النبي ﷺ بالنظر ومعرفة الأمور العقلية، بل شهد له بالجنة إن حقق ما بلغه.

٣٠- «الإيمان الأوسط» ص ٣٧٤، ٣٧٥، «مجموع الفتاوى» ٧/ ٥٠٧، ٥٠٨.

المطلب الخامس: مسائل متفرقة

٢٩٧. هل ممكن العذر بعدم التكفير لوجود شبهة؟

نعم هذا واجب.

قال ابن أبي العز: « ولا شك في تكفير من رد حكم الكتاب، ولكن من تأول حكم الكتاب لشبهة عرضت له يبين له الصواب ليرجع إليه».[٣١]

٢٩٨. ما الحكم فيمن لم يكفّر الكافر؟

من لم يكفر الذي كفّره الله ورسوله فهو كافر.

٢٩٩. ما القول مع من يكفر المختلف في تكفيره؟

هذا أمر خطير، بل سيقود إلى لوازم خطيرة في حياتنا، فإنه سيلزم المقلد للمذهب الحنبلي أن يكفّر الشافعية والحنفية والمالكية لعدم تكفيرهم تارك الصلاة، وهذا لم يقله عالم من أهل السنة.

٣١- شرح العقيدة الطحاوية (ص:٢٦٢)

المبحث السادس

نواقض كلمة التوحيد

٣٠٠. ما المقصود من هذا العنوان؟

المقصود منه بيان أن هناك أعمالا وأقوالا قد تؤدي إلى هدم جناب التوحيد، ومن ثم واجب علينا معرفتها للحذر منها.

٣٠١. ما نواقض كلمة التوحيد ؟

النواقض كثيرة ويجمعها عشرة نواقض:

الأول: الشرك الأكبر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٨).

الثاني: اتخاذ الوسائط بين المسلم وبين الله تعالى، ليدعوهم في كشف الملمات وتفريج الكربات وإجابة الدعوات، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر: ٣)، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (يونس: ١٨).

الثالث: السحر وتعلمه وتعليمه والعمل به، قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (البقرة: ١٠٢)، وثبت قتل الساحر عن ثلاثة من الصحابة.

الرابع: الاستهزاء بشيء مما جاء به النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾. (التوبة: ٦٥)

الخامس: الإعراض المطلق عن الشريعة، فلا يتعلّمها ولا يعمل بها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ

الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾. (السجدة:٢٢)

السادس: بغض شيء مما جاء به النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ .(محمد:٢٨)

السابع: من لم يكفّر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحّح مذهبهم، ودليله الإجماع.

الثامن: إعانة المشركين وموالاتهم ومناصرتهم ومظاهرتهم على المسلمين، قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...﴾ (المجادلة:٢٢)

التاسع: من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه فإنه يكفر إجماعًا، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥)، وفي الحديث: (وخير الهدي هدي محمد ﷺ).

العاشر: من يعتقد أن في وسعه الخروج عن الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(آل عمران: ٨٥). [٣٢]

٣٠٢. ما الأمثلة الأخرى الدالة نواقض الإيمان الاعتقادية والقولية والعملية إجمالاً؟

من هذه النواقض مختصرة:

منها: القول بقدم العالم.

ومنها: سبّ الله تعالى، أو الاستهزاء به.

ومنها: الاستعاذة بغير الله في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا هو .

ومنها: الاستعانة والاستغاثة بغير الله في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا هو.

ومنها: الذبح لغير الله متقربًا للغير ومتعبدًا له بهذا الذبح.

ومنها: سبّ النبي ﷺ، أو الطعن فيه.

٣٢- هذه جملة النواقض التي يدخل تحتها سائر النواقض المذكورة في باب حكم المرتد

ومنها: سبّ الأنبياء أو الطعن فيهم، أو ادعاء النبوة.

ومنها: اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما برأها الله تعالى.

ومنها: إنكار معلوم من الدين بالضرورة.

ومنها: القول بإنكار الملائكة أو وجود الجن.

ومنها: إنكار البعث ومعاد الأبدان.

ومنها: إنكار الوعد والوعيد أو الاستهزاء بهما .

ومنها: دعاء غير الله في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

ومنها: النذر لغير الله تعالى .

ومنها: الحلف بغير الله معظمًا لذلك الغير كتعظيم الله تعالى.

ومنها: السجود للقبور أو الأولياء والركوع لها فهو كفر بالاتفاق.

ومنها: اعتقاد أن بعض الخلق له نوع تصرف في الكون من إحياءٍ، أو إماتة، أو إنزال مطر وإجراء سحاب، ونحو ذلك .

ومنها: الحكم بهذه القوانين الحكم المطلق ، بحيث يحكم بها في كل المصادر والموارد.

ومنها: اعتقاد المرء أن في وسعه الخروج عن شريعة الله.

ومنها: الإعراض التام عن شريعة الله فلا يتعلمها ولا يعمل بها.

ومنها: سبّ الصحابة على وجه العموم، أو القدح فيهم بما يوجب سقوط عدالتهم، أو سبّ من تواترت الأدلة بإثبات عدالته وفضله وعلو مرتبته.

ومنها: من اعتقد أن التميمة هي التي تجلب الخير وتدفع الشر بذاتها لا بتقدير الله تعالى.

ومنها: الطواف على القبور؛ بقصد تعظيم أصحابها واعتقاد أنهم يجلبون الخيرات ويدفعون المضرات.

ومنها: تعلّم السحر وتعليمه.

ومنها: إنكار علم الله إنكار جحود .

ومنها: إنكار تقدير الله تعالى للأشياء، أي من زعم أن لا قدر وأن الأمر لا يعلمه الله إلا بعد وقوعه.

ومنها: من اعتقد أنه لا حقيقة لما أخبرت به الرسل من نصوص الأسماء والصفات ونصوص البعث والجزاء والحساب، وإنما هي خيالات يقصد بها استقامة أمور العامة.

ومنها: الاستهزاء أو بغض شيء مما جاء به النبي ﷺ.

ومنها: ادعاء علم الغيب، أو تصديق من يدعي ذلك.

ومنها: من اعتقد أن القرآن مخلوق.

ومنها: من جحد شيئًا من صفات الله تعالى.

ومنها: من شبّه الله بخلقه.

ومنها: من جحد أو كذب بشيء من القرآن.

ومنها: من اعتقد أن الشريعة لا تصلح للقرن الحالي.

ومنها: من تحاكم إلى القوانين الوضعية المخالفة للشريعة وهو راض بذلك مقدمًا لها على التحاكم لله تعالى.

ومنها: من لم يكفّر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم.

٣٠٣. من رمى على مسلم حكم التكفير، فهل للمقذوف أن يُرجِع على القاذف هذا التكفير؟

لا يجوز، وأوضح هذا المنع شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: «لأن الكفر حكم شرعي وإنما يثبت بالأدلة الشرعية...»ا.هـ.

وقال رحمه الله[٣٣]: «فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفّرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يكفّرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله لأنّ الكذب والزنا حرامٌ لحق الله».[٣٤]

٣٣- في رده على البكري(١/ ٣٨١)

٣٤- مجموع الفتاوى (١٧/ ٧٨)

الفصل الثالث: العبادة وما يناقضها

المبحث الأول: توضيح وتعريف للعبادة

المبحث الثاني: شرطا العبادة

المبحث الثالث: من أنواع العبادة

المبحث الرابع: أفعال ومقولات خاطئة

المبحث الخامس: الحكم بغير ما أنزل الله

المبحث الأول

توضيح وتعريف

٣٠٤. لماذا خلقنا الله تعالى؟

خلقنا الله تعالى لعبادته وحده.

٣٠٥. ما بيان ذلك بالأدلة؟

- قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون ﴾.(الذاريات:٥٦)
- وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.(البقرة:٢١)
- وقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.(الإسراء:٢٣)
- وقال تعالى عن أنبيائه أنهم قالوا لأممهم: ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ قالها نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وجميع الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٣٠٦. ما الأدلة على ذلك من السنة النبوية؟

- قال ﷺ: (أمرتُ[٣٥] أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ...). متفق عليه.
- وقال ﷺ: (حقُ الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا). رواه البخاري

٣٠٧. ما تعريف العبادة؟

هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال، الظاهرة والباطنة.

وقيل: هي فعل ما أمر الله به ورسوله ﷺ، وترك ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، ابتغاء وجه الله والدار والآخرة.

٣٥- هذا لا يعني أن الدعوة لله تكون بالقتل ابتداء، لكن المقاتلة تكون لمن يعارض ويرفض انتشار الدين، ويقاتل أهل الإسلام.

٣٠٨. ما الغاية من إرسال الرسل والأنبياء للناس والجن؟

لتعريف الناس والجن كيف يحققوا العبادة التي يستحقها الله سبحانه.

٣٠٩. هل بلّغ النبي ﷺ الإنس والجن كيف يعبدوا ربهم؟

نعم، وذلك بأتم بيان وأوضح مقال، وأروع مثال، وشهد له الله بهذا، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.(المائدة:٣)

المبحث الثاني

شرطا العبادة

٣١٠. ما أركان قبول العبادة؟

أركان قبولها ركنان:

الأول: الإخلاص لله وحده. **الثاني**: المتابعة للنبي ﷺ

٣١١. ما المقصود بالإخلاص؟

هو أن يقصد العبد بعبادته وجه الله دون سواه.

٣١٢. ما الدليل على أهمية الإخلاص من القرآن؟

- وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾. (الزمر:١٤)
- وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.(هود:١٥- ١٦)

٣١٣. ما الدليل على أهمية الإخلاص من السنة النبوية؟

- قال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى..) متفق عليه
- وقال ﷺ: (قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه).

٣١٤. ما المراد بالإتباع؟

أن تكون العبادة موافقة لما أمر به النبي ﷺ.

٣١٥. ما الدليل على أهمية الإتباع للنبي ﷺ؟

دليله حديث عائشة المشهور: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)، وحديث جابر المشهور: (وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة).

٣١٦. هل هناك من ضابط لهذا الإتباع؟

نعـم، تكـون موافقة في سـببها، وجنسـها، وعددهـا، وكيفيتهـا، وزمانها، ومكانها للهدي النبوي.

٣١٧. ما أمثلة هذه الضوابط؟[٣٦]

العمل يجب أن يكون موافقاً للشرع في ستة أمور، وإلا دخله الابتداع:

١-**السـبب**: كالاحتفال بمولد النبي ﷺ، فسـبب هذا العيد لم يرد في الشرع فحكمه إذا أنه احتفال بدعي.

وكإحيـاء ليلة السـابع والعشـرين من رجب بصلاة، ونحـن نعلم بأن التهجد عبادة، ولكن لما قُرِنَ بهذا السـبب كان بدعة لأنه سبب لم يرد في الشرع.

٢-**الجنس**: كأن يضحى إنسـان بفرس فهذا بدعة، لأن الأضاحي تكون من جنس الأنعام فقط (الإبل، والبقر، والغنم).

٣- **العدد**: كما لو صلى أحدهم الظهر ستاً.

٤-**الكيفية**: فلو نكّس إنسان الوضوء، أو الصلاة، لما صحّ وضوءه أو صلاته، لأن عمله مخالف للشرع في الكيفية.

٥-**الزمان**: كتخصيص ليلة الجمعة بعبادات خاصة، أو تخصيص أيام معينة بصيام خاص بدون دليل.

٦-**المكان**: كما لو وقف أحدهم في مزدلفة يوم عرفة، لم يصحّ وقوفه وكان بدعة، وكذلك لو اعتكف مثلاً في منزله بدلاً من المسجد.

٣١٨. ماذا يترتب على ترك الإخلاص، أو المتابعة؟

ترك الإخلاص يقود إلى الشرك، وترك الإتباع يقود إلى البدع.

٣١٩. اذكـر بعـض الأوجـه مقرونة بأدلتهـا على بطلان عبـادة ما سـوى الله تعالى لتكون سلاحًا يتسلح به المؤمن عند مجادلة من يصرف شيئًا من العبادة لغير الله جل وعلا؟

هذا سؤال عظيم النفع، وجوابه أن يُقال: الأوجه كثيرة، ومن أهمها:

٣٦- لمزيد في معرفة ما يتعلق بالبدعة، انصح بمراجعة (ص: ٥٨٦)

منها: التصريح ببطلان عبادتها، كقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾.(لقمان:٣٠)

ومنها: النهي الصريح عن عبادة ما سواه جل وعلا، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس:١٠٦).

ومنها: سلب خصائص الإلهية عنها، ووصفها بالأوصاف التي لا تصلح أن تكون معها آلهة، وهذا كثير في القرآن، كقوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾(الفرقان:٣).

ومنها: الإخبار الصريح القاطع بأن هذه المعبودات لا تملك شيئًا وأنها لا تسمع داعيها ولا تستجيب له، قال تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾. (فاطر:١٤)

ومنها: الإخبار بأن هذه المعبودات من الأشجار والأحجار مفتقرة في وجودها وحفظها إليهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(الصافات:٩٦)، وقال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴾(يس:٧٥)، أي أن عابدها اتخذها آلهة لتنصره، وهي في حقيقتها لا تستطيع ذلك لعجزها العجز المطلق، بل عابدها جندي لها يحفظها ممن أرادها بمكروه فكيف يرجو أن تنصره وهي أصلاً مفتقرة لحفظه ونصره! فإن فاقد الشيء لا يعطيه.

ومنها: نفي هذه الآلهة بـ (لا) النافية للجنس، والمراد نفي أحقية عبادتها وذلك في آيات كثيرة يقول الله فيها: ﴿ لا إله إلا هو ﴾ فإن قوله: ﴿لا

إله ﴾ نكرة في سياق النفي وهي مفيدة للعموم، فكل ما عبد من دون الله جل وعلا فهو باطل وإنما المعبود بحق هو الله وحده جل وعلا.

ومنهـا: الإخبار بأن هذه المعبودات ستتبرأ من عبّادها يـوم القيامة، وتكون لـه عدوًا وخصمًا، وهذا يفيـد بطلان زعمهم أنها تنفعهم في الآخرة، وقال تعالى عن خليله إبراهيم ﷺ أنه قال لقومه: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (العنكبوت:٢٥).

ومنها: الاستدلال عليهم بضرب الأمثال بما هو متقرر عندهم عقلاً وحسًا، كما في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(الروم:٢٨)، أي أيرضى أحدكم أن يكون عبده شريكًا له في ماله، فهو وعبده فيه سواء ينفق العبد من ماله كما ينفق. ويتصرف فيه كما يتصرف. فإن أحدكم يأنف من ذلك ولا يرضاه، فكيف تجعلون لله أندادًا من عبيده وخلقه وتصرفون لهم ما هو من خالص حقه؟ كيف ترضون لله ما لا ترضونه لأنفسكم؟

ومنهـا: الإخبـار بضعف هذه المعبودات ، كمـا قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ (الحج:٧٣)، فكيف تترك عبادة القوي القادر من كل وجه ويعبد الضعيف العاجز من كل وجه؟

ومنها: الاستدلال على ذلك، أي على أحقيته جل وعلا بالعبادة وتفرده بها بتوحيد الربوبية، وهذا كثير جدًا في القرآن يصعب حصره.

ومنها: الإخبار في آيات كثيرة بأن هذه المعبودات لا تضر ولا تنفع، كما قال

تعالـى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُـمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُـفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (يونـس: ١٠) ، فكيف تترك عبادة من بيده النفـع والضر ويعبد مـن لا يملك نفعًا ولا ضرًا؟ وقـال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَـهُمْ فَمَا أَغْنَـتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِـنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَـيْءٍ لَمَّا جَـاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُـمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ . (هود: ١٠١)

ومنهـا: مناظرة إبراهيم عليه السـلام مع قومه، فإنها مـن البراهين الواضحة والحجـج القاطعـة على بطلان عبادة ما سـوى الله تعالـى، فعلينا بها قراءة وحفظًا وتدبرًا .

ومنهـا: الإخبار الصريح بأن هذه المعبودات ليسـت بشـركاء للـه تعالى في ملكـه وإلهيته وتصرفه، وإنمـا هو ظن من أصحابها وتخرص كما قال تعالـى: ﴿ وَمَـا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُـونَ مِنْ دُونِ اللَّـهِ شُـرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّـنَّ وَإِنْ هُـمْ إِلَّا يَخْرُصُـونَ ﴾(يونـس:٦٦)، وقـال تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْـمَاءً سَـمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُـلْطَانٍ﴾ (يوسـف:٤٠)، فعبادة هذه الأشـياء إنما مبناه على الظن والكذب والهوى والتخرص.

ومنها: إبطال عبادتها بقياس الأولى، فالله تعالى أبطل عبادة الملائكة، فقال تعالـى: ﴿ وَيَـوْمَ يَحْشُـرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُـولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَـؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُـوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُـبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِـمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (سبأ:٤١)، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾(النجـم:٢٦)، فإذا كانت عبادة الملائكـة على عظيم خلقهم وقوة أجسـامهم باطلة، فكيف بعبادة الحجر والشـجر والصنم والقبر ونحوها؟

المبحث الثالث:

من أنواع العبادة

٣٢٠. ما المقصود بهذا العنوان؟

المقصود بيان أن هناك أنواعا كثيرة لما يجب توجيهها لله وحده سبحانه من الأقوال، أو الأفعال، أو الاعتقادات.

٣٢١. هل الخطأ فيها يُوصل إلى أمر خطير؟

نعم، قد يُوصل الأمر بالفاعل أو القائل لها إلى الشرك.

٣٢٢. هل من الممكن أن تكون الأمور المباحة فيها أجر لفاعلها؟

نعم، إذا جعلها سببا ووسيلة لأمر مشروع.

٣٢٣. ما مثال هذا؟

من جعل النوم أو الطعام سبباً وعوناً وتقوية للجسد حتى يؤدي العبادة في حال طيبة، وطمأنينة، فسيكون للإنسان الأجر في مطعمه ومنامه، فإن الوسائل تأخذ أحكام المقاصد.

المطلب الأول: ما يتعلق بالدعاء

٣٢٤. هل الدعاء من العبادة؟

نعم، لقول النبي ﷺ: (الدعاء هو العبادة). رواه الترمذي

٣٢٥. ما أنواع الدعاء؟

الدعاء نوعان:

- دعاء العبادة.
- دعاء المسألة.

٣٢٦. ما المقصود بدعاء العبادة؟

المراد به أن يكون الإنسان عابداً لله تعالى، بأي نوع من أنواع العبادات، القلبية أو البدنية أو المالية، كالخوف من الله، ومحبته ورجائه، والتوكل

عليه، والصلاة والصيام والحج، وقراءة القرآن والتسبيح والذكر، والزكاة والصدقة والجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها.

٣٢٧. لماذا جعلناها ضمن العبادة؟

لأن العبد يريد بفعل تلك الأمور رجاء الثواب من الله تعالى والخوف من عقابه، فهو بهذه الأشياء قد دعا الله ضمنًا.

٣٢٨. ما المقصود بدعاء المسألة؟

هو طلب ما ينفع، أو طلب دفع ما يضر، بأن يسأل الله تعالى ما ينفعه في الدنيا والآخرة، أو دفع ما يضره في الدنيا والآخرة.

٣٢٩. ما أمثلة دعاء المسألة؟

من ذلك: الدعاء بالمغفرة والرحمة، والهداية والتوفيق، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، وأن يؤتيه الله حسنة في الدنيا، وحسنة في الآخرة ...إلخ.

٣٣٠. ما العلاقة بينهما؟

العلاقة بينهما إنهما متلازمان لا ينفكان أبدًا.

٣٣١. ما توضيح هذا؟

بيان ذلك أن دعاء العبادة متضمن لدعاء المسألة، ودعاء المسألة مستلزم لدعاء العبادة.

٣٣٢. هل كلاهما في النص الشرعي متفقان؟

نعم، فهما في النص متفقان، أي أن النص من الكتاب والسنة إذا ورد فيه لفظ (دعا) وما تصرّف منها فإنه يصح أن يفسر بدعاء العبادة وبدعاء المسألة، وقد يترجح أحدهما في بعض النصوص لبعض القرائن، فإذا رأينا المفسرين قد اختلفوا على قولين في تفسير لفظ الدعاء الوارد في النصوص فقال بعضهم المراد دعاء المسألة، وقال بعضهم بل المراد دعاء العبادة، فنعلم أنه من قبيل خلاف التنوع لا التضاد؛ لأنهما متلازمان لا ينفكان أبدًا.

٣٣٣. ما توجيه العلماء إلى هذه المسألة؟

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين، يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة».[٣٧]

٣٣٤. هل هناك أمثلة توضح لنا هذا الكلام؟

نعم الأمثلة كثيرة، وإنما أذكر بعضها من باب التمثيل فقط، منها:

- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ (الأحقاف: ٥)، فهنا لفظان من ألفاظ الدعاء.

الأول: قوله: (يدعو).

الثاني: قوله: (دعائهم)، فقيل: أي (يعبد) و(عبادتهم)، وقيل: (يسأل) أو (سؤالهم) وكلا القولين صحيح؛ وصادق على جميع هذه المعاني.

- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر:٦٠)، فقيل: اعبدوني، وقيل: اسألوني، وكلاهما صحيح؛ لأنهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر.

- قوله تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعًا وخفية﴾ فقيل: اعبدوا، وقيل: اسألوا، وكلاهما صحيح؛ لأن لفظ الدعاء صادق عليهما.

٣٣٥. ما حكم صرف دعاء العبادة لغير الله سبحانه؟

لا يجوز، بل هذا شرك أكبر مخرج من الملة بالكلية.

٣٣٦. ما حكم صرف دعاء المسألة لغير الله سبحانه؟

دعاء المسألة لا يخلو من حالتين:

الأولى: إن كان قد صرفه لغير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

الثانية: إذا صرف دعاء المسألة لغير الله في أمرٍ يقدر عليه البشر.

٣٧- القواعد الحسان (رقم/ ٥١)

٣٣٧. ما مثال صرف دعاء العبادة إلى غير الله تعالى؟

من ذلك: من يدعو القبور والأموات والشـياطين، أو الأنبياء أو الملائكة في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وهو المراد بقولنا سابقًا في النواقض.

ومن ذلكً: اتخاذ الوسائط بينه وبين الله تعالى، فيدعوهم في كشف الملمات وتفريـج الكربات وإغاثـة اللهفان، أو برزق الولـد أو إنزال المطر، أو مغفرة الذنوب، أو أن يكونوا له شفعاء عند الله تعالى.

٣٣٨. هل هذا الأمر كثير، أو قليل وقوعه بين الناس؟

هذا هو أكثر الشرك الذي وقع في بني آدم.

٣٣٩. ما أدلة وقوعه وفق النصوص الشرعية؟

- قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْـتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾. (غافر: ٦٠)
- قال تعالى: ﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْـمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَـمِعُوا مَا اسْـتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ (فاطر: ١٤) فسمى الله دعاءهم من دونه شركًا.
- وقـال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْـتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ وَهُـمْ عَنْ دُعَائِهِـمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِـرَ النَّـاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (الأحقاف: ٥-٦)، فسـمى الله تعالى دعاءهم لهم عبادة.

٣٤٠. ما حكم الحالة الثانية في قضية السؤال؟

إذا صرف دعاء المسألة لغير الله في أمر يقدر عليه البشر، فإنه لا يكون ذلك شركًا، بل يكون سؤالاً، وهذا لا بأس به، إذ ليس هو من العبادة في شيء.

٣٤١. هل من المهم معرفة كيفية وقوع الشرك بين الناس؟

نعـم، إذ به نتعرّف على السـبب الذي حصل به ذلـك الأمر الخطير لنحذره ونجانبه.

٣٤٢. ما التوجيه لبعض الآيات الواردة في القرآن لكلمة (الدعاء)؟

من التوجيه في هذا:

- قول إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (إبراهيم:٣٩)، فالمراد بالسمع هنا السمع الخاص؛ وهو سمع الإجابة والقبول، لا السمع العام، لأنه سبحانه سميع لكل مسموع.
- قول زكريا ﷺ: ﴿ولم أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (مريم:٤)، فقد قيل: إنّه دعاءُ لسّمع الخاص، وهو سَمعُ الإجابَة والقبول، والمعنى: أنّك عوّدتّني إجابتَك، ولم تشقني بالرد والحرمان، فهو توسلُ إليه سبحانه بما سلف من إجابته وإحسانه.
- قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أو ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ (الإسراء:١١٠)؛ فهذا دعاءُ المسألة، وهو سبب النّزول، قالوا: كان النّبي ﷺ يدعو ربه فيقول مرّةً: يا الله، ومرّةً: يا رحمن. فظنّ المشركون أنّه يدعو إلهين، فأنزل اللهُ هذه الآيةَ.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (الطّور:٢٨)، فهذا دعاءُ العبادة المتضمن للسؤال رغبةً ورهبةً، والمعنى: إنّا كنّا نخلص له العبادة؛ وبهذا استحقُّوا أنْ وقاهم الله عذابَ السّموم، لا بمجرد السّؤال المشترك بين النّاجي وغيره.
- قوله تعالى: ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ (الكهف:١٤)، أي: لن نعبد غيره، وكذا قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ الآية، (الصّافات:١٢٥).
- قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ﴾ (القصص:٦٤)، فهذا دعاءُ المسألة، يبكتهم الله ويخزيهم يوم القيامة بآرائهم؛ أنّ شركاءَهم لا يستجيبون لهم دعوتَهم، وليس المراد: اعبدوهم، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾. (الكهف:٥٢)

المطلب الثاني: ما يتعلق بالتوسل

٣٤٣. ما تعريف التوسل؟

الوسـيلة: الرغبـة والطلب، وقال ابن الأثير: الوسـيلة القُربة وما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، وجمعها وسائل.[٣٨]

٣٤٤. ما المقصود بالوسيلة؟

يُـراد بهـا جعـل سـبب مُوصل إلـى اللـه تعالى في طلـب الحاجـات ونيل القربات.

٣٤٥. ما المعاني التي ودت فيها كلمة الوسيلة؟

جاءت الوسيلة في الشرع على معنيين:

١- طلـب القربـة إلى اللـه بالإيمان والعمـل الصالح: قـال تعالى ﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِـيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُـونَ﴾ (المائدة:٣٥) قال ابن جرير (وابتغوا إليه الوسـيلة) واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه.

٢- منزلـة فـي الجنة لا تنبغـي إلا لعبد من عباد الله: عن عبـد الله بن عمرو بن العاص أنه سـمع النبي ﷺ يقول: (إذا سـمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سـأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة). رواه مسلم

٣٤٦. ما القاعدة المعتمدة عند أهل السنة في باب التوسل؟

القاعدة المعتمدة في باب التوسل تقول: (الأصل في التوسل التوقيف على الدليل الشرعي الصحيح الصريح).

٣٤٧. ما بيان هذه القاعدة؟

٣٨- النهاية في غريب الحديث (   )

بيانهـا: أن المتقـرر عند أهل الإسـلام أن باب التعبّد للـه تعالى باب توقيفي على الدليل، فلا يجوز إثبات شيء منها إلا إذا أثبته الدليل، فما أثبته الدليل منها أثبتناه، وما نفاه منها نفيناه، وما لم يثبته ولم ينفه فالأصل عدمه.

٣٤٨. هل التوسل من باب العبادات أو التعاملات؟

التوسـل مـن العبـادات، لأن مبناه على أننـا نتقرّب إلى اللـه تعالى باتخاذ الوسيلة المعيّنة المحبوبة له جل وعلا وفق النص الشرعي.

٣٤٩. إذا كان التوسل من العبادات، فما الأصل فيه التحريم أو الإباحة؟

الأصل فيه التوقيف، تفريعاً على القاعدة في العبادات، وهي: «الأصل في العبادات التوقيف».

٣٥٠. ماذا ينبني على القول السابق؟

بناءً عليه، فلا يجوز لنا أن نتوسـل بشـيء ونعتقد أنه من جملة ما يُتوسل به إلا وعليه دليل من الكتاب أو صحيح السنة، وما لا دليل عليه فنحذره.

٣٥١. ما المراد بلفظ (الوسيلة والتوسّل) في الكتاب العزيز؟

يُراد بها التقرب إليه سـبحانه بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وطاعة رسـله، وهي الوسيلة العامة التي يطالب بها كل أحد.

٣٥٢. ما المراد بلفظ (الوسيلة والتوسّل) في السنة؟

الوسـيلة في كلام النبـي ﷺ يُراد بها المنزلة التي في الجنـة التي لا تنبغي إلا لعبدٍ واحد من عباد الله.

٣٥٣. ما دليل هذا التقرير؟

كما في قوله ﷺ: (..ثم سلُوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجوا أن أكون أنا هو، فمن سـأل الله لي الوسـيلة حلت له الشفاعة). رواه مسلم

وفـي حديـث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: (من قال حين يسـمع النداء: اللهم ربّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه

المقام المحمود الذي وعدته، حلت له شفاعتي). رواه البخاري

٣٥٤. ما المراد بلفظ (الوسيلة والتوسل) في كلام الصحابة؟

يُراد بها طلب الدعاء فقط، أي أنهم يلتمسون منه ﷺ أن يدعو لهم.

٣٥٥. ما مثال هذا التقرير؟

ورد في حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنهم كانوا إذا قحطوا قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (اللهم إنا كنا نتوسّل بنبيك ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قم يا عباس)، قال أنس: فيقوم، فيدعو فيسقون). رواه البخاري

٣٥٦. ما معنى قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (كنْا نتوسّل بنبيك)؟

أي كنا نطلب الدعاء منه، وقوله: (وإنا نتوسّل بعم نبيك) أي ونحن الآن نطلب من عم النبي ﷺ العباس أن يدعو الله لنا.

٣٥٧. ما بيان الإطلاقات الثلاث السابقة، من القرآن والسنة وعند الصحابة؟

في القرآن: التقرّب إلى الله بالعمل الصالح.

في السنة: سؤال الله للنبي ﷺ المنزلة الرفيعة.

عند الصحابة: التماس الدعاء من النبي ﷺ أو غيره مباشرة لتفريج الكربات.

٣٥٨. ما أهمية معرفة الإطلاقات الثلاث للتوسل؟

الإطلاقات الثلاث للفظ (الوسيلة) يجب التفريق بينها، فإن من فرّق بينها فقد أحكم بذلك شيئا كثيرا من مسائل هذا الباب الشائك الذي ضلت فيه أفهام بعض الناس.

٣٥٩. ما الوسائل الشرعية التي ثبت الدليل بجواز التوسّل بها؟

أثبت الدليل الشرعي الصحيح الصريح جواز التوسل بعدة أشياء، منها:

الأول: التوسّل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾. (الأعراف:١٨٠)

الثاني: التوسّل بصفات الله، كما في حديث الاستخارة: (اللهم إني أستخيرك بعلمك الغيب وأستقدرك بقدرتك....). رواه مسلم

ومنه حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، الذي لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. فقال ﷺ: (لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب).رواه أبو داود والترمذي

الثالث: التوسّل إلى الله تعالى بذكر الحال، ومنه قوله تعالى عن أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣)

الرابع: التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، ودليله حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في توسل الثلاثة من بني إسرائيل الذين انطبقت عليهم الصخرة، وسدت عليهم باب الغار فقال بعضهم لبعض: (إن الله تعالى لن ينجيكم من أمر هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم) فتوسل الأول ببره بوالديه، وتوسل الثاني بعفته وخوفه من الله تعالى، وتوسل الثالث بأمانته وحفظ عهده وفي آخره: (فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون). متفق عليه

الخامس: إلتماس الدعاء من أهل الخير، ويُقال فيه التوسل إلى الله تعالى بدعاء الحي الحاضر القادر.

٣٦٠. ما دليل مشروعية القسم الخامس؟

دليله النصوص الآتية:

- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلا دخل المسجد من نحو دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وجاع العيال، وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: (اللهم أغثنا) ثلاثا. قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فلا والله ما في السماء من سحاب ولا قزعة، حتى خرجت من وراء سلع سحابة سوداء، ثم توسطت السماء فأمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس أسبوعا كاملا). رواه البخاري

- حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في طلب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يدعو للمسلمين، وهذا دعاء أقرّه عليه جميع الصحابة، ولم ينكره أحد مع شهرته. رواه البخاري
- كذا فعل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أصابهم القحط في الشام، فإنه أمرَ يزيد بن الأسود أن يتقدم الناس ويدعو. صححه الحافظ في التلخيص، ورواه أبو القاسم اللاكائى فى كتاب السنة.
- أمر النبي ﷺ من لقي أويساً القرني أن يطلب منه أن يدعو له. رواه مسلم
- حديث الأعمى الذي جاء إلى النبي ﷺ وطلب منه أن يدعو له أن يرد الله تعالى عليه بصره. رواه أحمد والترمذي
- طلب أم سُليم من النبي ﷺ أن يدعو لأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رواه البخاري

٣٦١. ما أقسام التوسّل بالأسماء والصفات؟

التوسل بالأسماء والصفات قسمان:

- توسلٌ عام. - توسلٌ خاص.

٣٦٢. ما المراد بالتوسّل العام؟

المراد به أن يقول الداعي: (اللهم أني أسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى...)، هكذا على وجه العموم، وهذا جائز.

٣٦٣. ما المراد بالتوسّل الخاص؟

المراد به أن نتوسل باسم معيّن، أو صفة معينة، فيشترط حينئذٍ مناسبة الاسم والصفة للسؤال.

٣٦٤. كيف يتحقق هذا الأمر؟

مثال هذا:

- إذا سألنا الله الرزق، فنتوسّل باسمه الرزاق والكريم والوهاب.
- إذا سألناه المغفرة والرحمة، فنتوسّل باسمه الرحمن الرحيم الغفور الودود التواب الرؤوف ونحوها.

- إذا سألناه هلاك ظالم، فنتوسل باسمه الجبار والقوي والمهيمن والعزيز.
- وكذلك يقال في الصفات، فلا بد أن يكون الاسم أو الصفة المتوسل بها مناسبة لسؤال العبد الذي يريد أن يحققه الله له.

٣٦٥. ما حكم التوسل بالنبي ﷺ؟

هذا سؤال يحتاج إلى تفصيل وفق مقصد السائل.

٣٦٦. ما التفصيل في الجواب على السؤال السابق؟

التوسل بالنبي ﷺ أنواع:

الأول: التوسّل بالنبي ﷺ بمحبته وطاعته، وهو جائز.

الثاني: التوسل به ﷺ بمعنى طلب الدعاء منه، فهذا جائز في حياته فقط، وأما بعد وفاته فلا يجوز.

الثالث: التوسل إلى الله بجاهه، وهذا لا يجوز، لأن الأصل في التوسل التوقيف على الدليل، ولم يأت الدليل الشرعي الصحيح في جواز التوسل بهذا، بل ولا يعرف عن الصحابة في ذلك حرف واحد.[٣٩]

٣٦٧. ما القول مع الأحاديث التي فيها جواز التوسل بجاه النبي ﷺ؟

كل ما يروى في التوسل بجاهه فكذبٌ مختلقٌ.

٣٦٨. من الذي حكم على ضعف هذه الأحاديث عن التوسل بجاه النبي ﷺ؟

حكم عليها: ابن تيمية، والذهبي، والشوكاني، والألباني، رحمهم الله جميعا.

٣٦٩. ما الدليل على عدم جواز التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته؟

الدليل على ذلك:

- لأنه ﷺ لا يملك حينئذ لنفسه نفعاً ولا ضراً، وفاقد الشيء لا يعطيه.
- ولأن الصحابة كانوا إذا قحطوا استسقوا بالعباس، مع أنه ﷺ كان مدفوناً

٣٩- لا يشك أي مسلم بمكانة النبي ﷺ عند ربه سبحانه، بل هو أعظم الخلق عند الله جاهاً وأعلاهم منزلة.

بجوارهم في حجرة عائشة، فعدم إتيانهم لقبره ﷺ وسؤاله إجماع منهم على عدم الجواز.

- ولأنه ﷺ قال: (اشتد غضب الله تعالى على قومٍ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وقال ﷺ: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) وقصده للدعاء عنده من اتخاذه عيداً ووثناً ومسجداً، فهو باب مفضٍ إلى ذلك فلا بد من سدّه.
- فحيث لم يفعله أحد من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة السلف، فلا يجوز لنا فعله، إذ لو كان ذلك مما يجوز لنبهوا عليه.
- ورد أن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رأى رجلاً يجيئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدعو، فنهاه، وقال: «ألا أحدثك حديثاً سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: (لا تتخذوا قبري عيداً، وصلوا عليّ حيث كنتم، فإن صلاتكم تبلغني) رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده

٣٧٠. ما حكم التوجه إلى قبر النبي ﷺ لطلب قضاء الحاجات منه؟

يحتاج الأمر إلى تفصيل:

- إن قصد التوسل عند قبره، ليكون سبباً وواسطة عند الله تعالى، فهذا يعدّ من الشرك الأصغر.
- وإن أراد من النبي ﷺ ما هو من خصائص الله، فهذا يعدّ من الشرك الأكبرِ المخرج من الملة، فإنه لا يُدعى إلا الله تعالى، وأما دعاء الأموات أياً كانوا فإنه من الشرك الأكبر.

٣٧١. هل التوسل بالنبي ﷺ للحاجات الدنيوية دلالة حب وتعظيم له؟

ليس من التعظيم والتوقير له، بل هو من باب التكليف له.

٣٧٢. ما توضيح ما سبق؟

السؤال من أي نبي قد يكون لأمور ممدوحة، أو لأمور فيها ضرر على السائل.

٣٧٣. ما مثال هذا؟

مثاله لما سأل قوم عيسى ﷺ منه المائدة من السماء، لم يكونوا ممدوحين بهذا السؤال، بل كان نزولها فيه ضرر عليهم.

٣٧٤. كيف يكون التوسل بالنبي ﷺ وفق الطرق الشرعية؟

نتوسل بإيماننا وتصديقنا به ﷺ وحبنا له، وفق ما أمر به النبي ﷺ وذلك عند الله سبحانه.

٣٧٥. ما الحديث الذي يستدل به المسلمين للتوسل بالنبي؟

هـذا الحديث من روايـة عثمان بن حنيف وفيه: أن رجـلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ، فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهـو خيـر لك. قال: فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسـن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في. أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد وصححه الألباني

٣٧٦. كيف يمكن توجيه قول الأعمى (اللهم إني أتوجه لك بنبيك ﷺ) فإن بعض الناس يستدل به على جواز التوسل بجاه النبي ﷺ وبدعائه بعد مماته؟

لا إشكال في هذا الحديث أبدًا، لكن يجب أن نفهم:

أولا: هـذا الحديـث قـد وردت فيـه روايات يبـين بعضها بعضًا، ففي سـنن الترمـذي أن هـذا الأعمى قال: (اللهم إني أسـألك، وأتوسـل إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة لي، اللهم شفّعه فيّ).

ثانيا: قد تقدم أن التوسـل في عُرف الصحابة يُراد به طلب الدعاء من الغير، ولذلك ففي رواية الترمذي وابن ماجه أن هذا الأعمى قال للنبي ﷺ: (ادع الله أن يعافيني؟ فقال له: إن شـئت دعوت، وإن شئت صبرت! قـال: فادعه) فهذا يبين أن هذا التوجه المذكور في حديث السـؤال إنما يُراد به طلب الدعاء منه، لا أنه توسل بذاته أو بجاهه.

ويوضـح ذلك لفظ النسـائي، فـإن الأعمى قال للنبـي ﷺ: (ادع الله أن يكشـف لي عن بصري... الحديث) وفي المسـند أن ذلك الأعمى

قال: (ادع الله أن يعافيني)، فهذا الحديث كحديث عمر ﷺ السابق، والذي فيه: (اللهم إنا كنا نتوسل بنبيك ..... الحديث.) فهذان الحديثان شيء واحد.

ثالثا: التوجه المذكور والتوسل الوارد إنما يُراد به طلب الدعاء من النبي ﷺ، وسؤال الشفاعة منه وهو حيّ، ويوضح ذلك أن الصحابة y بعد موته إنما كانوا يتوسلون بغيره بدلاً عنه، فلو كان التوسل به حياً وميتاً سواء لما عدل الصحابة y عن التوسل به بعد موته إلى التوسل بغيره ﷺ.

رابعا: لو كان التوسل بذات وجاه النبي ﷺ جائزا، لما احتاج الأعمى إلى أن يذهب إلى النبي ﷺ، ولكان بوسعه أن يدعو وهو في بيته، فلمّا لم يفعل ذلك، بل تكلف وأتى إلى النبي ﷺ طالبا منه الدعاء، علمنا أن التوسل يراد به دعاء النبي ﷺ لا بجاهه ولا بذاته.

٣٧٧. ما حكم طلب الدعاء من الغير؟

هذا يختلف باختلاف ما يقوم بقلب الطالب:

- فإن قام بقلبه حب نفع نفسه وأخيه بدعاء الملَك له بظهر الغيب، فأمره أن يدعو له حباً لانتفاعه هو بدعاء الملك له مع انتفاعه أيضاً بدعائه، فهذا جائز، وعليه يُحمل قوله ﷺ لعمر: (لا تنسنا يا أخَيّ من صالح دعائك).
- إذا لم يقم في قلب الطالب إلا انتفاعه هو فقط بهذا الدعاء، فهذا جائز، لكن تركه أفضل، ولأن المنزلة لأحدنا في قلب الناس تخفّ بقدر سؤالنا لهم، ولأن القلب ولا بد أن يتعلق جزء منه بالمطلوب الدعاء منه للمرات القادمة.

٣٧٨. ما حكم شدّ الرحال إلى قبور الأنبياء والأولياء للتبرك بها والدعاء عندها؟

هذا الأمر محرّم، بل هو من أشد المنكرات وأعظم المحرمات، وأكبر الوسائل لتعظيمها واتخاذها أوثانا تُعبد من دون الله تعالى ومن اتخاذها عيدا.

٣٧٩. ما الدليل على هذا الحكم؟

الأدلة على هذا ما يأتي:

- في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تُشدّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا).
- قال ﷺ: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يحذر ما صنعوا. قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: «ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا». رواه البخاري
- وفي الصحيح أيضا، قال ﷺ: (ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك) فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة لم يشرعها النبي ﷺ، ولا فعلها الصحابة لا عند قبره ﷺ، ولا عند غيره.

٣٨٠. ما الخطورة العقدية في هذه القضية؟

خطورتها تظهر في أنها تعدّ من جنس الشرك وأسبابه.

٣٨١. هل يُفهم من هذا الحكم التنقّص من قدر الأنبياء؟

لا، فالحكم السابق ليس فيه انتقاص من قدر الأنبياء أو الأولياء، فإن هذا لا يفهمه إلا من عشعش الشيطان في قلبه بسوء الظن.

٣٨٢. كيف يكون التعظيم للأنبياء والرسل؟

تعظيم الأنبياء إنما يكون بالإيمان بهم وطاعتهم وموالاتهم ونصرتهم، وتعزيرهم، وتوقيرهم بما هو مشروع، فالتعبّد مبناه على الدليل والاتباع لا على الهوى والابتداع.

٣٨٣. ما الواجب على الأمة جميعا فعله وسلوكه في جانب القبور؟

واجب على الأمة إتباع الهدي النبوي في مسائل القبور، وأن يكون وفقا لما جاء به ﷺ، وأن لا نؤذي الأموات بفعل هذا الشرك عندهم، فهو أيضا جريمة نكراء في حق التوحيد لما فيه من فتح باب الشرك على مصراعيه.

٣٨٤. هل هذا له باب من أبواب الغلو، وفتح للشر؟

الشرك وفساد الأحوال والاعتقاد لم يدخل على الناس إلا بسبب الغلو في الأولياء والصالحين وقبورهم والعكوف عندها

٣٨٥. **هل ثبت في زيارة قبره ﷺ على وجه الخصوص شيء من السنة؟**

لا، لـم يثبت عن النبي ﷺ حديث واحد في الحث على زيارة قبره، ولا قبر غيره على وجه الخصوص شيء.

٣٨٦. **ما الردّ على من يستدل بروايات لإثبات مشروعية الزيارة لقبر النبي ﷺ؟**

مـا يُروى في ذلك فإنما هو مكذوب، أو شـديد الضعف باتفاق أهل المعرفة بالحديث، لكن زيارة قبره ﷺ مستحبة.

٣٨٧. **حديث: (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا إليك...) هل يجيز لنا التوسل بهذه الأمور؟**

هذا حديث غير صحيح[٤٠]، فلا سند لأحد بالتعلّق به.

المطلب الثالث: ما يتعلق بالنذر

٣٨٨. **ما تعريف النذر؟**

النذر لغة: هو الإلزام.

٣٨٩. **عرّف النذر اصطلاحا؟**

هو إلزام المكلف نفسه شيئًا ليس بلازم له بأصل الشرع.

٣٩٠. **ما أنواع النذر؟**

٣٩١. **النذر سبعة أقسام:**

١ـ **نـذر اللجاج والغضب**: الذي يخرجه النـاذر مخرج اليمين، للحث على

٤٠- فيـه راوي ضعيـف يقـال لـه عطية العوفـي، قال الذهبي عنـه في الكاشـف: (ضعفوه) (٢٧/ ٢) وقال ابن حجر في التقريب:(صدوق يخطىء كثيرا) مع وجود تدليس فيه. رقم: ٤٦٤٩

فعـل شـيء، أو المنع منـه غير، قاصد للنـذر ولا القربـة، وهذا حكمه حكم اليمين، فإذا لم يوف بنذره لزمته كفارة يمين.

٢ـ **نـذر طاعة وتبـرّر**: مثل أن يقول: «لله على أن أصوم كـذا من الأيام» أو: «إن شفى الله مريضي فعليّ صدقة كذا» أو: «صوم كذا». فهذا يجب الوفاء به. لقول النبي ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه» . رواه الجماعة إلا مسلما.

٣ـ **النـذر المبهـم**: وهو أن يقول: «لله عليّ نذرٌ»، فهذا تجب به كفارة يمين عند أكثـر العلمـاء. فعن عقبة بن عامر قال: قال رسـول اللـه ﷺ: (كفارة النذر إذا لم يسم كفارة يمين) رواه الترمذي.

٤ـ **نـذر المعصيـة**: وهذا لا يحلّ الوفاء به إجماعا، كأن ينذر شـرب خمر، أو أذى مسـلم، ويجب على الناذر كفارة يمين، روى هذا عن ابن مسعود وابـن عبـاس وجابر وعمـران بن حصين، وهـو مذهب أبـي حنيفة، لحديث: (لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين). رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني.

٥ـ **نذر المباح**: كلبس الثوب، وركوب الدابة، فهذا يخيّر فيه الناذر بين الوفاء، والترك مع الكفارة.

٦ـ **نـذر الواجـب**: كالصلاة المكتوبة، فـلا ينعقد نذره لأن النـذر التزام، ولا يصح التزام ما هو لازم له.

٧ـ **نذر المستحيل**: كأن ينذر صوم أمس، فهذا لا ينعقد ولا يوجب شيئا.

٣٩٢. ما حكم الابتداء في النذر؟

الابتداء في النذر من المكروهات.

٣٩٣. ما علة الحكم عليه بالكراهة؟

لأن العبد كأنه يشترط لفعل الطاعة لربه أن الله يحقق له ما يريد، ثم يقدم له القُربى والطاعة، وهذا لا ينبغي من العبد مع المنعم عليه، وهو الله سبحانه.

٣٩٤. ما وجه كونه من العبادات؟

وجه ذلك أن الله تعالى امتدح الموفين به، فقال في معرض مدحهم: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ (الإنسان:٧)، وقال: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾(البقرة:٢٧٠).

وفي الحديث: (من نذر أن يطيع الله فليطعه) فحيث امتدح الله الموفين به، وأوجب إتمامه إن كان طاعة دل ذلك على أنه مما يحبه ويرضاه وكل شيء يحبه الله ويرضاه فهو عبادة.

٣٩٥. كيف يكون النذر محبوبا، مع الحكم عليه بالكراهة؟

محبوبا من جهة الوفاء به لاحقا وأنها عبادة لله تعالى، ومكروها من جهة الابتداء وإلزام النفس بأمر هي غير ملزمة به.

٣٩٦. ماذا يترتب على الحكم السابق؟

بناءً عليه: فمن نذر لغير الله تعالى فإنه يكون بذلك قد صرف عبادة لغير الله جل وعلا، ومن صرف عبادة لغير الله فإنه مشرك الشرك الأكبر، كالذين ينذرون للقبور والأموات والصالحين، وبعض الأشجار والأحجار المعظمة عندهم، فإنهم بذلك قد وقعوا في الشرك.

٣٩٧. ما دليل الحكم عليها أنها من الشرك؟

دليل ذلك ما مضى من إثبات كون النذر عبادة، وكل دليل يدل على أن من صرف العبادة لغير الله فهو مشرك.

٣٩٨. ما الفرق بين النذر الذي يكون شركًا، والذي يكون حرامًا فقط؟

النذر الشركي: هو أن يعقد النذر أصلاً لغير الله تعالى، كأن يقول: «نذرٌ عليّ للولي الفلاني، أو القبر الفلاني» ونحو ذلك، فهو في أصل عقد النذر عقده لغير الله تعالى، فهذا هو الشرك الأكبر.

والنذر المحرم فقط: فهو النذر الذي يُعقد لله تعالى لكن على شيء محرم، كقول القائل: «نذرٌ لله على أن لا أصل أرحامي»، أو يقول: «نذر عليّ أن أشرب خمرًا» ونحو ذلك، فهذا النذر لا يكون شركًا؛ لأنه عقده لله، لكنه يكون حرامًا لا يجوز الوفاء به بحال؛ لأنه على شيءٍ محرم.

٣٩٩. هل ينعقد النذر الشركي؟

النـذر الشـركي لا ينعقـد أصـلاً، فـلا كفارة فيـه، وإنما فيـه التوبة إلـى الله تعالى.

٤٠٠. ما القول في النذر المحرّم، هل ينعقد؟

نذر الشيء المحرم منعقدٌ، لكن لا يجوز الوفاء به.

٤٠١. هل فيه كفارة يمين؟

الأرجح أن فيه كفارة يمين لحديث: (النذر نذران ؛ فما كان من نذر في طاعة الله، فذلك لله وفية الوفاء . وما كان من نذر في معصية الله، فذلك للشيطان ولا وفاء فيه، ويكفره ما يكفر اليمين) رواه النسائي و صححه الألباني

٤٠٢. كيف يجتمع في النذر كونه منهيًا عنه، وكونه عبادة؟

بيان هذا أن يُقال: إننا ننظر إلى النذر من ثلاث جهات:

الأولى: من جهة أصل الإيقاع أي إنشاؤه وابتداؤه، فهذا هو الذي ورد النهي عنه كما في الحديث: نهى النبي ﷺ عن النذر، وقال: (لا تنذروا فإن النذر لا يرد من قدر الله شـيئاً، وإنما يسـتخرج به مـن البخيل). متفق عليه.

وهـذا النهـي إما للتحـريم أو للكراهـة، والمقصود أن هـذا النهي عن ابتـداء النذر فقط، أي عن إيقاعه، لكـن المكلَف يتعبد لله أنه إن عقده فلا يعقده إلا بالله جل وعلا، فهو بهذا الاعتبار مأجور.

الثانية: أي باعتبار عقده لله تعالى.

والثالثة: وهو متعبّد أيضًا بالوفاء به.

المطلب الرابع: ما يتعلق بالذبح

٤٠٣. ما المقصود من هذا العنوان؟

المقصـود به بيان حكم أكل البهائم التي ينحرها المسـلم، حينما يكون هناك سبب معين، أو قصد محدد في حياته.

٤٠٤. ما أقسام الذبح؟

الذبح قد قسّمه أئمة الإسلام إلى أقسام:

الأول: ذبحٌ يُقصد الاستمتاع باللحم، وهذا جائز، لعموم قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (غافر: ٧٩)، وهذا القسم لا دخل له في العقيدة، وإنما يتكلم عليه الأئمة الفقهاء في باب الزكاة.

الثاني: ذبحٌ يُقصد به إكرام الضيف، كالذي يذبح في الأعراس ونحوها، ومنه حديث: (أولم ولو بشاة)، وحديث: (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)، وهذا أيضًا لا دخل له في الاعتقاد.

الثالث: الذبح للغير بقصد التقرب والتعبّد للمذبوح له، كأن يذبح للجن أو الأموات، وهذا هو الشرك الأكبر، ودليله قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر:٢)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. (الأنعام: ١٦٢)

الرابع: الذبح البدعي: وهو أن يتقرب إلى الله بإزهاق الروح بإراقة الدم، ويصحب فعله أمر محدث كأن يتقرب بجنس لم ترد به الشريعة، مثل: التضحية بالدجاج، أو يلازم مكانا معينا لاعتقاد البركة، كأن يذبح لله عند قبر رجل صالح أو غيره، وهكذا، وهذا محرم.

الخامس: الذبح التعبدي: وهو التقرّب إلى الله بإراقة الدم فيما شُرع كالأضحية والعقيقة وغيرها.

٤٠٥. ما معنى كلمة (نسكي) في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾؟

النسك: يُطلق ثلاثة اطلاقات:

فتارة: يراد به العبادة عموماً، كقولهم: فلان ناسك، أي: عابد لله عز وجل.

وتارة: يراد به التقرب إلى الله تعالى بالذبح، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢-١٦٣)، ويمكن أن يراد بالنسك هنا: التعبد،

فيكون من المعنى الأول.

وتارة: يراد به أفعال الحج وأقواله، كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ (البقرة: ٢٠٠).

٤٠٦. ما تبيان القول بالذبح عند استقبال الرجل لأمير أو ملك؟

هذا له أحوال:

الأول: شرك أكبر: إذا تُقرب به إلى القادم بها.

الثاني: بدعة: إذا تقرب إلى الله عند مروره.

الثالث: محرم: إذا ذُبح مريداً للحم، وكان في فعله إسراف.

٤٠٧. هل يُستثنى المقدار في الذبح لغير الله، صغيراً كان أو كبيراً؟

لا يستثنى، فالذابح لغير الله ملعون.

٤٠٨. ما دليل الحكم السابق؟

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (لعن رسول الله من ذبح لغير الله). رواه مسلم

٤٠٩. ما قول العلماء في هذا الجانب؟

انعقد الإجماع على أن الذبح لغير الله بنية التقرب والتعبد للمذبوح له شرك أكبر مخرج عن الملة بالكلية.

٤١٠. ما الأمثلة الدالة لأنواع الذبح لغير الله تعالى؟

منها: ما يذبحه عبّاد القبور إلى من يزعمون أنه من الأولياء والصالحين، فهناك من يأتي بالذبيحة من بهيمة الأنعام أو من الدجاج ونحو ذلك فيريق دمها على القبر أو قريبًا منه في المكان المخصص لذلك متقربًا بذلك لصاحب القبر.

ومنها: ما يُذبح عند السحرة، أو بأمرهم لمن يخدمهم من الشياطين، متقربين به إلى ذلك الشيطان ليحقق لهم بعض مقاصدهم.

ومنها: الدماء التي تُراق عند بعض الأشجار والأحجار المعظمة عند أهلها،

كما كان يفعل عند العزى واللات وغيرهما.

ومنهـا: مـا يُذبح عنـد قدوم بعـض الملوك على بعـض، فإنهـم يذبحون في طريقـه من بهيمة الأنعام، وهذه الذبيحـة محرّمة على كل حال، لكن إذا كان قصـد ذابحهـا تعظيم المذبـوح له والتقرب لـه فإنها تكون من الشرك الأكبر.

ومنها: الذبيحة التي تسـمى ذبيحة الصُلح، وهو أن بعض القبائل إذا أرادوا أن يصلحوا بين شخصين أو قبيلتين فإنهم يذبحون بهيمة الأنعام أمام مـن يطلبـون منه الصلح تعظيمًـا له وتقربًا لديه ليرضـى عنهم، وهذه الذبيحة بهذا الاعتبار من الشـرك الأكبـر المخرج عن الملة، وأما إن لم يكن قد صاحب ذلك قصد التعظيم والقربة فإنها محرمة فقط.

٤١١. ما حكم الذبح بمكانٍ يُذبح فيه لغير الله؟

هذا لا يجوز.

٤١٢. ما دليل هذا الحكم؟

عن ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقـال: (هـل كان فيهـا وثنٌ من أوثـان الجاهلية يُعبد)؟ قالـوا: لا. قال: (هـل كان فيها عيد من أعيادهم)؟ قالـوا: لا. فقال للرجل: (أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاء بنذرٍ في معصية، ولا فيما لا يملكه ابن آدم). رواه أبو داود.

٤١٣. ما وجه الدلالة في القول السابق؟

وجـه الدلالـة أن الجواب لو كان بـ (نعم) لما أجاز له النبي ﷺ أن يذبح في ذلك المكان، وذلك دليل على أنه لا يذبح لله بمكانٍ يذبح فيه لغير الله.

٤١٤. ما الحكمة من هذا المنع ؟

الحكمـة الأساسـية من ذلـك هو نهي الله عز وجل ورسـوله ﷺ، فالمسـلم يكفيه ذلك.

٤١٥. ما المصالح التي يمكن تفريعها عن الحكمة السابقة؟

يتفرع عن الحكمة السابقة عدة مصالح، منها:

- أن من مقاصد الشريعة سدّ ذريعة مشابهة المشركين فيما كان من عباداتهم وعاداتهم، فمنعت الشريعة الذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله سدًا لهذه الذريعة.
- من مقاصد الشريعة إخماد سنة الجاهلية، وإبطال آثار الشرك والوثنية، فسدًا لذريعة إحياء شيء من سنتهم نهت الشريعة عن ذلك.
- أن الموافقة في الظاهر توجب توافقًا وتوادًّا في الباطن، ولذلك فنحن منهيون عن التشبّه بهم حتى في طريقة ترجيل الشعر ولبس النعل والصلاة فيها، فسدًا لذريعة الموافقة في الباطن منعت الشريعة هذه الموافقة في الظاهر فنهت عن الذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله تعالى.
- أن هذا أيضًا فيه سدّ الذريعة المفضية إلى الشرك.

المطلب الخامس: ما يتعلّق بالاستعاذة

٤١٦. ما تعريف الاستعاذة؟

هي: طلب العوذ من الأمر المخوف، وهي الالتجاء والاعتصام والتحصّن.

٤١٧. ما أنواع الاستعاذة؟

الأول: الاستعاذة بالله تعالى.

الثاني: الاستعاذة بالأموات وأصحاب القبور، أو بالأحياء الغائبين، أو الاستعاذة بالحي فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

الثالث: الاستعاذة بغير الله تعالى فيما يقدر عليه المستعاذ به.

ما يتعلق بالنوع الأول: الاستعاذة بالله تعالى

٤١٨. ما أهمية هذا النوع؟

أهميته تظهر في أنه المستحق لكمال الافتقار إليه، واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو غير بشر.

٤١٩. ما دليل هذا التقرير من القرآن الكريم؟

- قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . من شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ. وَمن شَرِّ النَّفَّـثَـتِ فِى الْعُقَدِ. وَمَن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.
- قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . من شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.
- وقوله تعالى عن موسى ﷺ: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾. (غافر:٢٧)

٤٢٠. ما دليل هذا التقرير من السنة النبوية؟

من أدلة ذلك:

- قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام:٦٥)، ويقول ﷺ بين ذلك: (أعوذ بوجهك). رواه البخاري
- وفي الحديث فيمن آلمه شيء من بدنه فليضع إصبعه عليه، وليقل: (بسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر (سبعًا)). رواه ابن ماجه
- ﷺ أنه كان يقول: (وأعُوذ برضاك من سخطك). رواه مسلم
- وفي دعاء الصباح والمساء: (وأعُوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي). رواه أبو داود
- وقال ﷺ: (أعُوذ بكلمات الله التامّات من شر ما خلق). رواه مسلم

٤٢١. ما حكم الاستعاذة بصفة من صفات الله سبحانه؟

الاستعاذة بالصفة جائزة باتفاق أهل السنة والجماعة،

٤٢٢. ما دليل الجواز على هذا الحكم؟

النصوص السابقة فيها الاستعاذة بالوجه والعزة والقدرة والعظمة والكلام والرضا، وهي من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة لله سبحانه، فدلّ ذلك على جواز الاستعاذة بصفاته جلّ وعلا.

النوع الثاني: الإستعاذة بالأموات

٤٢٣. ما مشروعية الإستعاذة بالأموات؟

هذه الاستعاذة لاشك أنها من الشرك الأكبر.

٤٢٤. ما مثال هذه الاستعاذة في حياة بعض الناس؟

مثل من يستعيذ بما يعتقد الناس عند المزارات والأضرحة، أو أي إنسان ميت، أو الاستعاذة بمخلوق غائب مثل الجن لكفّ شر بعضهم، أو بالأحياء الغائبين، أو الاستعاذة بالحيّ فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، ونحو ذلك.

٤٢٥. ما دليل هذا التحريم؟

دليله قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (الجن:٦)، ولأن الاستعاذة في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى نوع من أنواع العبادة، والمتقرر في العقيدة: أن من صرف عبادة لغير الله فإنه مشرك.

النوع الثالث: الاستعاذة بغير الله تعالى فيما يقدر عليه المستعاذ به.

٤٢٦. ما مثال هذا النوع؟

مثاله طلب العوذ والنجدة لو اعتدى على إنسان حيوان أو شخص ظالم.

٤٢٧. ما حكم الاستعاذة بغير الله تعالى فيما يقدر عليه المستعاذ به؟

هذا لا بأس به.

٤٢٨. هل هو من العبادة؟

ليس من العبادة في شيء.

٤٢٩. ما التوجيه الواجب التنبيه عليه مع أنه ليس من العبادة؟

واجب العلم أن المعيذ في الحقيقة هو الله تعالى، وأن هذا إنما هو سبب فقط.

٤٣٠. ما دليل جواز هذا الضابط من الناحية الشرعية؟

دليل جوازِ ذلك قوله ﷺ في ذكر الفتن: (من تشرّف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً أو معاذًا فليعذ به) متفق عليه، وقد بيّن النبي ﷺ هذا الملجأ والمعاذ بقوله: (فمن كان له إبل فليلحق بإبله). رواه مسلم

وورد أن امرأة من بني مخزوم سرقت، فأتي بها النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة. رواه مسلم

المطلب السادس: ما يتعلق بالاستعانة والاستغاثة

٤٣١. ما تعريف الاستعانة والاستغاثة؟

الاستعانة طلب العون، والاستغاثة طلب الغوث.

٤٣٢. ما أقسامهما؟

كل منهما ينقسم إلى أقسام:

الأول: الاستعانة والاستغاثة بالله تعالى.

الثاني: الاستعانة والاستغاثة بالأموات أو بالأحياء الغائبين أو بالأحياء الحاضرين في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

الثالث: الاستعانة والاستغاثة بالأحياء في الأمر الذي يقدرون عليه.

القسم الأول: الاستعانة والاستغاثة بالله تعالى

٤٣٣. ما مثال الاستعانة؟

مثالها قول العبد في صلاته: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة)

٤٣٤. ما حكم هذه الاستعانة؟

هذه الاستعانة هي المتضمنة لكمال الذلة والخضوع والانكسار له جلّ وعلا،

فهذه من أفضل الأعمال وأكملها، وهو دأب الرسل عليهم السلام.

٤٣٥. ما دليل مشروعية الإستغاثة بالله، والحثّ إليها؟

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾. (الأنفال:٩)

القسم الثاني:

٤٣٦. ما حكم الاستعانة والاستغاثة بالأموات، أو بالأحياء الغائبين، أو بالأحياء الحاضرين في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى؟

هذه هي الاستعانة والاستغاثة الشركية، أعني الشرك الأكبر المخرج من الملة بالكلية.

٤٣٧. ما سبب الحكم بهذا الحكم؟

لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًا في الكون، فيجعل لهم حظًا من الربوبية، والتصرف في الكون، ولأن الاستعانة والاستغاثة نوع من الدعاء، وقد تقدّم أن من صرف دعاء المسألة لغير الله في الأمر الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى فقد وقع في الشرك الأكبر.

٤٣٨. ما الدليل على كفره؟

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإلهٌ مع الله قليلاً ما تذكرون﴾.

القسم الثالث: الاستعانة والاستغاثة بالأحياء في الأمر الذي يقدرون عليه

٤٣٩. ما حكم القسم الثالث وهو الاستعانة والاستغاثة بالأحياء في الأمر الذي يقدرون عليه؟

هذا لا بأس به.

٤٤٠. هل هو من العبادات؟

ليس ذلك من العبادة في شيء.

٤٤١. ما دليل هذا الحكم؟

دليله قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ (القصص:١٥)، وكاستغاثة الغريق، أو من سقط في حفرةٍ بمن يستطيع إنقاذه من ذلك، فهذا لا بأس به.

المطلب السابع: ما يتعلق بالتوكل

٤٤٢. عرّف التوكل؟

التوكّل على الشيء هو الاعتماد عليه.

٤٤٣. ما تعريفه شرعا؟

هو صدق الاعتماد القلبي على الله تعالى كفاية وحسبًا في جلب المنافع ودفع المضار، من أمور الدنيا والآخرة كلها مع فعل الأسباب.

٤٤٤. ما أنواع التوكل؟

الأول: التوكل على الله تعالى وحده.

الثاني: توكّل السر على غير الله.

الثالث: التوكل على الغير فيما يقدر عليه.

الرابع: التوكل على الغير فيما يقدر عليه.

النوع الأول: التوكل على الله تعالى وحده.

٤٤٥. ما المقصود بهذا النوع؟

المقصود به السعي لجلب الخيرات بأنواعها، ودفع المضرات بأنواعها، وهو التوكل الشرعي.

٤٤٦. ما حكم هذا النوع؟

هذا من تمام الإيمان الواجب، أي أنه لا يتمّ الإيمان إلا به.

٤٤٧. ما دليل هذا النوع؟

قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. (المائدة:٢٣)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.(الطلاق:٣) .

النوع الثاني: توكّل السر على غير الله

٤٤٨. ما المقصود بهذا النوع؟

معناه أن يتوكل الإنسان على ميتٍ في جلب منفعة، أو دفع مضرة.

٤٤٩. ما حكم هذا النوع؟

هذا شرك أكبر.

٤٥٠. ما سبب الحكم عليه بالشرك؟

لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفًا خفيًا في الكون.

٤٥١. هل الحكم يختلف وفق نوع من يتم التعلق به؟

لا فرق في الحكم بين أن يكون ذلك الميت نبيًا أو وليًا، أو غيرهما.

٤٥٢. هل هذا ممكن وقوعه من الإنسان الحي مع إنسان حي؟

نعم، فهناك من يخاف من عقوبة شيخه إذا خالف أمره، أكثر من خوفه من عقوبة الله تعالى.

النوع الثالث: التوكل على الله وغيره.

٤٥٣. ما المقصود بهذا النوع؟

يُقصد به التوكل على الغير فيما يقدر عليه، مع اعتماد القلب على ذلك الغير في حصول المطلوب أو دفع المرهوب.

٤٥٤. ما حكم هذا النوع؟

هذا شعبة من الشرك، لكنه من الشرك الأصغر.

٤٥٥. ما سبب الحكم عليه بهذا؟

تعليل هذا يرجع لقوة تعلق القلب به، مع وجود تعلّق بالله سبحانه.

النوع الرابع: التوكل على الغير فيما يقدر عليه

٤٥٦. ما المقصود بهذا النوع؟

يُقصد به التوكل على الغير فيما يقدر عليه، مع اعتماد القلب بكليته على الله تعالى، واعتقاد أن ذلك إنما هو سبب في تحصيل الأمر المطلوب فقط.

٤٥٧. ما مثال هذا النوع؟

مثاله كمن ينيب غيره في أمر تدخله النيابة، فهذا لا بأس به، وهو بهذا الاعتبار يأتي بمعنى الوكالة، وقد وكّل النبي ﷺ على الصدقة عمالاً وحفاظًا، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها، ووكل علي بن أبي طالب في ذبح ما لم يذبح من هديه وأن يتصدق بجلودها وجلالها.

٤٥٨. ما حكم هذا النوع؟

هذا جائز بالإجماع.

٤٥٩. ما خلاصة التبيان السابق؟

تبين بهذا أن:

النوع الأول: هو حقيقة الإيمان وتمامه الواجب.

والنوع الثاني: شرك أكبر.

والثالث: شرك أصغر.

والرابع: لا بأس به.

المطلب الثامن: ما يتعلق بالخوف

٤٦٠. ما تعريف الخوف؟

الخوف هو الذعر، وهو نوع انفعال يحصل في النفس له أثر ظاهر بسبب توقع ما فيه هلاك، أو ضرر، أو أذى.

٤٦١. ما أنواع الخوف؟

ذكر أهل العلم أنه أنواع:

الأول: الخوف الطبيعي الجبلي.

الثاني: الخوف الذي تسميه العلماء بخوف السر.

الثالث: الخوف الذي يوجب لصاحبه ترك واجب، أو فعل محرم.

النوع الأول: الخوف الغريزي

٤٦٢. ما مثال هذا النوع من الخوف؟

خوف الإنسان من النار أن تحرقه، أو من السبُع أن يأكله، أو من الغرق.

٤٦٣. هل هناك من محذُور شرعي في مثل هذا الخوف؟

لا، فهذا خوف لا يُلام الإنسان عليه، لأنه في فِطرة كل مخلوق.

٤٦٤. ما دليل هذا الحكم؟

من أدلته:

- قال تعالى عن إبراهيم ﷺ: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ (الذاريات:٢٨)، وهذا خوف طبيعي لا يُلام العبد عليه.
- نعلم بأن موسى ﷺ وقع في الخوف الغريزي، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾. (القصص:١٨)
- خوف نبي الله داود لما تسوّر عليه الخصمان، قال تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾. (ص:٢٢)

النوع الثاني: خوف السر

٤٦٥. لماذا وصفه العلماء: بخوف السر؟

أطلق عليه مسمى الخوف السر، لأن هناك من يخاف من قبر أو ميت، أو غائب بعيد عنه أن يصيبه بأذى، فهذا الخوف ليست له أسبابا معلومة.

٤٦٦. ما حكم هذا النوع؟

هذا الخوف شرك أكبر، مخرج عن الملة.

٤٦٧. ما دليل هذا الحكم؟

دليله كما قال تعالى عن قوم هود أنهم قالوا له: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾(هود:٥٤)، فقد كانوا يظنون ويعتقدون فيها أنها تصيب من أنكر عبادتها بالأذى، مع أنها حجارة لا تضر ولا تنفع.

٤٦٨. ما تعليل هذا الخوف؟

تعليله أنه لم يصدر هذا الخوف من الإنسان إلا لاعتقاده أن لهذا المخوف منه تصرفًا خفيًا في حياته؛ بكونه قادرًا على أن يصيبه بأذى بقوته الذاتية، بعيدا عن قدر الله تعالى.

النوع الثالث:

٤٦٩. ما الحكم في الخوف الذي يوجب لصاحبه ترك واجب، أو فعل محرم؟

هذا الخوف حرام في ذاته؛ لأنه وسيلة إلى الحرام، ووسائل الحرام حرام.

٤٧٠. ما دليل هذا الحكم؟

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.(آل عمران:١٧٥)

٤٧١. ما أمثلة هذا النوع من الخوف؟

من أمثلته: الخوف الذي يحمل صاحبه على ترك النصيحة المتعيّنة عليه، والخوف الذي يوجب ترك الجهاد، والخوف الذي يوجب طاعة المخلوق في معصية الخالق.

٤٧٢. ما مذهب أهل السنة في الجمع بين الخوف والرجاء؟

مذهبهم أنه لابد أن يعبد العبد ربه بهما، أي أن يعبده راغبًا راهبًا.

٤٧٣. ما أدلة هذا التقرير؟

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

٤٧٤. لماذا يجب الاعتدال في هذه القضية بين الجانبين؛ الخوف والرجاء؟

ذلك لأنه من عبد الله بالرجاء وحده أَمِن من مكر الله، ومن عبده بالخوف وحده وقع في اليأس من رحمة الله، ومن عبده بالخوف والرجاء فهو الموحد المهدي إلى الصراط المستقيم، ولابد من استوائهما فلا يغلب الخوف على الرجاء، ولا يغلب الرجاء على الخوف فيهلك.

٤٧٥. متى يكون التغليب لأحدهما جائزا؟

إذا كان هناك مقتضى لتغليب أحدهما فإنه يغلّبه، وإلا فالأصل استوائهما.

٤٧٦. ما مواضع هذا التغليب؟

إذا كان العبد في سكرات الموت فلابد من تغليب جانب الرجاء حتى يحصل له إحسان الظن بربه، كما في الحديث: (أنا عند ظن عبدي بي) رواه البخاري، وفي الحديث الآخر: (لا يموتنّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه) رواه أحمد، وطريق إحسان الظن تغليب الرجاء.

ومثال آخر: عند التوبة من المعاصي فإنه لابد أن يغلّب جانب الرجاء.

٤٧٧. كيف تتحقق الخشية من الله؟

تتحقق الخشية باجتماع الخوف والرجاء، ليقود الأمر بعد ذلك للحب.

المطلب التاسع: ما يتعلق بالأيمان (الحلف).

٤٧٨. ما المقصود من هذا العنوان؟

المقصود به بيان الحكم الشرعي لما يُقسم (يحلف) به المسلم في كلامه.

٤٧٩. الأصل في الحلف من الناس أن يكون بمن؟

الأصل فيه أن يكون منهم فقط بالله سبحانه، أو بأسمائه أو صفاته.

٤٨٠. ما الدليل على تحريم الحلف بغير الله؟

دليله قوله ﷺ: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك). رواه أبوداود

وعن قتيلة أن يهوديًا أتى النبي ﷺ، فقال: «إنكم تشركون، تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة». فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: (ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت). رواه النسائي

وقال ﷺ: (لا تحلفوا بآبائكم، ومن حلف بالله فليصدّق، ومن حُلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس منا). رواه ابن ماجه

٤٨١. ما قاعدة أهل السنة والجماعة في الأيْمان؟

القاعدة عندهم تقول: (لله أن يحلف بما شاء من مخلوقاته، وليس للعبد أن يحلف إلا بالله، أو صفةٍ من صفاته).

٤٨٢. ما توضيح هذه القاعدة ما سبق وفق الأدلة؟

توضيحها أن الله تعالى له أن يُقسم بما شاء من مخلوقاته، أما المخلوق فليس له أن يقسم إلا بالله سبحانه أو بأسمائه الحسنى، أو صفاته العلية.

٤٨٣. ما بيان القسم من الله تعالى؟

مثل قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) الْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا(٢)﴾. (الشمس)
وقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ(١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)﴾. (الفجر)، ونحو ذلك.

٤٨٤. ما تعليل القول فيما سبق أن لله تعالى أن يقسم بما يشاء من الخلق؟

تعليله أن يُقال أن ربنا جل وعلا لا يدخل تحت الأحكام الشرعية حتى نقول: هذا واجب عليه، أو هذا محرم عليه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وما أقسم الله به فقد عظّمه.

٤٨٥. بعضهم يتهاون في قضية الحلف بغير الله، ما القول في أمره؟

هذا أمر خطير، قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحبّ إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا». مصنف عبد الرزاق

٤٨٦. ما تعليل القول مع مقولة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

تعليله أن الحلف بالله كاذبًا معصية، والحلف بغير الله شرك وإن كان القائل صادقًا.

٤٨٧. هل تحريم الحلف بغير الله مما أجمع عليه العلماء؟

نعم، فمن الأدلة أيضًا الإجماع المنعقد على المنع من الحلف بغير الله تعالى ولا عبرة بمن قال بغير ذلك لمخالفته لهذه النصوص الصريحة الصحيحة.

٤٨٨. ما حكم الحلف بغير الله تعالى؟

من حلف بغير الله تعالى فقد وقع في الشرك الأصغر.

وإن كان قد صاحب الحلف تعظيمٌ كتعظيم الله تعالى، فإنه في هذه الحالة يكون قد وقع في الشرك الأكبر.

٤٨٩. من الذي يقع في قلبه الشرك الأكبر في الحلف؟

هذا مثل ما يفعله عبّاد القبور والأولياء، فإن أحدهم إذا أراد أن يحلف كاذبًا فإنه يحلف بالله تعالى، وإذا أراد أن يغلّظ الأيمان ويبرّ فيها ويظهر أنه صادق فإنه يحلف بوليّه الذي يعظمه، وهذا عين الشرك الأكبر ولاشك.

٤٩٠. ما كفارة الحلف بغير الله تعالى؟

كفارة ذلك أن يقول: لا إله إلا الله، لحديث: (من حلف فقال: واللات والعزى! فليقل: لا إله إلا الله). رواه البخاري

٤٩١. ما تعليل التمسك بهذه الكفارة؟

لأنه بهذا الحلف قد جرح توحيده بالشرك، فلابد من جبر ذلك الجرح إن كان الشرك أصغرًا، أو يكون بذلك مجددًا إسلامه إن كان أكبرًا.

٤٩٢. هل لك أن تمثّل لنا على نماذج من الحلف بغير الله تعالى؟

من ذلك:

- الحلف بالنبي ﷺ فيقول: والنبي، أو حياة النبي.[41]
- الحلف بالأمانة، فيقول: والأمانة.
- الحلف بالشرف، فيقول: وشرفي، أو وشرف أبي أو أمي.
- الحلف بالبدوي، أو زينب، أو نفيسة.
- الحلف برأس أحدٍ من المخلوقين، مثل قول بعضهم: رأس أمي وأبي.
- الحلف بالعهد والميثاق، أو بالكعبة، أو بمقام إبراهيم ﷺ، أو بتربة القبر الفلاني، أو بالعيش والملح.
- مقولة: وحياتك يا فلان، أو وحياتي، ونحو ذلك.

٤٩٣. ما حكم تلك الأيمان؟

كلها محرّمة وشرك؛ لأن الحلف عبادة، فلا يُعقد إلا بالله تعالى.

٤٩٤. هل يجب تنبيه الحالف لو قال مثل تلك الألفاظ؟

نعم، فهو من باب تغيير المنكر.

٤٩٥. ما حكم الحلف بآيات الله ؟

هذا السؤال مجمل في تقديمه، وجوابه لابد فيه من التفصيل بالبيان:

- إن كان يريد بالآيات أي الآيات الكونية؛ كالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والليل والنهار، فهذه الأشياء كلها مخلوقة، وقد تقرّر أنه لا يجوز الحلف بشيء من المخلوقات.
- إذا كان يقصد بالآيات أي الآيات الشرعية، مثل القرآن فإنه آيات، كما قال تعالى: ﴿بل هو آيات في صدور الذين أوتوا العلم﴾، فحلفه بها حينئذٍ جائز، باعتبار أن هذه الآيات من كلام الله تعالى، وكلامه تعالى صفة من صفاته، وقد تقرر جواز الحلف بصفات الله.

٤٩٦. ما حكم قول بعض الناس: (في ذمّتي)؟

٤١- وليس بحجةٍ علينا أنه مما يجري على اللسان من غير قصد، أو أنه نشأ في بلدة يحلف أهلها بذلك، فإن الإنسان متعبّد بما جاء به النص لا بما وجد عليه أهل بلده.

هذا فيه تفصيل لاحتمال اختلاف مقاصد الناس، وبيان هذا:

- إن كان يقصد بها عقد اليمين فهذا لا يجوز؛ لأن الذمة مخلوقة، وقد تقرر لنا أنه لا يجوز الحلف بالمخلوق.
- إن كان لا يقصد بها عقد اليمين، وإنما يقصد أنه يتحمل حقيقة الخبر، كأنه يقول: (في عهدي، وفي ذمتي، إن كان كذبًا)، فهذا لا بأس به.

٤٩٧. ما حكم التعلّق بالقول السابق؟

حينما نعلم بأن غالب الناس قد يُشكِل عليهم هذا اللفظ، ولا يفهمون منه إلا أنه حلف، فالواجب الكفّ عن التلفظ به، مع العدول عنه إلى الأيمان التي لا إشكال فيها؛ لأن ذلك سبب لحماية جناب التوحيد.

٤٩٨. ما حكم الإكثار من الحلف؟

هذا منافٍ لكمال تعظيم الله تعالى واحترام أسمائه وصفاته.

٤٩٩. ما تعليل الحكم السابق؟

ذلك لأن الحلف به سبحانه أمرٌ عظيم، فلا ينبغي أن يُقال إلا على تأكيد الأشياء العظيمة المهمة، وأما سفاسف الأمور وترهات الأقوال، فإنه ينبغي تنزيه أسماء الله وصفاته أن تذكر لتأكيد مثل ذلك.

٥٠٠. ما دليل الحكم السابق؟

نعلم أنه لم يرد في القرآن أن الله تعالى أمر نبيه أن يحلف به سبحانه إلا على الأشياء العظيمة؛ كأمر المبعث والمعاد وصدق القرآن، ونعلم أن الله أمرنا بقوله: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾.(المائدة:٨٩)

٥٠١. ماذا تشمل الآية السابقة من فوائد؟

تشمل الفوائد الآتية:

- عدم الإكثار من الحلف.
- الحلف بالله وأسمائه وصفاته فقط.
- الوفاء بما حلف عليه.
- التكفير عند الحنث.

٥٠٢. ما النصوص النبوية في التنبيه على خطورة الإكثار من الحلف؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب). رواه البخاري

وعن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته؛ لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه). رواه الطبراني.

٥٠٣. كيف كان توجيه سلف الأمة لأولادهم في قضية الحلف؟

من عميق فهم السلف وتعظيمهم لله سبحانه أنهم كانوا يضربون صغارهم على الشهادة والعهد، كما قاله إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى، واليمين نوع من الشهادة، فهذا فيه تربية على تعظيم الله تعالى.

ما يتعلق بالإقسام على الله.

٥٠٤. ما معنى هذا العنوان؟

بيان حكم قول: والله لا يكون كذا وكذا، والله لا يغفر الله لفلان...

٥٠٥. هل الحكم على هذه الأقوال يختلف؟

نعم، فإن كان الحامل على ذلك قوة الثقة بالله، مع الاعتراف بالضعف فيقسم على الله بالنصر، فهذا جائز.

وإذا كان الحامل: الغرور والعُجب، وأنه يستحق على الله كذا وكذا، فهو محرم.

ما يتعلق بالاستشفاع على الله على خلقه.

٥٠٦. كيف يتحقق مثل هذا الأمر؟

يتحقق بمثل مقولة الإنسان: نستشفع بالله عليك.

٥٠٧. ما حكم هذه المقولة؟

التحريم، لأنه سبحانه أعظم شأنا من أن يتوسل به إلى خلقه.

المطلب العاشر: ما يتعلق بالتبرّك

٥٠٨. ما تعريف التبرّك؟

التبرك: هو طلب البركة ورجاؤها واعتقادها في شيء ما.

٥٠٩. ما معنى البركة؟

هي كثرة الخير ودوامه في شيءٍ ما.

٥١٠. ما الأصل في تحقيق هذا المعتقد؟

الأصل فيه التوقف على ورود الدليل، بمعنى أنه لا يجوز اعتقاد البركة، أو تسويغ طلبها من شيء إلا وعلى ذلك دليل صحيح صريح.

٥١١. ما علّة هذا التوقف فيها؟

علته أن وجود البركة في مكانٍ، أو زمان، أو شخص من الأمور الغيبية التي لا تدرك بالعقل، وقد تقرر فيّ قواعد الشّرع أن الغيب مبناه على التوقف.

٥١٢. ما القاعدة عند أهل السنة في اعتقاد البركة في الذوات والأماكن والأزمنة؟

القاعدة تقول: (الأصل في بركة الذوات والأماكن والأزمنة التوقيف على الدليل).

٥١٣. ما توضيح القاعدة السابقة؟

معناها أن يُقال: إنه لا يجوز اعتقاد أن هذه الذات، أو أي مكان، أو زمان أنه مبارك، إلا وعلى ذلك الاعتقاد دليلٌ من كتاب الله، أو صحيح السنة.

٥١٤. ما الأمثلة على وجود البركة للأمور السابقة؟

في **الأزمنة**: مثل شهر رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة.

في **الأماكن**: مثل مكة، والمدينة النبوية.

في **الأعيان**: مثل ذات الأنبياء، والصالحين والعسل، وحبة البركة، والغنم.

في **الأعمال**: كالأعمال الصالحة، وبرّ الوالدين، وقراءة القرآن الكريم.

٥١٥. من هو المتبارك من جميع الوجوه؟

هـو الله سـبحانه وتعالى، قـال تعالـى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّـهُ أَحْسَـنُ الْخَالِقِينَ﴾. (المؤمنون:١٤)

٥١٦. هل يجوز إطلاق لفظ (تبارك) على غير الله تعالى؟

لا يجوز ذلك؛ لأن واضع البركة هو الله تعالى.

٥١٧. ما الأقوال المخالفة عند بعض الناس في استعمال البركة؟

مـن ذلـك مقولاتهـم: تباركت علينا يا فـلان، أو فلان بـارك بحضوره هذا المشروع، أو بارك هذا الحفل، كل ذلك من الإطلاقات المحرمة.

٥١٨. من الذي بمقدوره منح البركة للمخلوقات؟

لا يقـدر علـى هذا إلا الله سـبحانه، فمن شـاء جعله سـبحانه مبـاركا، من الأحياء، أو الجمادات، أو الأزمنة أو الأمكنة، أو الأعمال.

أولا: البركة في النبي ﷺ

٥١٩. في أي شيء تكون البركة في النبي ﷺ؟

تكون البركة في ذاته وآثاره ﷺ.

٥٢٠. ما دليل وجود البركة في ذات النبي ﷺ؟

صحّت في هذا النصوص الكثيرة، فمن ذلك:

- تبـرّك الصحابـة بفضـل وضوئـه ﷺ وبنخامتـه، كمـا فـي حديث صلح الحديبيـة: (مـا تنخم رسـول الله ﷺ نخامة إلا وقعـت في كف رجل منهـم، فدلـك بهـا وجهـه وجلـده، وإذا توضـأ كادوا يقتتلـون علىً وضوئه). رواه البخاري
- تبركهم بالماء الذي غمس فيه ﷺ يده، فقد روى أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتـى بإناءٍ إلا غمـس يده فيه، فربما جاءوه في الغـداة الباردة فيغمس يده فيه). رواه مسلم

- **التبرك بشعره** ﷺ، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أتى منى فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى فنحر، ثم قال للحلاق: (خُذْ) وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس. رواه مسلم
- **التبرك بعرقه** ﷺ، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأتت فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عَرَق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ فقال: (ما تصنعين يا أم سليم؟) فقالت: يا رسول الله نرجوا بركته لصبياننا. قال: (أصبت). رواه مسلم

٥٢١. هل يمكن وضع ضابط في هذه القضية؟

نعم، الضابط أن يُقال: لا يجوز التبرك بذات أحدٍ إلا بذات النبي ﷺ.

٥٢٢. هل يجوز التبرك بآثار النبي ﷺ من لباس وشعر بعد وفاته؟

يجوز ذلك حتى بعد وفاته ﷺ؛ وذلك لأن الصحابة والتابعين كانوا يتبرّكون بهذه الأشياء بعد وفاته ﷺ.

٥٢٣. ما دليل هذا الحكم؟

ثبت أن أسماء كانت عندها جُبة النبي ﷺ تغمس في الماء ويسقى لمن به عين أو وجع فيبرأ بإذن الله تعالى، وقد كانت هذه الجبة عند عائشة رضي الله عنها، وقد كانت أم سلمة عندها شيء من شعرات النبي ﷺ في جلجل من فضة، فإذا أصاب أحدهم وجعٌ يأتيها بإناءٍ فيه ماء فتخضض له الشعرً فيه فيشربه فيشفى بإذن الله تعالى. رواه البخاري

وقال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى: (عندنا شعرة من شعر النبي ﷺ أصبناها من أنس، أو من قِبل أهل أنس).

٥٢٤. هل لمثل هذه الآثار النبوية وجود في زماننا؟

ينبغي أن نعلم أن هذه الآثار قد فُقدت كلها في أزمنة متقدمة، فما الظن

بزمننا هذا؟! فكل من يدّعي أن عنده شيئا من شعره أو ثيابه أو نعليه أو خاتمه فإنه مطال بإثبا صحة دعواه.

٥٢٥. ما مُراد من يدّعي وجود مثل هذه الأمور عنده، وفي زمننا المعاصر؟

إنما مراده إفساد الاعتقاد ونشر البدعة وانتهاب الأموال، فعلينا أن ننتبه لهذا الأمر، ولا يغرنا الذين لايتورعون عن مثل هذه الدعاوى البيّنة البطلان.

ثانيا: البركة بالأماكن

٥٢٦. ما الدليل على وجود البركة في مكة؟

دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:٦٩) .

٥٢٧. كيف تكون البركة في مكة؟

تكون بمضاعفة الأجور فيها، فالتبرك بها يكون بالاستكثار من الأعمال الصالحة؛ كالطواف والصلاة، وغير ذلك.

٥٢٨. ما حكم من يتمسّح بأستار الكعبة؟

من يتمسح بأستار الكعبة ظنًا منه أن البركة ستنتقل إلى بدنه فإنه أتي من قلة فهمه، وفعله هذا بدعة، وكذلك من يقبّل أعمدة المسجد الحرام أو مسجد المدينة، ويتمسح بمقام إبراهيم أو يقبّله، أو يمسح عليه بيديه، ثم يضعهما على وجهه وصدره ظنًا منه أنه بذلك قد انتقلت البركة إليه فإنه مخطئ.

٥٢٩. ما حكم التمسّح بالحجر الأسود، ثم يمسح الإنسان الصدر به، أو الوجه؟

من يستلم الحجر أو الركن اليماني بيديه ثم يمرها على صدره ووجهه أو على وجه صغير معه وصدره، فحكم ذلك أنه من البدع.

٥٣٠. ما معنى وجود البركة في مسجد المدينة والمسجد الأقصى؟

البركة في هذه الأماكن معناه مضاعفة الأجر للمتعبّد فيها، وما يحصل له من الأمن.

٥٣١. هل الأحكام السابقة ممكن وضعها في كل ما يكون في المسجد النبوي؟

نعم، فمن يتمسح بالأعمدة أو الفرش الموضوعة في الروضة الشريفة ظنًا أن بركة هذه الروضة ستنتقل إليه إذا فعل ذلك، فإنه مخطىء في هذا.

٥٣٢. هل ممكن التبرك بماء زمزم للحاجيات التي عند الإنسان؟

ما يفعله بعض الحجاج أو المعتمرين من أنهم يغسلون متاعهم ونقودهم وثيابهم التي عليهم بماء زمزم ظنًا منهم أنها بذلك ستحلها البركة، فهذا ليس بصحيح؛ لأن بركة ماء زمزم في شربه فقط.

٥٣٣. ما اختصار البيان السابق؟

المقصود أن بركة هذه الأماكن المذكورة في السؤال إنما هي بركة لازمة معنوية، لا أنها بركة ذاتيّة منتقلة.

٥٣٤. هل البركة فيهم مثل البركة التي في النبي ﷺ؟

بركتها بركة معنوية، أو نقول بركة لازمة ليست بمنتقلة ولا بمتعدية، أي أنها ليست بركة ذاتية كبركة ذات النبي ﷺ، بل هي بركة لازمة معنوية فيها.

٥٣٥. ما وجه التبديع لما سبق من المواضع الكريمة، هل يعود إليها أو لأمر آخر؟

التبديع ليس إنكارًا لبركة البقعة، ولكن لأن بركة هذه البقعة بركة لازمة معنوية لها، لا ذاتية منتقلة للغير.

ثالثا: ملاحظات عامة في البركة

٥٣٦. ما حكم التبرّك بغار حراء، أو غار ثور، أو مقبرة البقيع؟

هذا كله فعل خاطىء، فلم يثبت بالشرع أن فيهم بركة تنفع قاصدها.

٥٣٧. ما حكم وضع المصحف في السيارة طلبا لبركته في حفظ الإنسان وسيارته، أو وضعه تحت الوسادة؟

هذا فهم خاطىء لفهم البركة التي في القرآن، فبركته تكون بحفظه تلاوته والعمل بما فيه، وليس بمثل هذه الأفعال.

٥٣٨. ما حكم طلب البركة من بعض الأشجار أو الأحجار؟

هذا محرّم وشرك.

٥٣٩. ما دليل هذا الحكم؟

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾(النجم:٢٠)

٥٤٠. ما وجه هذا الإنكار على الكفار؟

هذا إنكار منه سبحانه على عبّاد هذه الأوثان، وهم عبدوها لينالوا شفاعتها وأنها تقرّبهم إلى الله زلفى ويتبركون بها، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك.

٥٤١. ماذا يُستفاد من الإنكار السابق؟

يستفاد منه أن الإنكار السابق يتضمن النهي عن الاعتقاد في هذه الأوثان، ويدخل في ذلك ضمنًا النهي عن التبرّك بالأشجار والأحجار وأنه شرك، فاللات يُقاس عليه التبرك بالقبور، والعُزى ومناة يُقاس عليه التبرك بالأشجار والأحجار.

٥٤٢. هل ورد تنبيه من النبي ﷺ بما يتعلق بطلب البركة من بعض الأشياء؟

نعم، فعن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال ﷺ: (الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف:١٣٨) لتركبن سنن من كان قبلكم) رواه الترمذي.

٥٤٣. هل هو شرك أصغر أم شرك أكبر؟

هذا على حسب اعتقاد طالب البركة منها:

- إن اعتقد أنها تعطيه البركة بذاتها، وأن لها تصرفًا خفيًا بذلك، فهذا شرك أكبر مناف لأصل الإسلام، ولو مات صاحبه عليه فإنه من الخالدين أبدًا في النار.

- أما إن كان يجعلها سببًا فقط في تحصيل البركة، فهذا شرك أصغر، لأنه اعتقد سببًا ما ليس بسبب شرعًا ولا قدرًا، ولأنه وسيلة إلى الشرك الأكبر.

٥٤٤. ما معنى قوله ﷺ: (إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم) ؟

معنى ذلك أن كل مسلم فيه بركة، لكنها بركة عمل واعتقاد؛ وذلك لأنه يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ولما يحمله في قلبه من الإيمان، وما يفعله بجوارحه من العبادات، ومن ذلك قول أسيد بن الحضير: (ما هي بأول بركاتكم يا آل أبي بكر).

٥٤٥. هل تزداد هذه النوعية من البركة في صاحبها؟

نعم، تزاد هذه البركة كلما قوي الإيمان واجتهد العبد في العبادة من تحصيل العلم النافع والعمل الصالح.

٥٤٦. كيف يتحقق التبرك بالصالحين؟

يكون بالاقتداء بعلمهم وأفعالهم الموافقة للسنة، ومنافستهم في الخيرات.

٥٤٧. ما حكم التمسّح بالصالحين والعلماء؟

هذا فعل غريب، وفهمٌ باطل للبركة.

٥٤٨. هل يجوز قول القائل لمن زاره من الصالحين: (زارتنا البركة) ؟

هذا فيه تفصيل:

- فإن كان يقصد بركة الذات، فهذا لا يجوز؛ لأن بركة الذات من خصائصه ﷺ فليس أحد بوركت ذاته إلا هو ﷺ.
- وإن كان يقصد بذلك بركة العمل والاعتقاد، أي أن هذا الزائر عنده أعمال صالحة واعتقادات موافقة للكتاب والسنة، فتقول ذلك وتقصد بركة هذه الأعمال والاعتقادات فهذا لا بأس به.

٥٤٩. هل ممكن استعمال اللفظ السابق دائما؟

إذا كان اللفظ فيه شيء من الالتباس على بعض السامعين فالأسلم العدول عنه إلى غيره من الألفاظ سدًا لذريعة التخبط في الفهم، وحماية لجناب التوحيد.

٥٥٠. ما الرأي فيما يفعله بعض الناس مع مشايخهم؟

هذا باب واسع، وقد عمت البلوى في كثير من بلاد الإسلام بهؤلاء الناس الذين يأمرون أتباعهم بتعظيمهم التعظيم الزائد على الحد المشروع، حتى يعتقد المريد أن شيخه هو البركة بعينها، فتراه يتمسح به أو بآثاره، ويضفي عليه العصمة، ويقبل الصادر والوارد منه بلا تفكير ولا مناقشة، وهذا كله بدعة، بل قد يصل بصاحبه في كثير الأحيان إلى الشرك.

٥٥١. ما الواجب توجيهه لمن يفعل ما سبق بيانه؟

الواجب نصح هذه الطائفة وكشف الشبه عندهم، ودعوتهم إلى الاعتقاد الصحيح، وهذا واجب عيني على أهل العلم.

المطلب الحادي عشر: ما يتعلق بالفأل

٥٥٢. ما المقصود بالفأل؟

فسره النبي ﷺ بأنه الكلمة الطيبة.

٥٥٣. هل هذا كان متحقق له عليه الصلاة والسلام؟

نعم، فقد كان ﷺ يعجبه الفأل، كما في حديث: (ويعجبني الفأل).

٥٥٤. هل له ارتباط شرعي في حياتنا؟

نعم، لأن الكلمة الطيبة إذا بلغت السامع فتفاءل بها، وأنه سيحصل له كذا وكذا من الخيرات يكون ذلك من باب حسن الظن بالله تعالى.

٥٥٥. ما أمثلة هذا في حياتنا؟

كأن يريد الإنسان سفرًا، أو تجارة مثلاً، فيسمع من يقول: يا غانم أو يا رابح، فتقع هذه الكلمة في قلبه فيزداد بها سروره ويتفاءل بها.

٥٥٦. هل هذه الكلمة الجميلة هي التي تدفع الإنسان للعمل؟

لا، ليست الكلمة هي التي تدفع للمضي فيما نريد من البداية، بل الإنسان يكون عازما أولاً على الفعل، لكن لما مضى للفعل، ثم سمع هذه الكلمة، ازداد تفاؤله وحُسن ظنه بربه جل وعلا، وأكمل مسيره.

٥٥٧. ما دليل ذلك من الهدي النبوي؟

ورد في قصة صلح الحديبية، وسعي أهل مكة للتفاوض مع النبي ﷺ، أن أسرعت قريش في إرسال سهيل بن عمرو لعقد الصلح، فلما رآه النبي ﷺ قال:(قد سهّل لكم أمركم، أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل) ، فتكلم سهيل طويلاً، ثم اتفقا على قواعد الصلح.

٥٥٨. ما أثر التفاؤل على نفوسنا؟

التفاؤل يُشرح الصدر، ويُؤنس العبد، ويذهب الضيق الذي يوجبه الشيطان ويسببه في قلب العبد، فكان التفاؤل بذلك حسنًا، والنفوس مفطورة على حب سماع الكلمة الطيبة عند عزيمتها على الفعل ليزداد بذلك فرحها وسرورها وحسن ظنها بربها جل وعلا، ولذلك قال ﷺ: (أحسنها الفأل).
رواه أبو داود

٥٥٩. هل ننتظر التفاؤل ليكون سببا للإنطلاق للعمل؟

لا، فالمسلم يستشير أهل الخبرة قبل البدء في عمل ما.
ثم يبذل الأسباب المتعلقة بالعمل.
وقبل أن يبدأ بالعمل يؤدي الاستخارة.
ثم ينطلق للأداء.
فإذا سمع كلمات تبعث في نفسه الإنطلاق والإنشراح للفعل، فهذه من المعينات وليس من الأساسيات.

٥٦٠. ما صحة مقولة: (فأل الله ولا فألك)؟

هذا تعبير لايجوز، لأن الفأل ليس من صفات الله.

المبحث الثالث

أفعال وأقوال غير مشروعة

٥٦١. ما المقصود من هذا العنوان؟

المقصود بيان أن هناك أعمال وأقوال واجب الحذر منها، لمخالفتها الشرع.

٥٦٢. هل من الواجب التحذير والنصح لمثل هذه الأمور؟

نعم، لأن الدين لايقوم إلا على صفاء المعتقد، قولا كان أو فعلا.

٥٦٣. هل التحذير من الشركيات والبدع فيه تفريق لصفوف المسلمين؟

حينما نعلم بأن الدين قائم على تصفية الحياة من كل بدعة وشرك، من هذا نجزم بأن الاجتماع الحقيقي بين المسلمين لا يقوم إلا على صفاء الحياة من كل أمر يبغضه الله تعالى.

المطلب الأول: ما يتعلق بالغلو

٥٦٤. ما تعريف الغلو؟

الغُلو هو مجاوزة الحدّ والإفراط فيه.

٥٦٥. ما الأدلة الدالة على خطر الغلو؟

- قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (النساء:١٧١)، وهذا نهي لهم وإخبار لنا عن السبب الذي أوقعهم فيما وقعوا فيه.
- وقال ﷺ: (إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو). رواه النسائي

٥٦٦. ما الأمور الممكن ولوج الغلو فيها؟

الأمور كثيرة، ومن ذلك:

- قال ﷺ محذرًا من الغلو فيه: (لا تطرُوني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا عبد الله ورسوله)[٤٢]. رواه البخاري

٤٢- لا تطروني: أي لا تبالغوا في المديح والثناء

- وقال ﷺ محذرًا أمته من السير على نهج الأمم قبلها: (ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور الأنبياء مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك).
- وقال ﷺ: (قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) متفق عليه.

وزاد مسلم: (والنصارى)، قالت عائشة: «ولولا ذلك لأُبرز قبره ﷺ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا».

- وقال ﷺ لأم حبيبة وأم سلمة لما ذكرتا له كنيسة بأرض الحبشة: (أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجد وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله). رواه البخاري
- عن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تصلُّوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها). رواه مسلم

٥٦٧. متى كان أول وقوع للشرك في بني آدم؟

وقع في عهد نوح ﷺ.

٥٦٨. ما سبب هذا الخطأ العظيم؟

سببه الغلو في الصالحين والأولياء، وهو الذي أوصلهم لاحقاً إلى الشرك بالله.

٥٦٩. ما دليل التقرير السابق؟

عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (نوح: ٢٣) فقال: (هذه أسماء رجال صالحين فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم الّتي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبدت). رواه البخاري

٥٧٠. كيف جاء الشرك مع هذه التماثيل في قوم نوح؟

قال ابن القيم: (قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم

وصوّروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم) ا.هـ .

٥٧١. هل هذا الأمر لا يزال موجودا في زماننا؟

نعم، مع ما نجده عند بعض بني آدم من تعظيم قبور الأولياء والصالحين، وشهرة الأمر تغني عن ضرب المثال له، فالسبب إذًا هو الغلو في الصالحين.

٥٧٢. هل حذّر العلماء من هذا الأمر؟

نعم، ولذلك قال الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد:

- (باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين).
- (باب ما جاء في أن الغلو في قبور الصالحين يصيّرها أوثانًا تُعبد من دون الله تعالى).
- (باب ما جاء في التغليظ فيمن عبدَ الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده).

٥٧٣. ما فائدة هذه التراجم التي وضعها الإمام رحمه الله تعالى؟

هذه التراجم ينبغي تدبرها وفهمها، حيث فيها بيان السبب الذي أوقع الشرك في ابن آدم.

٥٧٤. كيف تعاملت الشريعة في جانب القبور؟

الشريعة توسّطت، فلم تنزلها عن مكانتها، ولم ترفعها عن مرتبتها.

٥٧٥. كيف أعطت الشريعة القدر المناسب للقبور والمقابر؟

من الأمور الدالة على التقدير الشرعي الكريم للقبور، ما يأتي:

تحريم الآتي: الجلوس عليها، قضاء الحاجة بينها، المشي بينها بالنعال، التعدي عليه بنبش ونحوه، ومنعت الاتكاء عليها

وسنّت الآتي: تكرار الزيارة لها للاعتبار والعظة، السلام على أهلها.

وكل ذلك احترامًا لأهلها وتكريمًا لهم.

٥٧٦. ما الأمور الواجب عدم توصيل القبور إليها من المكانة؟

تحرم الأمور الآتية:

- اتخاذها مساجد يُصلى عندها.
- دعاء أصحابها من دون الله تعالى.
- تشييد بناؤها ورفعها فوق الشبر.
- الذبح عندها، أو اتخاذ زيارتها عيدًا.
- جعل لها ولمن فيها موالد.
- الاعتقاد في الأموات أنهم يجلبون خيرًا، أو يدفعون شرًا.
- التبرك بترابها، أو إطالة الاعتكاف بالجلوس عندها، أو الطواف حولها.
- أخطر من ذلك أن يُركع لها أو يسجد أو تُقبل، ونحو ذلك.

٥٧٧. ما ضابط الغلو في الصالحين؟

ضابطه عدم مجاوزة الحد فيهم؛ بحيث يضفى عليهم من الصفات التي هي من خصائص الله تعالى، أو اعتقاد أنهم يجلبون خيرًا، أو يدفعون شرًا.

٥٧٨. ما ضابط الغلو عند القبور؟

ضابطه الحذر من مجاوزة الحد فيها، بحيث يفعل بها أو عندها ما هو خارج عن حد الشريعة.

وقد أبيح للمسلمين زيارة القبور للعظة وتذّكر الموت.

المطلب الثاني: ما يتعلق بالرقى والتمائم

الفرع الأول: ما يتعلق بالتمائم

٥٧٩. ما تعريف التمائم؟

الأول: هي كل ما يعلّق، أو يوضع ويعتقد فيه أن يجلب خيرًا، أو يدفع شرًا.

الثاني: هي ما يعلق في رقاب الدواب التي يخشون من إصابتها بالحسد لجمال صفاتها.

الثالث: هي ما يوضع في الدار، أو على الأولاد لاتقاء شر الحاسدين، أو اتقاء الجن والشياطين.

٥٨٠. ما أقسامها؟

هي قسمان: تمائم شركية - تمائم قرآنية .

أولا: التمائم الشركية

٥٨١. ما بيان ما يتعلق بالتمائم الشركية؟

هي التي اشتملت على الاستعانة بالجن والاستغاثة بالشياطين، والاستعاذة بهم من الشر، أو احتوت على طلاسم وكتابات لا تعرف ولا يُدرى عن المقصود بها.

٥٨٢. ما حكم هذه التمائم؟

هذه لاشك أنها حرام وشرك.

٥٨٣. ما دليل هذا الحكم؟

الدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (الزمر:٣٨)

في هذه الآية دليل على بطلان الشرك، ولبس الحلقة والخيط، كل ذلك لا يكشف الضر ولا يمنع منه، ولا يجلب الخير، وليس بسبب فيه.

٥٨٤. ما أدلة تحريم التمائم الشركية من السنة النبوية؟

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) رواه أبو داود وأحمد
- عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً: (لا يبقينّ في رقبة بعير قلادة من وترٍ، أو قلادة إلا قطعت). رواه مسلم

- عـن عمـران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسـول الله ﷺ رأى رجلاً فـي يده حلقة مـن صَفَر، فقال: (ما هذه) ؟ قال: مـن الواهنة. فقال: (انزعها فإنها لا تزيدك إلاّ وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا). رواه أحمد
- ولأحمد بسـنده عن عقبة بن عامـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: (من تعلّق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودَع الله له)، وفي رواية: (من تعلّق تميمة فقد أشرك).
- وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾. (يوسف:١٠٦)
- وعن عبدالله بن حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: (من تعلّق شيئًا وُكّل إليه).
- وعن رويفع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول اللـه ﷺ: (يا رويفع لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وترًا، أو اسـتنجى برجيع دابةٍ، أو عظمٍ فإن محمدًا بريء منه). رواه أحمد وأبو داود

ثانياً: التمائم القرآنية

٥٨٥. ما حكم التمائم من القرآن؟

هذه فيها شيء من الخلاف، فقيل بجوازها، وقيل بالمنع.

٥٨٦. ما ترجيح القول فيها؟

القول بالمنع هو الصحيح، ومن القائلين بالمنع ابن مسعود وغيره.

٥٨٧. ما الدليل على المنع؟

من الأدلة الدالة على المنع:

- قول النبي ﷺ: (إن الرُقى والتمائم والتولة شركٌ).

(التمائم): جمع دخلت عليه الألف واللام، وقد تقرر في القواعد أن الألف واللام الداخلة على المفرد والجمع تفيده العموم أي الاستغراق، فيدخل في كل ذلك كل التمائم.

- وكقوله ﷺ: (من تعلّق تميمة فقد أشرك).

وقول: (من تعلق) هذا شرط.

وقول: (تميمة) نكرة، وقد تقرر في القواعد أن النكرة في سياق الشرط تفيـد العموم، فيصدق ذلك الوصف وهو الشـرك علـى كل من تعلق تميمة من غير تفصيل بين تميمة وتميمة.

- وكقوله ﷺ: (لا يبقين في رقبة بعير قلادة).

(لا يبقين): نفي.

(قـلادة): نكـرة، وقد تقرر في القواعد أن النكرة في سـياق النفي تعم، وقد يكون بعض هذه القلائد قد عقد فيها قرآن.

- وكقوله ﷺ: (من تعلّق شيئًا وُكل إليه) وهذا نكرة في سياق الشرط، وقد تقرر أنه يفيد العموم.

٥٨٨. كيف نفهم من الأدلة السابقة عمومها في حياتنا؟

الأقـوال السـابقة خرجت عامة من غير اسـتفصال بين تميمـة وأخرى، وقد تقـرر فـي القواعد أن: (ترك الاسـتفصال فـي مقام الاحتمال منـزّل منزلة العمـوم في المقال). فالواجب هو البقاء على دلالة عمومها وعدم التعرض لها بتخصيص.

٥٨٩. هل القول بالتحريم يدخل في باب الاحتياط؟

نعـم، فالقول بمنع التمائم من القرآن فيـه إعمال للقاعدة المتفق عليها، وهي قاعدة: (سدّ الذرائع المفضية إلى الحرام)

٥٩٠. ما القول مع من يجيزها؟

القول بجوازها فيه فتح لباب التمائم الشركية، فإن معلّقها قد يأتيه الشيطان ويقـول: (إن هذه لا تنفـع، وعليك بالتميمة الفلانيـة إن كنت تريد النفع)! فسدًا لهذا الباب منعت التمائم كلها من القرآن، ومن غير القرآن.

٥٩١. هل تعليق التمائم له تعلّق بالحب القلبي؟

نعـم، فإن معلّق التمائم المحتوية لشـيء مـن القرآن لابـد أن يتعلق قلبه بها

ولـو مطلق التعلق، وهذا مناف لمقصود من مقاصد الشـريعة، وهو وجوب انصـراف تعلق القلـب بكليته بالله تعالى فسـدًا لذريعة تعلـق القلب بهذه الخيوط والخرزات والودع والأوراق منعت التمائم بجميع أنواعها.

٥٩٢. لو قلنا بالجواز، فما حكم تعليق التمائم في كل وقت؟

هـذا فيه فتح لباب إهانـة كلام الله تعالى؛ لأن معلّقها قد يدخل بها الخلاء؛ وهو ناس، أو يشـق عليه نزعها دائمًا، أو يدخـل بها مجالس الغفلة واللهو واللغو والحرام، أو تكون على صغير، أو دابة فتتلوث بشيء من النجاسات من بولٍ أو غائط، فسدًا لذريعة إهانة كلام الله تمنع التمائم من القرآن.

٥٩٣. هـل قولـه ﷺ فـي الأحاديث السـابقة: (فقـد أشـرك)، وقولـه: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)، يُراد به الشرك الأكبر أم الشرك الأصغر؟

قـد يكون هذا أو هـذا، باختلاف اعتقاد معلّقها، فـإن كان يعتقد أنها تجلب الخير، أو تدفع الشـر بذاتها فهذا هو الشـرك الأكبر وهو شرك في الربوبية، وإن كان يعتقد أن الله هو الذي يجلب الخير ويدفع الشر، وأن هذه التمائم سبب من أسباب دفع البلاء، أو جلب النعماء فهذا شرك أصغر.

٥٩٤. ما تعليل الحكم السابق؟

تعليله يعود لسببين:

أحدهما: أنه اعتقد سببًا ما ليس بسبب؛ لا شرعًا ولا قدرًا.

الثاني: أنه وسيلة للشرك الأكبر، وكل وسائل الشرك الأكبر فشركٌ أصغر.

الفرع الثاني: ما يتعلق بالرُقى

٥٩٥. ما الرُقى؟

هي التي تسمى العزائم، وهي ما يتم قراءته على المصاب بمرضٍ ونحوه، من القرآن والأدعية المباحة، أو بطلاسم وتعوذات مجهولة.

٥٩٦. ما أنواعها؟

هي نوعان: رقى شرعية، ورقى شركية.

٥٩٧. متى تكون الرقية من الشرع؟

تكون شرعية إذا خلت عن الشرك، كالرقية بالقرآن والأدعية الصحيحة.

٥٩٨. هل ثبت الترخيص لها في الشرع؟

نعم، كما في قوله ﷺ: (لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا) رواه البخاري، وحديث: (لا رُقية إلا من عين أو حُمّة) رواه البخاري، وقد رقى جبريل النبيَ ﷺ بالحديث المعروف: (بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس ،أو عين حاسد، الله يشفيك بسم الله أرقيك) رواه مسلم،

٥٩٩. هل حث النبي ﷺ لهذا الأمر؟

نعم، قال ﷺ لأهل جارية بها صُفرة: (استرقوا لها، فإن بها النظرة). رواه البخاري

٦٠٠. ما شروط الرقية الشرعية؟

اشترط جمع كبير من العلماء للرقية الشرعية ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون بكلام الله تعالى، وما صح وأبيح من الأدعية الواردة في ذلك أو غيرها إذا كان معناه صحيحًا.

الثاني: أن تكون باللسان العربي.

الثالث: أن يعتقد القارئ والمقروء عليه أن هذه الرقية لا تشفي بذاتها وإنما هي سبب من أسباب الشفاء، والشافي في الحقيقة هو الله تعالى.

٦٠١. متى تكون الرقية من الشرك؟

تكون شركاً حينما تكون مشتملة على تمتمات وطلاسم غير معلومة المعنى، أو اشتملت على الاستعانة والاستعاذة بالشياطين ليرفعوا أثرهم عن المصاب.

٦٠٢. ما وجه الحكم بتحريمه؟

هذا النوع لاشك في تحريمه، وأنه من الشرك كما في الحديث السابق: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)، والمراد هنا الرقى الشركية، وفي الحديث: (اعرضوا عليّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا). رواه مسلم

٦٠٣. كيف يمكن أن تتواجد هذه الرقى في حياة بعض الناس؟

تكـون موضوعة في أمور كثيرة، مثل: حجاب، أو خاتم، أو أوراق يضعها الإنسان في ملابسه..وغير ذلك.

المطلب الثالث: ما يتعلق بالسحر

٦٠٤. ما تعريف السحر لغةً؟

السحر لغة: هو ما خَفِي ولطُف سببه.

٦٠٥. ما تعريف السحر اصطلاحاً؟

هو عزائم ورُقى وكلام يتكلم به، وأدوية وتدخينات وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيحرض ويقتل ويُفرق بين المرء وزوجه .

٦٠٦. ما حكم تعلّم السحر؟

هذا من المحرمات، ويصل إلى الكفر.

٦٠٧. ما سبب الحكم بالتكفير فيه؟

الساحر لا يمكن أبدًا أن تعينه الشياطين إلا بعد أن يتقرّب لها بما تحب؛ من ذبح دينه بالذبح لهم، أو إهانة للمصحف ورميه في المراحيض، أو وضعه مع النفايات، أو سبّ الله تعالى، أو سبّ رسوله ﷺ، ونحو ذلك.

٦٠٨. هل يتصوّر أن الشياطين تخدم الساحر حباً فيه؟

لا يتصور هذا! ولا يشك عاقل أنها ستخدمه لسواد عينيه، لكنها تخدمه بعد وقوعه في الشرك.

٦٠٩. ما دليل هذه المقولة؟

قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (البقرة: ١٠٢)، فبان بذلك أن تعلمه وتعليمه والعمل به سبيل للكفر.

ولهذا ليس من بعد هذا التعاون بينهما أي نصيب في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

٦١٠. كيف نفهم التحذير من الآيات السابقة التحريم من أمور السحر عموماً؟

الايـات السـابقة نجـد فيها كلمـة ﴿أَحَـدٍ﴾ وهي نكـرة في سـياق النفي، و ﴿خَـلَاقٍ﴾ هـو الحـظ والنصيب، وقد نُفـي النفي المطلق، فـدل ذلك على أنـه لا يبقّـى معه مطلـق الإيمان، ومن خـرج من مطلق الإسـلام فإنه يكون كافرًا، وهذا واضح، فنعلم بأن السـحر من أنواع الشـرك؛ إذ لا يأتي السحر للإنسان بدون الشرك.

٦١١. ما عقوبة الساحر؟

عقوبته القتل.

٦١٢. ما دليل هذا الحكم؟

عن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: (حدّ الساحر ضربة بالسيف). رواه الترمذي

٦١٣. هل تحققت هذه العقوبة عند الصحابة رضي الله عنهم؟

نعـم، ففي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أن اقتلوا كل سـاحر وسـاحرة)، قال: فقتلنا ثلاث سـواحر، وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت.

ولذلـك قال الإمام أحمد رحمـه الله تعالى: (عن ثلاثة من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اهـ. أي صح قتله عن هؤلاء الثلاثة ولا يعرف لهم مخالف، بل عليه عمل المسلمين إلى يومنا هذا.

٦١٤. ما الواجب علينا تجاه السحرة؟

الواجـب علينا ابتداء بذل النصيحة لهم، بتحذيرهـم من هذا المنكر العظيم وتخويفهم من مغبة ذلك في الدنيا والآخرة.

٦١٥. ماذا نفعل مع من لم ينتصح ويبتعد عن فساده منهم؟

من عُلّم منهم ولم يرتدع بالنصح فالواجب الأخذ على يديه؛ لأنه من أنصار الشـيطان الرجيم، مع رفع أمره إلى ولاة الأمر لاتخاذ الحكم المناسـب فيه، مع الحرص على إثبات ذلك عليه بالدلائل القطعية.

٦١٦. هل للسحر حقيقة؟

نعـم، له حقيقة، فمنه ما يفرّق بين المرء وزوجه وهو أكثرها وقوعًا، ومنه ما يسبب المرض، ومنه ما يصيب العقل بالجنون، ومنه ما يقتل.

٦١٧. ما أدلة هذا الحكم؟

دليله ما يأتي:

- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ فقد أمر النبي ﷺ بأن يستعيذ من شر النفاثات في العقد، وهن السواحر اللاتي ينفثن في العقد، والاستعاذة لا تكون إلا مما له حقيقة.
- وقال تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ فأثبتت هذه الآية أنه ما يتعلم ويعلم وهذا يدلّ على أن له حقيقة.
- وقال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ (البقرة:١٠٢) وهذا التفريق حقيقة، فهو أثر حسي مشاهد وهو بسبب السحر، فدلّ على أن له حقيقة، فهذا التفريق الحاصل بين الزوجين بسبب السحر إنما هو عمل الشياطين التي تطيع السحرة.

٦١٨. هل وقع السحر على النبي ﷺ؟

نعم، ففي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (سحر النبي ﷺ يهودي من بني زريق، يُقال له لبيد بن الأعصم...) رواه مسلم، وفيه أن النبي ﷺ قال لما حلّ عنه: (إن الله شفاني)، والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض، فدلّ على أن له حقيقة وأنه يوجب المرض بإذن الله تعالى.

٦١٩. هل الواقع يؤيّد ما سبق قوله؟

نعـم، فإننا لا زلنا نشاهد المسحور يمرض ويموت ويجـنّ، ويطلّق زوجته، وعند القراءة عليه يصرخ ويتصرف كالمجانين، ويزبد ويتقيأ، وغير ذلك من الأعراض التي سببها السحر، فكيف يُقال بعد ذلك لا حقيقة له؟!

٦٢٠. هل هناك من خالف في هذا الحكم؟

نعـم، وهـم فرقة المعتزلة، لأنهـم ينظرون للأمور حولهم مـن جهة العقل، فمـا وافق عقولهم تمسّـكوا به، وما لـم يوافق عقولهم حكمـوا عليه بالخطأ والبطلان.

٦٢١. هل لكلامهم ورأيهم اعتباراً؟

لا عبرة لكلامهم، ولا يغتر أي عاقل بكلامهم.

٦٢٢. هل هناك من ينكر وجود السحر وتأثيره في زمننا؟

نعم، الذين يُقال لهم العقلانيون! أي الذين يقدمون عقولهم القاصرة على النصوص الشرعية الصحيحة.

٦٢٣. ما حجة الذي ينفي وجود السحر؟

يعتقـدون أن السـحر إنما هو خيـالات وانفعالات لا حقيقـة لها، وحجتهم عقلية ترفض وجود السجر، مع وجوده في القرآن والسنة.

٦٢٤. كيف العصمة من شرور السحرة؟

الاعتصام من شرّهم يكون بأمور:

الأول: صدق اللجوء إلى الله تعالى، بالاستعاذة منهم والإكثار من ذلك.

الثاني: الحرص التام على الأذكار المشـروعة والأوراد النبوية في كل شئوننا في الصباح والمسـاء، وعند النوم، ولبس الثوب، وعند دخول الخلاء، وعند الدخول للبيت والخروج منه.

الثالث: قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة، وعند النوم، فإن من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

الرابع: الحرص على قيام الليل والوتر، فإنه حصن للمسلم سائر يومه.

الخامس: تعلّم حكمه، وتعليم من حولنا خطره وشيئًا من مسائله.

السادس: تحصين البيت بقراءة القرآن فيه، وخصوصًا سورة البقرة.

السـابع: وجوب إخراج الصور ذات الأرواح (الرسـومات- التماثيل) من البيوت حتى تدخلها الملائكة.

٦٢٥. لو تسبّب الساحر بتطليق بعضهم، هل يمكن رفع هذا للقاضي للحكم به؟

نعم هذا ممكن، وعلى القاضي أن يتثبت من ذلك حتى لا يوقع طلاق من لا يقع طلاقه شرعًا فيكون محققًا مقصود الشيطان.

٦٢٦. هل إذا تاب الساحر تُقبل توبته؟

وردت الأدلة المتواترة من الكتاب والسنة أن من وقع في ذنب وتاب منه تقبل توبته، أنه مغفور له، إذا كانت التوبة نصوحًا، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان:٧٠)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (الزمر:٥٣)، وقال ﷺ: (ويتوب الله على من تاب). متفق عليه

٦٢٧. هل يُتوقع أن السحر وهو من الكبائر العظيمة أن يغفر الله لفاعله؟

حينما نقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (الأنفال:٣٨)، وفي الحديث: (والتوبة تجب ما كان قبلها). رواه مسلم

فنقول: لا ينبغي أن ييأس الساحر من رحمة الله أو يقنط منها، فإذا ظهرت علامات التوبة النصوح منه فإنه يكفّ عنه، وأمره إلى الله تعالى.

٦٢٨. ما الحكم للقاضي أو الحاكم لو رأوا أمرا آخر؟

إذا رأى الحاكم أو نائبه أنه يُقتل لعدم ثبوت توبته عنده، أو وجود القرينة التي تكذب دعواه للتوبة فله ذلك، وله أجر في اجتهاده.

٦٢٩. ما الطرق التي يثبت بها جناية الساحر على النفس أو ما دونها؟

من تلك الطرق التي يحصل بها ذلك هي ما يأتي:

الأول: الإقرار، أي أن يأتي الساحر ويقرّ أنه هو الذي قتل فلانًا، أو أصاب فلانًا بهذه الجناية بالسحر، فإذا توفرت شروط الإقرار فإنه يُؤخذ به ويثبت شرعًا ما يثبت في مثل هذه الجناية.

الثاني: الشهادة، أي أن يشهد رجلان عدلان، قد توفرت فيهما شروط الشهادة أن فلانًا ساحر، وهذا قول الجمهور خلافًا لمذهب الشافعية.

٦٣٠. لماذا قول الجمهور هو المعمول به في هذا الجانب؟

للأدلة الواردة في إثبات أن الشهادة طريق من طرق إثبات الجناية، فقواعد الشريعة تقتضي العمل بالشهادة في الإثبات.

٦٣١. ما الواجب النظر فيه مع هذه الشهادة؟

لا بد أن تكون هذه الشهادة مفسّرة تصنف الحال بدقة، ولا تدع مجالاً للريبة والشك، وأن تكون ممن تعتد شهادتهم شرعًا.

٦٣٢. ما القول مع من اشتهر أمره بين الناس أنه ساحر، فهل يُؤخذ بها أم لا؟

التحقيق في هذا أنه لا يؤخذ بها فورًا، بل تجعل هذا سببا مهما لوضع علامات استفهام على هذا الرجل لينظر في حاله، وتتم مراقبته عن كثب ويتحقق منها، فإذا ثبت ذلك عليه تمت معاقبته، وإلا فليس كل ما انتشر بين الناس يكون صحيحًا.

٦٣٣. هل قوله ﷺ في حديث ابن عمر في الصحيحين: (إن من البيان لسحرًا) مدح أو ذم؟

فهم بعض العلماء أنه هذا خرج مخرج الذم، وفهم أخرون أن فيه المدح.

٦٣٤. ما تفصيل القول في هذا؟

قال الشيخ سليمان بن عبد الله في (شرح كتاب التوحيد): «قلت: والأول أصح، وأنه خرج مخرج الذم لبعض البيان لا كله، وهو الذي فيه تصويب الباطل وتحسينه حتى يتوهم السامع أنه حق، أو يكون فيه بلاغة زائدة عن الحد، أو قوة في الخصومة حتى يسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق ونحو ذلك، فسماه سحرًا؛ لأنه يستميل القلوب كالسحر، ولهذا لما جاءه رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ: « إن من البيان لسحرًا ». رواه البخاري

وأما جنس البيان فمحمود، بخلاف الشعر فجنسه مذموم إلا ما كان حكمًا، ولكن لا يحمد البيان إلا إذا لم يخرج إلى حد الإسهاب والإطناب، أو تصوير الباطل في صورة الحق، فإذا خرج إلى هذا الحد فمذموم، وعلى هذا

تدل الأحاديث، كقوله ﷺ: « إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها ». رواه الإمام أحمد.

٦٣٥. ما وجه إدخال النميمة في أنواع السحر؟

هـذا مـن دقيق فهم السـلف، فـإن مقصود السـاحر هو التفريق والإفسـاد، والنمّـام يفعل هـذا الفعل تمامًا، بـل وأعظم، فكم من بيـوت تفرق أفرادها بسـبب نميمـة، وكم من محبـة انقلبت عداوة بسـبب نميمة، وكـم من نفس قتلت بغير حق بسـبب نميمـة، وكم من قرب تحول بعدًا بسـبب نميمة، وكم من خلة انقلبت حقدًا وكرهًا بسـبب نميمة، وهذا هو شـأن السـاحر لكنه لا يكفر بذلك؛ لأنه لم يفعل كفرًا كالساحر ولكنه فعل كبيرة من الكبائر.

٦٣٦. ما الدليل على قبح النميمة على صاحبها، وعلى في المجتمع؟

قـال ﷺ: (لا يدخـل الجنة قتـات) رواه البخاري، وقـال ﷺ: (ألا أنبئكم ما العضه، هي النميمة القالة بين الناس). راه مسلم

٦٣٧. ماذا يطلق على كيفية حلّ السحر؟

حلّ السحر عن المسحور هي التي يسميها العلماء بالنُشَرة.

٦٣٨. ما الطرق التي يحلّ بها السحر؟

هي قسمان كما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

الأول: حلّ السحر بالقراءة الشرعية والأدعية الصحيحة.

الثاني: حله بسحر مثله.

٦٣٩. ما حكم استخدام الطريقة الأولى؟

هـذا هو المشـروع، بل لا يجوز حلـه إلا بذلك، ويدخل فـي ذلك ضمنًا أن يعرف مكان السحر فيحلّ أو يُحرق.

٦٤٠. ما الدليل على مشروعيته؟

دليله ما فعل بسحر النبي ﷺ، فإن جبريل عليه السلام قد رقاه بقوله: (باسم

الله أرقيك من كل داء يؤذيك، من كل شر أو عين حاسد الله يبريك، باسم الله أرقيك)، وقد رأى النبي ﷺ مكان سحره في منامه - ورؤيا الأنبياء حق - وأرسل من يأتي به فحلوه فقام كأنما نشط من عقال.

٦٤١. هل من الممكن الاستفادة من المنامات في كشف السحر؟

نعم، هذا ممكن، إذا تكررت الرؤيا على المسحور، أو غيره أن سحره في مكان ما فلا بأس بأن يستبرئه، أو أخبره الشيطان الذي يخدم السحر بمكان وتكرر منه ذلك فلا بأس من استبرائه، ما لم يكن في ذلك مفسدة خالصة أو راجحة.

٦٤٢. كيف يكون حلّ السحر بمثله؟

مثاله أن يذهب المطبوب إلى ساحر أو كاهن فيتقربان للشيطان بما يحب؛ من الذبح ونحوه ليبطل أثره عن المسحور.

٦٤٣. ما حكم استخدام هذه الطريقة؟

هذه هي النُشرة الشركية المحرّمة! ويدل عليها حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سُئل عن النشرة، فقال: (هي من عمل الشيطان) رواه أحمد وأبو داود.

وقال أبو داود: سُئل أحمد عنها فقال: (ابن مسعود يكره هذا كله) أي يكره النشرة التي من عمل الشيطان، ولا شك أنها كراهة تحريم، وقوله: (هي من عمل الشيطان) أي لأنهم ينشرون عن المسحور بأنواع من السحر والاستخدامات الشيطانية.

٦٤٤. ما المحاذير المترتبة على الطريقة الثانية لفك السحر؟

لازم هذه الطريقة الوقوع في عدة محاذير، منها:

- التقرّب للشيطان بما يحب من الشرك، وهذا في حدّ ذاته مفسدة خالصة.
- إعانة الساحر على عمله هذا من الاتصال بالشياطين وعبادته لهم وهذا مخالف المخالفة التامة للإنكار عليه.

- فتن الناس به للإقبال عليه واغترارهم بعمله.
- سد باب العلاج بالقرآن أو التهوين من شأنه.
- تعلق قلوب المرضى بهذه الطائفة الضالة الكافرة.
- اعتماد القلب على الشيطان ليوصل له النفع وهذا منافٍ للمتقرر شرعًا من وجوب عداوته ومنافرته.
- إحسان الظن بالساحر وشياطينه في إيصال الإحسان إلى المسحور وهذا كاف في منع هذه الطريقة.
- أنه قد لا يتحقق غالبًا الشفاء والخلاص التام من أثر السحر، فيكون قد وقعنا في المفسدة ولم نحصل مصلحة، وإن سلمنا أنه حصل الشفاء فإن مصلحة الشفاء شيء لا يذكر مع هذه المفاسد، والمتقرر شرعًا أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.
- فتح باب الشيطان على القلوب والعقول بإفسادها وتزيين الباطل لها.
- لزوم مخالفة النهي الصحيح الصريح الوارد في السنة من عدم إتيان الكهان ولو لمجرد السؤال فضلاً عن تصديقهم فيما يخبرون به من أمور الغيب من الأسماء والأماكن.
- تعريض الإنسان توحيده للإبطال والواجب المتقرر شرعًا صيانته وحماية جنابه وسد كل طريق يفضي إلى الشرك.
- أنها فتح لعمل الشيطان - نعوذ بالله منه -.

المطلب الرابع: ما يتعلق بالكهانة

٦٤٥. من الكاهن؟

هو الذي يُخبر عن المغيّبات في المستقبل اعتمادًا على الاستعانة بالشياطين.

٦٤٦. ما حكمه؟

هو مشرك بالله جل وعلا الشرك الأكبر.

٦٤٧. ما وجه الحكم عليه بالشرك؟

وجه الحكم فيه لاستخدامه الجن، ولا يمكن أن تخبره الجنّ بالمغيبات، إلا إذا تقرّب إليها بأنواع القربات والأفعال الغريبة.

٦٤٨. ما العلاقة بين أفعال الكاهن واستجابة الجن له؟

هذا من استمتاع الجن بالإنس الداخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ (الأنعام:١٢٨)، فالكاهن يستمتع بما تخبره به الشياطين من الأمور الغيبيّة، والشياطين تستمتع بما يتقرب لها من أنواع العبادات.

٦٤٩. هل كانت الكهانة موجودة في جزيرة العرب؟

نعم، كانت الكهانة منتشرة في بلاد العرب في الجزيرة وغيرها.

٦٥٠. ما حقيقة الكهانة ؟

حقيقة الكهانة: أنها صنعة مضادة لأصل التوحيد، لما فيها من تصديق الجن فيما تخبره به من الغيب.

٦٥١. ما وجه المخالفة لها للتوحيد؟

هي مضادة كل المضادة لقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (النمل:٦٥)، ولقوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ٢٦).

٦٥٢. وكيف تظهر المخالفة من الكاهن للتوحيد؟

الكاهن لابد لكي يتم خدمته بذكر الأمور المغيّبة له فعليه أن يتقرب إلى الجني ببعض العبادات؛ إما بالذبح، أو الاستغاثة، أو بالكفر بالله بسبّ المصحف أو إهانته ونحو ذلك، حتى ترضى عليهم الشياطين، فتخبره ببعض الأمور الغائبة.

٦٥٣. ما حكم الإتيان إليهم؟

الإتيان إليهم لا يخلو من أمور:

الأول: إمـا أن يكون لفضح حالهم والإنكار عليهم وبيان تناقضهم وللأخذ على أيديهم أو للتحقق من حالهم ومعرفة حقيقة أمرهم، فهذا مأمور به لأنه من جملة الإنكار، بل هو من الواجبات على من أعطاه الله نفوذاً وسلطانًا على الإنكار باليد أو اللسان، وهو من أعظم القربات.

والثانيـة: أن يأتيهـم يسـألهم لمجرد الاطلاع علـى صنعتهم ولا ينوي شـيئًا مما ذكرنـاه فـي الحالة الأولـى، ولا يصاحب ذلك الاطلاع والسـؤال تصديـق فيما يخبـرون به من الغيـب، فهذا الإتيان محـرم ومن كبائر الذنـوب، وهـو سـيلة مـن وسـائل الوقـوع فـي حبائلهـم والاغترار بحالهـم، ولما فيه مـن فتح الذهاب إليهم واغتـرار الجهال بما هم عليه من الكفر والشرك.

والثالثـة: أن يأتيهـم فيسـألهم عن شـيء فيصدّقهـم فيما يقولـون، فهذا قد ارتكب جرمًا أشد من الذي قبله في الحالة الثانية، وله عقوبة شديدة.

٦٥٤. ما أصناف الكهانة؟

أصناف الكهانة كثيرة، منها:

- ما يكون بالنظر في النجوم، وفي الأبراج، كبرج الأسد والحمل.
- ما يكـون بالخـط، أو عن طريق حروف (أباجاد) كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوم يكتبون (أباجاد)، فقال: (ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق).
- عن طريق الفنجان.
- عن طريق الطرق.
- عن طريق الوَدَع.
- عن طريق قراءة الكف.
- عن طريق ضرب الرمل، أو عن طريق الحصى.
- عن طريق قراءة ما في الضمير.
- عن طريق صبّ الرصاص المذاب.

٦٥٥. كيف يُعرف الكاهن؟

يمكن معرفة الكاهن بأمور كثيرة، منها:

- أنه غالبًا يسأل عن اسم الأم، أو أحد الأقرباء.
- غالبًا ما يطلب بعض آثار المريض من ثياب أو ملابس داخلية كسراويل ونحوها.
- ادعائه التطبّب بالقرآن، وهو لا يصلي ولا يُرى في المساجد.
- أنه غالبًا ما يأمر المريض بذبح شيء من الأنعام، أو غيرها مما يُؤكل من الحيوانات بشروط يمليها على المريض.
- أنه يخبر المريض عن أشياء لم يخبره بها المريض، ولا يعرف شيئًا عن حاله سابقًا، أو يخبر المريض عن أشياء خاصة جدًا لا يطلع عليها إلا خواص الإنسان.
- أن يُسمَع منه تمتمات وعبارات لا يفقه معناها.
- أن بعضهم لا يعالج إلا في غرفة مظلمة.
- إعطاء المريض بعض الأوراق التي فيها كتابات لا تقرأ، وعبارات هي كالألغاز التي لا تفهم، أو فيها بعض الأسماء الغريبة، وغالبًا ما يكون اسم الشيطان الذي يستعين به.
- أمره للمريض بعدم قراءة القرآن عند المجيء إليه، وذلك حتى لا يفر الشيطان الذي يستعين به، بل وبعضهم ينهى المريض عن الصلاة في يوم العلاج، وبعضهم ينهاه عن التسمية عند إرادة الدخول عليه.
- تردّده الكثير على الأماكن المهجورة؛ وذلك لأنها غالبًا تكثر فيها الشياطين، أو ليضع فيها عقده وأوراقه لأنها مكان لا يأتيه أحد .
- صرف بعض الأعشاب والتدخينات العجيبة لتدخين البيت والغرف بها في أوقاتٍ معينة بطريقة خاصة يخبره الكاهن بها.
- عدم حرصه على شعائر الإسلام الظاهرة، مع تلبسه ببعض المنكرات والمعاصي، وهو يدعي أنه يعالج بالقرآن.

وغير ذلك من العلامات.

٦٥٦. ما عقوبة من يصدّق أمور الكهان؟

الأمر فيه اختلاف بالعقوبة:

- مجرد الحضور عندهم والسؤال: فعن بعض أزواج النبي ﷺ أنه قال: (من أتى عرافًا فسأله عن شيءٍ فصدّقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا). رواه مسلم

- السؤال والتصديق لكلامه: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ). رواه أبو داود

٦٥٧. ما معنى قوله (لم تُقبل له الصلاة أربعين يومًا)؟

المقصود من ذلك ذهاب الأجر، لكنه يجب عليه أداؤها ويسقط عنه الفرض بذلك، لكن لا أجر له فيها عقوبة ونكالاً له على جريمته وتعديه لحدود الله تعالى، وفيه دليل أيضًا على أن مصدقهم لا يكفر الكفر الأكبر لإلزامه بفعل الصلاة وإنما الذاهب عليه أجرها، ولو كان كافرًا الكفر الأكبر لما قبلت منه مطلق القبول.

٦٥٨. ماذا يستفاد من التحديد بالأيام؟

قوله: (أربعين يومًا) فيه دليل على أن هذه العقوبة مؤقتة بوقت، ثم يزول أثرها بانتهاء وقتها، مما يدل أيضًا على أن المراد بالكفر الأصغر لا الأكبر.

٦٥٩. هل من أخلاقيات المسلم أن يتعلق بما عند الكهنة؟

لا، فعن عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: (ليس منا من تَطيّر أو تُطير له، أو تَكهن أو تُكهن له أو سَحر أو سُحر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ). رواه الطبراني

٦٦٠. ما أقوال العلماء في هذا الكفر، هل هو الأكبر أو الأصغر؟

الأقرب - إن شاء الله تعالى - أنه الكفر الأصغر، أي ليس هو الكفر الناقل عن الملة، بل هو الكفر المنافي لكمال التوحيد الواجب.

٦٦١. ما توضيح الحكم السابق؟

في الحديث الذي رواه مسلم وفيه: (لم تُقبل لـه صلاة أربعين يومًا)، فهذا التقييـد نفهم منه أن الكفر هنا هو الكفر الأصغر؛ لأنه لو كان يراد به الأكبر لما تم حدّه بأربعين يومًا؛ لأن الكفر الأكبر لا يقبل معه صلاة مطلقًا؛ لأن من شـرط القبول الإسـلام، ولأنه يجب الجمع بين الأحاديـث ما أمكن؛ ولأن تصديق الكاهن فيه نوع شبهة تمنع من تكفير مصدقه الكفر الأكبر.

٦٦٢. ما حكم التعامل في هذه الأمور؟

كل تلـك الطرق مبنية على الدجل والخرافة والتغرير، فإن هذه الأشـياء إنما يتخذهـا الكهان للتدجيل وتغرير من يأتيهم بأنهم على حق، وإلا فالأخبار التي يخبرون بها هي عن طريق شيطاينهم.

٦٦٣. ما الجامع لما سبق بيانه؟

الجامـع في الكهانة أنهـا التدّخل في ادعاء علم الغيب عـن طريق ما يتلقفه الكاهن من أفواه الشياطين، مع اتخاذه بعض الوسائل الظاهرة للخداع.

المطلب الخامس: التعلق بالأنواء

٦٦٤. ما المقصود بالنوء؟

المراد بها النجوم، يقال للنجم: نوء.

٦٦٥. ما المراد من العنوان؟

المـراد بـه بيان حكـم تعلّق بعـض النـاس بالنجوم لمعرفـة تأثيرهـا في حياة الإنسان مستقبلا.

٦٦٦. ما أقسام نسبة السُقيا إلى الأنواء؟

ذكر أهل العلم أن نسبة السُقيا إلى أي نوء لا تخلو من ثلاثة أقسام:

الأول: أن ينسبها إليها نسبة إيجادٍ وإحداث.

الثاني: أن ينسبها إليها نسبة سبب فقط.

الثالثة: نسـبة المطر إلى النجم والمواسـم نسـبة توقيت فقط (ظرفية)، لا نسبة إيجاد ولا سبب.

القسم الأول: نسبة إيجاد وإحداث

٦٦٧. كيف يتحقق هذا الأمر؟

الاعتقاد بأن النوء (النجم) المحدّد هو الذي أحدث وأوجد هذه السُقيا، ونعني بالسقيا: المطر الذي ينزل.

٦٦٨. ما حكم هذه النسبة؟

هذه النسبة شرك أكبر مخرجة عن الدين.

٦٦٩. ما تعليل هذا الحكم؟

هو شرك في الربوبية، لأن من يعتقد هذا قد زعم أن ثمة مصرّفًا لشيء في الكون استقلالاً.

٦٧٠. هل هذا مشابه لاعتقاد من أمم سابقة؟

نعم، هذا في الحقيقة شرك الصابئة، فإنهم يعبدون هذه النجوم وينسبون الحوادث إليها، ويبنون لها الهياكل في الأرض ويسمونها بأسمائها، كما هو شرك قوم إبراهيم ﷺ.

القسم الثاني: نسبة سبب فقط

٦٧١. ما توضيح أن ينسبها إلى الأنواء نسبة سبب فقط؟

بمعنى أنه يقول: إن الله هو الخالق للسقيا، لكن من أسباب السقيا طلوع هذا النوء، فيقول: مطرنا بنوء كذا وكذا، أي بسببه.

٦٧٢. ما حكم هذا القسم؟

هذا شرك، لكنه من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد الواجب.

٦٧٣. ما علّة هذا الحكم؟

ذلك لأنه اعتقد سببًا ما ليس بسبب شرعًا ولا قدرًا، ولأنه وسيلة للشرك الأكبر المذكور في الحالة الأولى.

٦٧٤. ما الدليل على مثل الحكم؟

- جعل الله تعالى هذه النسبة كذبًا وزورًا من القول، فقال: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾، وذلك لأنهم ينسبون هذه النعمة إلى النوء الفلاني والنجم الفلاني.
- عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما سلّم أقبل علينا بوجهه فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم)؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) . رواه البخاري
- في الصحيح أيضًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معناه، وفيه: قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ وقوله في حديث زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كافر بي) يراد به الكفر الأكبر إذا كانت النسبة نسبة إحداث وإيجاد، ويُراد به الكفر الأصغر إذا كانت النسبة نسبة سبب فقط.

٦٧٥. ما وجه التنفير والتحذير لها من النبي ﷺ؟

جعلها النبي ﷺ من أمر الجاهلية، وهذا ذمٌ لها وتنفير عن فعلها، فقال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)، ولأنها منافية للأدب مع الله إذ الواجب نسبة النعم كلها إلى الله تعالى إيجادًا وخلقًا.

القسم الثالثة : نسبة توقيت فقط

٦٧٦. ما المقصود بنسبة المطر إلى النجم والمواسم نسبة توقيت؟

أي نسبة ظرفية فقط، لا نسبة إيجاد ولا سبب، وهذا مثل من يقول: «إذا حلّ الوسمي، أو ظهر النجم الفلاني فهذا زمان المطر أو وقته»، لكن من غير ربط زائد على مجرد التوقيت.

٦٧٧. ما حكم مثل هذه الأقوال؟

هذا القول جائز ومشروع، وبعيد كل البُعد لنسبة أهل الشرك والضلال.

المطلب السادس: ما يتعلق بالتطيّر

٦٧٨. ما تعريف التطيّر لغة؟

هو مصدر تطيّر يتطير تطيرًا، مأخوذ من الطائر.

٦٧٩. ماتعريف التطيّر شرعا؟

هو التشاؤم بالمكروه من مسموع، أو مرئي، أو معلوم، أو زمان، أو مكان، وأصله معرفة الخير والشر بدلالة الطير، وهو التشاؤم بالطير.

٦٨٠. ما الأمثلة الدالة على أمر التطيّر؟

مثاله: التطير بالمسموع: أن يقصد الإنسان سفرًا فيسمع أحدًا يقول: يا خاسر! فيثنيه ذلك القول عن سفره اعتقادًا منه أنه علامة على أن سفره هذا سيكون خاسرًا، أو فيه شيء من العقبات والصعاب.

ومثاله: التطيّر بالمرئي: أن يريد الإنسان الزواج من بيت ما، فيرى البومة على هذا البيت فيتشاءم من أهله، ويصده ذلك المرئي عن قصده الذي أراده، أو يرى البومة مثلاً على بيت من البيوت، فينعقد في قلبه أنه سيصيب أهل ذلك البيت شيءٌ من المكروه من موتٍ أو مصيبة.

ومثاله: التطيّر بالزمان: أن يصيبه مثلاً في يوم أو شهر معين من السنة مصيبة من حادث أو خسارة تجارة فيصير كلما جاء ذلك اليوم أو الشهر يعطل معاشه ولا يذهب إلى دكانه، اعتقادًا منه أنه لو فعل لأصابه كما أصابه فيما مضى، ومن ذلك تطير أهل الجاهلية بشهر صفر، ومنها تشاؤم بعض الدول بيوم احتلالهم فترى أحوالهم الاجتماعية تتغير في ذلك اليوم ونحو ذلك.

ومثاله: التطير بالمكان: أن يصيب الإنسان حادث في شارع مثلاً وتراه كلما جاء قريبًا منه أبعد عنه تشاؤمًا من هذا المكان.

٦٨١. ما حكم التطيّر؟

التطير حرام وشرك.

٦٨٢. ما دليل هذا الحكم الشرعي؟

دليله في الشرع:

- قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، (الأعراف: ١٣١)
- وقال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾. (يس: ١٩)

٦٨٣. ماذا ورد في السنة من توجيه حول هذا المعتقد؟

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر) متفق عليه، وفي رواية: (ولا نوء ولا غول). رواه مسلم
- وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل). قالوا: وما الفأل؟ قال: (الكلمة الطيبة). متفق عليه
- وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: (الطيرة شركٌ، الطيرة شرك). قال ابن مسعود: (وما منّا إلا وتطير، ولكن الله يذهبه بالتوكل). رواه أبو داود

٦٨٤. ما الحكم المستفاد من هذه الأدلة المباركة؟

هذه الأدلة تفيد إفادة قوية نفي تأثير التطير النفي المطلق؛ لأن قوله: (ولا طيرة) نكرة في سياق النفي فيعم جميع أنواع التطير، وثبت أيضًا أن التطير كله شرك؛ وذلك لأن قوله: (الطيرة شرك) مفرد دخلت الألف واللام المفيدة للاستغراق فيدخل فيها كل ما يسمى تطيرًا على أي شكل وشيء كان.

٦٨٥. هل التطيّر من قبيل الشرك الأصغر أم الأكبر؟

التطير قد يكون شركًا أكبر، وقد يكون شركًا أصغر.

٦٨٦. ما توضيح القول السابق؟

بيان ذلك أن يُقال: أن التطيّر قسمان:

الأول: أن يعتقد المتطير أن ما تطير به هو الذي يجلب الخير أو يدفع الشر بذاته استقلالاً، فهذا يوصل صاحبه إلى الشرك الأكبر، وهو شرك في الربوبية، لأنه اعتقد خالقًا ومقدّرًا مع الله تعالى، وهو أيضًا شرك في الألوهية لأنه تعلق قلبه خوفًا ورجاءً بغير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله.

الثاني: أن يعتقد المتطير أن الله تعالى هو الذي يجلب الخير ويدفع الشر، وأن هذه الأشياء التي تطير بها إنما هي أسباب للخير والشر فقط، فهذا هو الشرك الأصغر؛ وذلك لأنه اعتقد سببًا ما ليس بسبب شرعًا ولا قدرًا، بل قد ورد الشرع بنفي كونه سببًا، ولأنه وسيلة للشرك الأكبر، ولكن هذا فيما إذا استرسل معه، وصده ذلك أو أمضاه.

٦٨٧. ما الحكم من وقع في قلبه، ثم بذل الجهد بدفعه عن قلبه؟

من بذل جهده للمدافعة بالطرق الشرعية وأزاله من قلبه، واستعان بالله تعالى ولم يفكر فيه فهذا لا شيء عليه، بل هو مأجور بهذه المجاهدة.

٦٨٨. هل هناك محاسبة على تلك الوساوس؟

لا، إذ من فضل الله علينا أنها من جملة حديث النفس المعفو عنه، كما في قوله ﷺ: (إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها، ما لم تعمل به، أو تتكلم). متفق عليه

٦٨٩. ما مصدر هذه الوساوس؟

مصدرها من إلقاء الشيطان ووسوسته.

٦٩٠. ما الطرق الشرعية لمدافعة مثل هذه الواردات، ومحو أثرها من القلب؟

الطرق كثيرة ومتنوعة ولله الحمد والمنة، وأذكر لك أهمها:

الأول: طلب العلم الشرعي المؤصل على الكتاب والسنة، على فهم سلف الأمة في أمور الاعتقاد، وهذا أعظم سلاح وأقوى ما يدافع به مثل هذه الواردات.

الثاني: الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه ريب بوجه من الوجوه أنه لا يجلب الخير ولا يدفع الشر إلا الله تعالى، وأن هذه الأشياء مخلوقات ضعيفة لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا، فكيف تملكه لغيرها؟ .

الثالث: أن تؤمن بقدر الله تعالى، وأن ما أصابك من الضر أو فاتك من الخير إنما هو بقدر الله، فما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فلا تحمل المسؤولية طيرًا ولا زمانًا ولا مكانًا لأنه أمر قد فُرغ منه.

الرابع: حثّ النفس وحملها على إحسان الظن بالله تعالى، فإن التطير نوع من إساءة الظن بالله تعالى، ومما يذهبه إحسان الظن به جل وعلا، وأن ما أصابك من الضر أو فاتك من الخير إنما هو شيء قد اختاره الله لك، وخيرة الله لك خير من خيرتك لنفسك.

الخامس: مدافعة ذلك بالتوكل على الله تعالى وحسن الاعتماد عليه، فإنه وحده جل وعلا معاذ الخائفين وملاذ الراغبين، لا ملجأ لهم غيره ولا رب لهم سواه، فتوكل عليه وعلق قلبك به.

السادس: عقد العزم والمضي قدمًا والالتهاء عن هذا الوارد وقطع التفكير فيه والاشتغال عنه بما هو أنفع.

٦٩١. هل هناك أذكار معينة لدفع خواطر التطيّر عن النفس؟

نعم، فمن ذلك:

- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.
- ما رواه عقبة بن عامر قال: «ذكرت الطيّرة عند رسول الله ﷺ، فقال: (أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك). رواه أبو داود
- عن ابن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك). قالوا: وما كفارة ذلك؟ قال: (أن يقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك). رواه أحمد

٦٩٢. كيـف الجمع بين قولـه ﷺ: (لا عدوى) وبين قوله: (فـرّ من المجذوم فرارك من الأسد) رواه أحمد، **وقوله في الطاعون: (إذا سمعتم به (أي العدوى) في أرض فلا تقدموا عليه)** متفق عليه؟

الجمع بينهما أن يقال: إن العدوى لنا فيها نظران:

الأول: نظرٌ من ناحية انتقالها ابتداءً، أي انتقالها بنفسـها وهو الاعتقاد الذي كان عليـه أهل الجاهليـة، فجاء قوله: (لا عدوى) لنفـي هذا الاعتقاد الفاسد، فأثبت أن العدوى لا تصرّف لها بذاتها أي لا تنتقل بنفسها.

والثانـي: نظرٌ من ناحية سـرايتها من المريض إلى الصحيـح بقدر الله تعالى، وهذا هو الذي أثبته الأحاديث الواردة في السؤال.

٦٩٣. ما توضيح هذا؟

يمكـن القول: العدوى ابتـداءً منفية، والعدوى انتقالاً بقدر الله تعالى مثبتة، والعـدوى التـي نفاها الدليل ليسـت هي العـدوى التي أثبتهـا الدليل حتى يكون هناك تناقض.

٦٩٤. هل أوضح هذا الأمر النبي ﷺ للصحابة؟

نعم، فإن بعض الصحابة لما سـمع قـول ﷺ: (لا عدوى) – قال: فإن النقبة تقع بمشـفر البعيـر فتجرب لذلك الإبل. فقال ﷺ: (فمـن أعدى الأول؟)، فالصحابـي هنـا ظن أن العـدوى المنفيـة هي العـدوى الانتقالية بقـدر الله تعالى، فبين له النبي ﷺ أنه لا يريد ذلك وإنما يريد العدوى ابتداءً.

٦٩٥. ما خلاصة ما تم بيانه؟

خلاصته أن وقوع المرض ابتداءً إنما هو بقدر الله تعالى، وكذا سراية العدوى مـن المعلول إلـى الصحيح أيضًا هي بقـدره تعالى، فالـكل حاصل بقضائه وقدره ولا يخرج شـيء عن كونه مقدرًا، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر، ومن ذلك اتقاء أسـباب العدوى، فإذا أصيب بشيء من ذلك فليعلم أنه إنما انتقلت إليه بقدر الله تعالى، لا أنها انتقلت بذاتها.

المطلب السابع: ما يتعلق بالتنجيم

٦٩٦. عرّف التنجيم؟

التنجيم: هو الاستدلال والنظر بالنجوم والأحوال الفلكية.

٦٩٧. ما أنواع التعلق بالنجوم كما بينها العلماء؟

ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى أنه ثلاثة أنواع.

الأول: أنها مؤثّرة بنفسها.

الثاني: لمعرفة الغيب منها.

الثالث: للاستفادة منها فلكيا.

النوع الأول: مؤثّرة بنفسها

٦٩٨. كيف كان هذا الاعتقاد عند الامم السابقة؟

كانوا يعتقدون في النجوم أنها فاعلة مؤثرة بنفسها، وأن الحوادث الأرضية منفعلة ناتجة عن إرادات النجوم.

٦٩٩. ما نتيجة هذا الاعتقاد؟

نتيجته الاعتقاد بأن فيه تأليها للنجوم، وهو الذي كان يصنعه الصابئة، فقد كانوا يجعلون لكل نجم وكوكب صورة وتمثالاً، ويسمّونها بأسمائها، فتحلّ فيها الشياطين وتأمرهم بعبادة هذه الأصنام.

٧٠٠. ما حكم هذه الاعتقادات؟

هذا بالإجماع كفر أكبر وشرك أكبر، ومن ذلك شرك قوم إبراهيم ﷺ.

النوع الثاني: لمعرفة الغيب منها.

٧٠١. ما الاسم الاصطلاحي الذي يطلقه العلماء على هذا النوع من العلم؟

هو الذي يسميه العلماء: بعلم التأثير.

٧٠٢. كيف يفعلون مثل هذا الأمر؟

يدّعـون أنهـم يعرفون ما سـيأتي في المسـتقبل بحركة النجوم مـن إلتقائها والتفافها وطلوعها وغروبها، وهؤلاء هم المنجمون وهو نوع من الكهانة.

٧٠٣. ما حكم الاستدلال بحركة النجوم على معرفة المغيبات في المستقبل؟

هذا محرّم بالإجماع، ويوصل صاحبه إلى الشرك الأكبر.

٧٠٤. ما سبب الحكم بتحريمه؟

سـببه لما فيه من ادعاء مشـاركة الله تعالى في علم الغيب، ولأن فيه استعانة بالشـياطين؛ لأن الذي يأتيهم بالأخبار إنما هي الشـياطين فإنها توحي بهذه الأخبار إليهم.

٧٠٥. هل له من شبيه في واقعنا المعاصر؟

نعـم، ومن ذلك ما يمليـه الكهان في بعض المجلات فـي الأبراج المعروفة، فيقولـون: صاحـب برج العقرب سـيأتيه كذا وكذا، وصاحب برج الأسـد سيكون له كذا وكذا، ونحو ذلك، وكل ذلك شرك وكفر.

النوع الثالث: للإستفادة منها فلكيا

٧٠٦. ماذا يطلق عليه العلماء من اسم؟

فهذا هو الذي يسميه العلماء: بعلم التسيير، أو علم الفلك.

٧٠٧. ما حكم تعلّم منازل النجوم وحركاتها لمعرفة القبلة والأوقات؟

هذا من الأمور المشروعة.

٧٠٨. ما سبب هذه المشروعية؟

لسـببها ما فيها من الاسـتدلال بها علـى الجهات في ظلمـات البر والبحر، ولمعرفة أوقات الزراعة مثلاً، والاسـتدلال بذلك على وقت هبوب الرياح، وعلى الوقت الذي جرت سنة الله تعالى أن ينزل فيه المطر، ونحو ذلك.

٧٠٩. ما علة ترخيص العلماء في تعلّم منازل النجوم وحركتها الفلكية؟

رخّص في هذا بعض العلماء، لأن مبنى ذلك العلم هو جعل حركة النجوم علامة على الوقت فقط، لا أنها مؤثرة بذاتها أو أنها سبب للتأثير.

٧١٠. ما الأدلة الشرعية المؤيدة للحكم السابق؟

من الأدلة عموم قوله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾. (النحل: ١٦)

وقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾.(يونس:٥)

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الأنعام: ٩٧)، والاهتداء بها من لوازمه معرفة منازلها وحركاتها.

٧١١. لماذا خلق الله هذه النجوم؟

خلق الله هذه النجوم لثلاث:

الأول: زينة للسماء، قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾. (الصافات:٦)

الثاني: رجومًا للشياطين، قال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾. (الحجر: ١٨)

الثالث: علامات يُهتدى بها، قال تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾. (النحل:١٦)

وقال البخاري في صحيحه: «قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به».

المطلب الثامن: التطاول على الدهر

٧١٢. ما المقصود من العنوان؟

المقصود بيان أن هناك من المسلمين من يتطاول بقبيح الوصف على الدهر، وهو الزمن؛ مثل الأيام أو السنة وما شابه.

٧١٣. ما حكم سبّ الدهر؟

هـذا محـرّم، وفاعلـه مسـتحق للعقوبـة البليغة التـي تردعه عـن مثل هذه الأقوال.

٧١٤. ما دليل هذا الحكم الشرعي؟

عـن أبـي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عـن النبي ﷺ قال: (قـال الله تعالى: يؤذينـي ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار). رواه البخاري

وفي رواية: (لا تسبُوا الدهر، فإن الله هو الدهر). رواه مسلم

٧١٥. ما وجه التحريم لها؟

يعود التحريم إلى ثلاثة أسباب:

- لأن سابه يعود على الله بالإيذاء، لأنه هو مصرّف الدهر ومجري الليالي والأيام، ومقدر ما فيها من الحوادث، وسب المخلوق سبٌ لخالقه.
- أن سـب الدهر سبٌ لما لا يستحق السب؛ لأن الدهر خلقٌ مسخر لا يملك نفعًا ولا ضرًا، ومن سب من لا يستحق السب عاد سبّه إليه.
- أن سـبه متضمن للشرك؛ فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، أو أنه المحدث لهذا الضر والنفع، ولأنه مناف للاعتقاد الصحيح وهو أن الزمن يُفْعَلُ فيه لا أنه هو الفاعل بذاته ولا أنه سـب لما يقع فيه من الحوادث، فسـبه محض اعتداءٍ وتسلط وقلة أدبٍ وجرأة على مقام الربوبية.

٧١٦. ما أمثلة التطاول على الدهر في كلام الناس؟

من أمثلة هذا:

- قول بعضهم: هذا زمان كالح، أو زمان أسود.
- قول بعضهم إذا أصابه مكروه: ليه يا زمن!
- أو توجيه اللعنة للزمان والأيام، أو الساعة التي وقعت له فيها مصيبة.
- مقولة بعض المؤرخين: التاريخ لم يكن عادلا.
- مقولة بعض الأدباء القصصين: سخرية القدر.

٧١٧. ما حكم ما سبق؟

وكل هذا حرام، ففيه تطاول على الله سبحانه.

٧١٨. هل ذكر القرآن مثل ما يتعلق بهذه الأمور؟

نعم، ومنه قول الله في بيان كلام الدهرية: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾(الجاثية: ٢٤) فهم نسبوا الأمر للدهر، خيرا كان أو شرا.

٧١٩. هل يمكن أن يصل الأمر إلى الشرك الأكبر؟

نعم، وذلك إذا قام في قلبه اعتقاد أن الدهر هو الفاعل لهذا الشيء بذاته استقلالاً.

٧٢٠. متى يكون من الشرك الأصغر؟

إذا اعتقد أن الدهر سبب في هذه الحوادث، وإذا لم يعتقد ذلك فهو محرم فقط وكبيرة من كبائر الذنوب، وعلى كل حالٍ فالواجب على المسلم كف لسانه وحفظه عن مثل هذه الأقوال التي لا خيرٍ فيها، بل هي مما يفتح عمل الشيطان.

المطلب التاسع: اقتران الدعاء بالمشيئة

٧٢١. ما المقصود من العنوان؟

المقصود به، حكم الدعاء والزيادة فيه بقول: إن شاء الله.

٧٢٢. ما حكم قرن الدعاء بالمشيئة؟

لا يجوز أن يقرن الدعاء بالمشيئة.

٧٢٣. ما مثال هذا؟

مثل أن يقول: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت.

٧٢٤. ما الدليل على المنع من السنة النبوية؟

قال الرسول ﷺ: (لا يقولُ أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت! ليعزم المسألة، فإن الله لا مُكرِه له). رواه البخاري

٧٢٥. كيف نفهم النهي من الحديث السابق؟

الحديث فيه النهي الذي يفيد التحريم، والمنع من تعليق الدعاء بالمشيئة.

٧٢٦. ما الدليل على المنع من العقل؟

أما العقل، فلأن تعليقه بالمشيئة منافٍ لإعظام الرغبة والجدّ والعزم في المسألة؛ لأن فيه نوع استغناء عن المدعوِّ والمدعو به، ولأنه موهم بعجز الله وفقره فكأنه يقول: (ولا ألحّ عليك بذلك، بل إذا شئت فافعل)

٧٢٧. هل فيه إساءة أدب مع الله تعالى؟

نعم، هذا فيه سوء أدب مع الله تعالى؛ لأن الله تعالى لا يُكرهه أحد على إجابة سؤالك ما لم يكن هناك شدة إلحاح وإعظام رغبة.

٧٢٨. كيف يتحقق حسن الأدب في الدعاء؟

من حسن الأدب مع الله تعالى ألا يعلق الدعاء بالمشيئة لسعة فضله جل وعلا، ولكبير إحسانه وجوده وكرمه، ولأنه تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه فلا تنقص خزائنه جل وعلا بالعطاء ولو اجتمع الأولون والآخرون على مختلف أصنافهم وجاء بكل أدعيتهم فإنه لا ينقص ذلك من خزائنه شيئًا، فلم التعليق حينئذٍ؟

٧٢٩. كيف الجواب عن قوله ﷺ: (طهور إن شاء الله) رواه البخاري، عند الدعاء للمريض؟

هذا ليس من باب الدعاء، وإنما من باب الخبر، أي كأن الداعي يُخبر أن هذا المرض سيكون لك كفارة وطهور لاحقا، والأخبار المستقبلية أو الغيبية لابد من تعليقها بالمشيئة، والمنهي عنه هو تعليق الدعاء بالمشيئة.

المطلب العاشر: حكم الاقتران في المشيئة

٧٣٠. ما المثال الدال على العنوان؟

مثاله قول المسلم: ما شاء الله وشئت.

٧٣١. ما حكم المقولة السابقة؟

هذا لا يجوز، وهو نوع من أنواع شرك الألفاظ، وهو شرك أصغر.

٧٣٢. ما دليل الحكم السابق؟

دليل ذلك:

- حديث قتيلة: (أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت) رواه النسائي.
- وله أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال: (أجعلتني لله ندًا، قل ما شاء الله وحده). رواه النسائي

٧٣٣. ما علة النهي في الحكم السابق؟

العلّة لأن فيه عطف مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق جل وعلا بحرف الواو المقتضي للتشريك والمساواة بين المعطوف والمعطوف عليه،

٧٣٤. ما المشروع قوله؟

المشروع في ذلك

- أن يقول العبد: ما شاء الله وحده.
- وإن قال: (ما شاء الله، ثم شئت)، فلا بأس فيه.

فهذان اللفظان لا محظور فيهما.

المطلب الحادي عشر: الظن السوء بالله تعالى

٧٣٥. ما المراد بظن السوء في قوله تعالى: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ (الفتح:٦)؟

ذكر أهل العلم أن ظن السوء المراد في الآية يتوجه لعدة أمور:

الأول: الظن بأن الله تعالى أنه مسلمٌ رسوله وعباده المؤمنين إلى عدوهم، وأن إدالة يد الكفر عليهم ستكون مستمرة دائمة، وأن الدين سيضمحل، وأن الله تعالى لا ينصر رسوله، ولا ينصر كتابه ولا ينصر عباده المؤمنين، وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ .(الفتح:١٢)

الثاني: ظن أن أفعال الله تعالى وأقداره خالية عن الحكمة والمصلحة، وأنه يفعل لا لحكمة ولا لغاية محمودة، وهذا من سوء الظن به جل وعلا، وهو ظن منافٍ لكمال حكمته وعلمه وخبرته جل وعلا.

الثالث: ظن أن ما يقع في الكون من الحوادث أنه خارج عن قدر الله تعالى، أي إنكار القدر السابق، كما هو قول الذين ينكرون تقدير الله تعالى لما كان وسيكون، أو ينكرون خلقه لأفعال العباد.

٧٣٦. هل هذه التفاسير من قبيل تفسير التضاد أو التنوع؟

نعم، كلها صحيحة لأنه من قبيل خلاف التنوع.

- فُسر بإنكار بالقدر.
- وفُسر بإنكار الحكمة.
- وفسر بأن الله تعالى لن ينصر رسوله ﷺ، وأن أمره سيضمحل ويبيد.

٧٣٧. ما حكم هذا الظن؟

كل ذلك محرم ولاشك في تحريمه، وكله منافٍ لكمال التوحيد الواجب، وبعضه منافٍ لأصل التوحيد.

٧٣٨. ما الضابط في معرفة الظنّ السيء؟

الضابط في ظن السوء: أنه كل ظن لا يليق بالله جل وعلا.

٧٣٩. لماذا حُرّم هذا الظن؟

حرّم هذا الظن لعدة أمور، منها:

- لأنـه منـاف لما يجب اعتقـاده في الله تعالـى، فإنه يجب أن نعتقـد أن الله تعالـىٰ كامـل في ذاته وفي صفاته وفي أفعالـه الكمال المطلق الذي لا يعتريه نقص بوجه، وهذا الظن منافٍ لهذا الكمال.
- أن المتقرر أن الله له الحكمة البالغة في أفعاله وأقداره، والحكمة هي وضع الأمور في مواضعها التي توافق الغايات المحمودة منها، وظن أن الله تعالـى يفعـل لا لحكمة فيـه وصف له بفعل مـا لا يليق، وهـذا مناف لاتصافـه بالحكمة البالغـة، ويلزم منه وصف اللـه بالنقص جل وعلاً وتنزه عن كل نقص.
- أنه معارض للوعيد الذي أخذه على نفسـه جلّ وعلا تفضلاً وإحسانًا كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات:١٧٣)، واللـه تعالى لا يخلف الميَعاد، وظن السوء منافٍ ومناقض لدلالة هذه النص وما في معناه.
- أنه يناقض قوله تعالى: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديرًا﴾، ونحو هذه الآية التي فيها إثبات أن كل شـيء بقضاء الله وقدره، وأنه لا يخرج شـيء عـن كونه مقدورًا لله جـل وعلا، وما ناقض دلالـة القرآن وعارضها فهو باطل مردود واعتقاد محرم.
- أن الواجب هو إحسان الظن به جل وعلا، وظن السوء ترك لهذا الواجب وترك الواجب محرم، فدل ذلك على أن ظن السوء محرم.
- أنه - أي ظن السوء - قادح في كمال التوحيد الواجب، أو قادح في أصله في بعض الأحوال، وما يقدح في التوحيد أصلاً أو كمالاً فهو ممنوع.

المطلب الثاني عشر: التعلّق بالتصوير

٧٤٠. ما المراد من هذا العنوان؟

يُراد به بيان حكم التصاوير في الشريعة الإسلامية.

٧٤١. ما المقصود بالتصوير؟

المقصود به الرسم للكائنات الحية، ومعه النحت لتشكيل الأصنام.

٧٤٢. ما حكم التصوير الفوتوغرافي؟

لا يشمله، لأن التصوير الفوتوغرافي يُقال له (العكس)، والفاعل بعيد عن العلة المنصوص لها في الوعيد النبوي.

٧٤٣. ما العلّة في النهي عن التصوير؟

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (أشدّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله تعالى) رواه البخاري.

٧٤٤. هل علة المضاهاة موجودة في التصوير الفوتغرافي؟

غير موجودة، فالمضاهاة بعيدة عن المصور الفوتوغرافي (العكس) فهو فقط عاكس لأمر يشاهده كما هو.

٧٤٥. ما حكم تصوير ذوات الأرواح؟

تصوير ذوات الأرواح محرمٌ بجميع أنواعه؛ سواءً منها ما كان من باب النحت، أو الرسم باليد.

٧٤٦. ما دليل هذا التحريم؟

الدليل على ذلك:

- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة) متفق عليه.
- قال ﷺ: (كل مصور في النار، يُجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب

بها في جهنم). متفق عليه.

- ولهما أيضًا عن ابن عباس مرفوعًا: (من صوّر صورة في الدنيا كُلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ). رواه مسلم

- وقال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: (ما هذه النمرقة)؟ قلت: لتجلس عليها وتوسدها. قال: (إن أصحاب هذه الصور يقال لهم أحيوا ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة) . رواه البخاري

- وفي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: (أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق يوم القيامة). رواه البخاري

٧٤٧. هل واجب التناصح للتحذير من هذا الصنيع؟

نعم، فعن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله ﷺ: (ألا أدع قبرًا مشرفًا إلا سويته، ولا صورة إلا طمستها). رواه مسلم

٧٤٨. النحت للتماثيل، أو الرسم اليدوي للكائنات الحية..هل له علاقة بالعقيدة؟

نعم فهو من الأسباب التي يُخشى من بعدها دخول التعظيم والغلو بالأموات، ثم يوصل بصاحبه إلى الشرك، مثلما حصل لقوم نوح ﷺ.

٧٤٩. هل نجد في القرون الأولى ابتعاد عن قضية الرسم أو النحت؟

نعم، فلن نجد في القرون الإسلامية الثلاث الأول تقريبا أي إهتمام لقضية رسم للشخصيات العظيمة في زمنهم، ولا نحت تماثيل لهم، كحال الأمم الوثنية في أوربا، وشرق آسيا، وماكان في مصر.

٧٥٠. ما حكم تحنيط الحيوانات؟

تحنيط الحيوانات لا ينبغي، وإن قيل بحرمته فهو قول قوي.

٧٥١. ما التعليل للحكم السابق؟

تعليله لوجوه:

الأول: أنه وسيلة إلى تعظيم هذه الحيوانات وإكرامها بالتعليق، وقد يكون مفضٍ في بعض صوره إلى الشرك.

الثاني: أن هذه الحيوانات ميتة، وحق الميتة الإتلاف، وعدم جواز الانتفاع بها بأي وجه من الوجوه، إلا فيما أباحته الشريعة من الاستفادة من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها بعد الدبغ، وأما اقتناؤها في البيوت وهي ميتة فإنه خروج عن الحد المشروع، وتجاوز وتعدٍ.

الثالث: أنه ينفق على هذا التحنيط الأموال الطائلة، ويُنفق في شرائها الأموال الكثيرة، وهذا داخل في حد الإسراف والتبذير؛ لأنه إنفاق للمال فيما لا نفع فيه أصلاً.

الرابع: أن تعليق هذه المحنطات وسيلة إلى أن يعتقد فيها بعض الناس اعتقادات فاسدة؛ من أنها تدفع شر الشياطين، أو تدفع أذى الجن عن البيوت، فتكون حينئذٍ من جملة التمائم، فحسمًا لهذه المادة وسدًا للذريعة يمنع تحنيطها وتعليقها.

المطلب الثالث عشر: مقولة (عبدي وفتاي)

٧٥٢. ما حكم قول: (عبدي وأمتي) ؟

هذا القول محرّم.

٧٥٣. ما دليل هذا التحريم؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يقل أحدكم أطعم ربك، وضئ ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي). رواه البخاري

٧٥٤. ما تعليل المنع؟

تعليل المنع يتضح بوجوه:

الأول: أن فيه إيهام المشاركة لله تعالى في الربوبية، فقطعًا لدابر ورود ذلك الإيهام تم منع هذا القول.

الثاني: أن في تركه سلوك للأدب مع الله تعالى، وتحقيق توحيده جل

وعلا بالربوبية المطلقة.

الثالث: أن في هذا القول نوع إهانة للرقيق، فمراعاة لهم مُنعَ السيد من هذا القول.

الرابع: سد الذريعة! أي حتى لا يقع في قلب السيد عند قوله: (عبدي وأمتي) شيء من التعاظم ورؤية النفس والغرور والعجب الذي يوجب له مقت الله وسخطه، فنهى عن ذلك تعظيمًا لله تعالى وحماية لجناب التوحيد.

الخامس: أن تحقيق التوحيد الذي تحصل به النجاة التامة يوم القيامة لا يكون إلا بالاحتراس من هذه الألفاظ التي فيها سوء أدب مع ربوبية الله جل وعلا، أو مع أسمائه وصفاته.

المطلب الرابع عشر: مقولة: (لو)

٧٥٥. ما المقصود من العنوان؟

المقصود به استعمال كلمة (لو) في كلامنا.

٧٥٦. ما حكم قول: (لو)؟

قولها يختلف حكمه باختلاف نوعية استعمالها.

٧٥٧. ما حكم استعمالها في التسخّط في مقادير الله؟

إن استعملها متسخطًا بها على ما نزل من قدر الله تعالى فهو محرم.

٧٥٨. ما دليل هذا الحكم في القرآن الكريم؟

من ذلك:

- قوله تعالى عن بعض المنافقين أنهم قالوا: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾. (آل عمران: ١٥٤)
- قوله تعالى عن بعضهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾.

٧٥٩. ما دليل هذا التحريم من السنة النبوية؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول ﷺ قال: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)، رواه البخاري.

٧٦٠. ما تعليل التحريم في هذا الاستعمال لكلمة (لو) في هذا الموضع؟

- هذا القول فيه إشعار بعدم الصبر على ما نزل من القدر، ونعلم بأن الصبر على الأقدار المؤلمة واجب، وضد الواجب المحرم، وقول هذه الكلمة مشعر بذلك فصار حرامًا.
- أنها سببٌ لفتح باب التحسر وزيادة الألم وندب الحظ، وسببٌ لضعف القلب وإلتفاته إلى الأسباب وتعلقه بها، وهذا مضعف للتوحيد، وهو من عمل الشيطان.
- أن قولها لن يدفع القدر النازل، وإنما يزيده ضيقًا وألما، ولأن قولها فاتح لباب سوء الظن بالله جل وعلا وبحكمته البالغة.

٧٦١. ما حكم استعمال كلمة (لو) للتطلّع إلى المعصية؟

هذا محرمٌ.

٧٦٢. ما الدليل على هذا الحكم؟

دلّ الدليل أنه مشارك لصاحب المعصية في الوزر كما في حديث: (ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علمًا، فهو ينفقه في معصية الله، ورجل لم يؤته علمًا ولا مالاً، فقال: لو أن عندي مثل مال فلان لفعلت فيه مثل الذي فعل، فهما في الوزر سواء) فهذا القائل آثم بقوله هذا، مع أنه لم ينفق مالاً إذ لا مال عنده، لكن بتمنيه الإثم وتطلعه لفعل المعصية صار مشاركا لصاحب المعصية.

٧٦٣. ما القول لو كانت (لو) مستعملة عند فوات أمر محبوب؟

هذا جائز، ولا بأس فيه.

٧٦٤. ما دليل هذا الحكم، وأمثلته؟

- مثل **فوات العمل الفاضل**، كقول النبي ﷺ: (لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة). رواه مسلم

- مثل **فوات علم نافع**؛ كقول النبي ﷺ: (وددت لو أن أخي موسى صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما).

- أو **من يتمنى إنفاق مال فيما يحبه الله ويرضاه**، كحديث: (ورجل آتاه الله مالاً وعلمًا فهو ينفقه في الخير، ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالاً فقال لو أن عندي مثل مال فلان لفعلت فيه مثل الذل فعل، فهما في الأجر سواء). رواه الترمذي

٧٦٥. ما حكم استعمال لفظة (لو) في أمور التعليم، وتقريب الصورة للشرح؟

استعمالها لبيان مثال يحصل به الإفهام وفتح المغلق وتقريب الصورة المراد شرحها، فهذا لا بأس به.

٧٦٦. ما دليل هذا الجواز؟

كما في قوله تعالى في سياق إثباته وحدانيته بالألوهية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء:٢٢)، وكقول المعلم: ما رأيكم لو حصل كذا وكذا، فماذا تفعلون، وما الحكم الشرعي فيه؟

المطلب الخامس عشر: ما يتعلق بالرياء

٧٦٧. ما تعريف الرياء؟

هو تحسين العمل مما يبتغى به وجه الله تعالى، ابتغاء المدح وثنائهم، والمنزلة في صدورهم، أو تحصيل حظٍ من دنياهم.

٧٦٨. ما حكمه؟

هو حرامٌ بكل صوره وأشكاله.

٧٦٩. ما الأدلة من القرآن الكريم على خطورة الرياء؟

- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. (الكهف:١١٠)
- وقال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . (هود:١٦،١٥)

٧٧٠. ما الأدلة من السنة النبوية على خطورة الرياء؟

- قال ﷺ: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر!)، فسُئل عنه، فقال ﷺ: (الرياء). رواه أحمد
- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال الرسول ﷺ: (قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم
- وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟) قالوا: بلى يا رسول الله. قال ﷺ: (الشرك الخفي! يقوم الرجل فيزيّن صلاته لما يرى من نظر الرجل). رواه أحمد

٧٧١. يُقال عن الرياء أنه شرك السرائر، لماذا؟

عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ). رواه ابن خزيمة

٧٧٢. ما الخلل في أفعال من سبق؟

الخلل إنما حصل لأنهم ما أرادوا بهذه الأعمال العظيمة وجه الله تعالى.

٧٧٣. ما جزاء هذا الانسان؟

- عن النبي ﷺ أنه قال: (من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا

ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عُرف الجنة)[٤٣]. رواه أبو داود

- أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: حدثني رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى إذا كان يـوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهـم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعـو به رجل جمع القرآن، ورجل يقتل في سـبيل الله، ورجل كثير المـال، فيقول الله تبـارك وتعالى للقارئ: ألم أعلمـك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقـوم به آناء الليـل وآناء النهار. فيقول الله تبـارك وتعالى له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان قارئ، فقد قيل ذاك.

ويُؤتى بصاحب المال، فيقول الله له: ألم أوسّع عليك، حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق. فيقول الله له: كذبت. وتقول الملائكة له: كذبت. ويقول الله: بل إنما أردت أن يقال فلان جواد، فقد قيل ذاك.

ويُؤتـى بالذي قُتل في سـبيل الله، فيُقال له: في مـاذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتى قتلت. فيقول الله له: كذبت. وتقـول لـه الملائكـة: كذبـت. ويقـول الله: بـل أردت أن يقـال فلان جـريء، فقـد قيل ذاك. ثم ضرب رسـول الله ﷺ ركبتـي فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعّر بهم النار يوم القيامة. رواه الترمذي وابن حبان

٧٧٤. هل هو من الشرك الأكبر أو الأصغر؟

هذا فيه تفصيل في معرفة الحكم.

٧٧٥. متى يكون من الشرك الأكبر؟

إن كان في أصل الإيمان، بأن يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، فهذا من النفاق الأكبر.

---

٤٣ - والعرف: الريح

٧٧٦. هل الرياء يُبطل العمل؟

هذا فيه تفصيل، وخلاصته أن يقال:

- إذا كان الريـاء من أصل العمل، أي هـو الباعث على العمل، فهذا العمل باطل من أساسه.
- أمـا إذا كان الرياء ليس من أصل العمـل، ولكنه طرأ على العمل، فهذا لا يخلـو: إمـا أن يجاهده ويبعده عن نفسـه ولا يرضى به، أو يسترسـل معه.

فهـذا الطـروء لا يؤثـر علـى العمل، بـل صاحبه يُؤجـر على هـذه المدافعة، كمـا قال تعالـى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَـا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾. (العنكبوت:٦٩)

٧٧٧. ما حكم الفرح بثناء الناس..هل يعدّ من الرياء؟

هذا فيه تفصيل:

١/ إن كان الفـرح باعتبـار أنها بشـرى من الله، وعلامة علـى قبول العمل، فلا بأس به.

٢/ أن يكـون الفرح بحمد الناس لحصول مرغوبه، أو زوال ما يخافه منهم، فهذا رياء يأثم عليه وينقص أجره، ولا يحبط العمل.

٧٧٨. ما الحكم لو بدأ العمل لله، ثم طرء الرياء عليه؟

هذا فيه تفصيل:

١/ إن كان خاطرا ودفعه فلا يضرّه.

٢/ إن استرسل معه، فننظر إلى العبادة:

- إن كانت العبادة متصلٌ آخرها بأولها مثل الصلاة، والصيام، فيبطل عليه.
- وإن كانت العبادة لا ترتبط ببعضها مثل القراءة والذكر وإنفاق المال ونشـر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئـة عليه، ويحتاج إلى تجديد النية، وما مضى قبل الرياء فصحيح.

٧٧٩. ما الحكم لو ورد الرياء بعد الفراغ من العبادة؟

هذا من السُمعة وهو محرم، ويُنقص الأجر، ولا يحبط العمل.

٧٨٠. ما الحكم مع من استرسل في الرياء؟

من يرضى به وتقبله نفسه ويعمل من أجله ويسترسل معه، فهذا لا يخلو:

- إن كان العمل لا يصح أوله إلا بصحة آخره كالصلاة فإنه يبطلها كلها، أي في أيٍ جزء وقع فيه الرياء الذي استرسل به ورضيته نفسه فإنه يكون مبطلا لها جميعها.
- وإن كان لا يتعلق صحة آخره بصحة ما بعده، فهذا لا يبطل الرياء منه إلا ما قابله فقط، وذلك كرجل تصدق بصدقتين؛ إحداهما لم يداخلها الرياء فيها، والثانية داخلها الرياء فيها فلا يبطل إلا ما داخله الرياء.

٧٨١. هل الرياء يدخل في حيز المغفرة إن مات صاحبه عليه؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

قيل: إنه داخل في حيز المغفرة، وصاحبه قد يغفر الله له ولا يؤاخذه عليه.

وقيل: لا يدخل في حيز المغفرة، بل لابد أن يعذب صاحبه بقدره في النار يوم القيامة، لكنه لا يخلد فيها أبدًا؛ لأن معه أصل التوحيد، وهذا القول اختاره ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى.

٧٨٢. ما كفارة الوقوع في ذلك؟

كفارة ذلك أن يقول: (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم). رواه البخاري في الأدب المفرد

٧٨٣. كيف يخاف النبي ﷺ علينا الشرك الخفي أشدّ من خوفه علينا من الدجال، من عظم فتنته وكبير خطره؟

العلّة في ذلك -والله أعلم- هي ما يلي:

الأول: أن فتنة الدجال فتنة ظاهرة تُعرف بعلامات ظاهرة، وأما الشرك

الخفي فإنه شيء خفي في القلوب لا يطلّع عليه إلا علام الغيوب.

الثاني: أن فتنة الشرك الخفي خطرها على الأمة أجمع من لدن النبي ﷺ، أي من عهده إلى آخر الدنيا، فخطره عام على الأمة كلها، وأما الدجال فإن فتنته تكون في آخر الزمان، وقد فني أكثر الأمة ولم يبق منها إلا القليل، فالرياء فتنة تبتلى بها عامة الأمة، وأما الدجال ففتنته يبتلى بها بعض الأمة.

الثالث: أن الدجال عدو منفصل يمكن التحرز منه، فإن المدينة ومكة حرام عليه، وقراءة أوائل سورة الكهف عصمة منه، أما الشرك الخفي فإن مصدره النفس التي في الإنسان، وهي عدو ملازم لا ينفك عنه إلا ما شاء الله تعالى، ولا شك أن خطر العدو الباطني الملازم الذي يعسر التحرز منه أعظم من خطر العدو المنفصل الذي لا يشق التحرز منه.

ما يتعلق بالسؤال بوجه الله.

٧٨٤. ما معنى هذا العنوان؟

معناه التأكيد على الإنسان بالإقسام عليه بصيغة: أسألك بوجه الله أن تعطيني كذا.

٧٨٥. ما حكم إعطاء من سألنا بالله؟

من سألنا بالله تعالى فلا يخلو هذا الأمر من ثلاث حالات:

الأولى: أن يكون السؤال بالله من معين لمعين في أمر يسوغ بذله.

الثانية: أن يكون السؤال من معين لغير معين.

الثالثة: إذا سألنا أحد بالله في أمر محرم؛ كإسقاط حد بعد ثبوته عند الحاكم، أو سألنا بالله أن نؤويه بعد أن أحدث حدثاً في يوجب عقوبته.

الحالة الأولى:

٧٨٦. ما مثال هذه الحالة؟

كأن يسأل زيد عمرًا بالله أن يعطيه كذا وكذا.

٧٨٧. ما حكم هذا السؤال؟

هذا تجب إجابته، ويحرُم ردّه.

٧٨٨. هل هذا متحقق مع كل سؤال؟

هذا الواجب مشروط بالقدرة والاستطاعة، وذلك لقوله ﷺ: (من سأل بالله فأعطوه). رواه الطبراني في الكبير، ولأنه لما سألنا بالله فإنه يكون بذلك قد سألنا بالعظيم الكبير، فإجابة سؤاله تعظيم لله تعالى، وتعظيم ذلك من إكمال التوحيد.

الحالة الثانية:

٧٨٩. ما مثال هذه السؤال؟

مثل الذين يقفون في المساجد ويسألون المصلين بالله.

٧٩٠. ما حكم هذا السؤال؟

هؤلاء تستحب إجابتهم ويكره ردهم، هذا إذا لم يغلب على الظن كذبهم.

٧٩١. لو كان هناك منع قانوني لمثل هذا السؤال، فماذا يفعل المسلم؟

واجب عليه طاعة قوانين الدولة في عدم مساعدة من يسأله في مثل هذه الحالة، وذلك من باب التعاون مع الدولة.

الحالة الثالثة:

٧٩٢. ما مثال هذه السؤال؟

مثل إسقاط حد بعد ثبوته عند ولاة الأمر، أو سألنا بالله أن نؤويه بعد أن أحدث حدثاً في البلد يوجب عقوبته.

٧٩٣. ما حكم هذا السؤال؟

فهذا تحرم إجابته ويجب رده ولا كرامة ، بل وتجب عقوبته لأنه مستخف بالله تعالى.

٧٩٤. ما سبب الحكم السابق؟

حيث جعل السؤال به وسيلة للتوصل لأمور محرمة، فهو مستخف بمقام الألوهية والربوبية ورده حينئذٍ من تعظيم الله جل وعلا.

إرادة الإنسان بعمله الدنيا

٧٩٥. ما المراد من هذا العنوان؟

المراد منه بيان حكم من أراد بعمله مقصدا دنيويا.

٧٩٦. ما توضيح المقصود بالعنوان وفق الأمثلة؟

توضيح هذا:

١/ ألا يريد بإسلامه إلا الدنيا، فهذا شرك ونفاق أكبر.

٢/ أن يريد بالعبادة الدنيا وحدها؛ كمن يحج ليأخذ المال، وكمن يطلب العلم الشرعي لأجل الشهادة والوظيفة، ولا يريد بذلك كله وجه الله البتة، فهذا من الكبائر، وهو من الشرك الأصغر، ويبطل العمل الذي يصاحبه.

٣/ أن يريد بالعبادة وجه الله والدنيا معا؛ كمن يخرج لوجه الله وللتجارة؛ وكمن يقاتل لأجل الأجر والدنيا، وكمن يصوم للأجر وللعلاج، فاختلف العلماء في ذلك، لكن الأجر ناقص.

٤/ أن يبتدئ العبادة مريدًا للدنيا، ثم تطرأ إرادة الثواب، فإن كانت العبادة مرتبطا آخرها بأولها كالصلاة لم يصح، وإن لم يكن مرتبطا فيصح ما قصد به وجه الله تعالى.

٥/ أن يكون الدافع إرادة الثواب، وتكون إرادة الدنيا تابعة فهذا أمر مباح.

٦/ أن يعمل العبادة بإخلاص تام، ثم يريد بها، أو بشيء منها شيء من أمور الدنيا، فيجوز، ولا يثاب إلا على الخالص منها.

الفصل الرابع

ما يتعلق بشهادة (وأن محمدا رسول الله ﷺ)

ما يتعلق بعدم الأدب مع النبي ﷺ

مقدمة

المبحث الأول: من حقوق النبي ﷺ

المبحث الثاني: ما يتعلق بعدم الأدب مع النبي ﷺ

مقدمة

ما يتعلق بشهادة (وأن محمدا رسول الله ﷺ)

٧٩٧. ما معنى شهادة (أن محمدًا رسول الله)؟

معناها: طاعته ﷺ فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتصديقه ﷺ فيما أخبر، وألا يُعبد الله إلا بما شرّع.

٧٩٨. ما الدليل على هذا الأمر؟

قال تعالى في آيات كثيرة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾، (التغابن:١٢)

وقال: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾. (النور:٥٤)

وقال تعالى: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾.

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾.(الأحزاب:٢١)

٧٩٩. ما الدليل من السنة على وجوب التعلّق بشهادة (وأن محمدا رسول الله)؟

قال ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد). متفق عليه

ولمسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد).

المبحث الأول

من حقوق النبي ﷺ

٨٠٠. ما جملة حقوقه ﷺ، مع بيان الدليل؟

من جملة حقوقه ﷺ ما يلي:

- تقديم قوله ﷺ على كل قول من البشـر، فلا يجوز أن يعارض قوله بقول كائنًا من كان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.(الحجرات:١)
- تقـديم محبتـه ﷺ علـى محبة الولـد والوالد والخلق أجمعـين، قال ﷺ: (والذي نفسـي بيـده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحـب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). متفق عليه.
- الصلاةُ والسـلامُ عليه كلما ذُكر اسـمه، قال ﷺ: (من صلّى عليَّ صلاةً، صلّى الله عليه بها عشرًا).
- سـؤال اللـه تعالـى أن يؤتيه الوسـيلة، كما قـال ﷺ: (.. ثم سـلُوا الله لي الوسـيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة).
- الاعتقـاد الجـازم أنه ﷺ خـاتم النبيـين وأن كل دعوى نبـوة بعده فكذب وزيف وكفر، قال تعالى: ﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾، وقال ﷺ: (وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي).
- موالاتـه ﷺ الموالاة التامة ونصرته النصرة التامة، وإنزاله منزلته التي أنزله الله تعالى، والذب عن سـنته ونشـر شـريعته، والدعوة إليها، وجهاد أعدائها بالمستطاع والمقدور عليه.
- الاعتقاد الجازم أنه ﷺ أفضل الرسل وأكملهم، وأن شريعته أكمل الشرائع وأيسرها وآخر الشرائع.

٨٠١. ما صحة مقولة أن القرآن مثل السنة في التشريع؟

هذا قول صحيح، ودليله قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (النجم: ٤)، ولقول النبي ﷺ: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه). رواه أبوداود

٨٠٢. هل ممكن الإكتفاء بالقرآن مع ترك السنّة النبوية؟

هذا لا يمكن أبدًا، لأن السنة النبوية لها تعلّق بالقرآن من أوجه عديدة.

٨٠٣. ما أمثلة تعلّق القرآن بالسنة النبوية؟

من أوجه هذا التعلق:

- تفصيل المجمل الوارد في القرآن: مثاله كيفية الصلاة والحج.
- تقييد المطلق: مثل ما يتعلق بقطع يد السارق.

٨٠٤. السنة النبوية هل تأتي بأحكام غير موجودة في القرآن، ومثالها؟

نعم، وأمثلة ذلك كثيرة، منها:

- جواز أكل الميتة من الحيوانات، مثل السمك والجراد.
- جواز أكل الدم، مثل الكبد والطحال.
- صلاة الوتر والضحى.
- تحريم الزواج بالفتاة مع عمتها، أو مع خالتها.
- توريث الجدة السدس.

٨٠٥. من يكتفي بالقرآن لوحده لمعرفة الأحكام الشرعية، هل فعله صحيح؟

هذا فعل خاطىء، وهم من يُقال لهم «القرآنيون»، وهم في الواقع يطعنون بالسنة النبوية، ويتهمون الصحابة والعلماء من بعدهم أنهم حرّفوا الشرع، وأن المنقول عن النبي ﷺ كله غير صحيح.

٨٠٦. ما القول مع من يقول: أحاديث الآحاد [٤٤] لا تثبت في قضايا العقيدة، بدعوى أنها تفيد الظنّ، والظن لا تبنى عليه العقيدة؟

هذا رأي غير سديد ؛ لأنه مبني على غير صواب.

٨٠٧. ما حجتهم في هذا المعتقد؟

هم لا يحتجون إلا بالقرآن، أو المتواتر من الأحاديث، ولا يثبتون العقيدة بالقرآن أو الحديث إلا إذا كان النص قطعي الدلالة [٤٥].

وقالوا بأن أحاديث الآحاد تفيد الظن، ولا تفيد العلم اليقيني، وذلك لعروض الشبهة في كونها خبر الرسول لعدم الأمن من وضع الأحاديث على النبي ﷺ.

٨٠٨. هل هذا القول كان موجودا في القرن الأول النبوي؟

هذا القول لا أصل له، بل هو مبتدع محدث، فتقسيم ما ورد عن النبي ﷺ إلى متواتر وآحاد تقسيم لم يكن معروفا في عصر الصحابة والتابعين.

٨٠٩. من ابتدع هذا القول؟

القول بأن خبر الواحد لا يفيد العلم قول ابتدعته القدرية والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأحاديث ورفضها لأنها حجة عليهم، فإن أشهر من عرف عنه اشتراط العدد في صحة الحديث هو إبراهيم بن إسماعيل بن علية (٢١٨ هـ) وهو كما قال الذهبي: « جهمي هالك، كان يناظر في خلق القرآن».

٨١٠. ما بيان الحق في هذه المسألة؟

بيانها يظهر من عدة وجوه:

٤٤- خبر الآحاد: هو الخبر الذي يكون من شخص واحد في نقله، وطعن بعض المسلمين أن الخبر لا بد أن يكون متواترا في نقله في جميع طبقاته حتى يكون صحيحا ويصل إلى القطع به وتصديقه، وهذا إدعاء ومعتقد غير صحيح.

٤٥- ومعنى قطعي الدلالة عندهم أنه لا يحتمل التأويل أي أنها مقبولة عقلًا خالية من التعارض مع العقل.

١-القول بأن حديث الآحاد لا يفيد إلا الظن ليس على إطلاقه ، بل في أخبارَ الآحاد ما يفيد اليقين إذا دلت القرائن على صدْقه، كما إذا تلقته الأمة بالقبول، مثل حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إنَّما الأعْمَالُ بالنِّيَّات) فإنه خبر آحاد ، ومع ذلك فإننا نعلم أن النبي ﷺ قاله، وهذا مَا حَققَه شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن حجر وغيرهما.

٢-أن النبي ﷺ كان يرسل الآحاد بأصول العقيدة ـ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ـ وإرساله حُجّة مُلْزمة، كما بعث مُعَاذاً إلى اليمن، واعتبر بَعْثَه حُجّةً مُلْزمَةً لأهل اليمن بَقبوله.

٣-إذا قلنا بأن العقيدة لا تثبت بأَخبار الآحاد ، أمكن أن يُقال: والأحكام العملية لا تثبت بأخبار الآحاد، لأن الأحكام العملية يصحبها عقيدة أن الله تعالى أمر بهذا أو نهى عن هذا، وإذا قُبل هذا القول تعطل كثير من أحكام الشريعة، وإذا رُدّ هذا القول فليردّ القول بأن العقيدة لا تثبت بخبر الآحاد إذ لا فرق كما بيّنا.

٤- أن الله تعالى أمر بالرجوع إلى قول أهل العلم لمن كان جاهلاً فيما هو من أعظم مسائل العقيدة وهي الرسالة، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ . بِالْبَيّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ (النحل:٤٣ ، ٤٤) وهذا يشمل سؤال الواحد والمتعدّد.

٨١١. هل هناك من الأئمة الأربعة من قال بعدم أخذ العقيدة من حديث الآحاد؟

لا يوجد، ومن نَسَبَ إلى أحد من الأئمة التفريقَ بينهما فعليه إثباتُ ذلك بالسند الصحيح عنه، ثم بيان دليله المستَند إليه.

٨١٢. ما عقيدة الأئمة الأربعة في هذا الجانب؟

- نص الإمام الشافعي على إجماع المسلمين على حجية خبر الواحد في الرسالة، حيث قال: « ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديما وحديثا على تثبيت خبر الواحد

والانتهـاء إليه بأنه لم يعلم من فقهاء المسـلمين أحـد إلا وقد ثبته جاز لي».[46]

وقـال بعـد أن نص على حجية خبر الواحد: « ولـم يزل سـبيل سـلفنا والقرون بعدهم إلى من شاهدنا، هذه السبيل».

- هـو مذهـب الإمـام مالك رحمـه الله، كمـا ذكره عنـه محمد بـن أحمد المعروف بابن خويزمنداد.[47]
- وهـو أيضـا قول الإمام أحمد رحمه الله، قـال المروذي رحمه الله: «قلت لأبـي عبد اللـه: ههنا اثنان يقولان إن الخبـر يوجب عملاً ولا يوجب علمًا! فعابه وقال: لا أدري ما هذا...»[48].
- ولا يُعرف عن أبي حنيفة رحمه الله أنّه قال بعدم إفادة خبر الواحد العلم، أو أنّـه فرّق فـي قبوله بين العقائد والأعمال، بل الـذي ورد عنه قبول الأحاديث بدون تفريق، حيث قال: «إذا جاء الحديث عن النبي ﷺ لم نحِد عنه إلى غيره، وأخذنا به»[49].

٤٦- الرسالة تحقيق أحمد شاكر (ص: ٤٥٧)

٤٧- الإحكام لابن حزم (١/ ١٣٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٣٦٣)

٤٨- مختصر الصواعق (٢/ ٣٦٣) إرشاد الفحول للشوكاني (ص:٤٨)

٤٩- مناقب أبي حنيفة (ص: ٧٢) لأحمد مكي

المبحث الثاني

ما يتعلق بعدم الأدب مع النبي ﷺ

٨١٣. ما حكم سابّ الرسول ﷺ؟

سبّ النبي ﷺ كفرٌ وردّة، وموبقة من موبقات الآثام، وقد أجمع أهل الصدر الأول على أنه يجب قتله.

٨١٤. ما أقوال العلماء في هذا الحكم؟

قال ابن المنذر: «أجمع عامة العلماء على أنه يجب على سابه القتل، قاله أحمد ومالك والليث والشافعي».

٨١٥. هل هناك إجماع في هذا الجانب؟

نعم، فقد حكى الإجماع أبو بكر الفارسي، من أصحاب الشافعي.

وكذا نقله إسحاق بن راهويه، فإنه قال: «أجمع المسلمون إن سبّ الله، أو سب الرسول ﷺ، أو دفع شيء مما أنزل، أو قتل نبياً أنه كافر، وإن كان مقرًا بكل ما أنزل الله».

ونقله الخطابي أيضا، فإنه قال: (لا أعلم أحدًا اختلف في وجوب قتله).

وقال محمد بن سحنون: (أجمع العلماء على أن شاتم الرسول المتنقّص له كافر، ومن شك في كفره فإنه يكفر).

٨١٦. هل ورد الحكم في الأدلة الشرعية؟

نعم، وردت الأدلة على إثبات هذا الحكم من الكتاب والسنة، والإجماع.

٨١٧. ما الدليل من القرآن على هذا الحكم؟

ورد هذا في مواضع:

منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (الأحزاب:٥٧)، قال أبو العباس: «وهذه توجب قتل من آذى الله ورسوله، ونحن لم نعاهدهم على أن يؤذوا الله ورسوله».

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١)﴾ (التوبة)، فعلم بذلك أن إيذائه ﷺ محادة لله ولرسوله، لأن ذكر الإيذاء هو الذي اقتضى ذكر المحادة فيجب أن يكون داخلاً فيه ، فالإيذاء له ﷺ من المحادة لله ورسوله.

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)﴾ (الحجرات)، فإذا ثبت أن رفع الصوت والجهر به فوق صوته يخاف على صاحبه منه أن يكفر به ويحبط عمله وهو لا يشعر، لأن فيه سوء أدب واستخفاف وهو لا يشعر بذلك، فكيف بمن يسبه ويستخف به ويؤذيه مع قصده لذلك وتعمده له؟ فلا ريب أنه يكون كافراً بطريق الأولى.

٨١٨. ما النصوص النبوية الدالة على الحكم السابق؟

أما نصوص السنة فكثيرة، منها:

- ما رواه الشعبي عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله ﷺ دمها، رواه أبو داود[٥٠]، وهذا صريح في جواز قتلها لأجل شتم النبي ﷺ ووقوعها فيه، فإذا كان هذا حال أهل الذمة إذا فعلوا ذلك، فالمسلم والمسلمة إذا فعلا ذلك فإنهم يدخلون في دلالة النص من باب أولى.

- ما روى ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن أعمى كانت له أم ولدٍ تشتم النبي ﷺ وتقع

٥٠- استدل به الإمام أحمد كما في رواية ابنه عبدالله عنه، وقد روي أن الرجل كان أعمى، وجوّد إسناده أبو العباس في الصارم المسلول، وقال: وهو حديث جيد وهو متصل، لأن الشعبي رأى عليا ولو كان مرسلا فهو حجة وفاقا، لأن الشعبي صحيح المراسيل عندهم ليس له مرسل إلا صحيح. أهـ

فيه، فأخذ المغوَل [51] ووضعه في بطنها واتكأ عليه فقتلها، ثم ذكر للنبي ﷺ فأهدر دمها، رواه أبو داود والنسائي، وقد تكون هذه القصة هي عين القصة المذكورة سابقًا، وقد تكون غيرها، ووجه الدلالة منها واضحة وهو أن سابّ النبي ﷺ يقتل لأن السبّ ارتداد.

- قصة كعب بن الأشرف اليهودي، وهي مخرجة في الصحيحين، وقد احتج بها الشافعي على أن الذمي إذا سب النبي ﷺ فإنه يُقتل وفيها أن النبي ﷺ قال: (من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله)، فقام محمد بن سلمة فقال: أتحب أن أقتله يا رسول الله؟ قال: (نعم) قال: فأذن لي أن أقول شيئا. فإذن له ...الحديث، وفيه أنهم (قتلوه) وكان كعب قد هجا النبي ﷺ فكانت عقوبته ما علمت وهي القتل وهو ذمي، فكيف لو فعله مسلم؟ فهذا دليل أن سابّ الرسول يقتل.

- قصة ابن أبي سرح، وهي مما أتفق عليها أهل العلم [52]، وذلك إنه يوم فتح مكة اختبأ عبدالله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجاء به حتى أوقفه على رسول الله ﷺ، فقال: «يا رسول الله، بايع عبدالله»؟ فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً.كل ذلك يأبى، فبايعه بعد الثلاث، ثم أقبل ﷺ على أصحابه فقال ﷺ: (أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟) فقالوا: «ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت لنا بعينك»؟ فقال: (إنه ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين). رواه أبو داود والنسائي.

٥١- المغول: سيف قصير

٥٢- ومع ذلك فقد صححها الحاكم ووافقه الذهبي وصححه شيخ الإسلام والألباني.

الفصل الخامس
مقدمات في الإيمان

المبحث الأول: تعريفات مهمة

المبحث الثاني: العلاقة بين الإيمان والإسلام

المبحث الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه

المبحث الرابع: الإستثناء في الإيمان

المبحث الخامس: القول في مرتكب الكبيرة

المبحث الأول

تعريفات مهمة

٨١٩. ما تعريف (الإيمان) لغة؟

هو التصديق.

٨٢٠. ما تعريف (الإيمان) شرعاً ؟

هو الاعتقاد بالجِنان (القلب)، والقول باللسان، والعمل بالجوارح والأركان.

٨٢١. قولنا: (الاعتقاد بالجنان) ماذا يعني؟

أي وجود الاعتقاد والتصديق والإيمان الجازم بالله في القلب.

٨٢٢. ما الدليل على هذا التقرير؟

من أدلته:

- قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات:١٤)
- قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ (المجادلة:٢٢)
- قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (المائدة:٤١)
- قال النبي ﷺ: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه). رواه أبو داود

٨٢٣. قولنا: (قول باللسان) ما الدليل عليه؟

يدل عليه:

- قوله تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى

﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة:١٣٦) فأمرهم هنا بالقول، ولم يكتف منهم بمجرد ما في القلب.

- ومثلها قوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:٨٤)

٨٢٤. ماذا ورد في السنة بما يتعلق بهذا الجانب؟

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى). متفق عليه.

٨٢٥. قولنا: (وعمل بالجوارح والأركان) ماذا يعني؟

أي أن يظهر الإيمان على الجوارح، وهي الأعضاء بالطاعات وعمل الصالحات مع اجتناب المنهيات.

٨٢٦. ماذا يدل عليه؟

يدل عليه:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة:١٤٣) أي صلاتكم، كما ورد ذلك في الصحيح.
- وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة:٥)

٨٢٧. ماذا ورد في السنة للتأكيد علي هذا الجانب؟

- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث وفد عبد القيس، أن النبي ﷺ أمرهم بأربع، أمرهم بالإيمان بالله وحده! وقال: (أتدرون ما الإيمان بالله

وحده)؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس) متفق عليه، وهذه كلها أعمال جوارح وقد سمّاها النبي ﷺ إيماناً.

- عن أبي سعيد مرفوعا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم، وله من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) فجعل تغيير المنكر ومجاهدة أصحابه باليد واللسان من الإيمان، وهي أعمال جوارح.

المبحث الثاني

العلاقة بين الإيمان والإسلام

٨٢٨. ما العلاقة بين الإسلام والإيمان؟

الإسلام والإيمان مرتبتان من مراتب الدين ومنزلتان من منازله، دليله حديث جبريل المشهور لما سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، وقال ﷺ في آخره: (هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم). رواه مسلم.

٨٢٩. هل بينهما تلازم؟

نعم، وهاتان المرتبتان متتاليتان، فالأولى الإسلام والثانية الإيمان، وبناءً عليه فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، قال تعالى: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ (الحجرات:١٤)

٨٣٠. كيف تأتي هذه المراتب على الانسان؟

أول ما يدخل العبد في الدين يُوصف بالإسلام، حتى يدخل الإيمان في قلبه بما يأتي به من التصديق والعمل الصالح.

٨٣١. بماذا يختص كل مصطلح؟

الإسلام معناه الأعمال الظاهرة من الشهادتين والصيام والصلاة والزكاة والحج وسائر أعمال الجوارح.

ويكون معنى الإيمان الأعمال الباطنة أي أعمال القلوب من التصديق والإقرار والمحبة والإنابة والرجاء والتوكل والخوف ونحوها.

٨٣٢. ما وجه العموم والخصوص بين هذين المرتبتين؟

بيان هذا أنهما إذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا، أي إذا ذُكر أحدهما في النص فإنه يدخل معه الآخر الذي لم يذكر، وإذا ذكرا معاً في نص واحدٍ فإنهما يختلفان، أي يحمل كل واحدٍ منهما معناً خاصا.

٨٣٣. ما الأمثلة على افتراق الكلمة واجتماع المعنى بين الإسلام عن الإيمان؟

من الأمثلة على افتراقهما بالكلمة واجتماعهما بالمعنى:

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّه الْأَسْلامُ ﴾ (آل عمران:١٩) أي والإيمان
- وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلامِ دِيناً ﴾ (آل عمران: ٨٥) أي وغير الإيمان.
- وقوله تعالى: ﴿ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:٦٤) أي ومؤمنون.

٨٣٤. هل ظهر هذا الاجتماع في معناهما من كلام النبي ﷺ؟

نعم، في حديث وفد عبد القيس مرفوعاً: (آمركم بالإيمان بالله وحده) ثم فسره بأركان الإسلام، فقال: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا خمساً من المغنم). متفق عليه

ومن ذلك حديث سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ أعطى رهطاً وسعد جالس... وفيه: (مالك عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمناً) فقال ﷺ: (أو مسلماً؟) ثلاث مرات. متفق عليه

٨٣٥. ما مثال افتراقهما بالمعنى؟

من أمثلته ما ورد في قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ (الحجرات:١٤) ففرّق بينهما لأنهما في نص واحد.

وكذلك حديث جبريل المشهور، فإنه قد فسر الإسلام بأعمال الجوارح، وفسر الإيمان بأعمال القلوب.

٨٣٦. ما خلاصة القول السابق؟

خلاصة الجواب أن يقال العلاقة بينهما من وجهين:

الأول: أن كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن.

الثاني: أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

المبحث الثالث:

زيادة الإيمان ونقصانه

٨٣٧. ما المراد من هذا العنوان؟

المراد بيان أن الإيمان في قلب صاحبه يتغير؛ بزيادةٍ أو نقصان.

٨٣٨. هل المسلمون متساوون في الإيمان؟

نعم، متساوون في أصله، لكنهم متفاوتون في زيادته ونقصه بحسب ما يعملونه من حسنات وسيئات.

٨٣٩. ما توضيح هذا التفاوت؟

بعض الناس يكون نور «لا إله إلا الله» في قلبه كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري، وآخر كالمشعل العظيم، ومنهم من نورها كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف.

٨٤٠. متى يظهر هذا التفاوت في هذه الأنوار؟

تظهر يوم القيامة في أرض المحشر، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ (الحديد: ١٢)

٨٤١. هل الإيمان يتغيّر، أي أنه يزيد وينقص عند صاحبه؟

نعم، فالإيمان يزيد حتى يبلغ كماله وتمامه، إذا جاء العبد بموجبات زيادته، وينقص حتى ينتهي كله إذا جاء العبد بموجبات نقصانه.

٨٤٢. ما الأدلة الوارد على زيادة الإيمان من القرآن العزيز؟

من أدلة زيادته:

- قوله تعالى: ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً ﴾ (المدثر:٣١)
- وقوله تعالى: ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (الفتح:٤)
- وقوله تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً ﴾ (مريم:٧٦)

٨٤٣. ما الأدلة الوارد على زيادة الإيمان من السنة النبوية؟

قال ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً). رواه الترمذي

وقال ﷺ: (من أحب في الله، وأبغض في الله فقد استكمل الإيمان) . رواه أبو داود

٨٤٤. هل كانت هذه القضية واضحة في فهم الصحابة رضي الله عنهم؟

نعم، ولهذا وردت عنهم الآثار الكثيرة في ذلك، منها:

- كان ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: (اللهم زِدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً) أخرجه الطبراني في الكبير.

- كان معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول للرجل من إخوانه: (اجلس بنا نؤمن ساعة) فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه. رواه ابن أبي شيبة.

- عن عمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (ثلاثٌ من جمعهنّ فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق مع الإقتدار) رواه البخاري تعليقاً.

٨٤٥. ما الأدلة الواردة على نقصان الإيمان؟

وردت بهذا أدلة كثيرة.

فمنها: الآيات السابقة فيها إثبات الزيادة، وما يقبل الزيادة فإنه يقبل النقصان.

منها: حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير) رواه البخاري، والمراد بالخير هنا الإيمان.

ومنها: حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً وفيه: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب لِلُبّ (عقل) الرجل الحازم من إحداكنّ! قلت: وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله؟ قال ﷺ: (أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل) قلت: بلى، قال ﷺ: (فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلِ ولم تصم؟ قلت: بلى. قال ﷺ: (فذلك

من نقصان دينها). متفق عليه.

ومنها: حديث الشفاعة، وفيه قول النبي ﷺ: (فأخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرةٍ من إيمان). رواه البخاري

٨٤٦. ما أسباب زيادة الإيمان ونقصانه؟

زيادة الإيمان لها أسباب، منها:

- معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته.
- التفكر في آيات الله تعالى الكونية والشرعية.
- فعل الطاعة.
- ترك المعصية.

٨٤٧. هل الأمر في التفاوت له علاقة بمعرفة قضية الإيمان المطلق، ومطلق الإيمان؟

نعم، فهذه من أدقّ المسائل في هذا الجانب المهم.

٨٤٨. ما المعنى اللغوي للمصطلحين السابقين؟

مطلق الشيء: أصله، أو أقل درجاته.

والشيء المطلق هو: الكامل.

٨٤٩. ما توضيح القول السابق؟

الإيمان المطلق: يُراد به الإيمان الكامل، فلا يُوصف به العصاة، والمقصرون في الطاعات.

وأما **مطلق الإيمان**: فيعنى به من كان عنده أصل الإيمان، ولكن عنده تقصير في الطاعات، فيدخل فيه العصاة من المؤمنين، والمقصرون في بعض الطاعات.

٨٥٠. ما مقدار ما سبق في قدر الإيمان؟

يمكن القول بأن مطلق الإيمان هو أقل شيء يصلح الإيمان به، والإيمان المطلق هو الإيمان كله.

٨٥١. هل المنافاة فيهما متشابه؟

لا، إذ منافاة مطلق الإيمان تعني عدمه، أما منافاة الإيمان المطلق تعني قلّة الإيمان.

٨٥٢. ما توضيح العلماء لهذا الأمر؟

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية: «الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك ما نهاه عنه كله».

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في كتاب (الإيمان والرد على أهل البدع): «مطلق الإيمان هو وصف المسلم الذي معه أصل الإيمان إذا كان مصرّا على ذنب، أو تاركًا لما وجب عليه مع القدرة».

٨٥٣. ما مثال هذا؟

من ذلك نفى النبي ﷺ الإيمان المطلق عن الزاني وشارب الخمر والسارق، ولم ينف عنه مطلق الإيمان، لئلا يدخل في قوله تعالى: ﴿الله ولي المؤمنين﴾ ولا في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ولا في قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى آخر الآيات.

لكنه يدخل في قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾، وفي قوله ﷺ: (لا يقتل مؤمن بكافر). رواه البخاري، وأمثال ذلك.

٨٥٤. ما الدليل من القرآن على نفي الإيمان المطلق؟

دليله قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾. (الحجرات:١٤)

٨٥٥. كيف الاستدلال أن النفي كان للإيمان المطلق لا لمطلق الإيمان؟

وجه الاستدلال من الآية السابقة هو:

- أنه أمرهم، أو أذن لهم أن يقولوا: ﴿ أَسْلَمْنَا﴾ والمنافق لا يُقال له ذلك.
- أنه تعالى قال: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ ولم يقل: (قال المنافقون).

- أن هـؤلاء الجفاة الذين نادوا رسـول الله ﷺ مـن وراء الحجرات ورفعوا أصواتهم فوق صوته غلظة منهم وجفاء، لا نفاقا وكفرًا.
- أنه تعالى قال: ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ ولم ينف دخول الإسلام في قلوبهم، ولو كانوا منافقين لنفى عنهم الإسلام كما نفى الإيمان.
- أن اللـه تعالـى قـال: ﴿ وإن تطيعوا الله ورسـوله لا يلتكم مـن أعمالكم شيئا﴾ أي لا ينقصكم، والمنافق لا طاعة له.
- أن الله تعالى قال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾ فأثبت لهم إسلامهم، ونهاهم أن يمنّوا على رسول الله.
- لو لم يكن إسـلامهم صحيحا لقال: (لم تسـلموا)، بـل أنتم كاذبون كما كذبهم في قولهم ﴿نشـهد أنك لرسـول الله﴾ لما لم تطابق شـهادتهم اعتقادهم.
- أن الله تعالى قال: ﴿بل الله يمن عليكم﴾ ولو كانوا منافقين لما منّ عليهم.
- أنه تعالى قال: ﴿أن هداكم للإيمان﴾ ولا ينافي هذا قوله: ﴿قل لم تؤمنوا﴾ فإنه نفـى الإيمان المطلق، ومن عليهم بهدايتهم إلى الإسـلام الذى هو متضمن لمطلق الإيمان.
- أن النبي ﷺ لما اقسم المال، قال له سعد: «أعطيت فلاناً، وتركت فلانا وهو مؤمن!» فقال ﷺ: (أو مسلم؟) ثلاث مرات. متفق عليه، وأثبت له ﷺ الإسلام دون الإيمان.

٨٥٦. ما فائدة معرفة ما سبق بيانه؟

أن الإيمان المطلق يمنع دخول النار، ومطلق الإيمان يمنع الخلود فيها.

٨٥٧. هل ما سبق توضيحه هل فيه رد على بعض الفرق؟

نعـم، قـال العلامة صالـح الفوزان: «(فلا يعطى الاسـم المطلق) أي: اسـم الإيمان الكامل (ولا يسلب مطلق الاسم) أي: الإيمان الناقص فيُحكم عليه بالخروج من الإيمان كما تقوله المعتزلة والخوارج، فالإيمان المطلق هو الإيمان

الكامل، ومطلق الإيمان هو الإيمان الناقص». [٥٣]

٨٥٨. ما هو القول الموضح لما سبق بيانه؟

هو أن الإيمان اسم جامع لعقائد القلب وأعماله، واعمال الجوارح وأقوال اللسان، فجميع الدين؛ أصوله وفروعه داخلة في الإيمان، ويترتب على ذلك: أنه يزيد بقوة الإعتقاد وكثرته، وحسن الأعمال والأقوال وكثرتها، وينقص بضد ذلك.

٥٣- شرح الواسطية (ص:١٣٨)

المبحث الرابع

الاستثناء في الإيمان

٨٥٩. ما صورة الاستثناء في الإيمان؟

صورته أن يقول المسلم: أنا مؤمن، إن شاء الله.

٨٦٠. ما مذاهب الناس في هذا الأمر؟

الناس فيها على طرفين ووسط، وخير الأمور الوسط.

٨٦١. ما حجة من يوجبه؟

من يوجب قول: (إن شاء الله) بعد قوله: (أنا مؤمن)، فله مأخذان:

الأول: أن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً، أو كافراً باعتبار الوفاة، وما سبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك فلا عبرة به.

الثاني: أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك ما نهاه عنه كله، فإذا قال الرجل (أنا مؤمن) بهذا الاعتبار، فقد شهد لنفسه أنه من الأبرار المتقين، والقائمين بجميع ما أمروا به وترك ما نهوا عنه، وهذا من تزكية النفس، وقد نهى الله عنه في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُم﴾ (النجم: ٣٢) وقال ﷺ: (الله أعلم بأهل البرّ منكم).

٨٦٢. كيف ظهر هذا القول في أقوال من سبق؟

كان الرجل يستثني في الأعمال الصالحة، يقول: «صليت إن شاء الله». ونحو ذلك، ويعني (القبول).

ثم صار الكثير منهم يستثون في كل شيء، فيقول أحدهم: «هذا ثوب إن شاء الله، هذا حبل إن شاء الله»! فإذا قيل لهم: لا شك فيه. يقولون: نعم، لكن إن شاء الله أن يغيّره غيّره.

٨٦٣. من الذي يمنع الاسثناء مطلقاً في كلامه؟

من يمنعه هم الذين يجعلون الإيمان جزءً لا يزيد ولا ينقص، وهم المرجئة.

٨٦٤. ما حجة من يمنعه؟

مأخذهم في ذلك قولهم: «نحن نعلم قطعاً أننا مؤمنون، كعلمنا قطعاً أننا مسلمون، وتعليق الإيمان بالمشيئة شك في الإيمان، والشك في الإيمان كفر»! ولذلك فهم يسمّون من يجيز تعليق الإيمان بالمشيئة بالشكّاكين.

٨٦٥. ما قول أهل السنة في هذا الجانب؟

هم يفصّلون في ذلك تفصيلاً يجمع الأدلة.

٨٦٦. ما خلاصة قول أهل السنة؟

خلاصة مذهبهم أنهم قالوا:

- إن كان القصد من الاستثناء الشكّ في وجود أصل الإيمان فهذا حرام، لأنه مفض إلى الوقوع في الحرام، وما أفضى إلى الحرام فهو حرام.
- وإن كان يقصد به الشك في كماله، فهو أمر مندوب، لأن كمال الإيمان من الأمور التي لا تُدرك بالحسّ، وإنما مبناها على الدليل، ولأنه أبعد عن الرياء والسمعة، ويلحق بذلك من أستثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، فهو حسن أيضاً، وما عدا ذلك فجائز.

٨٦٧. ما تفصيل الأقوال في حكم الاستثناء؟

يكون الاستثناء:

- حراماً إذا كان للشكّ في أصل الإيمان.
- ويكون واجباً إذا خاف الشخص على نفسه الرياء إذا تركه.
- ويكون مستحباً إذا كان للشك في كماله، أو أراد عدم علمه بالعاقبة.
- ويكون مباحاً فيما عدا ذلك.

٨٦٨. ما حكم الأفعال التي فيها نفي الإيمان عن فاعلها أو تاركها؟

القاعدة في ذلك أن: (كل فعل نفي الإيمان عن فاعله فلأنه حرام، وكل فعل نفي الإيمان عن تاركه فلأنه واجب) وهذا الأمر من الأشياء التي يعرف

بها وجوب الشيء أو حرمته، بل وهو من الأشياء التي يُعرف بها الكبيرة.

٨٦٩. ما المراد بنفي الإيمان في القاعدة السابقة؟

المراد أن هذه الأفعال التي نفي الإيمان عن أصحابها دليل على أنها كبيرة من كبائر الذنوب، فإن المنفي هنا هو كمال الإيمان الواجب، فإن من الممتنع شرعاً أن ينفى الإيمان عن فاعل المكروه أو تارك المستحب، بل لا ينفي الإيمان الكامل إلا عن فاعل الحرام، أو تارك الواجب.

٨٧٠. ما الأمثلة الدالة على هذا؟

الأمثلة على ذلك لا تكاد تحصر ومنها:

- حديث أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) وكان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يلحق معهنّ: (ولا ينتهب نهبة ذات شرف، يرفع الناس فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن، ولا يغلّ حين يغل وهو مؤمن) متفق عليه، فهذه الأفعال نفى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيمان عن فاعلها، وهذا دليل على حرمتها، وأنها كبيرة من كبائر الذنوب.
- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه) متفق عليه، وهذا دليل على وجوب ذلك.
- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين) متفق عليه، فهذا دليل على وجوب تقديم محبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على محبة كل أحد من الخلف، لأنه فعل نفى الشارع الإيمان عن تاركه فهذا دليل وجوبه.
- حديث: (لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)، وهذا دليل على وجوب أداء الأمانة وحفظ العهد.

المبحث الخامس

القول في مرتكب الكبيرة

٨٧١. ما الضابط في معرفة الكبيرة؟

الضابط في معرفة الكبيرة هي:

- أنها كل ذنب ختم بلعنة، أو غضب أو نار.
- أو توّعد عليه بعقاب خاص في الآخرة.
- أو نفي عن صاحبه الإيمان، أو بأنه (ليس منّا).

٨٧٢. ما الأمثلة الدالة على ما سبق؟

مثال ما خُتم بلعنة: حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: (لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض). رواه مسلم.

ومثال ما خُتم بغضب: قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾

وحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: (من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان). متفق عليه

مثال ما خُتم بنار: كقوله ﷺ: (ما أسفل الكعبين في النار) .

مثال ما ثبت فيه الوعيد عليه بخصوصه، كحديث: (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إمامه لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي وإن لم يعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر فقال: والله الذي لا إله إلا غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا. فصدقه رجل ..). متفق عليه

مثال ما نفي عن صاحبه الإيمان، حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا يُؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين). متفق عليه

مثال ما قيل فيه: (ليس منّا): حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ليس منّا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية).

٨٧٣. هل الصغيرة لها ضابط؟

نعم، قيل الصغيرة ما دون الحدّين، حدّ الدنيا والآخرة.

وقيل: كل ذنب لم يختم بلعنة، أو غضب، أووعيد بالنار.

٨٧٤. هل الصغيرة ممكن أن تكون كبيرة؟

نعم، إذا اقترن بالصغيرة قلة الحياء واللامبالاة وترك الخوف والاستهانة بها، فهذا مما يلحقها بالكبائر.

٨٧٥. هل الكبيرة ممكن أن تكون صغيرة؟

نعم، إذا اقترن بالذنب الكبيرِ الحياء والخوف، فهذا يلحقها بالصغائر.

٨٧٦. تعظيم الذنب أو تصغيره، مرجعه إلى أي شيء؟

هذا مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل، والإنسان يعرف ذلك من نفسه وغيره.

٨٧٧. ما مذهب أهل السنة في مرتكب الكبيرة في الدنيا؟

يعتقدون أن فعل الكبيرة له تأثير في نقص الإيمان، كما وردت بذلك الأدلة، لكنه ليس النقص الكامل بحيث لا يكون معه شيء من الإيمان، بل هو نقصٌ يتفاوت بتفاوت عظم هذه المعصية وصغرها.

٨٧٨. ما توضيح القول السابق؟

توضيحه أن النقص الذي يحدثه القتل أعظم من النقص الذي يحدثه حلق اللحية وإسبال الثوب، وهكذا، فالمحرمات تتفاوت فيما يترتب عليها من العقوبات والآثام، كما أن الواجبات تتفاوت أجورها وما يترتب عليها، ففعل المعصية ينقص الإيمان، لكنه ليس النقص المطلق، أي أنه نقص من إيمانه بقدر هذه الكبيرة التي فعلها، لكن يبقى معه شيء من الإيمان.

٨٧٩. ما خلاصة قول أهل السنة في مرتكب الكبيرة؟

أنهم لا يعطونه الإيمان المطلق، ولا يسلبونه مطلق الإيمان.

٨٨٠. ما توضيح الكلام السابق؟

لا يعطونه الإيمان المطلق، أي الإيمان الذي لا يتغير ولا يتبدل.

ولا يسلبونه مطلق الإيمان، أي لا ينزعون عنه أساس الإيمان بسبب عموم المعاصي، إلا بشروط.

٨٨١. هل يمكن القول بأن مرتكب الكبيرة مؤمن؟

نعم، هو مؤمن بما بقي معه من الإيمان، وفاسق بما فعله من العصيان.

أو نقول: هو مؤمن بإيمانه، وفاسق بكبيرته.

٨٨٢. ما دليل هذ الحكم؟

الدليل على أن فعل الكبيرة يُنقص الإيمان:

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: (لا يزني الزاني حينٍ يزني وهو مؤمن.... الحديث) رواه البخاري، أي لا يكون مؤمناً تاماً، ولا يكون له نور الإيمان كما قاله الإمام البخاري، فهذه المعاصي أوجبت نقص الإيمان.
- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن! قالوا: من يا رسول الله؟ قال: (من لا يأمن جاره بوائقه) متفق عليه، فهذه المعصية وهي أذى الجار وتربّص السوء به أوجب نقص الإيمان.
- عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر) رواه مسلم، فهذه المعصية العظيمة أوجبت نقص الإيمان الذي تحصل به النجاة يوم القيامة.
- عن أبن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر) متفق عليه، والوصف بالفسوق والكفر الأصغر دليل على أن هاتين المعصيتين قد أثرتا تأثيرا بليغا في نقص الإيمان.

- عـن حذيفـة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : (لا يدخل الجنة قتـات) متفق عليه، أي نمـام، فهـذه المعصية أنقصـت الإيمان الواجـب نقصا كبيـرا بحيث أن صاحبها حكم عليه بأنه لا يدخل الجنة.
- وفي حديث عياض رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الملقب حماراً، أنه كان يشـرب الخمر، فيُؤتى به فيجلد، فلعنه أحد الصحابة، فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (لا تلعنه، فوالله أني لا أعلم إلا أنه يحب الله ورسـوله) ومن المعلوم أن شـرب الخمر من الكبائر، ومـع ذلـك أثبت له أنه يحب الله ورسـوله، أي هو مؤمـن، فأثبت له الإيمان مع تلبّسـه بهذه الكبيـرة، فعلمنا بذلك أن ارتـكاب الكبيرة لا يخرج العبد من مسمى الإيمان بالكلية.

٨٨٣. ما النصوص القرآنية الدالة على الحكم السابق؟

من النصوص الدالة على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن مسمى الإيمان:
- قـال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَـاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـانٍ﴾ (البقرة: ١٧٨)، فوصف القاتل بأنه أخٌ للمقتول، مما يدل على أنه لا يزال على الإيمان مع اتصافه بالقتل.
- قـال تعالـى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَـانِ مِـنَ الْمُؤْمِنِـينَ اقْتَتَلُـوا فَأَصْلِحُـوا بَيْنَهُمَـا﴾ (الحجـرات:٩)، فسـمّاهم مؤمنين مـع اتصافهم بقتـال بعضهم بعضاً، وقال سـبحانه في آخرها: ﴿إِنَّمَـا الْمُؤْمِنُونَ إِخْـوَةٌ ﴾ فوصفهم بالإيمان وجعلهم إخوة، مما يدل على أنه لا يزال بينهم أخوة الإيمان.

٨٨٤. ما قول بعض الفرق في هذا الجانب؟

- **المرجئة** يقولون: فاعل الكبيرة له الإيمان المطلق، أي أن إيمان أفسـق الناس كإيمـان أصلـح النـاس، ففعـل الكبيرة غير الشـرك لا يؤثـر في نقص الإيمان.
- وأما **الوعيدية** فقالوا: من فعل الكبيرة فإنه يخرج من دائرة الإيمان ومسماه بالكلية، فلا ينفع إيمان مع فعل الكبيرة، فهم سلبوه مطلق الإيمان.

٨٨٥. ما سبب تسمية المرجئة بذلك؟

لأنهم يغلّبون جانب أدلة الوعد المفيدة لتغليب الرجاء.

وقيل: الإرجاء هو التأخير، فلأنهم يؤخّرون العمل عن الإيمان سموا بالمرجئة، ويمكن القول: وكلا الأمرين صحيح فسموا مرجئة لهذا ولهذا.

٨٨٦. من الذي يتعلق بفكر المرجئة من الفرق؟

هم الأشاعرة وبعض الأحناف والماتريدية والجهمية والكلابية، فهؤلاء في باب أسماء الأحكام والدين يُسمون مرجئة.

٨٨٧. ما سبب الوصف بالوعيدية؟

سموا بذلك لأنهم لا يعملون إلا بأدلة الوعيد فقط، ويتركون أدلة الوعد.

٨٨٨. أي الفرق هم الوعيدية؟

هم الخوارج والمعتزلة، فهؤلاء في باب الكلام: (على مرتكب الكبيرة) يصفهم العلماء بالوعيدية.

٨٨٩. هل مذهب أهل السنة هو الوسط والحق؟

نعم، فمذهبهم وسط بين المذهبين، فلم يعطوه الإيمان المطلق كما فعلت المرجئة، ولم يسلبوه مطلق الإيمان كما فعلت الوعيدية.

٨٩٠. ما مذهب أهل السنة في مرتكب الكبيرة في الآخرة؟

يعتقدون أن مرتكب الكبيرة إذا مات مصراً عليها فإنه تحت مشيئة الله تعالى، فإن شاء غفر له كبيرته وأدخله الجنة ابتداءً، وإن شاء عذبه في النار بقدر كبيرته، ثم يخرجه منها ويدخله الجنة انتقالاً.

ويعتقدون مع ذلك أنه لا يخلّد أحد من أهل القبلة في النار خلود الكفار، وإن طالت فترة عذابهم فمآلهم في الختام إلى الجنة.

٨٩١. ما دليل قولهم هذا؟

الدليل على ذلك:

- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن حبة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير). رواه البخاري

- عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (خمس صلوات كتبهنّ الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه، وإن شاء أدخله الجنة). رواه أبو داود

- عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب منٍ ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله؛ إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه). رواه البخاري

٨٩٢. ما بيان أهل السنة لما ورد في النصوص السابقة؟

قالوا: أن فاعل الكبيرة قد اجتمعت فيه الموجبات، فما فعله من الكبائر موجب لعقوبته، وما عنده من الإيمان موجب لإثابته، فاجتمع فيه موجب الثواب وموجب العقاب، فلا نجزم له بأحد الأمرين، بل نكِل أمره إلى الله تعالى، فإن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

٨٩٣. كيف بلغ أهل السنة المنهج الحق في هذا الجانب؟

أهل السنة أخذوا بأدلة الوعيد والوعد، فأعملوا جميع الأدلة الشرعية وهذا هو منهج الوسطية.

فالمرجئة عبدوا الله بالرجاء فقط، والوعيدية عبدوا الله بالخوف فقط، وأما أهل السنة فعبدوا الله بالخوف والرجاء، فأنتج ذلك لهم الخشية، والخشية مزيج من الخوف والرجاء.

٨٩٤. ما أسباب تكفير السيئات؟

من أسباب تكفير السيئات:

الأول: **التوبة**، قال تعالى: ﴿إلا من تاب﴾ وقال: ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح﴾ وفي الحديث: (ويتوب الله على من تاب) وقال ﷺ: (والتوبة تجبّ ما قبلها).

الثاني: **الاستغفار**، قال تعالى: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ وذكر أهل العلم أن الاستغفار يتضمن التوبة والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل واحد منها يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند الاقتران فيكون الاستغفار طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

الثالث: **الحسنات الماحية**، قال تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ وقال ﷺ: (وأتبع السيئة الحسنة تمحها)، وفي الحديث (الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) رواه البخاري.

الرابع: **المصائب الدنيوية**، قال ﷺ: (ما يصيب المسلم من وصبٍ ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفّر الله به من سيئاته). متفق عليه.

الخامس: **عذاب القبر**.

السادس: **دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات**.

السابع: **ما يهدى إليه بعد الموت من ثواب صدقةٍ أو حج**، ونحو ذلك.

الثامن: **أهوال يوم القيامة وشدائده**.

التاسع: **المقاصّة عند القنطرة**، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: (إذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرةٍ بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقّوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة .... الحديث). رواه البخاري

العاشر: **شفاعة المؤمنين له يوم القيامة**.

الحادي عشر: **عفو أرحم الراحمين من غير شفاعه**، كما قال تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

الفصل السادس
قضايا متعلقة بأركان الإيمان

المقدمة

ما يتعلق بأركان الإيمان

٨٩٥. ما أركان الإيمان؟

أركان الإيمان ستة: الإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

٨٩٦. ما دليل القول السابق من القرآن الكريم؟

- قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة:١٧٧).
- وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾.(النساء: ١٣٦)

٨٩٧. ما دليل القول السابق من السنة النبوية؟

حديث جبريل المشهور: (الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره). قال: صدقت. متفق عليه

المبحث الأول:

الإيمان بالله تعالى

٨٩٨. كيف يتحقق الإيمان بالله تعالى؟

لا يتحقق الإيمان بالله تعالى إلا إذا آمنّا بأربعة أمور:

الأمر الأول: أن نؤمن بوجوده سبحانه.

الأمر الثاني: الإيمان بربوبيته جل وعلا.[٥٤]

الأمر الثالث: الإيمان بألوهيته سبحانه.[٥٥]

الأمر الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته سبحانه.[٥٦]

المطلب الأول: الإيمان بوجوده سبحانه.

٨٩٩. ما الأمور الدالة على وجود الله تعالى؟

دلّ على وجوده دليل الفطرة والعقل والحسّ والنقل.

٩٠٠. ما المقصود بدليل الفطرة؟

هو ما أودعه الله تعالى في النفوس قبل وجودهم من الإقرار بوجوده وربوبيته سبحانه، وهو الميثاق الذي أخذه الله تعالى من بني آدم قبل خلقهم.

٩٠١. ما دليل هذا في الكتاب العزيز؟

دليله قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٢، ١٧٣)

٥٤- تم شرح ما يتعلق بهذا الجانب في (ص:)

٥٥- تم شرح ما يتعلق بهذا الجانب في (ص:)

٥٦- تم شرح ما يتعلق بهذا الجانب في (ص:)

٩٠٢. ما تفسير الآية السابقة؟

ورد تفسيرها في الخبر المرفوع، عن ابن عباس قال: (أخذ اللهُ الميثاق من ظهر آدمَ، فأخرجَ من صلبه كل ذُرِّيَّة ذرأها، فنثرهُمْ بين يديه كالذَّرّ، ثمّ كلمهم قبلا، قال: ألستُ بربكم؟ قالَوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامَة إنا كُنَا عن هذا غافلينَ، أو تقولوا إنما أشرك آبَاؤُنَا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المُبْطِلونَ). وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي

وقال الحافظ ابن كثير: « يُخبرُ تعالى أنه استخرجَ ذُرِّيَّةَ بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن اللّه ربهم ومليكهم، وأنهُ لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه»[٥٧].

٩٠٣. هل هذا الإقرار يكون حجة على الإنسان يوم القيامة؟

نعم، عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: (يَقُولُ اللهُ تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابًا: لو كانَت لك الدنيا وما فيها، أكنت مُفتديا بها؟ فيقول: نعم، فيقولَ: قد أردتُ منك أهون من هذا وأنت في صُلب آدم: أن لا تُشرك – أحسبه قال: ولا أُدْخلكَ النارَ – فأبيتَ إلا الشركَ).

٩٠٤. هل هناك من يتذكر هذا الميثاق من البشر الموجودين حالياً؟

ليس هناك من أحد من بني آدم يتذكر هذا الميثاق .

٩٠٥. ما علاقة هذا بالفطرة؟

اختار ابن تيمية رحمه الله أن هذا الإشهاد والإقرار إنما هو عند خلقهم على الفطرة الحنيفية، قبل أن يتهوّدوا أو يتنصّروا، أو يتحولوا إلى غيرهما.

٩٠٦. هل هناك من سيخالف هذا الإقرار؟

لا ينكر ذلك إلا من تلوّثت فطرته بالمؤثرات والأفكار الخارجية.

٩٠٧. ما الدليل على هذا الأمر؟

قال ﷺ: (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه

٥٧- تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٠)

أو يمجّسانه). رواه مسلم

والنبي ﷺ لم يقل (يُسلمانه)؛ لأن الإنسان مسلمٌ بالأصالة، وفطرته على الإسلام، متضمنة على الإقرار بالوجود، وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: (خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم) . رواه مسلم

٩٠٨. ماذا نستفيد من الحديث السابق؟

نستفيد أنه لو تركت الفطرة وشأنها من غير أي ملوثات عقدية باطلة لنشأ صاحبها مقرًا كل الإقرار بوجود الله تعالى وربوبيته، فكل مخلوق قد فُطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم.

٩٠٩. ما علاقة الإقرار بربوبية الله مع إثبات وجوده سبحانه؟

الإقرار بربوبيته جلّ وعلا متضمن للإقرار بوجوده.

٩١٠. كيف يمكن عقلاً تحقيق الإثبات لوجود لله تعالى؟

يمكن أن يُقال بأن هذا العالم علويه وسفليه كائنٌ بعد أن لم يكن، وحادثٌ بعد عدم، وقد تقرر في المعقولات أن كل حادث فلابد له من محدث، وكل مفعول فلابد له من فاعل.

٩١١. ما الاحتمالات العقلية المحتملة في وجود أو عدم أي شيء؟

الاحتمالات العقلية المتوقعة:

- إما أن يكون هذا العالم قد أوجَدَ نفسه بنفسِهِ.
- وإما أن يكون قد وُجد هكذا صدفة.
- وإما أن يكون له خالق قدير، له القدرة التامة.

٩١٢. ما بيان الاحتمالات العقلية السابقة؟

- أما الأول، فلا يمكن ولا يعقل، لأنه من قبل أن يوجد نفسه كان عدمًا وهل المعدوم يوجد نفسه؟ بالطبع لا؛ لأنه لا شيء وما ليس بشيء فكيف يكون خالقًا لهذا العالم.

- وأما الثاني، فلا يمكن ولا يعقل أيضًا؛ لأن هذا العالم خُلق على نظام بديع ودقيق جدًا للغاية ولم يتبدل هذا النظام ولم يتغير، وما وُجد صدفة يمتنع في بدائه العقول أن يستمر على هذا النظام الرفيع والتناسق العجيب.
- أما الثالث، وهو الحق الذي لاجدال فيه، وهو أن الذي خلق هذا العالم هو الخالق القادر على كل شيء، الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي أمرُه بعد الكاف والنون.

٩١٣. هل ورد في القرآن ما يؤيد الدليل الثالث؟

نعم، قد ذكر القرآن ذلك الدليل العقلي البديع في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾.

٩١٤. ما الأمثلة على الأدلة الحسية في إثبات وجود الله تعالى؟

أما الأدلة الحسّية، فهي من وجهين:

أحدهما: **إجابة الدعاء**، فيرفع العبد يديه سائلاً فتأتيه الإجابة ، فمن الذي سمع دعاءه وأعطاه رجاءه؟ إنه الله الذي لا إله إلا هو، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾.(الصافات:٧٥)

والثاني: **معجزات الأنبياء**، التي بهرت العقول وأعلنت للعقول السليمة، والفطرة المستقيمة صدق دعوى الأنبياء بأنهم رسلٌ من عند الله تعالى، فمن الذي أجراها على أيديهم؟ إنه الله الحق سبحانه.

٩١٥. كيف تضمنت الأدلة النقلية على التقرير بوجود الله؟

الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، بما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق، وهذا دليلٌ على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وأيضا بما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليلٌ على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

٩١٦. ما ثمرات الإيمان بالله تعالى؟

الثمرات كثيرة، ونجملها فيما يلي :

منهـا: تحقيق توحيد الله تعالى ، بحيـث لا ينصرف القلب ولا يتعلق بغيره، رجاءً وحبًا وخوفًا وتوكلاً وأن لا يعبد غيره .

ومنهـا: كمال محبـة الله تعالى وتعظيمه بمقتضى أسـمائه الحسـنى وصفاته العليا.

ومنها: هدوء النفس وطمأنينة القلب وراحة البال وصفاء العيش، وانشراح الصدر بمعرفته جل وعلا والإيمان بهو، فإن السـعادة مشروطة بذلك، قـال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِـلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُـوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾. (النحل:٩٧)

ومنهـا: دوام شـكره جل وعلا علـى نعمة الإيمان بـه والتوفيـق لذلك بينما أكثر الخلق في ضلال وضياع عن هذه النعمة العظيمة التي لا توازيها نعمة.

ومنهـا: تحقيـق عبادتـه جل وعـلا بفعل ما أمـر واجتناب ما نهـى عنه، رضاً وتسليمًا رجاء ثوابه وخوفًا من عقابه .

ومنهـا: دعوة الخلق إلى الإيمان به جلّ وعلا والتواصي بذلك، والصبر على مـا يحصـل للداعـي إلى ذلك مـن الأذى في سـبيل الله جـل وعلا، واحتساب الأجر في ذلك.

المبحث الثاني

ما يتعلق بالملائكة

٩١٧. ما أصل كلمة (ملائكة) لغة؟

هي من: ملكٌ، يملكُ، وأصلها: (ميم، لام، كاف) وهي تعني القوة والسيطرة.

والملائكة جمع ملك، وملك أصلها مألك، وقلبت ملأك، ثم جمعت ملائكة.

ومألك، والمألكة، والألوكة: فعلها ألك، أي بلغ الرسالة، فسميت اللائكة بهذا الاسم لأنهم كلهم مستصلحون لإبلاغ رسالة الله للبشر.

٩١٨. مَنْ هم الملائكة؟

الملائكة: عالم غيبي، مخلوقون من نورٍ، للقيام بأعمال مخصوصة.

٩١٩. هل الإيمان بهم يعدّ من أركان الدين؟

نعم، وهو الركن الثاني من أركان الإيمان، لحديث: (الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره). متفق عليه

٩٢٠. كيف يتم تحقيق الإيمان بالملائكة؟

لا يتم الإيمان بالملائكة إلا إذا استوفيت الإيمان بعدة أمور:

الأول: أن نؤمن بوجودهم، وقد دلّ على وجودهم النقل، وذلك في آيات كثيرة، ويتضمن الإيمان بوجودهم الإيمان بأن لهم أجسامًا، لا أنهم مجرد قوى الخير، كما يقوله بعض طوائف الفلاسفة.

الثاني: الإيمانٍ بمن علمنا اسمه منهم ومن لم نعلم اسمه منهم، فنؤمن بهم إجمالاً، فممن علمنا اسمه: جبريل وميكائيل ومالك ومنكر ونكير وإسرافيل، وكل من صح الدليل باسمه فنؤمن به وباسمه.

الثالث: الإيمان بما علِمنا من صفاتهم الواردة في الكتاب والسنة.

٩٢١. كلمة (ملائكة) هل تفيد الذكورة أو الأنوثة في خلقتهم؟

من الخطأ إخضاع الغيبيات لمقاييس البشر، ومثل هذا ما وقع للكفار حيث ظنوا أن الملائكة إناثا، والصحيح أنهم لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة.

٩٢٢. ما خطورة وصف الملائكة بوصف الأنوثة؟

من وصَفَهم بهذا فقد عارِض القرآن، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف:١٩)

٩٢٣. ما مادة الخلق للملائكة؟

خلق اللهُ تعالى الملائكة من نور.

٩٢٤. ما دليل هذا القول؟

قال النبي ﷺ: (خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم). رواه مسلم

٩٢٥. هل ورد التبيان لهذا النور؟

لم يبيّن لنا الشرع عن أي نور خلق الله الملائكة منه، وهذا من الغيب الذي لا نخوض فيه.

٩٢٦. متى خلق اللهُ الملائكة؟

ليس هناك أي تحديد لهذا.

٩٢٧. هل هناك من اعتقد في الملائكة اعتقادًا فاسدًا؟

نعم هناك من اعتقد بعض الاعتقادات الفاسدة في الملائكة.

من ذلك: أن بعض الطوائف تعتقد أنهم يتصفون بشيء من صفات الألوهية فعبدوهم من دون الله تعالى، قال تعالى: ﴿ ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾.

ومن ذلك: أن المشـركين كانوا يعتقدون أن الملائكة إناث، وهذا اعتقاد فاسد باطل، قـال تعالى: ﴿ وَجَعَلُـوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَـادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾. (الزخرف:١٩)

ومن ذلك: اعتقاد أن بين الملائكة وبين الله نسبًا، قال تعالى: ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا ولقد علمـت الجنة إنهم لمحضـرون ﴾، و(الجنة) هنا يُراد بهم الملائكة على قول كثير من المفسرين.

ومن ذلك: ما يعتقده الفلاسـفة من أنه لا حقيقة للملائكة وليسـوا بأجسام، ولكن المراد بهم قوى الخير، كما أن المراد بالشياطين قوى الشر! وهذا المذهب كفر مخالف للقرآن والسنة.

٩٢٨. ما القاعدة المتقررة عند أهل السنة والجماعة في عالم الملائكة ؟

القاعدة في ذلك: أن هذا العالم غيبي، ومبنَى أموره نفيًا وإثباتًا على الدليل الشـرعي الصحيح، أي أنه لا مدخل للعقل في إثبات شـيء له أو نفيه عنه، بل الواجب هو الوقوف على ما وقف عليه النص.

٩٢٩. ما الصفات الوارد شرعا للملائكة؟

من تلك الصفات:

منها: أنهم أولوا أجنحة، قال تعالى: ﴿ الحمد لله فاطر السـموات والأرض جاعل الملائكة رسـلًا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشـاء ﴾، وفي حديث أبي هريرة في تفسير قوله تعالى: ﴿ حتى إذا فـزع عـن قلوبهـم ﴾، قال: (إذا قضـى الله الأمر في السـماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان). رواه ابن ماجة

ومنهـا: وصف الله تعالى لعبده ورسـوله جبريل: ﴿عَلَّمَهُ شَـدِيدُ الْقُوَى ذُو مِـرَّةٍ فَاسْـتَوَى ﴾ (النجـم:٦)، وقال جلِ وعلا فِيه: ﴿ إنه لَقول رسـول كَريم ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ (التكوير: ٢١)

ومنهـا: التفـاوت فـي عـدد الأجنحة، فـي الحديث عند مسـلم عن عائشـة مرفوعًـا: (رأيته منهبطا من السـماء (أي: جبريل) له سـتمائة جناح،

سادًا عظم خلقه ما بين السماء والأرض).

ومنها: وصف اللـه تعالى لملائكة العذاب، في قوله: ﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ .

ومنها: أنهم لا يفترون ولا يملون في القيام بما أوكل إليهم من الأعمال، قال تعالى: ﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾.

ومنهـا: أنهـم منزّهون عـن مخالفة الأمر وفعـل المعصية، قـال تعالى: ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾.

ومنها: أنهم لا يأكلون ولا يشربون، ويُستدل على هذا بقصة أضياف إبراهيم ﷺ، قال تعالى: ﴿ فقربه إليهم قال ألا تأكلون ﴾ .

٩٣٠. يُقال أن الملائكة لهم الخلقة العظيمة، فما القول في هذا؟

نعـم، وورد فـي هذا عـن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسـول الله ﷺ قـال: (أُذن لي أن أحـدّث عن أحـد حملة العرش، ما بين شـحمة أذنه وعاتقه مسـيرة سبعمائة عام). رواه أبو داود

٩٣١. ما الصفات العامة التي تشترك فيها جميع الملائكة؟

تشـترك فـي الصفـات الآتيـة: العصمـة الكاملة مـن الذنـوب، الطاعة لله والثناء عليه وعبادته دون انقطاع أو فتور، الخوف منه سـبحانه، القدرة على التشكل، السرعة العظيمة.

٩٣٢. ما الدليل على عصمتهم المطلقة من جميع الذنوب؟

دليله قول الله تعالى: ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (التحريم: ٦)

٩٣٣. ما الدليل على دوام العبادة منهم لله تعالى؟

دليله: ﴿ فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ (فصلت: ٣٨)

٩٣٤. ما الدليل على عظيم خوفهم من الله تعالى؟

دليلـه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْـجُدُ مَا فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِـنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل: ٤٩-٥٠)

٩٣٥. هل شاهد النبي ﷺ منهم هذه الخشية؟

نعم، فعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسـول الله ﷺ قال: (مررت ليلة أسـري بي بالملأ الأعلى، وجبريل كالحِلس [58] البالي من خشية الله). (صحيح الجامع)

٩٣٦. ما القول في إمكانية رؤية الملائكة، هل هذا ممكن؟

غيـر ممكن، فلا يسـتطيع بنـو آدم رؤية الملائكة في الحيـاة الدنيا، لأن الله لم يعطِ أبصارهم القدرة على رؤيتهم بصورتهم الحقيقية.

٩٣٧. هل هذا المنع يشمل كل بني آدم؟

لا، فالنبي ﷺ استطاع أن يشاهد جبريل بصورته الحقيقية أكثر من مرة.

٩٣٨. هل الملائكة على قدر واحد في الخلقة أو بينهم تفاوت؟

بينهـم تفاوت كبير في أمور كثيرة، منها في عدد الأجنحة، وفي مقامهم في الملكوت الأعلى، قال تعالى ﴿وما منا إلا وله مقام معلوم﴾ (الصافات: ١٦٤) وأفضلهم من شهد غزوة بدر.

٩٣٩. ما دليل الفضل السابق؟

عن رفاعة بن رافع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أن جبريل جاء للنبي ﷺ فقال: (ما تعدّون من شـهد بدرا فيكم؟ قلت: خيارنا. قال جبريل: وكذلك من شهد بدرا من الملائكة، هم عندنا خيارنا). رواه البخاري

٩٤٠. ما الأسماء الواردة شرعا لبعض الملائكة وتحديد أعمالهم؟

من ذلك: أن جبريل عليه السلام هو الموكل بالوحي.

ومنهم: ميكائيل، هو الموكل بالقطر والزرع مما به حياة الأرض.

٥٨- الحِلس: كساء يبسط في أرض البيت

ومنهم: منكر ونكير، موكلان بسؤال أصحاب القبور.

ومنهم: ملك الموت، هو الموكل بقبض أرواح العباد.

ومنهم: ملائكة موكلون بالنطفة في الرحم من نفخ الروح فيها وكتابة ما سيكون عليه من ذكورة وأنوثة أو شقاوة وسعادة.

ومنهم: الملائكة الموكلة بالجبال.

ومنهم: الملائكة الحفظة الذين يحفظون العبد، قال تعالى: ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾، والملائكة الذين يحفظون أعمال العبادة بكتابتها، قال تعالى: ﴿ وإن عليكم لحافظين كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾.

ومنهم: الملائكة الذين يتعاقبون علينا بالليل والنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر، كما في الحديث المعروف: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار).

ومنهم: الملائكة السيّارة الذين يسيحون في الأرض بحثًا عن حِلق الذكر كما في حديث: (إن لله ملائكة سيارة ...) الحديث

ومنهم: الملائكة الموكلون بالنار، ومقدمهم الملك مالك عليه السلام.

٩٤١. بعضهم يصوّر الملائكة على أنهم مثل الأطفال، وفوق رأسهم حلقة، ولهم جناحان، فهل هذا صحيح؟

هذا تصوّر باطل، وفكر خاطىء مستمد من الديانات النصرانية الباطلة.

٩٤٢. دائماً يُضرب الناس المثال بجمال الملائكة، فهل هذا صحيح؟

نعم، فقد خلق الله تعالى الملائكة في صورة جميلة كريمة، قال تعالى: ﴿علمه شديدالقوى ذو مرة فاستوى﴾ (النجم: ٦) قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ذو مِرة﴾ أي: ذو منظر حسن.

٩٤٣. هل بين الملائكة والبشر شبهٌ في الشكل والصورة؟

نعم، فقد ورد عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (عُرِض عليّ الأنبياء، فإذا موسى ضربٌ من الرجال كأنه من رجال شنوءة، ورأيت

عيسى ابن مريم، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم، فإذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم (يعني نفسه) ورأيت جبريل، فإذا أقرب من رأيت به شبها دحية). رواه مسلم

٩٤٤. هل هذا الشبه كائن في الخلقة الحقيقية للملك، أو عند التشبه؟

الراجح هو عند التمثل بصورة التي يتمثل بها.

٩٤٥. هل للملائكة القُدرة على التشكل بصورة البشر؟ ما الدليل من القرآن

نعم، فلهم القدرة على ذلك، كما ورد بذلك في القرآن:

- قال تعالى: ﴿ فأرسلنا إليها فتمثل لها بشرًا سويًا ﴾.
- وقال تعالى: ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ﴾، فإنهم جاءوه على صورة البشر، ولذلك ظنهم إبراهيم ﷺ من عابري السبيل فقرّب الطعام إليهم.
- وقال تعالى: ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطًا سيء بهم وضاق بهم ذرعًا ﴾، قال العلماء: (إنهم جاءوه في صورة شباب حسان الوجوه).

٩٤٦. ما الدليل من السنة على تشكل الملائكة بصورة بشر؟

من ذلك:

- حديث جبريل: (إذ طلع رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر)، وفي ختامه: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم). متفق عليه
- كان جبريل يأتي النبي ﷺ كثيرًا في صورة الصحابي دحية بن خلف الكلبي، وهو من أجمل الصحابة صورة.
- قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا وفيه: (فأرسل الله لهم ملكًا في صورة رجل) . رواه البخاري
- حديث الرجل الذي زار أخًا له في قرية، فأرصد الله على مدرجته ملكًا في صورة بشر يسأله.
- قصة الثلاثة من بني إسرائيل: الأعمى والأقرع والأبرص، وأن الذي ابتلاهم ملك أرسله الله تعالى على صورة بشر. رواه البخاري

٩٤٧. ما الغاية من خلق الله تعالى للملائكة؟

خلقهم الله تعالى لأجل أمرٍ واحد وهو تحقيق الطاعة والعبادة له.

٩٤٨. ما دليل هذا التقرير؟

قال تعالى: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ (الأنبياء: ٢٠) وقال تعالى: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (التحريم:٦)

٩٤٩. هل يحتاج الملائكة للراحة أو النوم لطول عبادتهم؟

لا، فالفتور لا يتنابهم أبداً، قال تعالى: ﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾. (الأنبياء:١٩)

٩٥٠. ما هي عبادة الملائكة؟

عبادتهم هي ذكر الله، وأعظمها التسبيح، قال تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم﴾ (غافر:٧)

٩٥١. هل هذه العبادة تتوقف في وقت معين؟

لا تتوقف أبداً، قال تعالى: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ (الأنبياء:٢٠)

٩٥٢. ما العبادات الأخرى التي يقوم بها الملائكة؟

يقومون بالسجود والقيام، عن حكيم بن حزام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بينما رسول الله ﷺ في أصحابه إذ قال لهم: (أتسمعون ما أسمع)؟ قالوا: ما نسمع من شيء! فقال النبي ﷺ: (إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد وقائم). السلسلة الصحيحة

٩٥٣. ماذا عن بقية العبادات، مثل الحج؟

نعم لهم ذلك، ففي السماء السابعة كعبة يحجُون إليها، قال تعالى: ﴿والبيت المعمور﴾ وثبت أن رسول الله ﷺ قال في حديث المعراج بعد مجاوزته للسماء السابعة: (ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم). متفق عليه

٩٥٤. هل عليهم حساب أو عقاب يوم القيامة؟

لا، فهم ليسوا بداخلين في الوعد والوعيد، لأنهم ليسوا بمكلّفين.

٩٥٥. أين هي منازل الملائكة؟

منازل الملائكة ومساكنهم السماء، قال تعالى: ﴿تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ (فصلت:٣٨)

٩٥٦. أليست الملائكة متواجدة بيننا، وفي الأرض كلها؟

نعم، هي موجودة بيننا، لكنها تنزل لتنفيذ ما أمرهم الله به من مهام وأعمال، قال تعالى: ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾. (مريم:٦٤)

٩٥٧. لبُعد المسافة بين السماء عن الأرض، فما سرعة طيران الملائكة؟

لهم القدرة الهائلة في ذلك، مما تتحير في قدرة البشر لفهمها لقصور علمهم، فالجواب كان يأتي مع جبريل من الله سبحانه في أقل وقت يمكن أن تتصوره القدرة البشرية.

٩٥٨. هل كل من جاءه مَلَك يعتبر من الأنبياء أو المرسلين؟

لا، فقد جاء الملك إلى مريم، كما أرسله سبحانه إلى أم إسماعيل.

٩٥٩. لماذا لم يرسل الله الرسل والأنبياء من الملائكة؟

لأسباب كثيرة، منها:

- طبيعة الملائكة المخالفة لطبيعة البشر.
- الصورة العظيمة للملائكة التي لن يتقبلها البشر.
- صعوبة الاتصال بالملائكة.

٩٦٠. ما الصفات الخُلقية التي تتميز بها الملائكة؟

مما يتميزون به أنهم كرام بررة، لحديث: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به فهو مع السفرة الكرام البررة) وفيهم الحياء، لقول النبي ﷺ عن حيائه من عثمان: (ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة). رواه مسلم

٩٦١. هل الملائكة تموت؟

نعم، قد كُتِب عليها الموت.

٩٦٢. ما دليل هذا الحكم؟

قال تعالى: ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾، ولعموم قوله تعالى: ﴿ كل نفسٍ ذائقة الموت ﴾، ولقوله تعالى: ﴿ كل من عليها فان ﴾.

٩٦٣. هل يموت الملائكة مثل وفاة بني آدم بعد أجل معين؟

الدليل الشرعي إنما أثبت موتهم يوم النفخ في الصور، وأما قبل ذلك فلا عِلم لنا به.

٩٦٤. ما عدد الملائكة في السموات؟

عددهم كثير لا يعلمه إلا الله تعالى.

٩٦٥. ما الدليل على هذا القول السابق؟

دليله قوله تعالى: ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾.

وقال ﷺ: (أطّت السماء وحق لها أن تئط، ما من موضع أربع أصابع إلا ملك ساجد أو راكع).

وفي الحديث في صفة البيت المعمور: (فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم)، وأضرب مثالاً واحدًا على كثرتهم، وذلك في قوله ﷺ: (يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)، فعدد هؤلاء فقط (٤،٩٠٠،٠٠٠،٠٠٠) ملك.

٩٦٦. مع هذا العدد الوفير، هل هم منظمون في تواجدهم في الملكوت الأعلى؟

نعم، وقد حثنا النبي ﷺ بالإقتداء بنظامهم، قال: (ألا تصفّون كما تصفّ الملائكة عند ربهم؟ قالوا: وكيف يصفّون عند ربهم؟ قال ﷺ: (يكملون الصف الأول فالأول، يتراصون في الصف). رواه الترمذي

وابـن ماجـة، وهـم يقفون بين يدي اللـه صفوفا منتظمة يـوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ (الفجر:٢٢)

٩٦٧. هل فيهم دقّة في تنفيذ أمر الله تعالى؟

نعم، ودليل هذا ما ورد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك). رواه مسلم

٩٦٨. هل الملائكة أفضل أم صالحي البشر ؟

هـذا فيه خـلاف قديم بـين العلمـاء، والأقرب في ذلـك ما اختاره الشـيخ تقـي الدين وتابعه عليـه ابن القيم رحمهما الله تعالـى: «أن الملائكة أفضل باعتبـار البداية؛ لأنهم الآن في الرفيق الأعلى، منزهون عن ما يلابسـه بنوا آدم، مسـتغرقون في عبادته جل وعلا، ولا ريب أن هذه الأحوال أكمل من أحـوال البشـر، وصالحي البشـر أكمل باعتبـار النهاية أي بعـد دخول الجنة ونيـل الزلفى وتحيـة الرحمن والإكرام برؤيته في دار السـلام وتخصيصهم بمزيد القـرب، وقيام الملائكة لخدمتهم بإذن ربهم يدخلون مسـلمين عليهم من كل باب ، قال ابن القيم: (وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه».

٩٦٩. هل الملائكة تلعن أحدًا؟

نعم، والضابط في ذلك أنها تلعن من لعنه الله تعالى.

٩٧٠. ما الأدلة على الحكم السابق؟

ثبت بذلك الأدلة الكثيرة، أذكر بعضها:

فمنهـا: لعنتهـم للكافرين، قال تعالى: ﴿ إن الذين كفـروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾.

ومنها: لعنهم للمرأة التي لا تسـتجيب لزوجها في فراشـه، ولا مانع شرعي يمنعها من حيض أو نفاس، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسـول الله ﷺ: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشـه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة

حتى تصبح) ، وفي رواية : (حتى ترجع). رواه البخاري

ومنها: لعنهم للذي يشير إلى أخيه بحديدة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال أبو القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه) . رواه مسلم

ومنها: لعنهم من سب أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) . رواه الطبراني في الكبير

ومنها: لعنهم من حال دون تنفيذ شرع الله تعالى، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من قتل عمدًا فقود يديه، فمن حال بينه وبينه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) سنن النسائي وابن ماجه

ومنها: لعنهم لمن آوى محدثاً، فعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (المدينة حرم ما بين عِير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً). متفق عليه

٩٧١. ما ثمرات الإيمان بالملائكة ؟

ثمرات الإيمان بالملائكة كثيرة وألخصها فيما يلي:

الأولى: العلم بعظيم قدرة الله تعالى وعظمته، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

الثاني: الإيمان بقدرته التامّة جل وعلا على إحياء الموتى وبعث الأجساد من القبور لفصل القضاء، فإن الله الذي خلق هؤلاء الملائكة على هذه الصفات العظيمة وهم أكبر من خلق الناس بكثير قادر من باب أولى على إعادة هذا الخلق الصغير الذي مبدؤه نطفة ثم علقة.

الثالث: تحقيق محبة الملائكة، فإنهم يحبون المؤمنين ويدعون لهم بالمغفرة والجنة، هم وآباؤهم وأزواجهم وذرياتهم، وعلى ما قاموا به من عبادة الله تعالى، وغير ذلك.

الرابع: ألا نؤذيهم بقول أو فعل، ومن ذلك ألا نفعل ذنبًا أو معصية، فإن

الملائكة تتأذى من ذلك، لعلمها أن ذلك هو طريق النار وهي تريد لنا الجنة، وإذا أردنا أن نحضر للمساجد فلا نأكل ثومًا ولا بصلاً ولا شيئًا له رائحة كريهة، ولا نؤذي عباد الله المؤمنين فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوا آدم.

الخامس: التشبّه بهم فيما هو داخل تحت قدرتنا من صفاتهم، ومن ذلك تحسين صفوف الصلاة، ومن تقاربها وتراصها وسد الفرج وإتمام الصفوف الأول فالأول، ومن ذلك تعظيم كلام الله المنزل، أي القرآن، وتعظيم السنة، والبحث عن حلق تعليم العلم النافع، والتواضع لأهل العلم، فإن الملائكة تضع أَجنحتها لطالب العلم رضًى بما يطلب، ومن ذلك الاستغفار للمؤمنين ومحبتهم، وإرادة إيصال الخير والنفع لهم والدعاء لهم بالجنة، ونحو ذلك.

السادس: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكّل من الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وإعانتهم على القيام بمصالحهم.

ما يتعلق بجبريل عليه السلام

٩٧٢. ما معنى اسم جبريل؟

يعني عبد الله.

٩٧٣. ما الأوصاف التي جاءت لجبريل في القرآن؟

من تلك الأوصاف أنه: الروح الأمين، الرسول الكريم.

٩٧٤. ما موقعه بين الملائكة؟

هو أعظمهم وأشرفهم، والمقدّم عليهم.

٩٧٥. ما دلالة هذا الأمر؟

دلالته هو قُربه من الله تعالى، وأن الله خصه بأعظم أمر وهو تبليغ الوحي.

٩٧٦. ما الأمور الدالة على عظمة خِلقة هذا الملك؟

ورد أن جبريل له ستمائة جناح، كل جناح منها يسدّ الأفق.

٩٧٧. هل انقطعت وظيفة جبريل مع موت النبي ﷺ؟

نعم، من جهة تبليغ الرسالة والوحي فقط.

٩٧٨. يُقال أن جبريل له خصوصية في ليلة القدر؟

نعم، فهو ينزل مع الملائكة تشـريفاً لهذه الليلة، قال تعالى: ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ (سورة القدر)

٩٧٩. هل مهمة جبريل مقتصرة على تبليغ الوحي فقط؟

لا، فهو كان يأتي النبي ﷺ في رمضان ليدارسه القرآن.

٩٨٠. لماذا ورد التخصيص له في القرآن بالنهي عن عداوته؟

لأن اليهود يكرهونه، فهو باعتقادهم المسؤول عن العذاب والتدمير.

٩٨١. كيف كان يأتي الوحي إلى النبي ﷺ؟

كان يأتيـه بصـور متنوعة، فورد أن الحارث بن هشـام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سـأل النبيّ ﷺ: كيـف يأتيك الوحـيُ؟ قـال: كلُّ ذاك، يأتي الملـكُ أحيانًا في مثـلِ صلْصَلَة الجرس، فَيفْصمُ عني وقد وعيتُ ما قال، وهو أشدُّه عليّ، ويتمثلُ لي الملَكُ أحيانًاَ رجلاً، فَيكلِّمُني فأعي ما يقولُ.   رواه البخاري

٩٨٢. هل رأى النبي ﷺ جبريل في صورته الحقيقية؟

نعـم، رآه في صورتـه الحقيقية في مكة بعد البعثة، عـن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أنه سـمع رسـولَ الله ﷺ يقولُ: (ثم فترَ عَنِّي الوَحيُ، فبَيْنا أنا أمْشي، سَمِعتُ صَوتًا مِنَ السّماءِ، فرَفَعتُ بَصَري إلى السّماءِ، فإذا المَلَكُ الذي جاءَني بحِراءٍ، قاعِدٌ علَى كُرسيٍّ بين السّماءِ والأرضِ) . ورآه مرة ثانية في المعراج.

٩٨٣. هل كان من جبريل تعليم عملي لأمور الدين للنبي ﷺ؟

نعم، فمن ذلك:

- أنـه أمّ النبـي ﷺ ليعلّمه الصلوات كمـا يريدها الله، وفـي يومين ليبين له أوقات أداء الصلاة. رواه البخاري

- وعلّمه الوضوء، فعن زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول ﷺ قال: (أتاني جبريل في أول ما أُوحي إلي، فعلمني الوضوء والصلاة، فلما فرغ من الوضوء، أخذ غُرفة من الماء فنضح بها فرجه). رواه أحمد

٩٨٤. هل كانت له رعاية خاصة للنبي [لو وقع به مرض؟

نعم، فكان يرقي النبي، فعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (آتاني جبريل، فقال: يا محمد اشتكيت؟ قلت: نعم. قال: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل ذي نفس، وعين حاسد، بسم الله أرقيك، والله يشفيك). رواه مسلم

ما يتعلق بالمَلَك ميكائيل

٩٨٥. ما معنى اسم ميكائيل؟

يعني: عبد الله.

٩٨٦. ما العمل المناط بهذا الملك الكريم؟

موكول به إنزال المطر والنبات.

٩٨٧. ما دليل هذا التقرير؟

ذكر هذا ابن كثير رحمه الله، فقال: « وميكائيل موكل بالقطر والنبات، اللذَين يخلقان منهما الأرزاق في هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله، وقد روينا أنه ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض».[٥٩]

٩٨٨. ماذا ورد من دليل على ما يتعلق بالمسؤول عن السحاب؟

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول ﷺ قال: (الرعد ملَك من الملائكة، مُوكل بالسحاب، بيده أو في يده، مخراق من نار، يزجر به السحاب، والصوت الذي يسمع منه زجره السحاب حيث ينتهي إليه أمره). السلسلة الصحيحة

٥٩-البداية والنهاية (١/ ٥٠)

ما يتعلق بملَك الموت.

٩٨٩. اسم (عزرائيل)، هل هو اسمٌ لملك الموت؟

لا، هذا لم يثبت بنصٍ صحيح هذا، والصحيح وصفه بملك الموت.

٩٩٠. ماذا قال العلماء حول اسم ملك الموت؟

قال ابن كثير: « وأما ملك الموت فليس بمصرحٌ باسمه في القرآن، ولا في الأحاديث الصحاح».[٦٠]

٩٩١. يقال أن مَلَك الموت يأتي للأنبياء ويحادثهم قبل قبض روحهم؟

نعم، فهو يأتيهم ليخيّرهم قبل قبض الروح، بين البقاء أو الموت.

٩٩٢. هل هناك من دليل على هذا؟

نعم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسولُ الله ﷺ وهو صحيحٌ يقول: (إنه لم يُقبَض نبيٌّ قطُّ حتى يرَى مَقْعَدَهُ في الجَنَّة، ثم يحَيّا، أو يُخَيّرَ). قالت: فلما اشتكى وحضرَهُ القبضُ، ورأسُهُ على فخذ عائشةَ غُشيَ عليه، فلما أفاقَ شخصَ بَصرُهُ نحوَ سقف البيت ثم قال: (اَللَّهُمَّ فَي الرّفيق الأعَلَى) . فقُلْت : إذا لا يُجاورُنا، فعرفتُ أنه حَديثُهُ الذي كان يُحَدِّثُنا وهوَ صحيحٌ». رواه البخاري

٩٩٣. يُقال أنه قد وقعت قصة بين نبي الله موسى ﷺ وملَك الموت؟

نعم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (جاء ملك الموت إلى موسى بن عمران، فقال له: أجب ربك فقال: فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها) قال ﷺ: فرجع ملك الموت إلى الله فقال: أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني) قال: فردّ الله عينه. وقال: ارجع إلى عبدي. فقل: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على ثور، فما توارت يدك من شعرة، فإنك تعيش بها سنة). متفق عليه

٩٩٤. قبض الأرواح، هل هو مسؤولية متعلقة بملك واحد؟

٦٠- البداية والنهاية (١/ ٤٢)

هي متعلقة ابتداء بملك الروح وغيره، قال تعالى: ﴿ وهو القاهر فوق عبادة ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾. (الأنعام:٦١)

٩٩٥. هل يختلف قبض الروح للمؤمن عن الكافر من الملائكة؟

نعم، فقبض أرواح المؤمنين يكون برفق، وللكافرين فهو بنزعٍ شديد لا رحمة فيه.

٩٩٦. كيف يعرف المؤمن حسن وفادة الملائكة عليه قبل قبض الروح؟

تأتيه بالبشارة والتثبيت، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾. (فصلت: ٣٠-٣١)

٩٩٧. ما حال الملائكة مع الكفرة عند قبض أرواحهم؟

تبشّرهم الملائكة بالنار وغضب الجبار، وتقول لهم: ﴿أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون﴾. (الأنعام: ٩٣)

ما يتعلق بنافخ الصور

٩٩٨. ماذا ورد عن عمل هذا الملَك الكريم؟

الوارد فيه أنه ينتظر الأذن من الله سبحانه لينفخ في الصور.

٩٩٩. ما الدليل على هذا العمل؟

من أدلة هذا:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (كيف أنعَمُ وصاحبُ القرنِ قد التقمَ القرنَ، واستمعَ الإذْنَ متى يُؤمرُ بالنفخ فينفخُ)، فكأنّ ذلك ثقلَ على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهُم ﷺ: قولوا حسبَنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ، على اللهِ توكّلْنا). رواه الترمذي

١٠٠٠. هل له أي وظيفة أخرى؟

لا ، قال النبي ﷺ: (إن طرف صاحب الصور منذ وُكل به مستعد، ينظر نحو العرش مخافة أن يُؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان). رواه ابن حبان

١٠٠١. هل ثبت الدليل الشرعي بأن اسم الموكل بهذا العمل هو: إسرافيل؟

لا دليل شرعي صحيح على هذا، لكنه ورد في حديث لا يصح.[٦١]

١٠٠٢. ما هو الصُور؟

الصُور في اللغة هو مثل القرن الذي يُنفخ فيه للتنبيه، أما الذي عند الملَك فلم يرد الدليل عن قدره وشكله.

ما يتعلق بحملة العرش

١٠٠٣. ما المراد بالعرش؟

هو أعظم المخلوقات، وهو محيط بالسموات، والرحمن سبحانه مستو عليه.

١٠٠٤. كيف اتصال الملائكة به؟

هناك ثمانية من الملائكة يحملون العرش، قال تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾. (الحاقة)

١٠٠٥. ما أوصاف حملة العرش؟

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: : (أُذِن لي أن أحدّث عن أحد حملة العرش، ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام). رواه أبو داود، وفي رواية: (تخفق الطير) رواه أبن أبي حاتم

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال الرسول ﷺ: (أُذِن لي أن أحدث عن أحد حملة

٦١- رواه البيهقي في البعث والنشور وغيره، ومداره على اسماعيل بن أبي رافع وهو ضعيف، قال ابن حجر في التقريب (٤٤٢): «ضعيف الحفظ، وقال الذهبي في الكاشف: ضعيف واهٍ»

العرش، رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام، يقول الملك: سبحانك حيث كنت).
رواه الطبراني في الأوسط

ما يتعلق بملائكة الإحصاء

١٠٠٦. ما المقصود بملائكة الإحصاء؟

هي تلك الملائكة التي تحصي وتسجّل ما يفعله الإنسان.

١٠٠٧. كم ملَك مسؤول عن حفظ أعمال بني آدم؟

وكّل الله بكل إنسان ملَكين حاضرين لا يفارقانه يحصيان عليه أعماله وأقواله، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾. (ق:١٧- ١٨)

١٠٠٨. هل هذا الإحصاء لكل شيء يفعله أو يقوله الإنسان؟

نعم، قال ابن كثير: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى انه ليكتب قوله: أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت».

١٠٠٩. هل هناك إمهال وتأخير في تقييد السيئات رحمةً بالفاعل؟

نعم، فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (إن صاحب الشمال ليرفع القلم ستّ ساعات عن العبد المسلم المخطىء، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كُتبت واحدة). صحيح الجامع

١٠١٠. هل يتحقق التسجيل لأفعال القلوب؟

نعم، فمن همّ بالأمر وبلغ به مرحلة العزم فيتم تسجيل هذا له أو عليه، لقول النبي ﷺ: (قال الله عز وجل: إذا همّ عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرا). متفق عليه

١٠١١. هل هناك تسجيل خاص من الملائكة لأعمال معينة؟

نعم، فهناك تسجيل لأمور محددة، من ذلك:

- **للذين يحضرون مبكرين لصلاة الجمعة**، قال النبي ﷺ: (إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر). رواه البخاري
- **دعاء الحمد في الصلاة**: لحديث رفاعة بن رافع قال: « كنا يوما نصلي وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة، قال ﷺ: (سمع الله لمن حمده)، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه! فلما انصرف، قال ﷺ: (من المتكلم)؟ قال: أنا. قال ﷺ: (لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها). رواه البخاري

١٠١٢. ما الصلوات التي تشهدها الملائكة؟

تشهد صلاة الفجر والعصر لأهميتهما البالغة.

١٠١٣. ما دليل هذا التقرير؟

دليله قول النبي ﷺ: (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائكَةٌ باللَّيْل وَمَلائكَةٌ بالنَّهَار ، وَيَجْتَمعُونَ في صَلاة الْعَصْر وَصَلاة الْفَجْر، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذينَ بَاتُوا فيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ – وَهُوَ أَعْلَمُ بكُمْ – ، فَيَقُولُ : كَيْفَ تَرَكْتُمْ عبَادي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ) . متفق عليه

بقية الملائكة:

١٠١٤. ما المقصود من هذا العنوان؟

يُقصد به أن هناك ملائكة وردت لهم مهام محددة من الله.

١٠١٥. ماذا يتعلق بملَك الجبال؟

يُقصد أن هناك ملائكة مُناطة بها مهمة الاهتمام بالجبال.

١٠١٦. ما هي قدرة هذا الملَك مع الجبال؟

عن أم المؤمنين عائشــة أنهــا قالت للنبي ﷺ: « هل أتى عليك يومٌ أشـدُّ من يـوم أحد» ؟ قال ﷺ: (لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ، وكان أشـدّ ما لقيتُ منهــم يوم العقبةِ، إذ عرضت نفســي على ابن عبـدِ ياليلِ بن عبدِ كلال، فلم يجبني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ علَى وجهي، فلم أستفقْ إلا وأنا بقرنِ الثعالب، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ، فناداني فقال : إن اللهَ قد سـمع قـولَ قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث اللهُ إليك ملكَ الجبال، لتأمره بما شئتَ فيهم، فناداني ملكُ الجبال، فسلّم عليّ، ثم قال : «يا محمدُ، فقال : ذلك فيما شئتَ، إن شئتَ أن أطبقَ عليهم الأخشبَين [٦٢]»؟ فقال النبيُّ ﷺ: بل أرجو أن يخرجَ اللهُ من أصلابهم من يعبد اللهَ وحدهَ، لا يشركُ به شيئًا). رواه البخاري

١٠١٧. **هل هاروت وماروت من الملائكة؟**

في المسألة قولان:

الأول: أنهما رجلان في بابل كانا يعلمان الناس السحر.

والثاني: أنهما ملكان، أرسـلهما اللـه ابتلاء لعباده، فكانا يعلمان الناس بعد تحذيرهما من تعلمه، وقيل أنهما كانا يصفان السحر، ويذكران بطلانه ويأمران باجتنابه، والتعليم هنا بمعنى الإعلام.

ما يتعلق بالملائكة مع آدم عليه السلام.

١٠١٨. **أيهما كان موجوداً قبل الآخر، آدم أو الملائكة؟**

خلق اللهُ تعالى الملائكة قبل آدم.

١٠١٩. **لماذا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام؟**

أمرهم بذلك للتدليل على علو مكانة هذا المخلوق الجديد.

١٠٢٠. **ما نوع سجود الملائكة لآدم عليه السلام؟**

هو سجودُ تشريف وتكريم، وليس عبادة.

٦٢- الأخشبين: أي الجبلين العظيمين

١٠٢١. ما أول حديث جرى بين آدم مع الملائكة؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم علي أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع إلى ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فذهب، فقال: «السلام عليكم». فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. قال ﷺ: فزادوه ورحمة الله). متفق عليه

الملائكة والمؤمنون

١٠٢٢. ما العلاقة بين الملائكة مع المؤمنين؟

بينهما علاقة حب، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تبارك إذا أحب عبدًا نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانا فأحبُوه! فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض). متفق عليه

١٠٢٣. أيهما أعلم، البشر أو الملائكة؟

لا مقارنة بين علم كل طرف، لكن يمكن القول بأن الملائكة عندهم علم وفير علّمهم الله إياه، ولكن ليس عندهم القدرة التي أعطيت للإنسان في التعرف على الأشياء.

١٠٢٤. ما توضيح القول السابق؟

قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)﴾ (البقرة)

١٠٢٥. نجد أن أهل الإيمان لهم تسديد وتوفيق للخير، فمن أين هذا؟

له أسباب كثيرة، ومن ذلك التسديد من الملائكة، قال النبي ﷺ: (من سأل القضاء وُكل إلى نفسه، ومن أجبر عليه ينزل الله عليه ملكا فيسدده). رواه الترمذي وابن ماجة

١٠٢٦. يحتاج المؤمن إلى الدعاء، فهل تعينه الملائكة بذلك؟

قال تعالى: ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلي النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾ (الأحزاب: ٤٣)

١٠٢٧. من الذين تقدّم لهم الملائكة الدعاء؟

الملائكة تصلي (تدعو) على أصناف من البشر، منهم:

- معلم الناس الخير: قال النبي ﷺ: (إن الله وملائكته، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر، ليصلون على معلم الناس الخير). رواه الترمذي
- القاصد للمساجد: قال النبي ﷺ: (أن الملائكة تصلي على الذي يأتي المسجد للصلاة، فتقول: اللهم صلِ عليه، اللهم ارحمه، ما لم يُؤذِ فيه، ما لم يحدث). رواه مسلم
- الحريص على الصف الأول: قال النبي ﷺ: (إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول). رواه الترمذي وابن ماجه
- الذي يمكث في مُصلاه: قال النبي ﷺ: (إنَّ الْمَلائكةَ تُصَلّي على أحدكُمْ ما دامَ في مُصَلاهُ الذي صَلّى فيه ما لم يُحدِثْ: اللهمّ اغفرْ لهُ، اللّهُمّ ارْحَمْهُ). متفق عليه
- الذين يتسحّرون: قال النبي ﷺ: (إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين). رواه ابن حبان
- الذين يصلّون على النبي ﷺ: قال النبي ﷺ: (ما منْ عبد يُصلّي عليّ إلا صلّتْ عليه الملائكةُ ما دام يُصَلي، فليقلِ العبدُ أو فليُكْثِرْ). رواه أحمد
- الذين يعودون المريض: قال النبي ﷺ: (ما من امرىء مسلم يعود مسلما إلا ابتعث الله سبعين ألف ملك، يصلون عليه في أي ساعات النهار كان، حتى يمسي، وأي ساعات الليل كان، حتى يصبح). رواه ابن حبان

١٠٢٨. هل لصلاة الملائكة أثرٌ على حياتنا وآخرتنا؟

نعم، لها فوائد عديدة، منها:

- التثبيت على الإيمان.
- الثناء في الملأ الأعلى.
- تحقق الحب للعبد.
- استجابة الدعاء.
- بلوغ رضوان الله تعالى والجنة.

١٠٢٩. هل تردّ الملائكة السلام على المسلّم؟

نعم، قال رسول الله ﷺ: (لا يحلّ لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاث ليال، فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما، وأولهما فيئاً يكون سبقه بالفيء كفارة، وإن سلم فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة، ورد على الآخر الشيطان، وإن ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعاً أبداً). صححه الألباني في الأدب المفرد

١٠٣٠. أين تتواجد الملائكة بصورة خاصة؟

تتواجد تحديداً في مجالس معينة:

- مجالس الذكر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (إن لله تبارك وتعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى، تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا). متفق عليه
- مجالس العلم: لقول النبي ﷺ: (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده). رواه مسلم

١٠٣١. ما معنى (يحفّونهم)، وكلمة (حفتهم الملائكة)؟

تعني: تحيط بهم.

١٠٣٢. ما استفادة العبد عند اقتران دعائه والتأمين عليه مع تأمين لملائكة؟

يكون الدعاء أقرب إلى الإجابة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (دعوة المرء مستجابة لأخيه بظهر الغيب، عند رأسه ملك يؤمّن على دعائه، كلما دعا له بخير قال: آمين، ولك بمثله). رواه ابن ماجة

١٠٣٣. هل مع بقية الناس ملائكة تعينهم في أمور محددة؟

نعم، فلكل إنسان قرينه من الملائكة، قال النبي ﷺ: (ما منكم من أحد إلا وقد وُكّل به قرينه من الجن ومن الملائكة). رواه مسلم

١٠٣٤. ما الفائدة المرجوة من وجود هذا الملَك؟

فائدته الإعانة لفعل الخير، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك، فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنه من الله وليحمد الله، ومن وجد الآخر فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ثم قرأ ﷺ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم﴾. (البقرة:٢٦٨)

١٠٣٥. هل هناك دعوة وحثّ من الملائكة لبني آدم لفعل الخيرات؟

نعم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ما من يوم يُصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم اعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكا تلفا). رواه البخاري

١٠٣٦. ما واجب المؤمن تجاه الملائكة؟

واجب عليه حسن التعامل معهم، وذلك بتحقيق أموراً معينة منها:

- تطهير البيت من التماثيل والصور والكلب: (فإن الملائكة لاتدخل بيتا فيه صورة أو كلبا). رواه الترمذي وابن ماجة
- ترك الرفقة التي معها كلب أو جرس، فإن الملائكة لا تصحبهم.
- عدم مجالسة السكران والمتزيّن بالزعفران. رواه البزار

١٠٣٧. يُقال أن هناك بعض الروائح تتأذى منها الملائكة، مثل ماذا؟

نعم، مثل البصل والثوم والكراث، لقول النبي ﷺ: (من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربنّ مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم). متفق عليه

١٠٣٨. هل يمكن للإنسان رؤية الملائكة بصورتها الحقيقية في الدنيا؟

هذا ممكن فقط للأنبياء، وغيرهم يمكن أن يرى أمرًا آخر.

١٠٣٩. ما توضيح التقرير السابق؟

يمكن رؤية ما يدل عليهم، مثلما وقع مع الصحابي أسيد رضي الله عنه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن أسيد بن حضير رضي الله عنه بينما هو في ليلة يقرأ في مربده (الجرن) إذ جالت (وثبت) فرسه، فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أيضا، قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها! فقال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: (أقرأ يا ابن حضير) قال: فقرأت، ثم جالت أيضا! قال ﷺ: (اقرأ يا ابن حضير). قال فقرأت، ثم جالت أيضا! قال: (اقرأ يا ابن حضير) قال: فانصرفت، وكان يحيى قريبا منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة، فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها. فقال الرسول ﷺ: (تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم). متفق عليه

١٠٤٠. يُقال أن الملائكة قد تأتي للمسلم في منامه لتخبره بأمور..ما صحة هذا؟

نعم، فقد تأتيه بالبشارة أو الوعيد، ومن ذلك ما جرى لا بن عمر رضي الله عنه، فقال: «كان الرجلُ في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصّها على النبي ﷺ، وكنتُ غلاما شابا عزبا، وكنتُ أنام في المسجد على عهد النبي ﷺ، فرأيت في المنام: كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرنيّ البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار! فلقيهما ملك آخر، فقال لي: لن تُراع. فقصصتها على حفصة، فقصّتها حفصة على النبي ﷺ، فقال: (نعم الرجلُ عبد الله، لو كان يصلي بالليل). رواه البخاري

١٠٤١. هل صحيح أن الملائكة قد تُقاتل مع أهل الإيمان في المعارك؟

نعم، مثلما وقع في غزوة بدر، قال تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾. (الأنفال:٩)

١٠٤٢. ما فائدة تواجد الملائكة مع المؤمنين في المعارك؟

الحكمة منه هو تثبيت المؤمنين والمشاركة معهم في قتال الكفار، قال تعالى: ﴿وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾ (الأنقال: ١٠)

١٠٤٣. هل كانت هناك خصوصية لبعض الصحابة مع الملائكة في الغزوات؟

نعم، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي النبي ﷺ ولأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم بدر: مع أحدِكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل؛ وإسرافيل ملكٌ عظيمٌ يشهدُ القتال، أو قال: يشهدُ الصفَّ!). أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد

١٠٤٤. هل تنقطع علاقة الملائكة بموت الإنسان؟

لا، فقد تشهد جنازته وتشهد له بالخير، قال النبي ﷺ في سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت أبواب السماء، وشهده سبعون ألفا من الملائكة، لقد ضم ضمّة ثم فُرج عنه). رواه النسائي

الملائكة وبعض المدن

١٠٤٥. ما علاقة الملائكة بمكة والمدينة النبوية؟

أكرمهما الله بحراسة الملائكة من دخول الدجال إليهما، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول ﷺ قال: (ليس من بلد إلا سيطؤُه الدّجّال، إلا مكةَ والمدينةَ، ليس لـه من نقابها نَقبٌ إلا عليه الملائكةُ صافّين يحرسونَها، ثم ترجفُ المدينة بأهلِها ثلاثَ رجفاتٍ، فيُخرِجُ اللهُ كلَّ كافرٍ ومنافقٍ). رواه البخاري

١٠٤٦. هل هذه الخصوصية فقط لهاتين المدينتين المباركتين فقط؟

لا، فالرعاية تشمل أيضا الشام، فعن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: (يا طوبى الشام، يا طوبى الشام) قالوا: يا رسول الله، وبم ذلك؟

قال ﷺ: (تلك ملائكة الله باسطة أجنحتها على الشام). رواه الترمذي

الملائكة والكفار والفسقة

١٠٤٧. كيف تتعامل الملائكة مع الكفار في الدنيا؟

يظهر تعاملهم معهم في أمور كثيرة، منها إنزال العذاب بهم، مثل ما وقع في قوم لوط، وغير ذلك.

١٠٤٨. نعلم أن الملائكة تدعو لأهل الإيمان، فما حالهم بالقول مع الكفار؟

تدعو عليهم باللعنة، قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (آل عمران:٨٦-٨٧)

١٠٤٩. هل هناك دعاء من الملائكة على بعض أهل المعاصي المخصوصة؟

نعم، ومن ذلك:

- الذي يشير بحديدة على أخيه: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: (من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه، وإن كان أخا لأبيه وأمه). رواه مسلم
- المرأة التي لا تستجيب لزوجها: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح). رواه البخاري.
- من سبّ أصحاب النبي ﷺ: من سبّ أصحابي، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). رواه الطبراني.
- من يمنع تنفيذ شرع الله: عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (من قتل عمدًا فقود يديه، فمن حال بينه وبينه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). رواه النسائي وأبو داود

- الـذي يـؤوي محدثـا [٦٣]: قـال النبي ﷺ: (مـن أحدث حدثـاً، ومن آوَى محدثـا، فعليـه لعنـة الله والملائكـة والنـاس أجمعـين). رواه أبو داود والنسائي

٦٣- هو الذي يحدث في دين الله بالخروج على أحكامه والاعتداء على شرعه.

المبحث الثالث

ما يتعلق بالجنّ

١٠٥٠. ما تعريف كلمة (الجنّ) لغة؟

مادة (ج ن ن) أصل معناها الستر والإختباء.

ومنها كلمة الجنون، والمِجنّ (الدرع)، والجنّة (البستان)، والجنين، والجِنان (القلب)، وكلها تشترِكَ في معنى: الستر.

١٠٥١. ما تعريف كلمة (الجنّ) اصطلاحا؟

هم المخلوقات المستترة المقابلة للإنس، وفيهم الأخيار والأشرار، ولهم حياة خاصة بهم.

١٠٥٢. ما حكم الإيمان بالجن؟

يجب علينا الإيمان بهم إجمالا بما ورد من أخبارهم في القرآن والسنة عن خلقهم وصفاتهم، وبما ورد عن بعضهم بالتفصيل.

١٠٥٣. مم كان خلق الجن؟

خُلقوا من طرف النار الأعلى، ودليله: ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾ (الرحمن:١٥)

١٠٥٤. هل الجنّ فيهم التميز والتعقّل ومعرفة ما حولهم؟

نعم، فذكر الله عنهم: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾. (الجن:١)

١٠٥٥. هل هناك فرق بين الجن عن الشياطين؟

الجن فيهم المؤمنون والكفار، أما الشياطين فكلهم كفرة.

١٠٥٦. ما أنواع الجن؟

ينقسم الجن حسب أشكالهم إلى جنٍ طائر، وحيات وعقارب، وجن حالٍ.

١٠٥٧. ما دليل التقسيم السابق؟

دليله ما ورد عن أبي ثعلبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (الجن ثلاثة أصناف، صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وعقارب، وصنف يحلون ويظعنون). أخرجه ابن حبان

١٠٥٨. أين يسكن الجن؟

في الجو، وفي البحر، وفي الصحراء، وتحديداً في الخلاء.

١٠٥٩. هل في الجنّ إناث وذكور؟

نعم، ودليله ما ورد في حديث الدخول للخلاء: (اللهم إني أعوذ بك من الخُبث والخبائث). رواه

الخبث: ذكور الجن، والخبائث: إناث الجن.

١٠٦٠. هل يقع بينهم تزاوج وتناسل؟

نعم، استنباطاً من قول الله تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾ (الجن:٦) فالوصف برجال يستلزم وجود نساء، وعندما ذكر سبحانه نعيم الجنة قال: ﴿حور مقصورات في الخيام لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾. (الرحمن:٧٤)

١٠٦١. هل الجنّ يأكلون ويشربون؟

نعم، قال النبي ﷺ: (إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء! وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال الشيطان: أدركتم المبيت العشاء). رواه مسلم

١٠٦٢. ما القدرات الخارقة الخاصة بهم؟

من تلك القدرات، ما ذكره الله عن العفريت عند نبي الله سليمان لإحضار عرش ملكة سبأ من اليمن إلى الشام، قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾. (النمل:٣٩)

١٠٦٣. يقال أن الجن يعلمون الغيب، ما صحة هذا القول؟

غير صحيح، ودليل هذا جهلهم بموت النبي سليمان، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)﴾ (سبأ:١٤)

١٠٦٤. يقال أن الجن يكيدون ويحسدون بني آدم، ما صحة هذا؟

صحيح، فعن أم سلمة أن النبي ﷺ رأى فيها بيتها جارية في وجهها سفعة، فقال ﷺ: (استرقوا، فإن فيها النظرة). رواه البخاري، أي بها عينًا من الجن.

١٠٦٥. هل يجوز الذبح للجن؟

لايجوز، بل هذا من الشرك لمن يسعى لطلب العون والغوث منهم، فلا معين ولا مغيث للعبد إلا الله.

١٠٦٦. ما حكم طلب الاستغاثة والاستعانة منهم؟

لا يجوز، لأسباب كثيرة:

- لأننا لا نعلم هل من نستدعيه للعون مؤمن أو كافر.
- لا يمكن استدعاء الجن إلا بالطلاسم أو الذبح لهم.
- لا يجوز التعامل مع غائب لا نعلم ماذا يفعل.
- عاب الله تعالى على الكفار عند تعاملهم مع الجن، فقال: ﴿قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا﴾ (الجن:٢٢)، فمن الشرك فعل هذا معهم.

١٠٦٧. ما القول عموماً مع الشيطان؟

يُقال عنه أنه ذئب الإنسان، لا يتركه ليلاً ولا نهاراً، ولا نائماً ولا مستيقظاً، ولا في أي مكان يكون فيه أو زمان، ليوقعه في الفساد.

١٠٦٨. لماذا لا نرى الشياطين؟

سبب هذا لقبح الشكل ورهيب المنظر فيهم.

١٠٦٩. ما دليل هذا الأمر؟

قال تعالى: ﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾ (الصافات: ٦٥) أي ثمرة شجرة الزقوم التي في جهنم مشابهة للشياطين.

١٠٧٠. ماذا يحدث للشياطين في رمضان؟

يتم تسلّسلهم وتقييدهم وحبسهم في رمضان، لحديث: (إذا جاء رمضان فتّحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين). رواه البخاري

١٠٧١. هل يمكن لبعض المخلوقات من رؤية الشياطين؟

نعم، فمن ذلك الحمار، قال النبي ﷺ: (إذا سمعتم نهيق الحمار فتعوّذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانا، وإذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا). متفق عليه

١٠٧٢. متى تنتشر الشياطين؟

تنتشر بالليل وتحديدًا مع غروب الشمس، قال النبي ﷺ: (إذا كان جُنح الليل، أو أمسيتم فكفّوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فحلّوهم وأغلقوا الأبواب، وأذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقا، وأوكوا قربكم، وأذكروا اسم الله وخمّروا آنيتكم ولو أن تعرضوا عليها شيئا، واذكروا اسم الله وأطفئوا مصابيحكم). متفق عليه

١٠٧٣. ما طرق الشيطان في إغواء الإنسان؟

طرقه كثيرة، منها:

- تزيين الباطل: قال تعالى في قصة الهدهد: ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾ (النمل: ٢٤)
- التدرّج في المعاصي: فلا يأمر الشيطان بالزنا مباشرة، لكنه يتدرج إليه بالنظر وسماع المعازف، ثم الجلوس مع النساء والمصافحة، ثم المواعدة، ثم اللقاء، ثم يسهل بعد ذلك فعل الزنا.

- تسمية الطاعات بأسماء منفّرة: كقول بعضهم عن الحجاب أنه تقييد ورجعية، وعن الالتزام بالطاعات أنه تشدد وتطرف وإرهاب وأصولية، والربا بالفوائد المالية.
- تسمية المعاصي بأسماء محبّبة: كقول بعضهم عن الخمر: مشروبات روحية، وعن الربا: فوائد اقتصادية.

١٠٧٤. هل الجن مكلّفون؟

نعم، وهذه قضية ثابتة بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع، فهم مأمورون بفعل الطاعات، ومنهيون عن فعل المعاصي والمنكرات.

١٠٧٥. ما أدلة ما سبق تقريره؟

الأدلة على ذلك كثيرة، **فمن ذلك**:

- قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.
- قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا. قالوا بلى... ﴾.

١٠٧٦. ما طبيعة التكاليف التي كُلف بها الجن ؟

اتفق العلماء على أن تكاليف الجن تماثل تكاليف الإنس.

١٠٧٧. ما دليل الحكم السابق بالنسبة للعاصي منهم؟

دل على ذلك قوله تعالى حاكيًا مقالتهم: ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدًا. وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا﴾، والقاسطون هم الجائرون العادلون عن الصراط المستقيم، وقد أثبتت الآية أنهم حطب لجهنم.

١٠٧٨. في يوم القيامة، هل سيبعثهم الله تعالى للحساب والعقاب؟

نعم، لقوله تعالى: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (السجدة:١٣)

١٠٧٩. ما حال المؤمن منهم؟

اختلف أهل العلم فيه على أقوال:

فقيل: أنه لا ثواب له إلا النجاة من النار، ثم يُقال لهم: كونوا ترابًا مثل البهائم، وهو قول أبي حنيفة وبعض أهل العلم.

وقيل: بل يثابون على الطاعة بدخول الجنة، وهو مذهب جماهير أهل العلم، على خلاف بينهم في نوعية هذا الثواب.

وقيل: بالتوقف في المسألة.

١٠٨٠. ما دليل قول جماهير العلماء بأن المؤمنين من الجنّ في الجنة؟

الدليل على ذلك

- قوله تعالى: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾، قال ابن القيم رحمه الله: (أي ولكل درجات في الخير والشر يوفونها ولا يظلمون شيئًا من أعمالهم، وهو ظاهر جدًا في ثوابهم وعقابهم وأن مسيئهم يستحق العذاب بإساءته ومحسنهم يستحق الدرجات بإحسانه) ا.هـ
- قوله تعالى: ﴿ وأنَّا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسًا ولا رهقًا ﴾، وبهذه الآية استدل البخاري. ووجه الاحتجاج بها: أن البخس المنفي هو نقصان الثواب، والرهق هو الزيادة في العقوبة على ما عمل، وهما منفيان عن المؤمن، وبناءً عليه فلا ينقص من ثواب حسناته ولا يزاد في سيئاته، فالمؤمن من الجن إذا عمل الصالحات فإنه لا يخاف بخسًا ولا رهقًا.

١٠٨١. ما حكم استخدام السحرة للشياطين والجنّ في حياتنا وأمورنا؟

هذا يُعدّ من الاستخدام المحرم الشيطاني، باستخدام السحرة والكهنة والمشعوذين والعرافين لهم، وكالذي يستخدمهم في سرقة الأموال ونهب المتاع ونحو ذلك، فهذا النوع محرم بالاتفاق، وهو يوصل صاحبه في كثير أحيانه إلى الكفر والشرك.

١٠٨٢. ما دليله من الشرع؟

عليه يُحمل قوله تعالى: ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا ﴾، فقد استخدموهم في الحفظ بصرف الاستعاذة لهم، وهذا شرك أكبر.

وقوله تعالى: ﴿ ويوم يحشرهم جميعًا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجَّلت لنا... ﴾.

١٠٨٣. ما تفسير علماء التفسير للآيات السابقة؟

ذكروا بأن استمتاع الإنس بالجن يكون بما يخبرونه به من الأمور الغائبة، وبما يوفرونه له من خدمة في إيصال ما يريد إيصاله إلى الغير من الشر ونحو ذلك.

وأن استمتاع الجن بالإنس يكون بما يفعله لهم من العبادات ويصرفه لهم من القربات والطاعات، وبما ينفذه لهم من أمور الشرك كالذبح لهم والاستعاذة والاستعانة بهم وبفعل الأمور العظام كالبول على المصحف وسبّ الله أو الشريعة أو الرسول، والعياذ بالله.

١٠٨٤. كيف استطاع نبي الله سليمان ﷺ من استخدام الجن؟

استطاع ذلك من خلال ما أعطاه الله من قوة الأمر والسيطرة عليهم.

١٠٨٥. كيف كان يعامل العاصي منهم؟

توعّدهم بأن من يُزغ عن أمره فله عذاب السعير، وكان منهم المقرّن في الأصفاد، وهي السلاسل العظام.

١٠٨٦. كل ما سبق من تعامل للجن هل هو خاص بنبي الله سليمان ﷺ؟

نعم، فذلك النوع من الاستخدام لا يستطيعه أحد بعد سليمان عليه السلام؛ لأنه كان من جملة معجزاته، ولأنه قال: ﴿ وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدي ﴾.

١٠٨٧. هل هذا كان واضحا للنبي ﷺ؟

نعم، ولعلنا نفهم العلة من قوله ﷺ لما تفلّت عليه الشيطان ليقطع صلاته فأمسك به وخنقه، وقال ﷺ: (لقد هممت أن أربطه بسارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا له جميعًا ويلعب به صبيان المدينة، ولكن ذكرت دعوة أخي سليمان فتركته). متفق عليه

١٠٨٨. لماذا أطلقه النبي ﷺ ولم يقيّده ليراه المسلمون؟

ذلك لأن الربط بالأغلال، والتقييد والإذلال نوع من الاستخدام الملكي القهري، وهو من خصائص سليمان عليه السلام فتوقيرًا منه ﷺ لأخيه سليمان ﷺ ترك ذلك الشيطان، وهذا النوع من الاستخدام لا يستطيعه أحد، ولا يمكن لأحدٍ أصلاً بعد نبي الله سليمان عليه السلام، فهو من جملة معجزاته التي أُعطيها.

١٠٨٩. هل هناك استخدام مشروع مع الجن؟

سداً لباب عظيم من الشر، فالقول بتحريم الاستخدام لهم في أي وجه هو الصواب في هذا الجانب.

١٠٩٠. ما السبب للمنع؟

ذلك لأمور، منها:

- خروجًا من خلاف أهل العلم في ذلك.
- خروجًا من الدخول في هذه المسالك الغامضة التي يلتبس كثيرًا الحق بباطلها.
- أن كثيرًا ممن سوّغ لنفسه الدخول في بدايات هذه الأمور والتي احبتها نفسه حبًا شديدًا حتى صارت جزءًا من حياته، وكان الجان يحضر عنده بلا مطالب، فلما علم بأن نفسه لا تستطيع فراقها بدأت المطالب وزادت الشروط من الجن عليه حتى أوقعته في المهالك، فعاد الأمر إلى المخادعة بالملاطفة بادئ الأمر، ثم بالمخاطفة في نهاياته.
- أنه موجب لغرور النفس وارتفاع الذات إذا اشتهر أمره بأنه صاحب بعض الجن وأنها تطيعه فيما يأمر به، وهذا الغرور موجب لزهو النفس

وللكبر وللإعجاب بالذات، وهذا مزلق خطير، وهو أساس البلاء وبدايات الشر.

- أن الجنّ قد تصاحب من يستدعيها في أول الأمر، ثم تتسلط عليه في الأخير، وذلك لأن الجن قبائل، ولكل قبيلة كبير وقائد، فإذا كان كافرًا وعلم بأن من أفراد قبيلته من يعين المسلمين على بعض حوائجهم فإنه يقهره بالملك والسلطان والقوة على ترك ذلك، أو عكس الأمر بإيذاء ذلك الإنسي.
- أن الكذب فيهم - أي في الجن - من الصفات المؤكدة، وهي كثيرة فيهم جدًا، ويدل على ذلك حديث: (وهو كذوب)، وقبل ذلك قوله تعالى: ﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا﴾، فالخشية أن يأتيه نفر منهم ويعرضوا عليه أن يخدموه لصلاحه ودينه حتى يوقعوه في حبالهم، فإذا أوقعوه في حبالهم جروه إلى الشرك والعقائد الباطلة، وغير ذلك من الفساد.

المبحث الرابع

ما يتعلق بكتب الله تعالى

١٠٩١. ما المقصود بهذا العنوان؟

هو الاعتقاد الجازم بأن هناك كتبا نزلت من عند الله تعالى حقًا، وأنها كلام الله تعالى، منزّلة غير مخلوقة.

١٠٩٢. ما أسماء الكتب التي أنزلها على الناس ؟

- صحف إبراهيم ﷺ.
- التوراة: أنزلها الله تعالى على موسى ﷺ.
- الإنجيل: أنزله الله تعالى على عيسى ﷺ.
- الزبور الذي أنزله الله تعالى على داود ﷺ.
- القرآن: نزل على نبينا محمد ﷺ.

١٠٩٣. هل هذه جميع الكتب التي جاءت للناس؟

لا، فهناك غيرها مما لم نعلم عنه، ولم يبلغنا نص صحيح حولها.

١٠٩٤. ما العمل مع الكتب التي لم نعلم بإسمها؟

ما لم نعلم اسمه منها فنؤمن به إيمانًا مجملاً .

١٠٩٥. الأخبار الواردة في الكتب المنزلة كيف نتعامل معها؟

تصديق ما صحّ من أخبارها؛ كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرّف من الكتب السابقة .

١٠٩٦. هل الأحكام العقديّة مختلفة بين الكتب المنزلة من الله؟

لا، إذ كلها تدعو إلى عقيدة واحدة، وهي كيفية تحقيق العبودية لله وحده.

١٠٩٧. هل الأحكام التعبدية مختلفة بين الكتب المنزلة؟

نعم، مختلفة، فلكل أمة شريعتها التعبّدية.

١٠٩٨. هل ممكن العمل بشريعة الأمم السابقة؟

لا، إذ جميع الكتب السابقة نُسخت شرائعها بالقرآن الكريم، وبناءً عليه فلا يجوز العمل بأي حكمٍ من أحكام الكتب السابقة.

١٠٩٩. ما مكانة القرآن بين بقية الكتب المنزلة؟

هو أفضلها وأجمعها وآخرها، وهو المهيمن عليها، وأنه المحفوظ من الزيادة والنقصان، قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

١١٠٠. ما واجبنا تجاه القرآن؟

الواجبات كثيرة، منها:

- وجوب الذبّ عنه وتحكيمه في حياتنا، لأنه مصدر عز هذه الأمة.
- نشر الاعتقاد الصحيح الذي فيه، وكشف الدعاوى التي تريد الحط من قدره، وزعزعة الثقة فيه من الدعاوى التي يُراد منها إبعاد الأمة عن القرآن والإقبال على غيره.
- تحقيق كمال الإيمان بالقرآن بإكمال تعظيمه، فلا يمسّ إلا من كان على طهارة تامة من الحدث والخبث، وأن لا يقرأه في أماكن اللغو والرفث والفسوق، وألا يمتهنه بقولٍ أو فعلٍ.

١١٠١. ما ثمرات الإيمان بالكتب؟

ثمرات الإيمان بالكتب كثيرة، نذكر منها ما يلي:

الأولى: العلم بكبير عناية الله تعالى ورحمته بعباده، حيث لم يتركهم في جهل، بل أنزل لهم كتبًا، وجعلها نورًا وهدى للناس لتعرّفهم كيف يعبدون الله تعالى، وتهديهم إلى الصراط المستقيم والمنهج القويم.

الثانية: السعي الحثيث في طلب الهداية من القرآن؛ قراءة وحفظًا وتعلمًا وتدبرًا وعملًا وتحكيمًا ومردًا عند التنازع، واستشفاءً به، وغير ذلك من سبل الاهتداء به .

الثالثة: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث جعل لكل قوم ما يناسبهم من التشريع، قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا ﴾.

١١٠٢. هل تكفل تعالى بحفظ الكتب السماوية السابقة؟

لا، لم يتكفل بحفظها، بل ترك حفظها لعلمائهم وأحبارهم.

١١٠٣. ما دليل هذا؟

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ (المائدة:٤٤)

١١٠٤. ما الحكمة من تركهم يحرفون ما عندهم من كتب؟

الحكمة - والله أعلم - أن الله سبق في علمه أن هذه الكتب خاصة لقوم وليس لغيرهم، وسينزل كتابا خاتما بشريعته ويكون للناس كافا وناسخا لما سبقه من أحكام، وصالحا بأحكامه لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة، ألا وهو القرآن، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة:٤٨)

المبحث السادس

ما يتعلق بالإيمان بالرسل والأنبياء

١١٠٥. ما المقصود بهذا العنوان؟

هـو الاعتقاد بأن الله اختار طائفة من الناس ليبلّغوا شـرعه تعالى، وأيّدهم بمعجزات وآيات باهرة دالة على صدق الخبر منهم.

١١٠٦. هل بعث الله سبحانه في الأمم السابقة لكل واحدة منها رسولا ؟

نعم، بعث الله تعالى في كل أمةٍ رسولاً لدعوتهم للخير، قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾. (

١١٠٧. هل بين الأنبياء اختلاف في دعوتهم؟

لا، دينهم وعقيدتهم واحدة، لكن شرائعهم مختلفة في العمل، قال تعالى: ﴿ لـكل جعلنا منكم شـرعة ومنهاجًا ﴾، وقال ﷺ: (نحن معاشـر الأنبياء إخوة لعلات[٦٤] ديننا واحد، وشرائعنا مختلفة). رواه

١١٠٨. ما القول مع من يؤمن ببعض الأنبياء ويكفر بآخرين؟

واجـب الإيمان بأن رسـالتهم جميعا حـقٌ من الله تعالى، فمن كفر برسـالة واحد منهم فقد كفر بالجميع.

١١٠٩. ما دليل هذا التقرير؟

قـال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ باللَّه وَرُسُـله وَيُريـدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّه وَرُسُـله وَيَقُولُونَ نُؤْمنُ ببَعْضٍ وَنَكْفُرُ ببَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخذُوا بَيْنَ ذَلكَ سَبيلًا﴾ (النساء: ١٥٠)

١١١٠. ماذا يترتب على القول السابق؟

٦٤- الإخـوة لعـلات: أي الأب واحد، والأم مختلفة، وهذا تشـبيه على وحدة الأصل وهي العقيدة، واختلاف الشرائع.

يترتب عليه أن النصارى الذين كفروا برسالة محمد ﷺ هم في الحقيقة كفّار بكل الرسالات؛ من رسالة عيسى وموسى وإبراهيم ونوح عليهم الصلاة والسلام.

١١١١. ما أسماء من نعلمهم من الأنبياء؟

من ذلك: كآدم، وإبراهيم، وإسماعيل، ومحمد، وموسى، وعيسى، ونوح، وهود، وصالح، وشعيب، وداود، وسليمان، وأيوب، ويونس وهو ذو النون، وذا الكفل، واليسع، ولوط، وهارون، وإسحاق، ويعقوب، وزكريا، ويحيى، وإدريس، وإلياس، والأسباط وهم في بني إسرائيل.

١١١٢. ما الدليل الوارد في بيان أسماء الأنبياء؟

- قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الأنعام: ٨٣- ٨٥)
- وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ورسلاً وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾. (النساء: ١٦٣- ١٦٤)

١١١٣. هل هناك من أنبياء لم يذكر الشرع أسماءهم؟

نعم، هناك الكثير ممن لم يذكر الشرع أسماءهم

١١١٤. ما الواجب علينا مع من لم نعلم اسمه صراحة من الأنبياء؟

من لم نعلم اسمه منهم فإننا نؤمن به إيمانًا مجملاً، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾.

١١١٥. كم عدد الأنبياء والرسل؟

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قلت يا رسول الله ، كم المرسلون؟ قال ﷺ: (ثلاثمائة وبضعة عشر ، جمّا غفيرا) . رواه أحمد

وفي رواية أبي أمامة، قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قلت يا رسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال ﷺ: (مائة ألف، وأربعة وعشرون ألفا، والرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر، جمْا غفيرا). صححه الألباني في مشكاة المصابيح

١١١٦. كيف نحقّق الإيمان مع أخبار الأنبياء؟

يتحقق ذلك بتصديق ما صحّ من أخبارهم مع أممهم، وهذا داخل في الإيمان بأخبار القرآن، فأخبارهم صدق وحق لا يتطرق إليها الكذب بوجهٍ من الوجوه.

١١١٧. ما الواجب علينا مع شريعة النبي ﷺ؟

الواجب علينا العمل بشريعة نبينا ﷺ، قال تعالى: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا﴾.

١١١٨. هل الرسالة المحمدية للإنس فقط؟

لا، بل رسالته ﷺ عامة للثقلين الإنس والجن، قال تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا ﴾، وقال ﷺ: (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة).

١١١٩. هل النبوة مكتسبة، أم مبناها على الاصطفاء والاختيار من الله؟

النبوة مبناها على الاصطفاء والاختيار، وهو خاصٌ بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾، وقال تعالى: ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾.

١١٢٠. ما حكم القول بأنها مكتسبة؟

القول بأنها مكتسبة يعتبر كفرًا وخروجًا عن الملة؛ لأنه مكذبٌ للنص

الصريح القاطع.

١١٢١. ما خطورة القول السابق؟

هـذا يفضـي إلى ادّعاء النبوة بعـده ﷺ، وقال ﷺ: (وختـم بي النبيون)، وقال: (سـيكون بعدي ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه رسول الله، وأنا خاتم الأنبياء لا نبي بعدي).

١١٢٢. من القائل بأن النبوة من الأمور التي يمكن اكتسابها بالعلم والقدرة؟

هذا من هذيان الفلاسفة وتخريفاتهم وأباطيلهم.

١١٢٣. ما الفرق بين النبي والرسول؟

الرسول: من جاء بشرع جديد.

والنبي: من جاء ناشرًا أو مجددًا لشريعة من قبله.

١١٢٤. كيـف نجمـع بين قولـه تعالـى: ﴿ لا نفرق بين أحـد من رسـله ﴾ وبين قوله تعالى:﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعضٍ﴾؟

لا اختـلاف في ذلـك البتـة، وبيانه أن يُقـال: لا نفرق بين الرسـل في أصل الإيمان برسـالتهم، وأنها حقٌ وصدق من عند الله تعالى، فهم بهذا الاعتبار لا نفـرق بين أحد منهـم، لكننا نعلم أن هناك تفاضل بينهـم بما أكرمهم الله من معجزات أو خصائص.

١١٢٥. ما هو التفريق المنهي عنه؟

المنهـي عنـه أن نؤمن ببعض ونكفـر ببعض، كما ورد ذلك مفسـرًا في قوله تعالى: ﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسـله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعـض ويريـدون أن يتخذوا بـين ذلك سـبيلاً ﴾، فهذا هـو التفريق المنهي عنه.

١١٢٦. هل هناك نهي نبوي في قضية التفاضل بين الأنبياء؟

نعم، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قـد لطـم وجهه، وقال: يا محمد، إن رجلاً مـن أصحابك من الأنصار لطم

وجهي! قال: «ادعوه»، فدعوه، قال: «لم لطمت وجهه؟» قال: يا رسول اللّه، إني مررت باليهودي فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، قلت: وعلى محمد؟ قال: وعلى محمد. وأخذتني غضبة فلطمته فقال ﷺ: «لا تخيّروني من بين الأنبياء، فإن الناس يُصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقة الطور». متفق عليه

١١٢٧. كيف التوفيق بين قول النبي ﷺ: (لا تخيّروني بين الأنبياء) وورد أيضا: (لا تفضلوني على يونس بن متى) ، مع قوله ﷺ: (أنا سيد ولد آدم)، هل هناك من تعارض؟

مراده ﷺ أن لا يُنتقص الأنبياء، ويونس ﷺ بسبب ما حصل له من مغاضبة قومه، وذهابه عنهم؛ فيأتي لاحقا من ينتقص من قدره بعض السفهاء ويتطاول عليه، وقيل أن النهي محمول على ما إذا كان التفضيل على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس، وهذا منهي عنه، أو يكون التفضيل على وجه الفخر.

١١٢٨. في أي الجوانب يكون التفاضل بينهم، عليهم الصلاة والسلام؟

يكون باعتبار الشرائع التي بعثوا بها والمعجزات والبراهين التي أيدوا بها والفضائل التي ثبتت لآحادهم؛ فإن بعضهم أفضل من بعض بهذا الاعتبار، ويفسر ذلك قوله تعالى: ﴿ منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾.

١١٢٩. أيهما أفضل الأنبياء أم الرسل؟

المتقرر أن الرسل أفضل من الأنبياء.

١١٣٠. من أفضل الرسل ؟

أفضلهم أولوا العزم المذكورون، وهم: محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح، وعلى جميع أنبياء الله ورسله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

١١٣١. ما الدليل على هذا؟

قال تعالى: ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا﴾. (الأحزاب:٧)

١١٣٢. ما وظيفة الرسل عليهم السلام؟

للرسل عدة وظائف، منها:

- البلاغ المبين، قال تعالى: ﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾.
- الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾.
- التبشير والإنذار، قال تعالى: ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين ﴾.
- إصلاح النفوس وتزكيتها، قال تعالى: ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾، أي بإرسال الرسل وإنزال الكتب.
- تقويم الأفكار المنحرفة والعقائد الزائغة، ويدل عليها كل آية فيها الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك ومتابعة الآباء على الباطل وتفنيد عبادة الأصنام وهي كثيرة جدًا.
- إقامة الحجة، قال تعالى: ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾. (النساء:١٦٥)
- سياسة الأمم وفصل الحكومات بين أفرادها بالحق والعدل، قال تعالى: ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾.

١١٣٣. ما الأحكام التي اختص بها الأنبياء؟

الأحكام التي اختص بها الأنبياء مجملة فيما يلي:

منها: الوحي الذي يحصل به النبوة والرسالة، قال تعالى: ﴿ وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾.

ومنها: العصمة، فالأنبياء معصومون فيما يبلغونه من وحي الله جل وعلا، ومعصومون من الكبائر، وأما الصغائر فإن الواحد منهم إذا وقع فيه

بادر بالتوبة منها، ولا يمكن أبدًا أن يداوم عليها.

ومنها: أنه تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: (إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا)، وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: (يا عائشة إن عيني تنامان، ولا ينام قلبي) .

ومنها: أنهم يخيّرون عند الموت، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة) متفق عليه، وعنها أنها سمعت منه ﷺ أنه قال قبل قبضه: (في الرفيق الأعلى) ثلاثاً، ثم قضى. رواه البخاري

ومنها: أن الأنبياء يقبرون حيث يموتون، قال ﷺ: (لم يُقبر نبي إلا حيث يموت) رواه أحمد، ولذلك دفن النبي ﷺ في حجرة عائشة رضي الله عنها؛ لأنه قبض فيها.

ومنها: محرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، قال ﷺ: (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) صححه ابن خزيمة.

ومنها: أنهم أحياء في قبورهم يصلون، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)، وورد أن النبي قال ﷺ: (مررت على أخي موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره). راه مسلم

١١٣٤. ما ثمرات الإيمان بالرسل ؟

من تلك الثمرات:

الأولى: العلم بكبير رحمة الله تعالى بعباده وعنايته بهم، حيث أرسل لهم الرسل، ليهديهم إلى الصراط المستقيم على أيديهم، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله تعالى؛ لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك .

الثانية: شكره جل وعلا على هذه النعمة العظيمة.

الثالثة: محبة الرسل وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم، ولأنهم قاموا بما أوجب الله عليهم من إبلاغ الشريعة على أتم الوجوه.

١١٣٥. ما الواجب علينا نحو الرسل؟

الواجب علينا تجاههم فهو الآتي:

١- يجب علينا تصديق رسل الله جميعاً، بعد الإيمان بهم وبرسالتهم وأن لا نفرق بينهم، فمن فرق بين رسل الله، فآمن ببعضهم وكفر بالآخرين، أو صدق بعضهم وكذب بعضاً، كان من الكافرين، بنص القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (النساء: ١٥١).

٢- يجب علينا أن نؤمن أن كل رسول أرسله الله أدّى أمانته، وبلغ رسالته على الوجه الأكمل، وبينها بياناً واضحاً كافياً.

٣- علينا طاعتهم وعدم مخالفتهم؛ لأن ذلك من طاعة الله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (النساء: ٨٠) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (النساء: ٦٤).

٤- يجب علينا أن نعتقد بأنهم أكمل خلقاً وعلماً وعملاً وفضلاً وصدقاً، وأن الله ميزهم بفضائل لا تتوفر لغيرهم، وأنه عصمهم، ونزههم عن الكذب والخيانة والكتمان.

٥- أن نؤمن بأن رسل الله جميعاً كانوا رجالاً من البشر، ولم يبعث الله أنثى، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ (يوسف: ١٠٩).

٦- الإيمان بأن الله - لم يخصهم بطبائع أخرى غير الطبائع البشرية، وإنما اختارهم سبحانه من الرجال، الذين يأكلون ويشربون، ويمشون في الأسواق، وينامون ويجلسون ويضحكون، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (الفرقان: ٢٠)

ويتعرضون للأذى وتمتد إليهم أيدي الظلمة، وينالهم الاضطهاد، وأنهم يموتون، وقد يقتلون بغير حق، وأنهم يتألمون، ويصيبهم المرض، وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص مراتبهم العالية بين الخلق، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ

قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ (آل عمران: ١٤٤)

ولهم أزواج وذرية: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد: ٣٨).

٧- الإيمان أنهم لا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية، فلا يتصرفون في الكون، ولا يملكون النفع أو الضر، ولا يؤثرون في إرادة الله، ولا يعلمون الغيب إلا أن يطلعهم الله عليه: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٨).

٨- يجب علينا أن نؤمن بأن الله أيدهم بالمعجزات الباهرات والآيات الظاهرات؛ الدالة على صدقهم فيما جاءوا به.

٩- كما يجب أن نؤمن أن أفضلهم هو نبينا محمد ﷺ؛ وأنهم يتفاضلون في المنازل عند الله: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (البقرة: ٢٥٣)

١١٣٦. ما خصائص الرسالة المحمدية؟

تختص الرسالة المحمدية عن الرسالات السابقة بجملة من الخصائص، نذكر منها:

١- أنها خاتمة الرسالات، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠).

٢- أنها ناسخة للرسالات السابقة، فلا يقبل الله من أحد ديناً إلا باتباع محمد ﷺ ولا يصل إلى نعيم الجنة إلا من طريقه، فهو ﷺ أكرم الرسل، وأمته خير الأمم، وشريعته أكمل الشرائع، ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران:

٨٥)، وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم

٣- أنها عامة إلى الثقلين: الجن والإنس، قال تعالى مبينا قول الجن: ﴿يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨)، وقال ﷺ: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون». رواه مسلم

المبحث السابع

ما يتعلق بالإسراء والمعراج

١١٣٧. ما عقيدة أهل السنة في قضية الإسراء والمعراج؟

يعتقدون الاعتقاد الجازم الذي أن الله تعالى قد أسرى بعبده ورسوله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء حتى بلغ السماء السابعة في ليلة واحدة، وأن ذلك كان بروحه وجسده، وكان يقظة لا منامًا.

١١٣٨. ما الأدلة على وقوع هذه الحادثة؟

قال تعالى: ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾.

١١٣٩. كم مرة وقع الإسراء والمعراج، وأين؟

ذلك كان مرة واحدة، وذلك كان بمكة.

١١٤٠. ما دليل الحكم السابق؟

روى الإمام البخاري بسنده عن أنس عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: (بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر بين الرجلين - فأتيت بطست من ذهب ملآن حكمة وإيمانًا فشق من النحر إلى مراق البطن ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيمانًا، وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار - البراق - ، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به ولنعم المجئ جاء، فأتيت على آدم فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من ابن ونبي.

فأتينا السماء الثانية، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ . قيل: أرسل إليه؟ قال: نعم. وقيل: مرحبًا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على عيسى ويحيى فقالا: مرحبًا بك من أخ ونبي.

فأتينا السماء الثالثة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال:

محمد ﷺ. قيل: أُرسل إليه؟ قال: نعم. فقيل: مرحبًا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على يوسف فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبي.

فأتينا السماء الرابعة، قيل: من هذا؟ قال : جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به ولنعم لمجيء جاء، فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال : مرحبًا بك من أخ ونبي.

فأتينا السماء الخامسة، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد ﷺ. قيل: أُرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به ولنعم المجيء جاء ، فأتينا على هارون فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبي.

فأتينا السماء السادسة، قيل: من هذا؟ قال : جبريل. قيل : ومن معك. قال: محمد ﷺ. قيل: أرسل إليه؟ قال نعم. قيل: مرحبًا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على موسى فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من أخ ونبي، فلما جاوزت بكى، فقيل: ما أبكاك؟ قال: يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي.

فأتينا السماء السابعة، قيل : من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به ولنعم المجيء جاء ، فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من ابن ونبي.

فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل ، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

ورفعت سدرة المنتهى، فإذا نبقها كأنه قلال هجر وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم فرضت عليَّ خمسون صلاة، فأقبلت حتى جئت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضت عليَّ خمسون صلاة. قال: أنا أعلم بالناس منك، قد عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فسله، فرجعت فسألته فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين، ثم مثله، فجعل عشرين، ثم مثله ، فجعل عشرًا، فأتيت موسى فقال مثله، فجعلها خمسًا، فأتيت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمسًا، فقال مثله، قلت: سلمت بخير، فنودي إني

قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي، وأجزي الحسنة عشرًا).

١١٤١. ما حكم الاحتفال بيوم وليلة الإسراء والمعراج؟

هذاالتخصيص لا يجوز، وأمر مبتدع.

١١٤٢. ما سبب الحكم السابق؟

فيه أسباب كثيرة، ومنها:

- لا يُعرف تاريخ للإسراء والمعراج على وجه الدقة والصحة.
- لم يثبت أن النبي ﷺ جعل له مناسبة خاصة له في المدينة بالتذكر أو العبادات.
- لم يثبت عن أحد من الخلفاء الراشدين، ولا حتى من الصحابة تعاهدهم لهذه القضية بأمر معين من العبادات.
- القيام بتوقيف مصالح الناس بتعطل العمل، وأيضا عدم الاستفادة من التعليم للأولاد بسبب هذه المناسبة أمرٌ لم تأت به الشريعة، بل هو غريب عقلا وعرفا.
- تخصيص محاضرات تتناول هذه القضية في تاريخ محدد أمرٌ مبتدع لم يثبت عن سلفنا الصالح رحمهم الله.

المبحث الثامن

الإيمان باليوم الآخر

١١٤٣. لماذا أطلقنا على هذا اليوم مصطلح: اليوم الآخر؟

هـذا الاصطـلاح للدلالـة علـى أنهـا المرحلـة الأخيرة التـي سـيكون فيها الإنسان.

١١٤٤. ما فوائد الإيمان بهذا اليوم؟

من تلك الفوائد اليوم الآخر:

- أن النفس إذا علمت العوض استعدت للبذل
- ظهور آثار أسماء الله وصفاته
- شفاء صدور المؤمنين والمظلومين.
- أن المسلم لا يندم على كل عمل عمله ولم ير ثمرته في الدنيا
- أن الحساب فردي.
- إرجاع الحق إلى نصابه وأصحابه.

١١٤٥. ما أقسام الإيمان باليوم الآخر؟

هما قسمان: إيمان مجمل، وإيمان مفصل.

١١٤٦. كيف يتحقق الإيمان المجمل بهذا الركن؟

يتحقق بالإيمان بكل ما سيكون بعد الموت، مما أخبرت به الأدلة الصحيحة الصريحة على وجه الإجمال .

١١٤٧. كيف يتحقق الإيمان المفصل بهذا الركن؟

يتحقق بأن ينصبّ الإيمان على كل قضية من قضايا اليوم الآخر على حدة، بمعنى أن نؤمن بسؤال القبر على حدة، وبعذابه ونعيمه على حدة، وبالبعث والمعاد على حدة، وهكذا إلى آخر ما أخبرت به الأدلة.

١١٤٨. ما القضايا التي يقتضيها الإيمان باليوم الآخر؟

هناك قضايا يتضمنها هذا المبحث، ومنها ابتداء:

القضية الأولى: ما يتعلق بأشراط الساعة الصغرى الكبرى.

القضية الثانية: الإيمان بأن كل أحدٍ سيموت، فالموت حتم على كل أحدٍ، وما سيكون بعده من أمور.

١١٤٩. ما الدلالة على أهمية هذا اليوم؟

دلالته تظهر من جهتين:

الأولى: أن كل سورة في القرآن تناولت هذا الركن بالتذكير أو بيان ما فيه.

الثاني: كثرة الأسماء المتعلقة بهذا الركن للدلالة على عظيم شأنه.

١١٥٠. ما الأسماء الواردة لهذا اليوم؟

من تلك الأسماء:

القيامة، اليوم الآخر، يوم التناد، الصاخة، الحاقة، الواقعة، الطامة، الساعة، يوم التغابن، يوم المعاد، الزلزلة، الغاشية، اليوم الموعود، يوم الحساب.

المطلب الأول: ما يتعلق بأشراط الساعة

١١٥١. ما تعريف الساعة اصطلاحًا؟

هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة.

١١٥٢. ما سبب التسمية بهذا؟

سُميت بذلك: لأنها تأتي بغتة، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إلا هو﴾، فهي تأتي والناس غافلون، فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة.

١١٥٣. ما الإطلاقات الشرعية لمصطلح (الساعة)؟

أن الساعة تُطلق ويُراد بها معانٍ ثلاث:

الأول: الساعة الصغرى، ويراد بها موت الإنسان، فمن مات فقد قامت

قيامته لدخوله بالموت في عالم البرزخ الذي هو أول عوالم الآخرة.

الثاني: الساعة الكبرى، ويراد بها القيامة الكبرى، وهي المرادة بلفظ الساعة في القرآن، كقوله تعالى: ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾.

الثالث: موت أهل القرن الواحد، كما في الحديث المتفق عليه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت الأعراب إذا قدموا على النبي ﷺ سألوه عن الساعة، متى الساعة؟ فينظر إلى أحدثهم سنًا فيقول: (إن يعش هذا لم يدركه الهرم حتى قامت عليكم الساعة). قال هشام: يعني موتهم. فإذا مات أهل القرن فإنه يُقال: قامت قيامتهم.

١١٥٤. هل هناك من تقسيم آخر للعلماء؟

نعم، بعضهم قال: الساعة لها ثلاث معانٍ: صغرى، ووسطى، وكبرى.

١١٥٥. ما المعنى المقصود من هذه الأوصاف؟

يعني بالصغرى: موت الفرد.

وبالوسطى: موت أهل القرن.

وبالكبرى: القيامة الكبرى،

وهو فقط اختلاف في العبارة لما سبق.

١١٥٦. ما أقسام أشراط الساعة باعتبار ذاتها؟

تنقسم إلى قسمين: أشراط صغرى، وأشراط كبرى، ويجمعها قول الله عز وجل: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها﴾.

١١٥٧. ما المقصود بالأشراط الصغرى؟

ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى أن الأشراط الصغرى هي التي تتقدم الساعة الكبرى بأزمانٍ بعيدة متطاولة، وتكون في أصلها معتادة الوقوع، مثل: قبض العلم، وظهور الجهل، وشرب الخمور.

١١٥٨. ما المقصود بالأشراط الكبرى؟

هي التي تقارب قيام الساعة مقاربة وشيكة سريعة، وتكون في ذاتها غير

معتادة الوقوع ، كالدخان، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها.

١١٥٩. بم تختلف الأشراط الكبرى عن الصغرى؟

تختلف من عدة فروق:

أحدهما: أن الأشـراط الصغرى تتقدم قيام السـاعة بأزمنة كبيرة مديدة، وأما الأشراط الكبرى هي التي تقارب قيام الساعة جدًا.

والآخـر: هو أن الأشـراط الصغرى معتادة في ذاتها، وأمـا الكبرى فإنها في ذاتها غير معتادة.

١١٦٠. ما أقسام الأشراط باعتبار ظهورها من عدمه؟

قسمها أهل العلم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قسم منها ظهر وانقضى.

الثاني: قسم ظهر ولا زال يتتابع ويكثر.

الثالث: قسم لم يظهر إلى الآن.

١١٦١. ما ارتباط هذه الأقسام بالقيامة من جهة الأشراط؟

أما القسمان الأولان فهما من أشراط الساعة الصغرى، وأما القسم الثالث فهو الأشراط الكبرى، وبعض الأشراط الصغرى.

المطلب الثاني: ما يتعلق بالأشراط الصغرى:

١١٦٢. ما أشراط الساعة الصغرى؟

أشراط الساعة الصغرى كثيرة جدًا، ونذكر منها ما يلي:

فمنها: بعثة النبي ﷺ، ففي حديث سـهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بُعثت أنا والسـاعة كهاتين) ويشـير بإصبعيـه فيمدهما [٦٥]. رواه

٦٥- وإشارته ﷺ بالسبابة والوسطى يحتمل أمرين:

أحدهمـا: أن السـاعة تعقـب بعثته كما أن الوسـطى هي التي تعقب السـبابة ولا إصبع تفصل بينهما ، بل هما متقاربتان لا يفصل بينهما شيء.

البخاري. ولمسلم نحوه عن أنس وفيه: (وضم السبابة والوسطى).

وعن أبي جبير مرفوعًا قال: (بعثت في نسم الساعة). [٦٦]

ومنها: موت النبي ﷺ: فعن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: (اعدد ستًا بين يدي الساعة: موتي، ...) رواه البخاري.

ومنها: فتح بيت المقدس، فقد جاء في حديث عوف المذكور آنفًا: (اعدد ستًا بين يدي الساعة)، وذكر منها: (وفتح بيت المقدس)، وقد تم هذا الفتح في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ست عشرة من الهجرة.

ومنها: طاعون عمواس[٦٧]، فقد جاء في حديث عوف السابق: (اعدد ستًا بين يدي الساعة) وذكر منها: (ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم).

فقوله: (موتان) هو عبارة عن الموت الكثير الوقوع ، وقوله: (قعاص الغنم) هو داء يصيب الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة.[٦٨]

ومنها: ظهور المدّعين للنبوة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله)، متفق عليه، وفي حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون دجالون

الثاني: أن الوسطى أطول من الإصبع السبابة بشيءٍ يسير، فكأن المدة بين بعثته وقيام الساعة إنما هو كفضل الوسطى على السبابة ، والمقصود أن المراد من هذه الأحاديث الإخبار بقرب بعثته ﷺ من قيام الساعة.

٦٦- المراد بنسم الساعة، أي أول هبوب ريحها، أي أنه بعث في أول أشراط الساعة.

٦٧- هي بلدة بفلسطين على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس

٦٨- ذكر ابن حجر أن هذه الآية يقال إنها خرجت في طاعون عمواس في خلافة عمر، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس، فقد انتشر هذا الوباء العام في كورة عمواس، ثم انتشر في الشام جميعها، فمات فيه خلق كثير من الصحابة.

كذابــون كلهم يزعـم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي)[٦٩] رواه أبو داود والترمذي.

ومنها: ظهور نار في أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى) متفق عليه.[٧٠]

ومنها: اسـتفاضة المال والاسـتغناء عن الصدقة، حتى يـدور رب المال على الناس بماله وصدقته فلا يقبلها أحد، وهذه من العلامات التي ظهرت فـي عهد الصحابة، وفي عهـد أمير المؤمنين عمر بـن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفـي بعض عصور الدولة العباسـية، ولا تزال تتجدد وتظهر إلى قيام الساعة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (لا تقوم الساعة حتـى يكثر فيكـم المال، فيفيض حتى يُهمّ رب المـال من يقبل صدقته، ويدعى إليه الرجل فيقول: لا أرب لي به) متفق عليه

وعن أبي موسـى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (ليأتين علـى الناس زمان يطـوف الرجل فيه بالصدقـة من الذهب ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه) رواه مسلم.

٦٩- ليـس المـراد بهـذه الأحاديث كل من ادعـى النبوة، فإنهـم كثير لا يحصـون ، وإنما المراد مـن ادعى النبـوة وصارت له قوة وكثر أتباعه وعظمت به الفتنة؛ كمسـيلمة الكذاب ، والأسود العنسي ، وسجاح ولكنها رجعت إلى الإسلام، وطليحة بن خويلد الأسدي ولكنه تاب وحسـن إسـلامه، والمختار بـن أبي عبيد الثقفي ، وغيـر هؤلاء، وقد روى الإمام أحمد في المسند بإسنادٍ صحيح من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (في أمتي كذابون ودجالون سبعة وعشرون، منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيين لا نبي بعدي).

٧٠- ظهرت هذه النار في منتصف القرن السـابع الهجري في عام أربع وخمسـين وستمائة، وكانـت نـارًا عظمية كمـا وصفها وأفاض فـي وصفها من عاصرًها مـن العلماء كأبي شـامة، والنووي وغيرهم، وأنبه على أمر مهم وهي أن هذه النار المذكورة في الحديث ليست هي النار التي تخرج في آخر الزمان والتي تحشر الناس إلى محشرهم، فإن هذه الأخيرة من الأشراط الكبرى، وتلك من الأشراط الصغرى.

ومنها: كثرة الفتن وتتابع ظهورها[71]، ففي حديث أبي موسى ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا ، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسروا قسيكم، وقطعوا أوتاركم، واضربوا ابني آدم). رواه أحمد وأبو داود

ومنها: قتال الترك، فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك، قومًا وجوههم كالمجان المطرقة يلبسون الشعر ويمشون في الشعر) رواه مسلم.

وللبخاري عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة) .

ومنها: ضياع الأمانة، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا

71- الفتن التي حصلت في الإسلام كثيرة أولها قتل أمير المؤمنين عمر ﵁، وقتل الخليفة الثالث عثمان ﵁، واقتتال بعض الصحابة في موقعة الجمل.

وغالب الفتن ستأتي من المشرق، ففي حديث ابن عمر ﵁ أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: (ألا إن الفتنة هاهنا، ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان) متفق عليه.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : دعا النبي ﷺ فقال: (اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا، وبارك لنا في شامنا ويمننا). فقال رجل من القوم: يا رسول الله وفي عراقنا؟ قال: (إن بها قرن الشيطان، وتهيج الفتن، وإن الجفاء بالمشرق)، ونعلم أن مشرق المدينة إنما هو ضاحية العراق وما وراءها، صدق رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، فمن العراق ظهر الخوارج والباطنية، وظهر فيه القدرية والجهمية والمعتزلة، بل وأكثر مقالات الكفر والإلحاد والزندقة كان منشؤها من المشرق، من جهة الفرس المجوس كالمانوية والزردشتية والمزدكية والهندوسية والبوذية والقاديانية والبهائية، وغير هذه الأديان والفرق فإنها ظهرت من المشرق، وهذه العلامة من العلامات المتجددة إلى يوم القيامة.

ضُيعت الأمانة فانتظروا الساعة). قال: وكيف إضاعتها؟ قال: (إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة).

ومنها: قبض العلم، وظهور الجهل، وشرب الخمور، وظهور الربا، وقلة الرجال وكثرة النساء، وكثرة الهرج - أي القتل -، وكثرة الزنا، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل) متفق عليه، وفي حديثه الآخر: (إن من أشراط الساعة: أن يقل العلم ، ويظهر الجهل، ويشرب الخمر، ويكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد) .

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بين يدي الساعة يظهر الربا). رواه الطبراني

وعن أبي موسى الأشعري وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: (إن بين يدي الساعة أيامًا ينزل فيها الجهل، ويرفع العلم، ويكثر فيه الهرج، والهرج القتل) .متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان، وينقص العلم، وتظهر الفتن ، ويلقى الشح، ويكثر الهرج). قالوا: يا رسول الله، وما الهرج؟ قال: (القتل القتل) متفق عليه.

ومنها: زخرفة المساجد والتباهي في بنائها وتشييدها مع تعطيل عمارتها المعنوية، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد). رواه أحمد

وفي رواية: (من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد). رواه النسائي

وقال البخاري رحمه الله تعالى: يتباهون بها، ثم لا يعمرونها إلا قليلاً، فالتباهي بها العناية بزخرفتها.

وقد نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن زخرفة المساجد؛ لأن ذلك يشغل الناس عن صلاتهم ، وقال رضي الله عنه عندما أمر بتجديد المسجد النبوي:

(أكنَّ الناس من المطر وإياك أن تحمّر أو تصفّر فتفتن الناس).[٧٢]

ومنها: التطاول في البنيان، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ عندما سأله جبريل عن الساعة: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها فذلك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البهائم في البنيان فذاك من أشراطها) . متفق عليه، ولأحمد في المسند أن النبي ﷺ قال: (العرب).

وللبخاري من حديث أبي هريرة مرفوعًا: (حتى يتطاول الناس في البنيان).[٧٣]

ومنها: أن تلد الأمة ربتها،[٧٤] كما جاء ذلك صريحًا في حديث جبريل المشهور: (إذا ولدت الأمة ربتها). متفق عليه

ومنها: تقارب الأسواق وتقارب الزمان، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان) رواه البخاري

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة

٧٢- هذه العلامة ظاهرة ولا تزال في تزايد ، ونبرأ إلى الله تعالى من الخطأ.

٧٣- هذه العلامة قد ظهرت ظهورًا لا خفاء فيه ، فتطاول الناس في البنيان، وتفاخروا في طولها وعرضها وزخرفتها.

٧٤- اختلف العلماء في تفسير ذلك على أقوال ، والأقرب - والله أعلم - أنه عبارة عن كثرة الإماء كثرة مستغربة وعزوف الرجال عن الحرائر وتتبع الإماء والرضى بهن دون الحرائر ، ومع كثرة مواقعتهن يكثر استيلادهن، والولد يتبع أباه الحر في الحرية، فيكون الابن سيدها، فيصدق عليها أنها ولدت ربها أي سيدها.

وبناءً عليه فنقول: قد ظهر ذلك مع كثرة الفتوح وكثرة السبي في العصور الأولى مع قيام علم الجهاد، وأما الآن فلا أثر لهذه العلامة، ومن الجدير بالذكر أن المنكر في هذه العلامة ليس هو الجهاد أو كثرة السبي - حاشا وكلا - وإنما المنكر هو العزوف عن الحرائر وطلب الأولاد من الإماء، ولا يخفى بأن ولد الأمة سيعاملها معاملة الأمة، لا معاملة الأم، فيكثر الضرب والسب والشتم والاستخدام لها، فتكون أمه كأمته وخادمته، وهذا القول هو الذي يجمع ما قاله أهل العلم.

كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق سعفة). رواه أحمد، والترمذي

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن، ويكثر الكذب، وتتقارب الأسواق[٧٥]). رواه أحمد

ومنها: ظهور الشرك في هذه الأزمنة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة، وهو طاغية دوس الذي كانت تعبده في الجاهلية)ً. متفق عليه

٧٥- اختلف العلماء في تفسير هاتي العلامتين، والأقرب - والله أعلم- أن المراد بتقارب الزمان هو التقارب الحسي والمعنوي، ونعني بالتقارب الحسي قلة أجزاء الزمان، كما ورد ذلك صريحًا في الحديث الآخر، وهذا لم يظهر بعد، فتكون السنة كالشهر في زمنه حقيقة، ويكون الشهر كالأسبوع في زمنه حقيقة، ويكون الأسبوع كاليوم في زمنه حقيقة، ويكون اليوم كجزءٍ يسير من أجزائه حقيقة، والله قادر على كل شيء .

ويؤيد هذا أنه هو حقيقة التقارب وظاهره ، والأصل بقاء اللفظ على حقيقته وظاهره، ولأنه ورد من قوله ﷺ صريحًا ولا عبرة بتفسير أحدٍ مع تفسيره ﷺ، ويؤيده أيضًا أن أيام الدجال تطول حقيقة، وقد فهم الصحابة من قوله: (يوم كسنة ، ويوم كشهر ...) إلخ، فهم الصحابة منه حقيقة هذا التطويل ، فكذلك نحن نفهم كما فهموا من قوله: (ويتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ...) إلخ، نفهم منه التقارب الحقيقي.

وأما التقارب المعنوي فهو ذهاب بركة الزمان، فتتفلت أوقاته وتنقضي ساعاته على الناس ولم يحصلوا فيه ما كان يحصله من قبلهم.

وأما تقارب الأسواق، فالأقرب فيها حمله على الحقيقة أيضًا، من أن المراد به تقاربها حقيقة؛ سواءً في بنائها، أو في تعاملاتها بيعًا وشراءً كما هو حاصل اليوم، فتجد الأسواق تنافس البيوت في أعدادها كما لا يخفى على أحد، فما بين السوق والسوق إلا مسافة يسيرة ، فهذا تقارب حسي، وأما تقاربها في تعاملاتها بيعًا وشراءً فلا أظنه يخفى على أحد وخصوصًا مع ظهور هذه الأجهزة الحديثة، فالشخص يشتري ويبيع من الأسواق البعيدة وهو في بيته، أو في محل تجارته بلا عناءٍ ولا قطع مسافات وهو بعيد عنه ما يشاء بلا كلفة ولا مشقة، وكذلك أيضًا سهولة الوصول إلى هذه الأسواق بالمراكب الحديثة من الطائرات والسيارات وغيرها.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: (إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان...) الحديث.[٧٦] رواه أبو داود والترمذي

ومنها: عود أرض العرب مروجًا وأنهارًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا)، وهذا الحديث فيه دلالة على أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا وأنها ستعود كما كانت، آمنا بخبره ﷺ وصدقنا. رواه مسلم

ومنها: كثرة المطر وقلة النبات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطرًا لا تُكِنُّ منها بيوت المدر ولا تُكِنُّ منها إلا بيوت الشعر).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطرًا عامًا ولا تنبت الأرض شيئًا). رواه أحمد

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس السنة ألاَّ تمطروا، ولكن السنة أن تمطروا وتمطروا ولا تنبت الأرض). رواه مسلم

ومنها: حسر الفرات عن جبل من ذهب ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل عليه الناس فيقتل من كل مائة تسعة وتسعين ويقولُ كل رجل منهم: لعلي أن أكون أنا الذي أنجو) متفق عليه، وفي الحديث الآخر: (فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا).

ومنها: كلام السباع والجمادات للإنس وإخبارها بما حدث في غيابه، وتكلم بعض أجزاء الإنسان كفخذه يخبره بما فعل أهله من بعده، ففي حديث أبي هريرة الطويل في تكليم الذئب لراعي الغنم، وفيه أن النبي ﷺ قال: (إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدّثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده). رواه أحمد

٧٦- ظهرت هذه العلامة وبخاصة في نجد قبل بزوغ فجر هذه الدعوة المباركة رضي الله عن إمامها وحامل لوائها الإمام المجدد الشيخ المجاهد محمد بن عبدالوهاب.

وفي رواية له عن أبي سعيد الخدري - وذكر القصة - وفيه فقال: قال النبي ﷺ: (صدق، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده)، وهذا لم يقع بعد.

ومنها: فتح القسطنطينية، ويكون فتحها قبل الدجال على يد المسلمين، وقد دل الدليل أن هذا الفتح يكون بعد قتال الروم في الملحمة الكبرى وانتصار المسلمين عليهم، فعندئذٍ يتوجهون إلى مدينة القسطنطينية فيفتحها الله لهم بلا قتال، وسلاحهم التكبير والتهليل، ففي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب في البحر)؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قالَ: (لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله الا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيهاً، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الاخر، ثم يقولوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون)[77]. رواه مسلم

ومنها: خروج القحطاني[78]، وذلك يكون في آخر الزمان أيضًا فإنه لم يخرج

٧٧- وفتح القسطنطينية بدون قتال لم يقع إلى الآن، وقد ذكر بعض أهل العلم أنها قد فتحت، والصحيح أنها لم تفتح في عصر الصحابة، فإن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعث إليها ابنه يزيد في جيش فيهم أبو أيوب الأنصاري، ولم يتم لهم فتحها، ثم حاصرها مسلمة بن عبدالملك ولم تفتح أيضًا، ولكنه صالح أهلها على بناء مسجدٍ بها، وأما فتح الأتراك لها فإنه كان بقتال، والحديث ينص على أنها تفتح بلا قتال، والفتح الذي ذكر في الحديث إنما سيكون آخر الزمان قبيل خروج الدجال، والله أعلم بزمانه تحديدًا، لكنه مربوط بعودة المسلمين إلى عزهم بالتمسك بدينهم ونصرهم لقضاياهم.

٧٨- هذا القحطاني ليس هو الجهجاه المذكور في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يذهب الليل والنهار حتى يملك رجل من الموالي يقال له: الجهجاه) وأصله في مسلم بدون لفظة: (من الموالي) فإن القحطاني من الأحرار نسبه

إلى الآن، وهو رجل من قحطان، تدين له الناس بالطاعة وتجتمع عليه بعد افتراق، وذلك عند تغير الزمان، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسـول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه)، وهو رجل صالح.

ومنها: قتال اليهود، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم السـاعة حتى يقاتل المسـلمون اليهود فيقتلهم المسـلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشـجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يـا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله. إلا الغرقد فإنه من شـجر اليهود) متفق عليه، واللفظ لمسلم .

ومنهـا: انتفـاخ الأهلة، ومعناه أن يرى الهلال في أول الشـهر فيُقال: إنه ابن ليلتـين أو ثـلاث، فعن عبدالله بن مسـعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله ﷺ: (من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة). وصححه الألباني.

المطلب الثالث: أشراط الساعة الكبرى

أولا: ما يتعلق بظهور المهدي

١١٦٣. ما المقصود بهذا العنوان؟

يُراد به ظهور شخص يهديه الله، وتكون على يديه أمورا كريمة لمن حوله من المسلمين في آخر الزمان.

١١٦٤. لماذا استخدام عبارة (ظهور)؟

لأنه سيظهر على الناس بأمره وصلاحه، ويرتفع شأنه، فهو موجود ويعيش بينهم، لكن سيتميّز أمره بالحكم عليهم بالخير والصلاح.

١١٦٥. ما هو نسب المهدي؟

ورد بذلك السـنة الصحيحة، وأن اسـمه كاسـم النبي ﷺ، فيكون اسم أبيه كاسـم والـد النبـي ﷺ، فيكون اسـمه: محمد بـن عبدالله، وهـو من ذرية

إلى قحطان الذي ينتهي إليه أنساب أهل اليمن، وأما الجهجاه فإنه من الموالي.

فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وقيل أنه من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما. قال ابن كثير: (وهو محمد بن عبدالله العلوي الفاطمي الحسني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) ا.هـ

١١٦٦. ما الدليل على التقرير السابق في اسم المهدي؟

عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم، حتى يبعث الله فيه رجلاً مني، أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورًا وظلمًا، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحًا). فقال رجل: ما صحاحًا؟ قال: (بالسويّة بين الناس).

وفي رواية أخرى: (لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة) رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم.

١١٦٧. ما هي صفاته مقرونة بالأدلة؟

ثبت في السنة الصحيحة أنه خفيف شعر النزعتين من الصدغين، إذ قد ذهب شعر رأسه إلى نصفيه، وأنه طويل الأنف دقيق عند أرنبته، مع حدب في وسطه.

١١٦٨. ما دليل هذه الصفات؟

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسولِ الله ﷺ يقول: (المهدي منّي، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا، ويملك سبع سنين). رواه الإمام أحمد وأبو داود

فقوله: (أجلى الجبهة) هو خفيف شعر ما بين النزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته.

وقوله: (أقنى الأنف) القنا في الأنف طول ورِقة أرنبته، مع حدبٍ في وسطه.

١١٦٩. هل معروف عن المهدي الصلاح والعلم قبل انتشار خبره؟

لا، إذ من صفاته أنه كان بعيدًا عن الصلاح، ثم يوفقه الله تعالى للتوبة ويلهمه رشده، كما في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه: (المهدي منّا آل البيت، يصلحه الله في ليلة).

١١٧٠. هل أحاديث المهدي في صفته وخروجه بلغت مبلغ التواتر، أم أنها من الآحاد؟

نعم قد بلغت مبلغ التواتر المعنوي، وقد نص على ذلك الحافظ أبو الحسن الآبري، والعلامة محمد البرزنجي في كتابه الإشاعة، والإمام السفاريني في لوامع الأنوار، والإمام الشوكاني وقد ألَّف رسالة في ذلك، والشيخ صدّيق خان، والشيخ محمد بن جعفر الكتاني كما في نظم المتواتر.

١١٧١. ما المقصود بالتواتر المعنوي؟

يراد به اتفاق المعنى مع اختلاف في اللفظ، وهو قسيم التواتر اللفظي.

١١٧٢. ما توجيه القول في ثبوت وقبول الروايات المتعلقة بالمهدي؟

يمكن توجيه القول بفهم أن أحاديث المهدي قد صحّ منها طرف كبير، ومع صحة الحديث فإنه يجب قبوله واعتماد مدلوله، ولا يشترط في إثبات الاعتقاد أن يكون النص متواترًا، فإن هذا مسلك المبتدعة، فلو أنه لم يصح في المهدي إلا حديث واحد فإنه يجب الإيمان به؛ لأن المتقرر عند أهل السنة أن أخبار الآحاد حجة، فكيف وقد وصلت أحاديث - أعني أحاديث المهدي الصحيحة - إلى درجة التواتر المعنوي؟

١١٧٣. هل يعتبر وجود المهدي من العلامات الكبرى؟

نعم، وجوده يعتبر علامة من علامات الساعة الكبرى.

١١٧٤. ما العلامة الرئيسية في زمن وجوده؟

لا تحديد لزمن بعينه لعدم ورود ما يصح بذلك، وإنما العلامة لخروجه امتلاء الأرض ظلمًا وجورًا، كما صح بذلك الحديث السابق.

١١٧٥. ما الواجب علينا معه لو كنا في زمنه؟

إننا متعبدون بالإيمان به وبما صح من اسمه ونسبه وصفاته، وبمبايعته لو خرج ونحن أحياء، إذا ثبت عندنا أنه المهدي الذي صحت به الأحاديث وثبتت به الآثار، ولا نكلف أنفسنا شيئًا لم نكلف به مما لا دليل عليه.

١١٧٦. كيف نجمع بين أحاديث إثبات خروج المهدي وحديث: (لا مهدي إلا عيسى ابن مريم) ؟

هذا الحديث رواه ابن ماجه والحاكم عن أنس يرفعه للنبي ﷺ، ويُجاب عنه بأنه حديث ضعيف لا يثبت مثله.[٧٩]

١١٧٧. لو سلّمنا جدلا بقبوله، كيف يمكن توجيه الأمر له؟

إذا سلمنا تنزلاً أنه حديث حسن كما ذكره الإمام ابن كثير فيجاب عنه بجوابين:

أحدهما: أنه شاذ؛ لأنه لا يقدر على مقاومة الأحاديث التي بلغت مبلغ التواتر في خروج المهدي، وقد تقرر في قواعد الحديث أن الشاذ قسم من أقسام الضعيف.

الثاني: أن يصار إلى الجمع، فيقال: إن قوله: (لا مهدي إلا عيسى) ليس يراد به نفي الوجود والحقيقة، وإنما يُراد به نفي الكمال، أي لا مهدي كاملاً إلا عيسى، ولا شك أن عيسى عليه السلام أكمل في الهداية من المهدي.

ثانيا: ما يتعلق بخروج الدجال

١١٧٨. ما العلامة الثانية من العلامات الكبرى على قيام الساعة؟

العلامة الثانية من الأشراط الكبرى خروج الدجال، مسيح الضلالة.

٧٩- لأن مداره على محمد بن خالد الجندي، وقد قال الذهبي: (قال الأزدي: منكر الحديث). وقال أبو عبدالله الحاكم: (مجهول). ثم قال الذهبي بعد روايته للحديث المذكور: (وهذا خبر منكر) ا.هـ. وقد ضعفه أبو العباس ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال في المنهاج: (هذا الحديث ضعيف) وقال الحافظ ابن حجر في التقريب: (مجهول)

١١٧٩. ما الأحاديث الدالة على هذه العلامة؟

ثبتت بذلك الأحاديث الكثيرة، منها:

- حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: (إن الله تعالى ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية). متفق عليه
- ما ورد في حديث أبي هريرة مرفوعًا: (إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليستعذ بالله من أربع) وذكر منها: (ومن فتنة المسيح الدجال). متفق عليه
- حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل ومنه: (تعوّذوا بالله من فتنة الدجال). فقالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.
- حديث عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال) رواه مسلم
- حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (يا أيها الناس، إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله عز وجل لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته من الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج بعدي فكلٌ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، وإنه خارج من حلة بين الشام والعراق، فيعيث يمينًا وشمالاً، يا عباد الله فاثبتوا ...). رواه ابن ماجه والحاكم

١١٨٠. ما صفات الدجال بالدليل؟

لقد وردت النصوص بشيء من صفاته، وهذه بعضًا منها:

فمن صفاته: أنه أعور العين اليمنى، وقد ورد ذلك في حديث ابن عمر: (وإنه أعور العين اليمنى) متفق عليه، وفي الروايات: (عينه طافية)، وفي بعضها: (كأنها عنبة طافية)، وفي بعضها: (مطموس العين).

ومن صفاته: أنه شاب، كما في حديث النواس السابق، وفيه: (إنه شاب).

ومن صفاته: أنه شديد جعودة الشعر جدًا، كما في حديث النواس أيضًا وفيه:

(قطط)، والقطط هو شـديد جعودة الشـعر، وفي بعض الروايات: (جعد الشعر)، وهو بمعنى القطط وتفسير له.

ومـن صفاتـه: أنه رجل قصير، كما في حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن المسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليس بناتئة ولا حجراء ...) رواه أبو داود.

ومـن صفاتـه: أنه أفحج، والفحج، هو بعيد ما بـين الفخذين، أي أن فخذيه بينهما تنافر وتباعد، ودليل ذلك حديث: (إنه أعور أفحج).

ومن صفاته: أنه رجل جسـيم أحمر في لونه، كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فـي وصفه ﷺ لعيسـى ابن مريم وللدجال فـي الرؤيا التي رآها وفيه: (فإذا رجل جسيم أحمر...) متفق عليه.

ومـن صفاتـه: أنه أجلى الجبهة وعريـض النحر، كما في حديـث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (وأما مسيح الضلالة فإنه أعور العين، أجلى الجبهة عريض النحر، فيه دفأ). رواه أحمد.

ومن صفاته: أن فيه انحناءً ، للحديث السابق، وفيه أنه قال: (فيه دفأ) والدفأ هو الانحناء، ورجل أدفى أي فيه انحناء، أي أن ظهره ليس مسـتقيمًا معتدلاً، بل فيه شيء من الانحناء.

ومـن صفاتـه: أنه قد كتـب بين عينيـه (ك، ف، ر) أي كافر، كما في حديث أنـس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله ﷺ: (وإن بـين عينيه مكتوب كافر) متفـق عليـه، وقد ثبت عـن كثير من السـلف أن هذه الكتابـة بين عيني الدجال يقرؤها كل أحدٍ قارئ وغير قارئ.

ومن صفاته: أنه عقيم لا يولد له، وذلك لما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصته مع ابن صياد، فقد قال لأبي سـعيد: (ألسـت سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه لا يولد له؟ قال: قلت: بلى) رواه مسلم.

ومـن صفاته: أنـه ضخم جدًا، وذلك لما في حديـث فاطمة بنت قيس رضي اللـه عنها في قصة الجساسـة، وفيه: قال تميم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فانطلقنا سـراعًا حتـى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسـان رأيناه قط وأشـده وثاقًا) رواه مسـلم، وفي حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سـمعت رسول الله

ﷺ يقـول: (مـا بين خلق آدم إلى قيام السـاعة خلق أكبر من الدجال) رواه مسـلم، وهـذا لا يتنافى مع كونه قصيرًا، فكـم من قصير في قامته ضخم كبير في جثته.

ومن صفاته: أنه كثير الشعر جدًا، لما في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: (الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر).

١١٨١. لماذا يفتتن الناس به؟

فتنـة الدجـال من الأمـور الكونية القدريـة التي لابد وأن تقـع كما أخبرت بذلك الأدلة، وأن الله تعالى يجري على يديه بعض الخوارق التي بها يفتن النـاس، وفتنته أعظم الفـتن، فالله تعالى بحكمته أقدره على أشـياء مذهلة تدهش العقول وتحير الألباب، ولهذا حذرت منه الأنبياء جميعًا.

١١٨٢. ما الصور التي يفتن بها الدجال الناس؟

الصور كثيرة، ومجالات الفتن بين يديه عديدة، ومنها:

فمـن فتنته: أنـه تظهر معه زهرة الدنيا؛ من السـعة والخصـب والكنوز، وأن الجمـاد يسـتجيب له، وهـذا خاص بمـن أجابه وآمن بـه، ففي حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر النبي ﷺ الدجال ذات غداة وفيه: فقال رسـول اللـه ﷺ: (فيأتي على القـوم - أي الدجال - فيدعوهم فيؤمنون به ويسـتجيبون له، فيأمر السـماء فتمطـر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سـارحتهم أطـول ما كانت درًا وأسـبغه ضروعًا وأمده خواصـر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردّون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحـون مُمْحلِـينَ ليـس بأيدهـم شَـيء مـن أموالهم، ويمـر بالخربة فيقـول لهـا: أَخرِجي كنـوزك، فتتبعـه كنوزها كيعاسـيب النحل ...) رواه مسلم.

ومـن فتنته: أنه يجيء ومعه مثل الجنة والنـار، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول اللـه ﷺ: (ألا أحدثكـم حديثًا عـن الدجال ما حـدث به نبي قومـه؟ إنه أعور وإنه يجيء بمثال الجنـة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة هي النار، وإني أنذركم به كما أنذر نوح قومه) متفق عليه.

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إن مع الدجال إذا خرج ماءً ونارًا ، فأما الذي يرى الناس أنه نار فإنه ماء بارد، وأما الذي يرى الناس أنه ماء فإنه نار تحرق، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فإنه ماء عذب) وفي رواية: (لأنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين نار تأجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارًا وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فليشرب منه فإنه ماء بارد) متفق عليه.

ومن فتنته: أنه سريع الانتقال في الأرض، فهو في سرعة انتقاله كالغيث استدبرته الريح، ففي حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الطويل - وفيه : قلنا يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: (كالغيث استدبرته الريح ...) رواه مسلم.

وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: (ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال...)، فخطره عام على كل أهل الأرض في زمنه.

ومن فتنته: أن الشياطين تستجيب لأمره، فلم يدّخر عدو الله وسيلة من وسائل الإضلال إلا وسلكها؛ لأن هدفه الوحيد الذي يسعى له هو إيقاع الناس في الكفر والشرك، فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (وإن من فتنته أن يقول للأعرابي : أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان له: يا بني اتبعه فإنه ربك) رواه ابن ماجه والحاكم.

ومن فتنته: أنه يخرج في زمن ذهب فيه العلم الشرعي وخفيت فيه آثار النبوة، وعمّ فيه الجهل وكثرت فيه الفواحش والمضلات، وهذا هو الذي يجعل أكثر الناس في حيرة من أمره، ودليل ذلك أن خروجه - أي الدجال - من علامات الساعة الكبرى، وقد وردت الأدلة بأن الساعة لا تقوم حتى يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويشرب الخمر ، ويكثر الزنا.

ومن فتنته: كثرة أتباعه من اليهود، وشدة تسلحهم ودفاعهم عنه، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (يتبع الدجال من يهود أصبهان

سبعون ألفًا عليهم الطيالسة) رواه مسلم، فجيش بهذا العدد وهذه العدة في ذلك الوقت لاشك أنه فتنة للعباد.

ومن فتنته: أنه يخرج في وقت العرب فيه قليل جدًا، فعن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أخبرتني أم شريك أنها سمعت النبي ﷺ يقول: (ليفرن الناس من الدجال في الجبال). قالت أم شريك: (فأين العرب يومئذٍ)؟ فقال: (هم قليل).

١١٨٣. هل الأمر باتباعه يخفى على الناس من أهل الإسلام؟

نعم، وهذا متوقع مع ما نرى في زماننا من سفاهة عقول طائفة ليست بالقليلة من شباب وبنات المسلمين، في تقليدهم واتباعهم لكلام وسلوكيات المشاهير الحمقى في وسائل التواصل الاجماعي، فحيئذ سنعلم يقينا سهولة انخداعهم بدعوة الدجال لهم.

١١٨٤. كيف العصمة من فتنته ؟ مع تأييد ذلك بالدليل؟

العصمة من هذه الفتنة تكون بأمور:

أحدها: العصمة بالاستعاذة بالله من هذه الفتنة الخطيرة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار، وعذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال). فالله هو الملجأ والمفزع والمعاذ والملاذ من خطر هذه الفتنة.

وفي حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الطويل - أن النبي ﷺ أمر الصحابة أن يستعيذوا بالله من فتنة الدجال فقال: (تعوذوا بالله من فتنة الدجال).

ثانيها: سُكنى المدينة أو مكة، فإن ساكنها معصومٌ من هذه الفتنة إن كان ذا إيمان صادق، فإن الله تعالى حرّم على الدجال أن يطأ أرض المدينة ومكة، ففي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلاً عن الدجال، فكان فيما يحدثنا به أنه قال: (يأتي الدجال

وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة...)، متفق عليه.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس من بلدٍ إلى سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة حافين تحرسها فينزل المدينة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات يخرج منها كل كافرٍ ومنافق) رواه مسلم.

وفي حديث أبي أمامة عند ابن ماجه: (وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من أنقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة ...).

ثالثها: تعلّم العلم الشرعي، فإنه أعظم سلاح يدافع به المؤمن هذه الفتنة وغيرها من الفتن، فإن من عرف علامات الدجال وصفاته بدراسة الأدلة عرف حقيقة أمره، فلا ينخدع بما يجريه الله على يديه، فإن العلم يُورث البصيرة، وصاحب البصيرة المستنيرة بالكتاب والسنة لا ينزلق وراء هذه الفتن الزائغة، وإنما الخوف على الجهلة الذين أشغلتهم دنياهم عن آخرتهم، وآثروا العاجل على الآجل، فعصفت بهم الشهوات، وغرقوا في مستنقع الشبهات.

رابعها: أن يعتقد المؤمن الاعتقاد الجازم أنه لن يرى ربه بعينَي رأسه حتى يموت، ولذلك فقد ورد أن النبي ﷺ حذر الناس من الدجال، وقال: (إنه مكتوب بين عينه كافر يقرؤه من كره عمله أو يقرؤه كل مؤمن) وقال: (تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت). رواه مسلم

خامسها: قراءة فواتح سورة الكهف عند رؤيته، وذلك لحديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الطويل - وفيه: (فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ...) رواه مسلم.

وروى مسلم أيضًا عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال) وفي بعض الروايات: (من خواتيم سورة الكهف).

سادسها: الفرار منه وعدم التعرّض إليه، فإنه عدو ولا يجوز تمني لقاءه،

ولأن معه فتنا عظيمة، والمؤمن لا يجوز له أن يعرض دينه للفتن، فمن سمع به فليفر منه إلى الجبال والبلاد البعيدة، وإن كان فراره إلى مكة والمدينة فهو الأكمل ولا شك، ففي الحديث: (ليفرّن الناس من الدجال في الجبال)، ولا يثق العبد بنفسه، فكم من واثق بها تعرض له ففتنه بما معه من الفتن والخوارق.

١١٨٥. على يد مَنْ سيكون هلاك هذا الطاغية ؟

يكون هلاك الدجال على يد نبي الله عيسى ابن مريم ﷺ.

١١٨٦. ما دليل هذا؟

دليله ما ورد في حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحديث الطويل وفيه: (فبينما هو كذلك إذ بعث الله عيسى ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسَه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله...) رواه مسلم.

وله أيضًا من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: (فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه ...).

ثالثا: ما يتعلق بالجسّاسة

١١٨٧. هل خبرها من علامات الساعة؟

نعم، بل هو من علامات الساعة الكبار والفتن العظام.

١١٨٨. ما سبب التسمية بهذا الوصف؟

الجسّاسة مأخوذة من الجسّ وهو تحسس الخبر، فهي تتحسس الأخبار للدجال.

١١٨٩. هل الجسّاسة هي الدابة التي ستخرج في آخر الزمان؟

الله أعلم.

١١٩٠. ما قصة الجساسة ؟

عن فاطمة بنت قيس قالت: نادى المنادي للرسول الله ﷺ: الصلاة جامعة! فخرجت إلى المسجد، فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم.

فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: (ليلزم كل إنسانٍ مصلاه).

ثم قال: (أتدرون لماذا جمعتكم)؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (إني والله ما جمعتكم لرغبةٍ ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميمًا الداري كان رجلاً نصرانيًا فجاء فبايعَ وأسلم، فحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال.

حدثني: أنه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر، ثم أرفؤوا إلى جزيرة من جزائر البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرُب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك من أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق.

قال: فلما سمّت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة.

قال: فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسانٍ رأيناه قط خلقًا وأشده وثاقًا، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك من أنت؟ فقال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟

قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهرًا، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقرُبها، فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثير الشعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقلنا: ويلك من أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعًا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني عن نخل بيسان. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم

عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: إنه يوشك ألا يثمر.

قال: أخبروني عن بحيرة طبرية. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب.

قال: أخبروني عن عين زغر. قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها.

قال: أخبروني عن نبي الأميين، ما فعل؟ فقالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك ؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلى هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان علي كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة استقبلني ملك بيده السيف صلتًا يصدني عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها).

قالت - أي راوية الحديث -: فقال رسول الله ﷺ - وطعن بمخصرته في المنبر -: (هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة - يعني المدينة - ألا هل كنت حدثتكم ذلك) ؟ فقال الناس: نعم. فقال: (إنه قد أعجبني حديث تميم لأنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو) وأومأ بيده إلى المشرق، قالت: فحفظت ذلك من رسول الله ﷺ. رواه مسلم

١١٩١. هل واجب التحرّي عن مكان الدجال؟

لا، بل واجب ترك ذلك، ولا نشغل النفس في معرفة مكانه.

١١٩٢. هل هناك فائدة من تغييب هذا المكان عن الناس؟

نعم، الحمد لله الذي أضلنا عن مكانه، ولا نعرض أنفسنا للفتنة وكثرة السؤال عن مالا برهان عليه مما يحتاج إلى دليل.

١١٩٣. هل حرص الصحابة بالسؤال عن مكانه؟

لا، فالصحابة y حين سمعوا هذا الحديث لم يتكلّفوا سؤال النبي ﷺ عن مكان هذه الجزيرة.

١١٩٤. ما الواجب على المسلم عند سماعه لمثل هذه الأخبار النبوية؟

واجب عليه الآتي:

- أن يقف حيث وقف النص ويقول: ﴿ آمنا به كل من عند ربنا﴾.
- لا يعمل عقله في الأمور التي هي خارجة عن حد إدراكه فيهلك.
- عليه ببذل الجهد في تحصيل العلم النافع والعمل الصالح.

١١٩٥. ما القول مع من ينكر هذه الأمور بحجة أن علماء الجيولوجيا اكتشوا الأرض جميعها بأجهزتهم الدقيقة؟

هذه الشبهة مشابهة لمن سبقهم من علماء المعتزلة! الذين أنكروا أي أمر لا يتفق مع عقولهم، وجعلوا القبول أو الرد هو المقياس العقلي.

ولهذا واجب على المسلم حينما يبلغه النص الصحيح، ألا يثبت الصحة له وفق مقياس قبرل العقل له، لكن يقول: ﴿ سمعنا وأطعنا﴾

رابعا: نزول عيسى ﷺ

١١٩٦. ما المقصود بهذا العنوان؟

يُقصد به أن نبي الله عيسى ﷺ سينزل من السماء إلى الأرض في آخر الزمان.

١١٩٧. ما دليل ثبوت هذه العلامة؟

هذه العلامة وهي نزول عيسى ابن مريم ﷺ، قد ثبت نزوله بالكتاب، والسنة، والإجماع.

١١٩٨. ما دليل ثبوتها بالكتاب العزيز؟

- في قوله تعالى: ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم

القيامة يكون عليهم شـهيدًا ﴾، وقد ثبت عن ابن عباس أنه فسّـر هذه الآيـة بالإيمان به بعد نزوله في آخر الزمان، وقبل موته الميتة التي كتبها الله عليه، ذكر ذلك ابن جرير وابن كثير وغيرهم من أئمة التفسير.

- ومنها قوله تعالى: ﴿وإنه لعلم للسـاعة﴾ أي أن نزوله من علامات قرب السـاعة ، وقـد قرئ فـي قراءة سـبعية : ﴿وإنـه لعَلَمٌ للسـاعة﴾ بفتح العين واللام، وهي مروية عن ابن عباس ومجاهد، وغيرهما من أئمة التفسير.

١١٩٩. ما دليل ثوبتها في السنة النبوية؟

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضـع الجزيـة ويفيض المـال حتـى لا يقبله أحـد)، وزاد فـي رواية: (وحتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها) ، ثم يقول أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (اقرءوا إن شـئتم: ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته... ﴾) . متفق عليه

- عن النواس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - الطويل-، وفيه: (فبينما هو كذلك - أي الدجال - إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام...). رواه مسلم

- عـن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله ﷺ: (كيـف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم). متفق عليه

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، ليهلنَّ ابن مريم بفج الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو ليثنينَّهما). رواه مسلم

- عـن أبـي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبـي ﷺ قال: (الأنبياء إخـوة لعلات، أمهاتهم شـتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسـى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه). أخرجه أحمد

١٢٠٠. ما القول مع من يزعم عدم صحة خبر نزول عيسى ﷺ لأن الخبر غير متواتر؟

ذكر كثير من أهل العلم أن الأحاديث في نزوله قد تواترت التواتر المعنوي،

وممن صرح بذلك ابن جرير الطبري في تفسيره، وابن كثير في تفسيره، ومن المتأخرين الشيخ صديق خان، والشيخ الغماري وغيرهم، فالواجب الإيمان بذلـك ولا يجـوز تحريف هذه النصوص، أو دعوى أنهـا من الآحاد وأمور العقيدة لابد فيها من المتواتر، فإن هذا مسلك الهالكين من أهل البدع.

١٢٠١. ما دليل ثبوت خبر نزول عيسى ﷺ في الإجماع؟

أجمعت الأمة على نزول المسيح عيسى ابن مريم ﷺ.

١٢٠٢. لماذا سُمي عيسى ابن مريم بالمسيح؟

سبب التسمية بذلك، فيه أقوال:

فقيل: لأن زكريا عليه السلام مسح عليه عندما وُلد.

وقيل: لأنه يمسح الأرض، أي يقطعها.

وقيل: لأنه يمسح ذا العاهة فيبرأ.

وقيل: إنها مأخوذة من السماحة.

والصحيح اجتماع هذه الأقوال كلها فيه عليه السلام.

١٢٠٣. هل وردت تسميته بهذا في الشرع؟

نعم، فقد سماه الله في القرآن بذلك في عدة آيات:

- فقال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾.
- وفي قوله تعالى: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ﴾.

وغير ذلك من الآيات، وقد وردت السـنة أيضًا بهذه التسـمية، فنحن نقول كما قال ربنا وكما قال نبينا ﷺ.

١٢٠٤. ما الصفات الواردة لنبي الله عيسى ﷺ؟

وردت السـنة الصحيحة بشـيءٍ مـن صفاته وأنه رجل مربـوع القامة، ليس بالطويل ولا بالقصير، جعد الشعر الجعودة المستحسنة، أحمر اللون، عريض الصدر، وأن له شبه بعروة بن مسعود الثقفي الصحابي الجليل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأن له لمة حسنة قد رجّلها تملأ ما بين منكبيه.

١٢٠٥. ما أدلة هذه الأوصاف؟

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (ليلة أسري بي لقيت موسى – فذكر صفاته –، ولقيت عيسى فإذا هو ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس). متفق عليه (ديماس: الحمام)

- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر). رواه البخاري

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لقد رأيتني في الحِجر وقريش تسألني...) الحديث، وفيه: (وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي) . رواه مسلم

- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (أراني الليلة في المنام عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما ترى من آدم الرجال، له لِمَّة كأنت ما أنت راءٍ من اللمم قد رجلها، فهي تقطر ماءً، متكئًا على رجلين يطوف بالبيت، فسألت: من هذا؟ فقيل: هذا المسيح ابن مريم). متفق عليه

١٢٠٦. أين مكان نزوله في آخر الزمان؟

ينزل من السماء إلى الأرض، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام.

١٢٠٧. ما دليل القول السابق؟

دليله حديث أوس بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق). رواه الطبراني

١٢٠٨. كيف يكون نزوله ﷺ؟

ينزل وعليه مهرودتان، أي أنه قد لبس ثوبين مصبوغين بورس وزعفران، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ.

١٢٠٩. ما حال الكفار لو أدركوا نبي الله عيسى؟

لا يحلّ لكافر يجد ريح نفسَه إلا مات، ونفسَه ينتهي حيث ينتهي إليه طرفه.

١٢١٠. من يكونون معه؟

يكون نزوله ﷺ على الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحق، وتكون مجتمعة لقتال الدجال، فينزل وقد أقيمت الصلاة، فيطلب منه أمير القوم وإمامهم أن يتقدم فيصلي بهم، فيرفض، ويصلي خلف أمير تلك الطائفة، وقد تقدم الحديث في ذلك قبل قليل.

١٢١١. كم مدة مُكثه عليه السلام في الأرض؟

لقد أخبر النبي ﷺ أن مدة بقائه ﷺ في الأرض أربعين سنة، ثم يموت الميتة التي كتبها الله عليه، ويصلي عليه المسلمون، ويُدفن، كما ثبت ذلك عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (ثم يمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون). رواه أبو داود.

١٢١٢. بماذا يحكم؟

نعلم أن عيسى ﷺ من جملة المجددين في هذه الأمة، فلا يحكم إلا بالشريعة التي جاء بها محمد ﷺ لا بشرع جديد؛ لأن دين الإسلام خاتم الأديان وشريعته آخر الشرائع وباقية إلىً قيام الساعة لا تنسخ، فيكون عيسى ﷺ حاكمًا من حكام هذه الأمة ومجددًا من مجدديها.

١٢١٣. ما الأحوال التي ستحدث مع نبي الله عيسى ﷺ؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (والله لينزلنّ ابن مريم حكمًا عادلاً فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاس، فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد) . رواه مسلم

١٢١٤. ثبت في الحديث أنه يضع الجزية، والجزية من الشريعة، فكيف يضعها؟

ليس هذا نسخًا ولا شرعًا جديدًا جاء به عيسى عليه السلام، وإنما هو بهذا الوضع يحكم بالشريعة؛ وذلك لأن وضع الجزية مقيّد بزمن عيسى عليه السلام بدليل أن النبي ﷺ أخبر بذلك إخبار راض به مقررًا له، وقد أخبرنا أن شريعته في الجزية هي أنها توضع عند نزول عيسى ابن مريم، ولم ينكر ذلك ولم يأمر المسلمين في زمن نزوله برفض ذلك، ومن المعلوم أن إقراره ﷺ حجة على الجواز.

١٢١٥. **هل يصلي عيسى ﷺ بصلاة المسلمين، ويكون إماما لهم؟**

نعم يصلي بصلاتنا، لكن لا يكون إمامًا لهم.

١٢١٦. **ما بيان القول السابق؟**

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة) قال: (فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقول لهم: تعال فصل لنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعضٍ أمراء تكرمة الله لهذه الأمة). رواه مسلم

١٢١٧. **هل من دليل صحيح على موضع دفن نبي الله عيسى ﷺ؟**

لا دليل على موضع الدفن لنبي الله عيسى ﷺ بعد وفاته.

خامسا: خروج يأجوج ومأجوج

١٢١٨. **ما العلامة الرابعة من علامات الساعة الكبرى؟**

هي خروج يأجوج ومأجوج.

١٢١٩. **هل خروجهم ثابت في الشرع؟**

نعم، قد ثبت ذلك بالكتاب، والسنة الصحيحة، والإجماع.

١٢٢٠. **ما الدليل من القرآن على وقوع هذه العلامة؟**

أما الكتاب:

- فقوله تعالى: ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ

ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلةٍ من هذا بل كنا ظالمين﴾.

- وقال تعالى: ﴿حتى إذا بلغ السدين وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولاً. قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًا. قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردمًا. آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارًا قال آتوني أفرغ عليه قطرًا. فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا. قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقًا. وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعًا﴾.

١٢٢١. ما الدليل من السنة على وقوع هذه العلامة؟

أما السنة، ففي ذلك أحاديث كثيرة منها:

- عن عن زينب بنت جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها فزعًا ذات يومٍ، فقال ﷺ: (ويل للعرب من شد قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه)، وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم إذا كثر الخبثً). متفق عليه

- عن النواس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه: (إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى أني قد أخرجت عبادًا لي لا يُدان لأحد بقتالهم، فحرّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج وهم من كلٍ حدب ينسلون، فيمر أولئك على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرةً ماءً، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى والمؤمنون إلى الله تعالى، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدونً في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم،

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى، فيرسل الله تعالى طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تعالى) وفي رواية: (ثم يسيرون) أي يأجوج ومأجوج (حتى ينتهوا إلى جمل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبًا دمًا). رواه مسلم

- عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - الحديث الطويل -: (..ثم يرجع الناس إلى بلادهم، فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، لا يمرون بماءٍ إلا شربوه، ولا بشيء إلا أفسدوه يجأرون إلًى الله تعالى فيميتهم فتجوى الأرض منهم ومن ريحهم، فيجأرون إلي - أي إلى عيسى عليه السلام- فأدعو الله فيرسل السماء بالماء فيحملهم فيقذف بأجسامهم إلى البر). رواه أحمد والحاكم .

- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفيه: (ويخرجون على الناس - أي يأجوج ومأجوج - فيستقون الماء ويفر الناس منهم، فيرمون سهامهم فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وغلبنا أهل السماء قوةً وعلوًا) قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فيبعث الله عز وجل عليهم نغفًا في أقفائهم فيهلكهم، والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وتبطر، وتشكر شكرًا، وتسكر سكرًا من لحومهم). رواه الترمذي.

- قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يقول الله تعالى: (يا آدم). فيقول: لبيك وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج بعث النار...) الحديث، وفيه: (إن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم رجل واحد). رواه البخاري

١٢٢٢. ما الدليل من الإجماع على وقوع هذه العلامة؟

أجمع أهل السنة على إثبات ذلك، ولم يخالف فيه إلا أهل الأهواء والبدع.

١٢٢٣. ما أصل يأجوج ومأجوج ؟

هم من البشر من ذرية آدم وحواء، وهذا قول أهل السنة.

١٢٢٤. ما دليل هذا التقرير؟

عن عبدالله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: (إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وأنهم لو أرسلوا على الناس لأفسدوا عليهم معايشهم، ولن يموت منهم أحد إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا).

وذكر ابن كثير: (أن يأجوج ومأجوج من ولد يافث أبي الترك، ويافث من ولد نوح عليه السلام) ا.هـ.

١٢٢٥. بم تم حجزهم عن الخروج على الناس؟

١٢٢٦. قدر الله عليهم أن يمنع خروجهم السد الذي بناه الرجل الصالح ذو القرنين.

١٢٢٧. ما دليل هذا التقرير؟

قال تعالى: ﴿حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولاً. قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجًا على أن تجعل بيننا وبينهم سدًا ... ﴾.

١٢٢٨. هل ذو القرنين هو الأسكندر المقدوني؟

لا، فالمقدوني رجل وثني كافر، والذي ذكره الله في القرآن هو رجل مؤمن.

١٢٢٩. أين مكان السدّ بالتحديد؟

لا يُعرف مكانه بالتحديد، ولا مطمع في معرفته، ولم نكلف التعرف عليه.

١٢٣٠. لماذا لا نحرص بالبحث عن السدّ لنعرف مكانهم؟

نحن مأمورون بالابتعاد عنه؛ لأن وراءه فتنة عظيمة ولا ينبغي تعريض النفس للفتن، ولأن يأجوج ومأجوج أمتان مفسدتان عدوتان لنا، والطمع في التعرف على مكانهم بالتحديد هو من باب تمني لقاء العدو، وقد نهينا

عن ذلك، ويكفي من ذلك أن نؤمن بخروجهم ووجودهم.

١٢٣١. يُقال أن بعض الناس اكتشفوا مكان السد، فما صحة هذه الأخبار؟

واجب ترك الأخبار التي لم تُبن على يقين وعلم صحيح، فإن بعض الأولين قد رام التعرف على مكان السد، وبعث بعثًا ووزعموا أنهم وجدوه، ولكن لا يُعرف لهذه القصة سند يثبت، والأمر غيب، ولو كان العلم بمكان السد مما ينفع العبد في دينه لبيَّنه الله ورسوله ﷺ للناس.

١٢٣٢. كيف نستفيد من حال الصحابة أنهم لم يسألوا النبي ﷺ عن مكانه؟

لله در أم المؤمنين زينب بنت جحش التي سمعت النبي ﷺ يقول: (لقد فُتح من ردم يأجوج ومأجوج قدر هذه ...) الحديث، ولم تقل أين هو، ولا بيّن لنا مكانه، وإنما سألت عن المهم في الدين: (أنهلك وفينا الصالحون).

١٢٣٣. هل من الشرع الحرص بالسؤال عن المكان؟

لا، ليس من الشرع، فقد كان النبي ﷺ يحدّث الصحابة بأحاديث يأجوج ومأجوج ولم يتكلفوا أن يسألوا عن مكانه؛ لأنهم علموا أنه مما لا ينفعه في دينهم، ومن المتقرر أنه لابد من فهم الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، فمن سمعته يتكلف السؤال عن مكانهم ويتعب نفسه في جمع الأخبار في ذلك، فقل له: (هلك المتنطعون).

١٢٣٤. ما صفات يأجوج ومأجوج؟

هم في الجملة يشبهون أبناء جنسهم من الترك المغول، ذلف الأنوف، صهب الشعور، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة، على أشكال الترك وألوانهم، وأنهم أقوياء.

١٢٣٥. ما توضيح الصفات السابقة؟

(الْمَجَانّ): جمع مجن وهو التُّرْس.

(الْمُطْرَقَة) والتُّرْس الْمُطْرَق الَّذِي جُعِل على ظهره طِرَاق، وَالطِّرَاق بالكسر جِلْد يُقْطَع على مقدار التُّرْس فَيُلصق على ظهره، أي شبّه وجوههم بالتُّرْسِ

لِبسطها وتدويرها وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها.

(ذُلْف الأُنُـوف): الذّلَـفُ بالتحريـك قِصَـرُ الأَنفِ وصِغَـرُه، وقيل قصر القَصَبة وصغر الأرْنبة.

(صهب): إحمرار لون الشعر.

١٢٣٦. ما دليل تلك الأوصاف؟

عن ابن حرملة عن خالته قالت: خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب أصبعه مـن لدغة عقرب، فقال: (إنكـم تقولون: لا عدو، وإنكم لا تزالون تقاتلون عـدوًا حتـى يأتي يأجوج ومأجـوج، عراض الوجوه، صغر العيون، شـهب الشعاف، من كل حدبٍ ينسلون، كأن وجوههم المجان المطرقة). رواه أحمد

١٢٣٧. ما صحة الأوصاف الأخرى لهم، مثل القِصر والآذان الغريبة؟

أمـا وصفهـم بالقصـر المفرط أو الطـول المفـرط، والآذان الطويلـة، بحيث يفترش أحدهما ويلتحف الأخرى، فلا سـند لهذه الصفات يصح الاعتماد عليه، وإنما هي مذكورة في آثار وأخبار لا سند لها أو لا يثبت أهل الحديث مثله، فكل ذلك ضعيف لا يُعتمد عليه.

١٢٣٨. ما مقدار قوتهم؟

لهم القوة العظيمة، وهذا الوصف ثابت لهم، وذلك كما في حديث النواس عند مسلم وفيه: (وإنه لا يُدان لأحدٍ بقتالهم).

١٢٣٩. كم عدد هذه الأمم؟

عددهم كبير جدًا، ودليل هذا قال النبي ﷺ: « يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم . فيقول: لبيك وسعديك. فينادي بصوت: ابعث بعث النار من ذريتك. فيقول: من كم؟ فيقول: من كل ألف تسـعمائة وتسـعة وتسـعين إلى النار، وواحـدا إلـى الجنة. فيومئذ يشـيب الصغير، وتضـع كل ذات حمل حملها فيقال: أبشروا، فإن في يأجوج ومأجوج لكم فداء» . رواه البخاري

سادسًا: الخسوف الثلاثة

١٢٤٠. ما العلامة السادسة من علامات الساعة الكبرى؟

العلامة السادسة من علامات الساعة الكبرى، هو الخسوف الثلاثة: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب.

١٢٤١. ما دليل هذه العلامة؟

عن حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (لن تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات...) فذكر منها: (وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب). قلت: يا رسول الله، أيخسف بالأرض وفيها الصالحون؟ قال له: (إذا أكثر أهلها الخبث). رواه الطبراني

١٢٤٢. هل وقعت هذه الخسوف؟

هذه الخسوفات لم تقع بعد - ولله الحمد والمنة -، بل هي كغيرها من الأشراط التي لم يظهر شيء منها، وما ذكره بعض أهل العلم من وقوع بعض الخسوفات في أماكن وأزمنة متفرقة، فإنما هو من الأشراط الصغرى، أما هذه الخسوفات الثلاثة فإنها لم تقع بعد، لأنها ستكون عظيمة.

سابعًا: ظهور الدخان

١٢٤٣. ما العلامة السابعة من علامات الساعة الكبرى؟

هي ظهور الدخان في آخر الزمان.

١٢٤٤. ما دليل ما سبق من الكتاب العزيز؟

قال تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين . يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾.

١٢٤٥. ما قول العلماء في تحديد الدخان الوارد في الآية السابقة؟

اختلف أهل العلم في هذا الدخان المذكور في الآية على قولين: الأقرب منها قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن تبعه من السلف من أنه لم يظهر بعد، وأنه

علامة من العلامات الكبرى للساعة، فهو - أي الدخان - من الآيات المنتظرة التي نسأل الله تعالى أن نموت قبل ظهور شيء منها.

١٢٤٦. ما دليل ظهور الدخان في السنة النبوية؟

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة، فقال: (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) فذكر منها: (الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ...). رواه مسلم

١٢٤٧. ما قول علماء الأمة في ظهور علامة الدخان؟

هي عندهم من العلامات الكبار التي لازالت تنتظر.

١٢٤٨. ما القول مع الدخان الذي جاء على أهل قريش؟

الذي ورد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ما رأته قريش من شدة ما أصابها من الجوع والعطش، فإن هذا نوع منه ولكنه ليس هو حقيقة، فإن ما يراه شديد الجوع من الغتمة في الأفق إنما هو شيء يتوهمه بسبب شدة الجوع، والدخان الذي أخبر به النص دخان حقيقي، بل هو موصوف بأنه دخان مبين وأنه يغشى الناس، وليست قريشًا وحدها، ولأن النبي ﷺ قال لابن صياد: (إني خبأت لك خبأ) فقال: هو الدُخ. فقال: (اخسأ فلن تعدو قدرك). متفق عليه

وهذه القصة وقعت في المدينة، وهذا يدلّ على أنه مما ينتظر، لا أنه مما مضى وانقضى.

ثامنًا: طلوع الشمس من مغربها

١٢٤٩. هل ثبت هذا في الشرع الكريم؟

نعم، قد ثبت ذلك بالقرآن، والسنة، والإجماع.

١٢٥٠. ما دليل ثبوتها في القرآن الكريم؟

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها

لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا ﴾.

وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة أن المراد ببعض الآيات المذكورة هو طلوع الشمس من مغربها وهو قول كثير من المفسرين.

١٢٥١. ما دليل ثبوتها في السنة النبوية؟

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال الرسول ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا) . متفق عليه

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان ...) فذكر الحديث وفيه: (وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا). رواه البخاري

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها...) رواه مسلم .

- عن حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذكر أشراط الساعة، فذكر منها: (وطلوع الشمس من مغربها). رواه مسلم

- عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: حفظت من النبي ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وطلوع دابة الأرض من موضعها، وأيتهما كانت قبل الأخرى فالأخرى على أثرها قريبًا). رواه مسلم

١٢٥٢. من المعتاد يوميا طلوع الشمس من المشرق، فكيف ستقع هذه العلامة العظيمة؟

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال يومًا: (أتدرون أين تذهب الشمس)؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: (إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخرّ ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يُقال لها: ارتفعي، ارجعي

مـن حيـث جئت! فترجع فتصبـح طالعة من مطلعها، ثم تجـري حتى تنتهي إلى مسـتقرها تحت العرش فتخر سـاجدة، ولا تزال كذلـك حتى يُقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت! فترجع فتصبح طالعة مطلعها، ثم تجري لا يسـتنكر الناس منها شيئًا، حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لهـا: ارتفعي، أصبحي طالعـة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها)، فقال رسـول الله ﷺ: (أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسًـا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا). رواه البخاري

١٢٥٣. هل أجمع علماء الأمة على هذه العلامة؟

نعـم، أجمعوا على إثبات هذه العلامة، فلا عبرة بمن تأثر بالعقلانيين الذين يقدمون العقل على النقل ويعرضون النصوص على عقولهم القاصرة، فما وافقها قبلوه وما خالفها ردوه واتهموه.

تاسعًا: طلوع دابة الأرض

١٢٥٤. ما المقصود من هذا العنوان؟

هو طلوع دابة الأرض من موضعها، وذلك يكون في آخر الزمان.

١٢٥٥. ما دليل ثبوتها في القرآن العزيز؟

دليل هذا قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾.

١٢٥٦. ما دليل ثبوتها في السنة النبوية؟

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًـا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسـبت فـي إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض). رواه مسلم
- عـن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل الأخرى فالأخرى على أثرها قريبًا). رواه مسلم

- عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه للنبي ﷺ قال: (تخرج الدابة، فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يغمرون - أي يكثرون - فيكم حتى يشتري الرجل البعير فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: من أحد المخطمين) . رواه أحمد

١٢٥٧. هل أجمع علماء الأمة على هذه العلامة؟

نعم أجمع أهل السنة قاطبة على إثبات خروج هذه الدابة، ولم يخالف في ذلك أحد، وإنما الخلاف حصل في بعض التفاصيل فقط، وإلا فأصل خروج الدابة متفق عليه.

١٢٥٨. ما الذي يجب على المؤمن في أمر هذه الدابة؟

يجب على المؤمن في أمر هذه الدابة أن يؤمن إيمانًا جازمًا ويصدّق تصديقًا يقينيًا بأن الله تعالى في آخر الزمان قرب قيام الساعة إذا وقع القول على الناس سيُخرج عليهم من الأرض دابة - الله أعلم بحقيقة أمرها - وأنها تكلم الناس كلامًا يفهمونه، وتسم المؤمن والكافر، وأنها بلاشك تخالف معهود البشر من الدواب خلقة وعملاً، وأنها من علامات الساعة الكبرى، وأنه بعد خروجها يقفل باب التوبة فلا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا.

١٢٥٩. ما الذي ينبغي له الحذر منه؟

ينبغي للمؤمن الحذر من الخوض فيما لا علم له به ولا برهان يعضده، وأن يعلم أن الأمر غيب، وأمور الغيب لا مدخل للعقول فيها.

١٢٦٠. كيف أقحم بعض الناس عقولهم في هذه الغيبيات؟

بعض االناس زعم أن الدابة هي هذه الحشرات التي في الجو وفي بدن الإنسان التي تفتك به وهو لا يشعر، وهذا زعم باطل، وهو مخالف للنصوص.

عاشرًا: نار اليمن

١٢٦١. ما المقصود من هذه العلامة؟

هي النار التي ستخرج من اليمن من قعرة عدن، من بحر حضرموت .

١٢٦٢. ما الدليل على هذه الآية؟

دليلها ما يأتي:

- حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي تقدم مرارًا وفيه: (وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) رواه مسلم، وفي رواية: (تخرج من قعر عدن)، وفي رواية: (وآخر ذلك نار تخرج من اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر).
- أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب...) الحديث. رواه البخاري
- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس). رواه أحمد

١٢٦٣. كيف يكون حشر هذه النار للناس؟

إذا ظهرت هذه العلامة العظيمة من اليمن فإنها تنتشر في الأرض وتسوق الناس إلى أرض المحشر، ويكون حشرها للناس على ثلاثة أشكال:

الأول: أناس يحشرون راغبين طامعين كاسين راكبين.

الثاني: أناس يمشون تارة ويركبون تارة ويعتقبون البعير الواحد.

الثالث: أناس تحشرهم فتحيط بهم وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلّف منهم فإنها تأكله.

١٢٦٤. ما دليل التقرير السابق؟

دليله حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا) متفق عليه.

١٢٦٥. متى وقت هذا الحشر؟

اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في وقت هذا الحشر على هذه الصفة،

والصواب الذي لا مرية فيه أنه آخر الزمان قبل يوم القيامة لا بعده، واختار هذا القول الإمام الخطابي، والقاضي عياض، والقرطبي، وابن كثير، وابن حجر، وغيرهم، وهو الذي يقتضيه الدليل السابق.

١٢٦٦. ما الأرض التي سيحشر إليها الناس؟

الأرض التي سيحشر إليها الناس هي أرض الشام.

١٢٦٧. ما الدليل على ما سبق قوله؟

دليل ذلك حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنكم محشورون رجالاً وركبانًا وتجرون على وجوهكم ههنا) وأومأ بيده نحو الشام. رواه أحمد والترمذي

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (الشام أرض المحشر والمنشر) صححه الإمام الألباني.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (ليأتين على الناس زمان لا يبقى على الأرض مؤمن إلا لحق بالشام) رواه الحاكم.

١٢٦٨. من آخر من تحشرهم النار؟.

هما راعيان من مُزينة، كما ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلى العوافي - أي عوافي السباع والطير - فآخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها ملئت وحوشًا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرّا على وجوههما) وفي رواية أخرى: (ليتركنها أهلها على خير ما كانت مذللة للعوافي).

١٢٦٩. اذكر بعض الوصايا التي منها ننطلق في تعلم هذه الأشراط؟

من الوصايا الواجب معرفتها ونشرها بين الناس عند قراءة هذه الأشراط ما يأتي:

الأول: أن يكون قائدنا في إثبات شيء من هذه الأشراط هو الدليل الصحيح الصريح فقط، فما أثبته الدليل الصحيح الصريح، فالواجب إثباته،

وما نفاه فالواجب نفيه، وما لم يثبته ولم ينفيه فلا حق لأحد في إثباته ولا نفيه، وإنما يسعنا أن نقول: الله أعلم.

الثاني: أن نعلم علم اليقين أن هذه الأشراط - الكبرى على وجه الخصوص - من العجائب العظام، التي تحار فيها العقول، فلا سبيل للعبد إلا أن يصدق بها التصديق الجازم، من غير إقحام لعقله الضعيف في إدراك شيء من ذلك، وإنما لا يسعه إلا أن يقول: ﴿ آمنا به كل من عند ربنا﴾، ونقول في حق الصادق المصدوق ﷺ: ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

الثالث: الحذر من أن جعل ميزان القبول والردّ لمثل هذه النصوص هو موافقة العقل، فإن هذا مسلك أهل البدع الذين يسمون أنفسهم - زورًا وبهتانًا - بالعقلانيين، فالعقل المجرد عن هدي الكتاب والسنة لا ينفع صاحبه، بل قد يكون سببًا لضلاله، ومن المعلوم المتقرر أن النصوص الصحيحة لا تأتي بمحالات العقول، وإنما قد تأتي أحيانًا بمحارات العقول.

الرابع: من المتقرر عند عامة أهل العلم أن الوقت له أهمية قصوى، والذي نوصي به أن لا يشغلوا أنفسهم في تفاصيل هذه الأشراط مما لم يرد به النص، كإشغال النفس بالبحث عن جنس الدابة، وما أصلها؟ وأين مكان السد، ونحو هذه الأسئلة التي مؤداها التكذيب بصحيح الأخبار والتشكيك في ثبوتها.

الخامس: نوصي من نظر في الأدلة أن ينظر نظر المستفيد الطالب للحق والهدى والبيان، فإن من نظر بهذا القصد فإنه يُوفق بفضل الله تعالى، ولا ينظر فيها نظر المجادل المتكبرِ عن الحق والهدى فلا يزداد صاحب ذلك النظر إلى سفالاً وضلالاً؛ لأنه لم يرم الهدى من هذه الأدلة، وإن أشكل علينا فيها شيء فواجب العلم أن القصور في علمنا وفهمنا وبحثنا، لا في الأدلة.

المبحث الثاني:

ما يتعلق بقضية الموت

١٢٧٠. ما الأدلة الواردة في قضية الموت؟

قال تعالى: ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾.

وقال تعالى: ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾

وقال تعالى: ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾.

فالله جل وعلا حكم وقضى على كل أحدٍ بالموت من الملائكة والبشر والجن وسائر الحيوانات.

١٢٧١. ماذا يتعلق بهذه القضية؟

يتعلق بها أمورًا محددة، مثل القبر والبعث، وما يتضمنه من أحوال بعد البعث.

المطلب الأول: ما يتعلق بالقبر

١٢٧٢. ماذا يتعلق بهذه القضية؟

يتعلق بها: الإيمان بسؤال القبر ونعيمه وعذابه، كما ثبتت بذلك الأدلة وصحت به الأخبار.

١٢٧٣. ما الأدلة القرآنية على وجود عذاب أو نعيم في القبر؟

الأدلة على ذلك كثيرة، منها:

- قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾.
- قال تعالى: ﴿ سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب الحريق ﴾، قال ابن مسعود وأبو مالك وابن جريج والحسن البصري وسعيد وقتادة وابن إسحاق: أن المراد بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر، والعذاب العظيم

هو عذاب جهنم.

- قال تعالى: ﴿ يثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾، فقد ثبت في الصحيحين من حديث البراء عنه ﷺ: أنها نزلت في عذاب القبر .

١٢٧٤. ما الأدلة من السنة على وجود عذاب أو نعيم في القبر؟

- عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (إن العبد إذا وُضع في قبره، وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيجلسانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ - لمحمد ﷺ -.

فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله، فيقولان: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا، وأما المنافق أو الكافر فيقولان له: ما تقول في هذا الرجل ، فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت ولا تليت، ويُضرب بمطارق من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان).

متفق عليه

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل) . متفق عليه

- عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت: تعوّذي بالله من عذاب القبر، فسألت عائشة النبي ﷺ عن عذاب القبر، فقال: (نعم عذاب القبر حق). قالت عائشة: «فما صلّى النبي ﷺ صلاة بعد قط إلا تعوّذ بالله من عذاب القبر». رواه البخاري

- وورد أن النبي ﷺ كان في حائط لبني النجار على بغلة له والصحابة معه، إذ حادت به وكادت تلقيه فإذا أقبرٌ ستة أو خمسة، فقال: (من يعرف هذه الأقبر) ؟ فقال رجل: أنا. قال: (فمتى ماتوا)؟ قال : في الشرك. فقال: (قد أوحي إليّ أن هذه الأمة تفتن في قبورها،

ولـولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسـمعكم مـن عذاب القبر الذي أسـمع) ثم قـال: (تعوذوا بالله من عذاب القبـر) . فقالوا: نعوذ بالله مـن عذاب القبر . قال : (تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ...) الحديث. رواه مسلم

- عـن ابـن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقـال: (أما إنهما ليعذبان ومـا يعذبان في كبر، أما أحدهما فكان لا يسـتتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشـي بين الناس بالنميمـة)، فدعا بجريدة رطبة فشـقها باثنتين فغرز على كل قبر واحدة، فقالوا: لم فعلت ذلك يا رسول الله؟ قال: (لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا) . متفق عليه

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: (إذا تشـهد أحدكم فليسـتعذ بالله من أربع يقـول : أعـوذ باللـه من عذاب جهنـم ، ومن عذاب القبـر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال) . متفق عليه

١٢٧٥. ما الحديث المشهور في وجود عذاب في القبر؟

هو حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه:

قـال النبـي ﷺ: (إن العبد المؤمـن إذا كان في انقطاع مـن الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة كأن على وجوههم الشـمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مَدَّ البصر .

ثـم يجـيء ملك المـوت - عليه السـلام - حتى يجلس عند رأسـه، فيقول: أيتهـا النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة مـن الله ورضوان)، قال: (فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يـده طرفة عـين حتى يأخذوهـا فيجعلوها في ذلك الكفـن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض).

قال: (فيصعدون بها فلا يمرون - يعني بها على ملأ من الملائكة - إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسـن أسـمائه التي كانوا يسـمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السـماء، فيستفتحون له فيفتح له فيشـيعه من كل سـماءٍ مقربوها إلى السـماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة.

فيقـول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي فـي عليين، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى).

قال ﷺ: (فتُعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسـول الله؟ فيقولان له: وما عملـك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت.

فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة)، قال: (فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مُدَّ بصره)، قال: (ويأتيه رجل حسـن الوجه، حسـن الثياب، طيب الريح ، فيقول له : من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أبشـر بالذي يسـرك، أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي).

قال ﷺ: (وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نـزل إليه ملائكة سـود الوجوه معهم المسـوح فيجلسـون منه مَـدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السـلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضب).

قال ﷺ: (فتتفرق روحه في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلـول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها - يعني على ملأ من الملائكة - إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسـمائه التي كانوا يسـمونه بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السـماء الدنيا ، فيسـتفتح له فلا يفتح له)، - ثم قرأ رسـول الله ﷺ: ﴿ لا تفتح لهم أبواب السـماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ - ، (فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحًا)، - ثم قرأ: ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به في مكان سحيق ﴾.

(فتعاد روحه في جسـده، ويأتيه ملكان فيجلسـانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول:

هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول: ومن أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة). رواه أحمد وأبو داود وغيرهم.

١٢٧٦. هل الروح تموت؟

إذا كان المقصود بموتها مفارقتها للجسد، فإنها تموت بهذا الاعتبار.

وإن كان المقصود فناؤها وعدمها كأن لم تكن، فهي لا تموت بهذا الاعتبار.

١٢٧٧. ما الدليل على أنها خالدة ولا تفنى؟

الدليل السابق- من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- دلّ على أنها تبقى بعد مفارقة الجسد منعمة إن كان صاحبها من أهل النعيم، ومعذبة إن كان صاحبها من أهل العذاب، فمن قال من أهل العلم أنها تموت فإنما يريد مفارقتها للجسد، ومن قال منهم إنها لا تموت فإنما يريد أنها لا تفنى؛ لأنها خلقت للبقاء.

١٢٧٨. أين تكون أرواح المؤمنين بعد الموت؟

أرواح المؤمنين في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت في أماكنها:

أولاً: أرواح الأنبياء، وهذه تكون في خيرِ المنازل في أعلى عليّين، في الرفيق الأعلى، وقد سمعَت السيدةُ عائشةُ الرّسولَ ﷺ في آخرَ لحظات حياته يقول: (اللهم الرَفيق الأعلى). رواه البخاري

ثانيًا: أرواح الشهداء، وهؤلاء أحياء عند ربهم يُرزقون.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾. (آل عمران: ١٦٩).

وقد سأل مسروق رحمه الله عبدَالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن هذه الآية، فقال: «إنا قد سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: (أرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديل مُعلّقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث

شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل)». رواه مسلم.

الثالث: أرواح المؤمنين الصالحين: تكون طيورًا تعلُق شجر الجنة.

قال ﷺ: (إنما نَسَمة المؤمن طائر يَعْلُقُ في شجرِ الجنة، حتى يبعثه الله إلى جسده يوم يبعثه). رواه مالك وأحمد يَعْلُقُ: يأكل

١٢٧٩. ما الفرق في الجزاء لأرواح الشهداء عن المؤمنين؟

الفرق بين أرواح المؤمنين وأرواح الشهداء، أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح متنقلة في رياض الجنة، وتأوي إلى قناديل معلقة في العرض.

أما أرواح المؤمنين فإنها في أجواف طير يعلق ثمر الجنة ولا ينتقل في أرجائها.

١٢٨٠. هل هناك من أمر مانع من دخول الجنة بالنسبة لغير الأنبياء؟

نعم، هناك الديْن وهو مانع ولو كان المسلم من الشهداء، فعن عبد الله بن جحش: (أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، مالي إن قتلت في سبيلِ الله؟ قال ﷺ: الجنة، فلما ولّى، قال ﷺ: إلا الديْن، سارني به جبريل آنفا). أخرجه الإمام أحمد

١٢٨١. هل يمكن أن تتلاقى أرواح المؤمنين؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وأرواح الأحياء ذا قُبضَتْ تجتمعُ بأرواحِ الموْتى، ويسأل الموتى القادم عليهم عن حال الأحياَء، فيقولون: ما فعل فلان؟ فيَقولون: فلان تزوج. فلان على حال حسنة.

ويقولون: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم؟ فيقولون: لا، ذُهِبَ به إلى أُمّهِ الهاوية.

وأما أرواح الموتى فتجتمِعُ: الأعلى ينزلُ إلى الأدنى، والأدنى لا يصعدُ إلى الأعلى». [٨٠]

٨٠- مجموع الفتاوى ( )

١٢٨٢. أين ستكون أرواح العصاة من المسلمين؟

لأرواح العصاة صنوفا من العذاب متنوعة، ومن ذلك:

- الـذي يكذِب الكذبـةَ تبلغ الآفاقَ، يُعـذَّب بكلُّوب مـن حديد يدخل في شدقه حتى يبلغ قفاه.
- والذي نام عن الصلاة المكتوبة يُشدَخ رأسه بصخرة.
- والزُّناة والزّواني يُعذَّبون في ثقب مثل التَّنُّور، ضيِّق أعلاه وأسفله واسع، تُوقد النار من تحته.
- والمُرابي يسبح في بحر من دم، وعلى الشطِّ من يلقمه حجارة.
- وهنـاك مـن الأحاديث التي تتحدث عن عذاب الذي لم يكن يسـتنزه من بوله، والذي يمشي بالنَّميمة بين الناس أنه يعذب في قبره.

١٢٨٣. هل عذاب القبر دائم على صاحبه أو منقطع؟

هـو يختلـف باختلاف الميـت، فإن كان مـن أهل الكفـر والشـرك والنفاق الاعتقادي فإن عذابه في القبر دائم لا ينقطع.

وأما إن كان من الذين معهم أصل الإسلام والإيمان فإن عذابه منقطع، وهو بمثابة المكفر عنه ذنوبه وخطاياه.

١٢٨٤. هل عذاب القبر يقع على الروح أو الجسد؟

الصحيـح أن عـذاب القبر على الروح والجسـد، إلا أنه علـى الروح أصلاً ويدخل معها الجسد تبعًا.

١٢٨٥. هل سؤال القبر خاص لهذه الأمة، أو عام لسائر الأمم؟

فيه خلاف، ومقتضى الأدلة أنه عام لكل الأمم وما ورد في بعض الأحاديث مـن قولـه ﷺ: (إن هـذه الأمة تفتن في قبورهـا) وقولـه ﷺ: (أوحي إليّ أنكم تفتنون في قبوركم) فلا يعد هذا اختصاص لهذه الأمة؛ لأن هذا ذكر للعام ببعض أفراده، وقد تقرر في الأصول أن ذكر العام ببعض أفراده ليس بتخصيص.

١٢٨٦. هل سؤال القبر وعذابه ونعيمه خاص بمن قبر فقط، أم ماذا؟

لا ، بل هو عام لكل من مات سواءً دفن أو لم يدفن، وسواء احترق وتفرقت أجزاؤه، أو أكلته السباع، أو سفته الريح، أو غرق في البحر وأكلته الأسماك، أو صُلب وبقي على الجذع حتى تحللت أعضاؤه أو غير ذلك، كل هؤلاء يسألون وينعمون إن كانوا من أهل النعيم، ويعذبون إن كانوا من أهل العذاب.

١٢٨٧. هل ممكن إدخال العقل في هذا الجانب؟

لا، لأن الأمر غيب وقد أثبته الدليل، والله قادر على كل شيء، وأمور البرزخ من أمور الآخرة فلا يجوز إعمال العقل فيها، بل الواجب التسليم للنصوص، والوقوف حيث وقفت.

١٢٨٨. ما دليل التقرير السابق؟

قال النبي ﷺ: «كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا. فلما مات فُعل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك. ففعلت، فإذا هو قائم فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب، أو قال: مخافتك فغفر له».رواه البخاري ، فالله تعالى لا يعجزه شيء.

١٢٨٩. هل سؤال القبر يكون أيضا لمن مات صغيرًا من أهل الإسلام أو مجنونًا ؟

الصحيح أنهم لا يُسألون؛ لأنهم ليسوا من أهل التكليف، لفقدهم أهلية التكليف، ولأن القلم مرفوع عنهم، ولأنهم ليسوا من أهل الابتلاء والاختبار.

١٢٩٠. ما التعامل مع من ينكر عذاب القبر ونعيمه لأنه لا يحس، فلو فتح قبر المؤمن لم نر نعيمًا ولو فتح قبر الكافر لم نر عذابًا، فكيف نجيب عنه؟

هنا مفترق الطرق بين الموفقين الذين يؤمنون بالغيب وبين الخاسرين المخذولين الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات.

١٢٩١. كيف نجيب على من ينكر عذاب القبر ونعيمه لأنه لا يحس بهذا العذاب وفق المنظور العلمي؟

الجواب عن هذا من جوه:

الأول: أن عذاب القبر ونعيمه من الأمور الغيبية التي يجب فيها التسليم فقط، ولا تعرض على العقول القاصرة والأفهام المحدودة؛ لأنها ستنكرها إذ هي خارجة عن مدركات هذه العقول، وقد قال تعالى: ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ...﴾ الآية .

الثاني: أن طرق الإثبات كثيرة، وليست مقصورة على الحس والمشاهدة فقط، فهب أن دليل الحس انعدم ، فهل انعدامه دليل على العدم؟ بالطبع لا، فقد ثبت ذلك من طريق آخر وهو الخبر الصادق الذي لا يتطرق إليه الشك بوجه من الوجوه ، وهو خبر الله ورسوله ﷺ.

الثالث: الأدلة في إثبات نعيم القبر وعذابه قد بلغت مبلغ التواتر، وطريق النقل طريق ثابت بنفسه سواءً أيده دليل الحس والمشاهدة أو لا ، فيجب إثبات ما أثبته النص، ومن جعل طريق إثبات الاعتقادات الحس والمشاهدة فقط فإنه سينكر معتقدات كثيرة أولها وجود الله تعالى، وكثير من أمور الغيب، وهذا نهايته التعطيل والإلحاد.

الرابع: أن عذاب القبر ونعيمه ليس من جنس عذاب الدنيا ونعيمها، وإن كان الله تعالى يحمي على الكافر التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى تكون أعظم حرًا من جمر الدنيا، ولو مسّها أهل الدنيا لم يحسوا بها، بل وأعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من النار، وهذا في روضة من رياض الجنة لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه، وقدرة الله تعالى أعظم وأوسع من ذلك وأعجب، فالأمر مختلف عن المعهود في الدنيا فلا ينظر إليه بعين ضيقة، لكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علمًا.

الخامس: أن الله تعالى تعبّدنا بأشياء كثيرة، ومما تعبدنا به الإيمان بالغيب،

فلـو أن اللـه أطلع العبـاد على نعيم القبـر وعذابه لزالـت حكمة هذا التكليف، أعنى الإيمان بالغيب .

السـادس: أننا مأمورون ومتعبـدون بمتابعة النص، من إثبـات ما أثبته ونفي مـا نفاه وتصديـق ما أخبر به، هذه هي الحكمة مـن خلقنا، فالنص هو المقدم في كل شيء، فالنص مقدم على العقل والعقل تابع له .

١٢٩٢. ما سبب إخفاء الله عذاب القبر عن إدراك الناس؟

لعل من أسباب هذا ما يأتي:

- تكدّر المعيشة، فإن الله تعالى أخفى عنا عذاب القبر حتى لا يتنكد عيشنا، ولذلـك فإنه قد ورد أن الثقلين (الإنس والجن) لو سـمعوا صراخ من يعـذب في قبره لصعقوا عـن آخرهم، فرحمة منه وإحسـانًا بنا أخفاه عنا.
- تـرك التدافن، فـإن الله تعالى لو أطلـع العباد على عـذاب القبر لما تدافن النـاس، ولبقـي الأمـوات جثثًا هامـدة على وجـه الأرض لا يجدون مـن يدفنهـم خوفـًا من سـماع عذاب مـن أراد اللـه تعذيبه فـي قبره، ولانتشـرت الأمـراض وعمّ الفسـاد في البلاد والعبـاد، ولذلك قال: (ولولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسـمعكم من عذاب القبر الذي أسـمع)، ولذلك لما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته.

المبحث الثالث:

ما يتعلق بالبعث

١٢٩٣. ما المراد بهذا العنوان؟

هو تحقيق الإيمان الجازم الذي لا يعتريه شك بالبعث ومعاد الأجساد وقيام الناس من قبورهم لرب العالمين.

١٢٩٤. هل القضية من الأهمية لتناولها بالتوضيح؟

نعم، فهي من الأمور الكبار التي اشتد إنكار الكفار لها.

١٢٩٥. كيف تناولها القرآن بالتبيين؟

القرآن نوّع الاستدلال لهذه القضية بما لا يدع مجالاً للشك في إثباته، ومن ذلك:

الأول: التصريح به بلفظه والإقسام على ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا ألَّنْ يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾.

الثاني: الاستدلال على المعاد بالمبدأ، قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾، وقال تعالى: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾.

الثالث: الاستدلال على المعاد وبعث الأجساد بالقدرة على خلق الأشياء الكبيرة، وهذا قياس أولوي وهو حجة بالاتفاق إلا من شذ، كما قال تعالى: ﴿أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير﴾.

الرابع: الاستدلال على ذلك بالوقوع، كما في قصة الغلام الذي قال الله فيه: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾، وكما في قصة عزير وحماره المذكورة في قوله

تعالـى: ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشـها ﴾ الآية بتمامها.

الخامـس: الاسـتدلال على ذلـك بالإخبار بتمـام القدرة الكاملـة، كما قال تعالى: ﴿ وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليمًا قديرًا ﴾.

المطلب الأول: موعد اليوم الآخر

١٢٩٦. هل هناك من يعلم متى تقوم الساعة؟

قال تعالى: ﴿ يَسْـأَلُونَكَ عَنِ السَّـاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَـاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَـا لِوَقْتِهَـا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـأَلُونَكَ كَأَنَّـكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُـلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْـدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧) ﴾ (الأعراف)

١٢٩٧. لماذا أخفَى الله سبحانه هذا الموعد عن الخلق؟

ليكونوا جميعا في ترقّب دائم واستعداد لهذا اليوم.

١٢٩٨. ما القول فيمن يدّعي علم قيام السـاعة، ويسـتدل على ذلـك بأرقامٍ وتعداد لحروف بعض الآيات، ونحو ذلك ؟

هذا المدّعي أحمق ومتكلّف ما لا علم له به، داسٌ أنفه فيما هو من خصائص علم الله تعالى، قائل على الله بلا برهان، متكهن متنطع.

١٢٩٩. ما وجه مناقضته لما ورد في القرآن الكريم؟

أنه مناقض للآيات الإتية:

- لقوله تعالى: ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾.
- ولقوله تعالى: ﴿يسـألونك عن السـاعة أيان مرسـاها قل إنمـا علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السـموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسـألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾.

- ولقولـه تعالى: ﴿ يسـألك الناس عن السـاعة قل إنما علمهـا عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا ﴾ .

- ولما سئل جبريل أحبَ البشر ﷺ فقال: متى الساعة؟ قال ﷺ: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل).

المطلب الثاني: ما يسبق وقوع يوم القيامة

١٣٠٠. هل هناك أمور تسبق وقوع يوم القيامة؟

نعـم، قال رسـول اللّه ﷺ « يخـرج الدّجّالُ فى أمتى فيمكـثُ أربعين - لا أدرى أربعِين يومًا أو أَربعِين شـهْرًا أو أربعين عامًا - فيبعثُ اللّهُ عيسـى ابن مـريم كأنـه عروة بن مسـعودٍ، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سـبعَ سـنين ليس بين اثنين عداوة.

ثم يُرْسـلُ اللهُ ريحا باردة من قبل الشـأمِ، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ فـى قلبـه مثقـال ذرّة من خير أو إيمـان إلاّ قبضتهُ، حتى لـو أن أحدكم دخل فـى كبد جبـل لدخلته عليه حتى تقبضه، فيبقى شـرارُ الناس فى خفّة الطير وأحلام السّباع، لا يعرفون معروفا ولا يُنكرون مُنكرا، فيتمثّل لهِم الشيطان، فيَقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمُرُنا؟ فيأمُرُهُمْ بعبادة الأوثانِ. وهم فى ذلك دارٌّ رزقهم حَسَنٌ عيشهم». أخرجه مسلم .

اليوم الذي فيه القيامة

١٣٠١. في أي يوم تقوم الساعة؟

السـاعة لا تقـوم إلا في يـوم الجمعة، لذلـك تكون الـدواب خائفة في هذا اليوم من قيامها.

١٣٠٢. ما دليل التحديد السابق؟

عـن أبـى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنّ النبى ﷺ قَالَ « خير يوم طلعت عليه الشـمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم السّـاعة إلا فى يوم الجمعة». أخرجه مسلم

وعـن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال قال رسـول اللـه ﷺ: «عُرضت علي الأيام، فعرض علي فيها يوم الجمعة، فإذا هي كمرآة حسناء، وإذا في وسطها نكتة سوداء! فقلت: ما هذا؟ قيل: الساعة». أخرجه الطبراني في الأوسط.

١٣٠٣. ما الدليل على أن الحيوانات تترقب ومتخوفة من قيام الساعة؟

قال ﷺ: «وما مِن دابةٍ إلا وهى مُسيخَةٌ [٨١] يوم الجمعةِ من حين تُصبحُ حتى تطلُعَ الشمسُ شَفَقًا مِن الساعة، إلا الجنَّ والإنس». رواه أبو داود

المطلب الثاني: ما يكون في يوم القيامة

أولا: ما يتعلق بالنفخ

١٣٠٤. ما المقصود بهذا العنوان؟

المقصـود به أن يوم القيامة لـه علامة دالة على بدء وقوعه ألا وهو النفخ في الصور.

١٣٠٥. ما الدليل على هذا الأمر؟

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨)﴾ (الزمر).

١٣٠٦. النفخ سيكون في أي شيء؟

ورد بيان هذا في الحديث، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «الصور قرن يُنفخ فيه». رواه أبو داود وغيره

١٣٠٧. هل هذه المهمة موكول بها الملك منذ أن خلقه الله؟

نعـم، عـن أبي هريـرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال قال رسـول اللـه ﷺ: «إن طـرف صاحب الصـور مذ وُكل به مسـتعد، ينظر نحو العرش مخافـة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان». أخرجه الحاكم

١٣٠٨. هل هناك حياة بين الناس وتعامل يومي بينهم؟

٨١- (مُسيخة): معناه مُصغية مُستمعة.

نعم، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لتقم الساعة وثوبهما بينهما لا يطويانه ولا يتبايعانه، ولتقم الساعة وقد حلب لقحته لا يطعمه، ولتقم الساعة وقد رفع لقمته إلى فيه ولا يطعمها، ولتقم الساعة والرجل يليط حوضه لا يسقي منه». رواه أحمد

١٣٠٩. كم نفخة سينفخها الملك؟

ينفخ الملَك في الصور النفخة الأولى، وهي نفخة الصعق، فيموت من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه النفخة الثانية نفخة الإحياء فإذا هم قيام ينظرون .

قال تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨)﴾ (الزمر).

١٣١٠. كم المدة بين بين النفختين؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « ما بين النفختين أربعون». قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوما؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيتُ. قالوا: أربعُونَ سنة ؟قال: أبيتُ».

١٣١١. هل ورد بيان عن اسم الملَك الذي ينفخ في الصور؟

لا، لم يثبت في هذا دليل صحيح.

١٣١٢. هل ورد شيء عن قبض روح الملك الذي ينفخ في الصور؟

لم يرد في هذا نص صحيح.

ثانيا: البعث من القبور

١٣١٣. هل المعاد الجسماني عبارة عن إعادة أم إنشاء جديد ؟

المعاد إنما يكون لهذه الأجساد التي معنا في الدنيا، فالمعاد حقيقته أنه إعادة للأجساد التي تحللت وأكلها الدود والأرض.

١٣١٤. ما دليل هذا القول؟

ورد في آيات كثيرة فيها: ﴿ ثم يعيده ﴾، وهو حقيقة القدرة الكاملة من كل وجه.

والمشركون لم يكونوا ينكرون إلا هذا ولو كان المعاد إنشاءً جديدًا لما أوجب لهم ذلك الإنكار لإيمانهم أن الله هو الخالق القادر، لكن عقولهم لم تقبل المعاد بمعنى إعادة الأجساد التي بليت والعظام التي تفتتت وتفرقت في أجزاء الأرض، فالحق أن المعاد إعادة لا إنشاء لخلق جديد.

١٣١٥. هل الأجساد تفنى تماما؟

لا، فهناك شيء في الجسم لا يبلى.

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « ما بين النفختين أربعون. قال: أربعون يوماً؟ قال أبو هريرة: أبيت. قال: أربعون شهراً ؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت• أي أن أبا هريرة أبي أن يحدد الأربعين هل هي يوماً أو شهراً أو سنة) قال: (أي أبو هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ): « ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلي إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة». رواه البخاري

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: « كل ابن آدم يأكله التراب إلا عَجَب الذنب، منه خلق ومنه يركب». رواه مسلم.

١٣١٦. كيف سيكون البعث للناس؟

ورد في الحديث السابق عن هذه الكيفية: « ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلي إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة». رواه البخاري

١٣١٧. ماذا سيقع من أهوال عند بعث الناس والجن؟

من تلك الأهوال والأمور العظيمة:

- قال تبارك وتعالى :﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)﴾ (الأنبياء).

- قال سبحانه: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦)﴾ (غافر).
- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللّه ﷺ: « يقبض اللّه تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض» متفق عليه.
= عن عبد اللّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء حبْرٌ إلى النبى ﷺ، فقال: يا محمّد -أو يا أبا القاسم- إن الله تعالى يمسك السموات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إصبع،وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهنّ فيقولُ: أنا الملك أنا الملك.

فضحك رسول اللّه ﷺ تعجبا مما قال الحبر تصديقا له، ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللّه حق قدره والأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾» متفق عليه .
- عن عبيد اللّه بن مقسم أنه نظر إلى عبد اللّه بن عمر كيف يحكي رسول اللّه ﷺ قال: « يأخذ اللّه عز وجل سمواته وأرضيه بيديه فيقول أنا اللّه - ويقبض أصابعه ويبسطها - أنا الملكُ » حتى نظرتُ إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول أساقط هو برسول اللّهِ ﷺ». رواه مسلم .

١٣١٨. ما شأن النبي ﷺ في هذا الموقف؟

له شأن عظيم، ألا وهو إكرام الله له بالشفاعة الكبرى.[٨٢]

١٣١٩. ما المراد بالشفاعة العظمى؟

المراد بها شفاعته ﷺ في أهل الموقف لفصل القضاء بينهم.

١٣٢٠. ما دليل هذه الشفاعة؟

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال حدثنا الرسول ﷺ قال: (إذا كان يوم القيامة ماج الناس

٨٢- سيأتي لاحقا الحديث عن بقية الشفاعات التي ستكون في هذا اليوم العظيم

بعضهم في بعض، فيأتون آدم فيقولون: أشفع لنا إلى ربك. فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل الرحمن. فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله.

فيأتون موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته. فيأتون عيسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتوني، فأقول:ـ أنا لها. فاستأذنت على ربي لي، ويلهمني محامد أحمده بها الآن، فاحمده بتلك المحامد وأخِرُ له ساجدا. فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، واشفع تشفعَ، وسلْ تعط. فأرفع راسي وأقول: يا رب أمتي أمتي..). متفق عليه.

١٣٢١. هل أجمع أهل السنة على إثباتها؟

نعم، وهذه الشفاعة هي المقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والآخرون، وهي المذكورة في قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩) ﴾ (الإسراء)، وهذه الشفاعة خاصة به ﷺ.

المطلب الثالث: ما يتعلق بالحوض النبوي

١٣٢٢. ما المراد من هذا العنوان؟

أن في أرض المحشر سيكون هناك مورد للماء عظيم، يشرب منه طائفة من الناس.

١٣٢٣. هل الحوض موجود الإن؟

نعم، ودليل هذا حديث عقبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيح أيضًا أن النبي ﷺ خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال ﷺ: (إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ...) الحديث.

١٣٢٤. ما الأدلة على ثبوت وجوده في اليوم الآخر؟

تواترت أدلة السنة على إثباته، ومن ذلك: ما رواه أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : (إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء) . رواه البخاري

١٣٢٥. هل الكثرة ستعوق عند الشرب منه؟

لا تعوق أبدًا، لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيح أن النبي ﷺ قال : (أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح)، وفي لفظ لمسلم: (فيه أباريق كنجوم السماء، من ورده فشرب منه لا يظمأ بعدها أبدًا).

١٣٢٦. من هو أول الناس وصولا للحوض؟

أولهم وصولا له النبي ﷺ، لحديث جندب في الصحيح أيضًا أن النبي ﷺ قال: (وأنا فرطكم على الحوض). أي سابقكم إليه.

١٣٢٧. كيف سيعرف النبي ﷺ أمته عند ورودهم للحوض؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : (إن حوضي أبعد من أيلة إلى عدن، لهو أشد بياضا من الثلج، وأحلى من العسل واللبن، ولآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، وإني لأصدّ الناس كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه). قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: (نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون علي غرًا محجلين من أثر الوضوء).

١٣٢٨. هل هناك من المسلمين ممن سيتم منعه من الشرب؟

نعم فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : (ليردنّ علي ناس من أصحابي الحوض، إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول أصحابي. فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك) . رواه البخاري

١٣٢٩. ماذا فعل أولئك الذين ستردّهم الملائكة عن الحوض؟

أن الشرب منه وقفٌ على من لم يغيّر ولم يبدّل ولم يُحدث في الدين شيئًا، ولذلك يقال: (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ما زالوا يرجعون على

أعقابهم). رواه مسلم.

١٣٣٠. ما صفات هذا الحوض الكريم؟

من هذه الصفات:

- أنه طويلٌ وعريض، عرضه كطوله، فطوله مسيرة شهر وعرضه كذلك.[٨٣]
- أن من شرب منه شربة فإنه لا يظمأ بعدها أبدًا.
- أن ماءه أشدُ بياضًا من الثلج واللبن.
- أن عليه آنية وأباريق كثيرة جدًا لا يحصيها العدّ، فهي في كثرتها كعدد نجوم السماء، وأن هذه الأباريق والآنية من الذهب والفضة.
- أن رائحته أطيب من ريح المسك.
- أنه يصبّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة.
- أن ماء الحوض مصدره من نهر الكوثر.

١٣٣١. هل الحوض هو الكوثر أم غيره ؟

الصحيح أن الحوض ليس هو الكوثر، بل هما متغايران.

١٣٣٢. ما الدليل على هذا الحكم؟

الدليل على ذلك:

- أن الأدلة المثبتة للحوض تدل على أنه في عرصات يوم القيامة، والكوثر نهر في الجنة ولا يذاد عنه أحد، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: (بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك)، ومثله أيضًا حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجري على الدر

٨٣- ما ورد في الأحاديث من اختلاف تحديد طوله بالأمكنة فإنما لاختلاف حال المخاطبين وما يعرفون مسافته من الأمكنة المعلومة لديهم ، فخوطب كل قوم بما عرفوه من الأمكنة.

والياقوت). وصححه الترمذي.

- من المتقرر عند العرب في لسانها ومعلومها أن الحوض هو مجتمع الماء، وغالب الأحيان لا يكون جاريًا، وأما النهر فإن ماءه جار، فاختلفا.
- وأيضًا فإن الكوثر في الجنة كما ثبت به النص، فهو من جملة نعيمها ونعيمها لا يمنع منه أحد.
- ثبت الدليل أن رجالاً يُطردون عنه، ولا يمكّنون من الشرب منه.

١٣٣٣. هل هو حوض واحد، أم أن لكل نبي حوضًا ؟

نعم إن لكل نبي حوضًا ترده أمته، إلا أن أكبر هذه الأحواض وأكثرها واردًا هو حوض نبينا ﷺ.

١٣٣٤. ما دليل القول السابق؟

عن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لكل نبي حوضًا وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده وإني أرجو أن أكون أكثرهم وراده) رواه الترمذي.

١٣٣٥. هل الشرب سيتحقق من يد النبي ﷺ؟

لا، إنما يكون من الكيزان (الكوب).

المطلب الرابع: ما يتعلق بالصحف، وكتب الأعمال

١٣٣٦. ما المقصود من هذا العنوان القضية؟

هو: الإيمان بتطاير صحف الأعمال، فآخذٌ صحيفته باليمين، وهناك آخذٌ لها بالشمال أو من وراء ظهره.

١٣٣٧. ما الأدلة الواردة في هذا الشأن؟

قال تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا﴾.

وقال تعال: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا

واشـربوا في هنيئًا بما أسـلفتم في الأيام الخالية وأما من أوتي كتابه بشـماله فيقـول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسـابيه يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عني مالية هلك عني سلطانية ﴾.

١٣٣٨. كيف الحال مع من لا يحسن القراءة أو الكتابة؟

فـي هذا اليوم الكل سـيقرأ صحيفة عمله؛ القارئ وغيـر القارئ، قال قتادة وجمع من السلف: (سيقرأ يومئذٍ من لم يكـن قارئًا).

المطلب الخامس: ما يتعلق بالميزان

١٣٣٩. ما المقصود من هذا الجانب؟

المقصود به تحقيق الإيمان بالميزان للأعمال والأقوال التي فعلها الإنسـان في حياته.

١٣٤٠. ما قول أهل السنة في هذا الميزان؟

مذهبهم أنه ميزان حقيقي يُرى ويُوزن فيه، له كفتان

١٣٤١. ما القول مع من يزعم أن الميزان كناية عن العدل فقط؟

هذا توهّمٌ باطل، ومما يقوله بعض المبتدعة.

١٣٤٢. ما النصوص الشرعية لإثبات هذا الأمر؟

- قال تعالى: ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثال حبةٍ من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾،
- وقـال تعالـى: ﴿والـوزن يومئـذٍ الحـق فمـن ثقلـت موازينـه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسـروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾،
- وقال تعالى: ﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية ﴾.

١٣٤٣. ماذا ورد في السنة النبوية مما يتعلق بوجود الميزان؟

عـن أبـي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: قال رسـول اللـه ﷺ: (كلمتـان خفيفتان على اللسـان، ثقيلتان فـي الميزان، حبيبتان إلـى الرحمن، سـبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). متفق عليه

١٣٤٤. هل الإخلاص ولو كان يسيرًا له أثره في الميزان؟

نعم، فعن عبدالله بن عمرو بنِ العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يسـتخلص رجلاً من أمتي علـى رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشـر له تسـعة وتسعون سجلاً، كل سـجل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شـيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظـون؟ قال: لا يا رب. ثم يقول: أفلك عذر أو حسـنة؟ قال: فبُهت الرجل، فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم، فيُخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله. فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السـجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتُوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، قال: فطاشـت السـجلات وثقلـت البطاقة، قال: ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم». رواه الترمذي وابن ماجه.

١٣٤٥. هل يمكن أن يوضع صاحب العمل في الميزان مع عمله؟

نعم، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صعد شجرة فهبت ريح فانكشف سـاقه فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون من دقة ساقيه فوالذي نفسي بيده هما في الميزان أثقل من أحد) رواه أحمد.

وعـن أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسـول الله ﷺ قـال: (إنه ليأتـي الرجل لعظيم السمن يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرءوا إن شئتم: ﴿ فلا نقيم له يوم القيامة وزنًا ﴾ ». رواه البخاري

١٣٤٦. هل هو ميزان واحد، أم موازين كثيرة ؟

الأرجح - إن شـاء الله تعالى - أنه ميـزان واحد وليس بمتعدد، وأما جمعه في بعض الآيات فالظاهر -والله أعلم- أنه باعتبار ما يوزن به ، فالموزونات التي ستوزن فيه كثيرة، فجُمع باعتبار تعدّد ما سيوزن فيه.

١٣٤٧. ما الذي سيُوزن في هذا الميزان؟

لقد دلت الأدلة السابقة أن الموزونات التي ستوزن في الميزان ثلاثة أشياء: العمل نفسه، والعامل ذاته، وصحيفة العمل.

١٣٤٨. ما الدلالة على وزن ما سبق؟

- فأما **العمل**: فلحديث: (كلمتان خفيفتان على اللسان ...) الحديث .
- وأما **العامل**: فلحديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله : (والذي نفسي بيده هما في الميزان أثقل من جبل أحد)، وحديث الرجل العظيم السمين لا يزن عند الله جناح بعوضة .
- وأما **صحيفة العمل**: فلحديث السجلات والبطاقة، وقد تقدمت.

١٣٤٩. كيف يوزن العمل وهو ليس بجسم يخف ويثقل؟

الجواب من وجهين :

الأول: أن هذا مما أخبرت به الأدلة وصحت به الآثار، فالواجب الإيمان والتسليم به والوقوف حيث وقف النص لا نتعدى القرآن والحديث وهو من أمور الآخرة، وأمور الآخرة تختلف عن المعهود عندنا في الدنيا وهو داخل في الإيمان بالغيب.

الثاني: أن الله تعالى قادر على كل شيء، فهو قادر أن يجعل العرض جسمًا، ألا نرى أن الدليل الصحيح أثبت أن الله تعالى يجعل الموت على صورة كبش ويُذبح بين الجنة والنار مع أن الموت ليس بجسم، بل هو معنى، حيث يجعله الله جسمًا يشاهده أهل الجنة وأهل النار، فكذلك الأعمال يجعلها الله تعالى أجسامًا فتوزن في هذا الميزان الحسي .

المطلب السادس: ما يتعلق بالحساب والعرض

١٣٥٠. ما المراد من هذه القضية؟

المراد من هذه من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالحساب والعرض، وأنه حق وصدق واقع لا دافع له ولا مانع منه.

١٣٥١. ما الأدلة الوارد في هذا الشأن؟

- قال تعالى: ﴿ إنا إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم ﴾.

- وقال تعالى: ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾.

- وقال تعالى: ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾.

١٣٥٢. كم أنواع الحساب؟

الحساب نوعان: حساب عرض، وحساب نقاش .

١٣٥٣. ما الفرق بين الأمرين؟

في الصحيح عن عائشة أن النبي ﷺ قال : (من حُوسب عذب) . قالت عائشة : كيف ذلك والله تعالى يقول: ﴿ فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ﴾. فقال: (إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك) .

فبيّن النبي ﷺ بذلك أن المراد بقوله تعالى: ﴿ فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا﴾ أنه حساب عرض العمل فقط لا نقاش فيه.

١٣٥٤. ما مثال العرض للأعمال في يوم القيامة؟

في الصحيح عن صفوان بن محرز قال: بينما ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال: يا أبا عبدالرحمن، أو قال: يا ابن عمر، هل سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: (يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا؟ فيقول: أعرف. فيقول: أنا سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم. ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) .

١٣٥٥. ما خلاصة الفرق بين الحساب والعرض؟

حساب العرض ليس فيه مطالبة بنتائج النعم، ولذلك فصاحبه يسلم في آخر الأمر.

وأما حساب النقاش فإن فيه مطالبة بنتائج النعم، ولذلك فصاحبه هالك لا محالة.

١٣٥٦. من سيكون شاهدًا على الإنسان في حساب النقاش؟

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا في الحديث الطويل، وفيه قال: «فيلقى العبد - يعني الكافر - فيقول: يا فل - أي يا فلان - ألم أكرمك وأسودك وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول العبد: بلى. فيقول: أظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني فيسأله فيجيب كما أجاب الأول، فيقول الله: (فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك. فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول: ههنا إذن، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقي، فتنطق بعمله، وذلك ليعذر من نفسه»، أو كما في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا من حساب النقاش.

١٣٥٧. ما أول ما يُحاسب عنه العبد يوم القيامة، وما أول ما يُقضى فيه بين الناس يوم القيامة؟

أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة: الصلاة، وأول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة: الدماء.

١٣٥٨. ما الدليل على قضيتي الصلاة والدماء؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، يقول الله تعالى لملائكته: انظروا صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان نقص منها شيئًا قال: انظروا هل لعبدي من تطوع، قال: فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم يؤخذ الأعمال على ذلك». رواه أبو داود والترمذي.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (أول ما يحاسب عليه صلاته، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء). رواه النسائي

١٣٥٩. **ما قول العلماء في توضيح المحاسبة على الحقوق يوم القيامة؟**

ذكروا بأن الحقوق قسمان: حقوق لله تعالى وحقوق لعباده، فأول شيء يحاسب عليه العبد من حقوق الله تعالى الصلاة، وأول شيء يحاسب عليه العبد من حقوق الآدميين الدماء.

وقال بعضهم: إن الحساب هو عرض العمل ويبدأ فيه بالصلاة، وأما القضاء فهو البدء بتنفيذ ما تقررت المحاسبة عليه ويبدأ فيه بالدماء وكل ذلك صحيح لا إشكال فيه.

١٣٦٠. **كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾، وقوله تعالى: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾، وقوله: ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾، فكيف مرة يثبت السؤال ومرة ينفيه؟**

لا إشكال في ذلك، وبيان ذلك من وجوه:

الأول: من المعلوم أن يوم القيامة مقدراه خمسون ألف سنة، فلطوله تختلف فيه الأحوال، فيسأل الكفار في بعضه ويكف عن سؤالهم في بعضه، فالآيات المثبتة للسؤال يُقصد بها السؤال في بعض أوقات هذا اليوم، والآيات التي فيها ترك السؤال إنما تخص بعض أوقات هذا اليوم، فليس وقت السؤال هو بعينه وقت عدم السؤال حتى يلزم من ذلك الاختلاف.

الثاني: أن يُقال: إن المتروك سؤالهم هم المجرمون الذين بلغوا في الإجرام حده؛ كإبليس ومرده الشياطين، وكفرعون وهامان وقارون وأبي جهل، ولذلك قال تعالى في سياق قصة قارون: ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾، والآيات التي أخبرت بالسؤال تكون في بقية الكفار وعصاة الموحدين، فالإخبار بترك سؤال البعض لا يلزم منه ترك سؤال الجميع.

الثالث: إن السؤال المنفي في الآيات إنما هو سؤال الاستخبار والاستعلام

والاستعتاب، والسؤال المثبت إنما هو سؤال التقريع والتوبيخ، فالكفار لا يسألون سؤال استعتاب كما قال تعالى: ﴿وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾، وقال تعالى: ﴿فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون﴾، ولكنهم يسألون سؤال تقريع وتوبيخ زيادة في التنكيل بهم.

المطلب السابع: ما يتعلق بالشفاعة.

١٣٦١. ما المراد من هذا العنوان؟

المراد به تحقيق الإيمان بالشفاعات المتنوعة التي ستكون يوم القيامة.

١٣٦٢. ما تعريف الشفاعة لغة؟

الشفاعة مأخوذة من الشفع ضد الوتر، وهي انضمام شيء إلى شيء، أي انضم وتر إلى وتر فصار شفعاً.

١٣٦٣. ما المراد به اصطلاحا؟

هي: السؤال لفصل القضاء، والتجاوز عن الذنوب، وتخفيف العذاب، وزيادة الثواب لمستحقه.

وورد أنها: طلب الخير للغير.

١٣٦٤. ماذا يُستفاد من هذا التعريف؟

هذا التعريف يدخل فيه جميع الأنواع المذكورة والتي ثبتت بها الأدلة، وهو تعريف للشفاعة في الآخرة.

١٣٦٥. ما الضابط في إثبات الشفاعة الأخروية؟

الأصل في شفاعة الآخرة التوقيف على الدليل، أي أنه لا يجوز أن يثبت منها إلا ما ورد الدليل به فقط، وأما ما لا دليل عليه فالأصل عدمه.

١٣٦٦. لماذا هذه الضوابط؟

هذه الشفاعات من أمور الغيب،ظهري وقد تقرر أن أمور الغيب مبناها

على التوقيف، فما صح به الدليل قلنا به، ومالا فلا.

١٣٦٧. ما القول مع إدخال العقل في هذا الجانب العقدي؟

لا يجوز إنكار أو تأويل ما ثبت به الدليل، بل الواجب التصديق والإقرار به وترك المراء والجدال فيما ثبت به النص، ولا يتعارض نص صحيح مع عقل صريح، والعقل تابع للنص وخادم له، والنص هو السيد المطاع.

١٣٦٨. ما نتيجة التساهل في الضابط السابق؟

نتيجته أن هذا الباب –أي باب الشفاعة– باب قد زلّت فيها الأقدام، وضلّت فيه الأفهام، وسبب ذلك عدم اعتماد هذا الأصل المبارك.

١٣٦٩. ما أقسام الناس في الشفاعة ؟

الناس في الشفاعة ثلاث طوائف، طرفان ووسط:

الأولى: طائفة أنكرتها، كالخوارج والمعتزلة؛ الذين ينكرون الشفاعة في أهل الكبائر، فخالفوا الآيات القرآنية الصريحة والأحاديث النبوية الصحيحة، وناقضوا إجماع الأمة.

الثانية: طائفة غلت في إثبات الشفاعة حتى تجاوز بهم الحد الشرعي، فجوّزوا طلبها من الأموات كالأنبياء والأولياء والصالحين، حتى أثبتوها لبعض الجمادات، كما قال الله تعالى: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ وقال عنهم: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ فرد الله عليهم وكذبهم في زعمهم هذا فقال: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ وقال تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾.

الثالثة: أهل السنة والجماعة: فقد أثبتوا الشفاعة الشرعية، واعتمدوا ما جاء في شأنها في الكتاب والسنة، وأنها لا تطلب إلا من الله تعالى.

١٣٧٠. ما القول مع من اتخذ شفعاء أموات؟

عاب الله تعالى على الذين اتخذوا شفعاء من دونه وهم لا يملكون شفاعة ولا يعقلون، لأنهم إما أموات غير أحياء، وإما جمادات.

١٣٧١. ماذا قال الله تعالى فيهم؟

- قال تعالى: ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون﴾
- وقال تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون في معبوداتهم هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن.

١٣٧٢. ما شروط الشفاعة ؟

شروط الشفاعة شرطان: الإذن، والرضى من الله سبحانه.

١٣٧٣. ما أدلة هذه الشروط؟

- قال تعالى:﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾
- وقال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن أرتضى﴾
- وقال تعالى: ﴿ وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾.

١٣٧٤. هل يمكن طلب الشفاعة من النبي مباشرة؟

لا يجوز، من فهم الأدلة السابقة سيعلم بكل وضوح أن الشفاعة حقٌ لله يعطيها من يشاء وهو سبحانه يضع له حدا، فالصحيح هو طلبها من الله سبحانه.

١٣٧٥. هل الشفاعة في الآخرة عامة أم خاصة؟

منها ما هو عام، ومنها ما هو خاص.

١٣٧٦. ما المراد بقولنا عام وخاص؟

نعني بالخاص: أي ما سيكون للنبي وحده ﷺ.

ونعني بالعام: أي ما سيكون لسائر النبيين، والملائكة، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين، ومن مات صغيرًا، ولعامة المؤمنين.

١٣٧٧. ما أمثلة الشفاعات الخاصة؟

أما الشفاعات الخاصة فثلاث:

الأولى: الشفاعة العظمى.

الثانية: الشفاعة في أهل الجنة ليدخلوا الجنة.

الثالثة: الشفاعة في عمه أبي طالب.

١٣٧٨. ما أمثلة الشفاعات العامة يوم القيامة؟

الشفاعات العامة فأربعة أنواع:

الأولى: الشفاعة فيمن أستحق النار ألا يدخلها.

الثانية: الشفاعة فيمن دخلها من المسلمين أن يخرج منها.

الثالثة: الشفاعة في أهل الأعراف.

الرابعة: الشفاعة في رفعة الدرجات في الجنة.

١٣٧٩. ما المقصود بالشفاعة لدخول الجنة؟

المقصود بها أن أهل الجنة إذا جاءوا إليها وجدوا أبوابها مغلقة، ويكون أول من يفتح له النبي ﷺ فيدخلها ويدخل بعده أمته ثم بقية الأمم.

١٣٨٠. ما دليل هذا الأمر؟

دليلها حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك». رواه مسلم.

وفي لفظ له: (أنا أول شفيع في الجنة).

١٣٨١. ما المراد بالشفاعة في أهل الكبائر؟

المراد بذلك أن من هذه الأمة من يموت مصرًا على بعض الكبائر، وهو تحت المشيئة، فإذا شاء الله عذبه، وإن شاء سبحانه تجاوز عنه.

١٣٨٢. هل الشفاعة تكون للمشركين؟

لا، لأن الله تعالى حرّم الجنة على الكافرين.

١٣٨٣. ما دليل التقرير السابق؟

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف:٤٠)

وقال تعالى: ﴿ إنّ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شرّ البريّة﴾ (البينة:)

١٣٨٤. هل هناك شفاعة للكفار في أمور محددة؟

نعم، هذا موجود فقط لعم النبي ﷺ، وهو أبو طالب.

١٣٨٥. ما المراد بشفاعة النبي ﷺ في عمه أبي طالب ؟

المراد بها شفاعة تخفيف النار عنه لا إخراجه منها، وهي خاصة بأبي طالب فقط، وإلا فالأصل في عموم الكفار والمشركين أنهم لا تنفعهم الشفاعة، ولا يأذن لأحد أصلاً بالشفاعة فيهم،كما قال تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾.

١٣٨٦. ما دليل ثبوتها؟

عن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك) قال: (نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)، وفي لفظ: (وجدته في غمرات من النار، فأخرجته إلى ضحضاح) وفي الصحيح أيضاً من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ ذكر عند عمه أبو طالب فقال: (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه) وللبخاري: (يغلي من أم دماغه). رواه البخاري

١٣٨٧. ما الأحوال المتوقعة في قضية الشفاعة لأهل الذنوب؟

الأمر لا يخلو من أحوال:

- إما أن يأذن بالشفاعة فيه فلا يدخل النار أصلاً، بل يُغفر له ويدخل الجنة ابتداءً.
- وإما أن يدخلٍ النار، ثم يؤذن بالشفاعة فيه بعد دخولها فيخرج منها إلى الجنة انتقالاً، وذلك يعود إلى مشيئة الله جل وعلا.

١٣٨٨. ما الأدلة على النوع الثاني من الشفاعة في أهل الكبائر؟

تواترت على إثباتها الأدلة، ومن ذلك:

- قال النبي ﷺ: (لكل نبي دعوة دعاها لأمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة). رواه البخاري
- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه). رواه البخاري
- وعن أنس مرفوعاً: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)
- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: (فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبقٍ إلا رحمة أرحم الراحمين. فيقبضٍ قبضةً من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا فحماً، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة، يُقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل). رواه البخاري
- حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والطويل وفيه: (حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله تعالى في استيفاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون! فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرَّمُ صورهم على النار. فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه. فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه. فيخرجون منها خلقاً كثيراً، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيراً). رواه البخاري

- عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة، ويسمون بالجهنميين). رواه البخاري

- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إذا كان يوم القيامة شفعت وقلت: يارب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة، فيدخلون، ثم أقول: أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء فيدخلون). رواه البخاري

= وفي الحديث في فضائل الشهداء: (ويشفع في سبعة من أهله).

١٣٨٩. من الذي لن يقبل هذه الأنواع من الشفاعات؟

أنكرها الوعيدية؛ من الخوارج والمعتزلة.

١٣٩٠. ما دليل الشفاعة لرفعة الدرجات في الجنة ؟

دليلها قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وأتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين﴾

وورد أن النبي ﷺ قال لما تُوفي أبو سلمة: (اللهم أغفر لأبي سلمة وأرفع درجته في المهديين). رواه مسلم

١٣٩١. من هم أهل الأعراف؟

هم قومٌ استوت حسناتهم وسيئاتهم، فيُوقَفون بين الجنة والنار.

١٣٩٢. ما الأمر المتعلق بهم يوم القيامة؟

يرون أهل الجنة يدخلون، فيقولون: ﴿سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون﴾ ويرون أهل النار يدخلونها، فيقولون: ﴿قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾، فيأذن الله تعالى بالشفاعة فيهم، فيشفع فيهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

١٣٩٣. أيهما يكون قبل الآخر: الصراط أو الميزان أو الحوض ؟

هذا فيه خلاف بين أهل العلم، لكن الأرجح - والله تعالى أعلم - أن الحوض أولاً، ثم الميزان ثم الصراط، هكذا وردت الأدلة.

المطلب الثامن: ما يتعلق بالصراط

١٣٩٤. ما المراد من هذا العنوان؟

هو تحقيق الإيمان بالصراط، وهو الجسر الذي سينصب على متن جهنم وسيمر عليها الناس.

١٣٩٥. ما النصوص الواردة في إثبات هذا الأمر؟

قال تعالى: ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾، فقد فسره طائفة كبيرة من السلف بأنه الورود على الصراط.

١٣٩٦. هل ورد ما يتعلق بالصراط في السنة النبوية؟

نعم، الأحاديث في هذا كثيرة جدا.

١٣٩٧. أين سيكون هذا الصراط؟

ورد في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حديثه الطويل في ذلك مرفوعًا وفيه: (..ثم يُؤتى بالجسر، فيجعل بين ظهري جهنم).

١٣٩٨. من أول الناس مرورا عليه؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا في حديث الشفاعة الطويل وفيه: (..ويضرب الصراط بين ظهري جنهم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز). متفق عليه

١٣٩٩. ما كلام الناس عند مرور غيرهم على الصراط؟

لا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: (اللهم سلّم سلّم).

١٤٠٠. هل هناك من إعاقة مع مرور الناس على الصراط؟

نعم، ورد في تتمة حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق: (قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: (مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان).

١٤٠١. ما حجم هذا الشوك؟

وردف الحديث: (في جهنم كلاليب مثل شـوك السـعدان، هل رأيتم شوك السـعدان)؟ قالوا: نعم. قال: (فإنها مثل شـوك السـعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى).

١٤٠٢. ماذا تفعل هذه الكلاليب على من يمر على الصراط؟

ورد فـي الحديث: (تخطف الناس بأعمالهم فمنهـم الموبق بعمله، والموثق بعمله، ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه ...) الحديث .

١٤٠٣. كيف ستكون سرعة مرور الناس على الصراط؟

ورد فـي تتمة حديث أبي سـعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السـابق: (يمـر المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب..)

وعـن أبـي هريرةٍ وحذيفة رضي اللـه عنهما في حديث اسـتفتاح الجنة عن النبـي ﷺ مطولاً وفيه: (وترسـل الأمانة والرحم فتقومـان جنبي الصراط يمينًـا وشـمالاً فيمر أولكم كالبـرق). قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شـيء كمـر البرق؟ قال: (ألم تروا إلى البـرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمرّ الطير وكأشد الرجال، تجري بهم أعمالهم). رواه مسلم

١٤٠٤. هل المشي على الصراط متمكن؟

لا، فالمشي عليه عسير.

١٤٠٥. ما سبب هذا الأمر؟

ورد في وصف حال الصراط أنه دحضٌ مزلةٌ لا تثبت عليه القدم؛ إلا التي ثبتهـا الله تعالـى، ودليلها ما تقدم من حديث أبي سـعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: قالوا: وما الجسر؟ قال: (مدحضة مزلة).

وفـي حديث أبي سـعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (بلغني أن الجسـر أحدّ من السـيف، وأدق من الشعرة).

١٤٠٦. هل هناك من سينجو، وغيره هالك؟

نعم، فتتمة حديث أبي سـعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السـابق: (..فناجٍ مسـلّم، وناجٍ

مخدوش ومكدوسٍ في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا).

١٤٠٧. ما السبب في تفاوت قدرات الناس في المسير عليه؟

السبب في ذلك تفاوتهم في أعمالهم، كما ورد في الحديث السابق: (تجري بهم أعمالهم).

١٤٠٨. هل هناك من علاقة بين الثبات على الصراط في الدنيا، مع الثبات على الصراط الأخروي؟

نعم، العلاقة وثيقة، فإن إن القدرة بالمشي على الصراط الحسي يوم القيامة إنما هو نتيجة لحسن أو سوء المشي على الصراط المعنوي في الدنيا، أي بكيفية المتابعة النبي ﷺ، فكلما كان الإنسان أتبع وأسرع متابعة له في الدنيا كلما كان أسرع على ذلكم الصراط الحسي، فمن ثبتت قدمه هنا ثبتت قدمه هناك، ومن زلت به القدم هنا زلت به القدم هناك.

١٤٠٩. هل هناك من نور في هذا الموضع الرهيب ليسهل المرور؟

نعم، لكن ليس هناك من نور للجميع، لكن يأتي النور وفق العمل الصالح، وما احتاجوا إلى هذا النور للمرور عليه إلا لأنه مظلم.

١٤١٠. ما دليل هذا الحكم؟

دليل هذا:

- عن جابر رضي الله عنه في الحديث الطويل وفيه: (ويُعطى كل إنسان منافق أو مؤمن نورًا، ثم يتبعونه وعلى جسر جنهم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله تعالى، ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون...) رواه مسلم.
- عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يسعى نورهم بين أيديهم﴾، قال: (على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة). رواه الحاكم

المطلب التاسع: القنطرة

١٤١١. ماذا يكون بعد الصراط؟

إذا مرّ الناس على الصراط فإنهم يُوقفُون على قنطرة بين الجنة والنار.

١٤١٢. لماذا هذا الموقف؟

حتى يقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونُقَّوا أُذِنَ لهم في دخول الجنة.

١٤١٣. ما دليل هذا القول؟

عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يخلص المؤمنون من النار، فيُحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا). رواه البخاري

المطلب العاشرة: ما يتعلق بالجنة والنار

١٤١٤. ما القضية التالية لما سبق؟

هي الإيمان بالجنة والنار .

١٤١٥. هل الجنة والنار موجودتان الآن؟

نعم، فهما قد خُلقتا، وفرُغ من أصل خلقهما.

١٤١٦. ما الدليل على هذا؟

تواترت الأدلة على ذلك:

منها: قوله تعالى في آيات كثيرة بعد ذكر نعيم الجنة: ﴿ أعدت للمتقين﴾،

ومنها: وقوله تعالى: ﴿ أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ﴾،

١٤١٧. كيف نستدل من الآيات السابقة على وجودها؟

هذا إخبار عن أمر وقع في الماضي كما هو مقتضى اللغة التي نزل القرآن بها، وقال تعالى: ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا

يعملـون ﴾، وهـذا أيضًـا إخبـار عن أمر مضى ممـا يدل على أنـه أعد ولكنه أخفي عنا، وقوله تعالى في شأن النار في آيات كثيرة : ﴿أعدت للكافرين﴾، وقوله تعالى: ﴿ وأعتدنا للكافرين سعيرًا ﴾.

١٤١٨. ما الأدلة من السنة النبوية على وجود الجنة والنار؟

منهـا: ما في الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: (إن أحدكم إذا مات عُرض مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنـة، وإن كان مـن أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثـك الله عز وجل يـوم القيامة). وهذا العـرض عليهما دليل على أنهما موجودتان الآن.

ومنها: ما في الصحيحين من حديث عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اطلعت في الجنة فإذا أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النسـاء)، والاطلاع فيهما دليل صريح على وجودهما، وأنهما مخلوقتان الآن.

ومنهـا: مـا في الصحيحين في حديث أبي هريرةرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بينـا أنا نائم رأيتني في الجنة فـإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلـت: لمن هـذا القصـر؟ فقالوا: لعمر بـن الخطـاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فذكرت غيرتـك فوليـت مدبـرًا، فبكـى عمررَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقـال: على مثلـك أغار يا رسول الله؟) ورؤيا الأنبياء حق وصدق.

١٤١٩. ما مقدار نار الآخرة مع نار الدنيا؟

عـن أبـي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسـول اللـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال : (إن ناركم هـذه جزء من سـبعين جزءًا من نار الآخرة). قيل: يا رسـول الله، إن كانت لكافية؟ قال: (فضلّت عليها بتسعة وستين جزءًا). رواه البخاري

١٤٢٠. ما القول مع فناء الطعام في الجنة؟

لا يفنى أبدا، ورد في الصحيح من حديث صلاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة الكسوف وأنه عرضـت عليـه الجنة والنار، وأنه قال: (ما من شـيء لم أكـن أريته إلا رأيته فـي مقامي هذا حتى الجنة والنـار)، وأنه تقدم ليناول من الجنة عنقود عنب

وقال: (لو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا).

١٤٢١. هل سيأتي على الجنة والنار فناء وانتهاء؟

لا، فهما باقيتان أبدًا لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، وهذا قول أهل السنة.

١٤٢٢. هل هناك من قال بفنائهما بعد أمد؟

نعم، ومن نسب القول بفنائهما إلى شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم فقد أخطأ عليهما وقوّلهما ما لم يقولا، بل كتب شيخ الإسلام رسالة بعنوان: (الرد على من قال بفناء الدار)، وفي الحقيقة أن هذا القول مستمد من أقوال أهل البدع.

١٤٢٣. ما الدليل على البقاء وعدم الفناء؟

من الدليل على ذلك:

قوله تعالى في نعيم الجنة: ﴿ إن هذا لرزقنا ما له من نفاد ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾.

وقوله تعالى في آيات كثيرة عن أهل الجنة: ﴿ خالدين فيها أبدًا ﴾،

وقال تعالى عنهم أيضًا: ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾، وهذا نفي للموت عنهم.

١٤٢٤. هل الأمر يشمل النار؟

نعم، قال تعالى في أبدية النار ودوامها: ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾، وقال تعالى في ثلاث آيات من القرآن: ﴿ خالدين فيها أبدًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾، وقال تعالى: ﴿ ولهم فيها عذاب مقيم﴾.

١٤٢٥. هل جاء التأكيد على الحقيقة السابقة من النبي ﷺ؟

نعم، مثلما ورد في حديث ذبح الموت بين الجنة والنار، وقوله: (يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت) وهو في الصحيح .

وقال ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون».

١٤٢٦. ما حُكم الإيمان بما ورد في الشرع في الجنة والنار من أمور؟

هذا من الواجبات.

١٤٢٧. كيف نحقق الإيمان الصحيح لما في الجنة من نعيم، والنار من عذاب؟

المعلوم منها إنما هو الاسماء فقط، وأما الكيفيات فإنه لا يعلم حقيقتها على ما هي عليه إلا الله تعالى.

١٤٢٨. ما الدليل على هذا الضابط؟

دليله قوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾.

وقال في الحديث القدسي: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر). وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء) .

١٤٢٩. هل من قاعدة عقدية متعلقة بما سبق بيانه؟

نعم، وهي: (أن الاتفاق في الاسم لا يستلزم الاتفاق في المسمى).

١٤٣٠. ما الاعتقاد الواجب معرفته في أهل الجنة وأهل النار؟

واجب علينا نؤمن أن الله تعالى خلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً، ومن شاء منهم فإلى النار عدلاً وأنه يبقى فيهما فضل بعد دخول أهلهما فيهما.

١٤٣١. ماذا يحدث بعد دخول أهل الجنة إليها، وكذلك أهل النار؟

أما الجنة فيُنشئ الله لها خلقًا جديدًا ويدخلهم الجنة؛ لأنه يتفضّل وينعم ابتداءً لكمال فضله وواسع كرمه، وأما النار فيضع رب العزة عليها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، أي حسبي حسبي، كما في الحديث الصحيح؛ وذلك لأنه لا يعذب أحدًا بلا سابق جرم لكمال عدله

جل وعلا.

١٤٣٢. ما ثمرات الإيمان باليوم الآخر؟

الثمرات كثيرة، ونلخصها فيما يلي:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء الثواب في ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة عند فعل المعصية والرضى بها خوفًا من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

المبحث الثامن

الإيمان بالقضاء والقدر

١٤٣٣. ما تعريف (القدر) لغة؟

القَدَر بفتحتين، بمعنى التقدير.

١٤٣٤. ما تعريف (القضاء) لغةً؟

القضاء لغة له معان، ومنها: الحكم.

١٤٣٥. ما تعريف (القدر) اصطلاحا؟

هو علمُ الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل.

١٤٣٦. ما تعريف (القضاء) اصطلاحا؟

هو تقدير الله تعالى للكائنات حسب ما سبق به علمه واقتضته حكمته.

وقيل: هو إيجاد الله للأشياء حسب علمه وإرادته.

١٤٣٧. ما معنى الإيمان بالقدر؟

معناه أن تؤمن الإيمان الجازم بعلم الله تعالى الشامل لكل شيء، فالله يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف سيكون.

وأن يعلم المسلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الله كتب الأشياء قبل خلقها وشاءها، فلا يخرج شيء عن كونه مقدورًا له جل وعلا.

١٤٣٨. ما العلاقة بين الكلمتين؟

هما مصطلحان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

١٤٣٩. ما توضيح هذا؟

أي إذا ذُكر القدر وحده دخل معه القضاء، وإذا ذكر القضاء وحده دخل معه القدر، وإذا ذُكرا جميعًا في سياق واحد تغايرا، فيكون القدر بمعنى

العلم السابق والكتابة والمشيئة، والقضاء بمعنى وقوع ذلك المقدور وخلقه.

١٤٤٠. ما الأدلة الواردة في ثبوت هذا الركن في القرآن؟

قال تعالى: ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾. (القمر:٤٩)

وقال تعالى: ﴿ وكان أمر الله قدرًا مقدورًا ﴾. (الأحزاب:٣٨)

وقال تعالى: ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾. (الحجر:٢١)

١٤٤١. ما الدليل على ثبوته في السنة النبوية؟

حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث جبريل الطويل وفيه: (أدركت ناسًا من أصحاب النبي ﷺ يقولون : كل شيء بقدر الله، حتى العجز والكيس)، وقال ﷺ: (وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل) رواه مسلم.

١٤٤٢. هل أجمع العلماء على أهمية الإيمان به؟

نعم، قد أجمع أهل العلم على الإيمان بالقدر، وأنه الركن السادس من أركان الإيمان، وسُئل الإمام أحمد عن القدر؟ فقال: «القدر قدرة الرحمن»، وقد أخذ هذا من قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّه﴾. (آل عمران:١٥٤).

١٤٤٣. هل القضاء والقدر متعلق بحياتنا كلها؟

نعم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كل شيء بقدرٍ، حتى وضعك يدك على خدك).

وقال الحسن البصري لتلاميذه: (والله، لَوَضْعُ يدي هذه اليمنى في اليسرى بقضاء وقدر من الله، ومن لم يؤمن بالقضاء والقدر فقد كفر).

١٤٤٤. هل كل ما خلقه الله تعالى فيه حكمة؟

نعم، كل ما خلقه الله تعالى فله فيه حكمة، فهو سبحانه حكيم، لا يفعل شيئا عبثا ولا بغير معنى ومصلحة وحكمة، هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل، كما هي ناشئة

عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله ﷺ على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى.

١٤٤٥. ماذا تتضمن هذه الحكمة؟

الحكمة تتضمن شيئين:

أحدهما: حكمة تعود إليه تعالى، يحبها ويرضاها.

والثاني: حكمة تعود إلى عباده، هي نعمة عليهم، يفرحون بها، ويلتذون بها، وهذا يكون في المأمورات وفي المخلوقات». [٨٤]

١٤٤٦. ما مراتب الإيمان بالقدر؟

مراتب الإيمان بالقدر أربع مراتب :

المرتبة الأولى: مرتبة العلم.

المرتبة الثانية : مرتبة الكتابة.

المرتبة الثالثة : المشيئة.

المرتبة الرابعة : الخلق

المطلب الأول: ما يتعلق بمراتب القدر

أولا: ما يتعلق بمرتبة العلم

١٤٤٧. ما المقصود بهذه المرتبة؟

معناها: الإيمان بعلم الله تعالى المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، حيث لا يخفى عنه شيء؛ في الأرض ولا في السماء.

١٤٤٨. بم يختلف علم الله تعالى عن علم المخلوقات؟

الله سبحانه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلِم أرزاقهم وآجالهم وأحوالَهم وأعمالهم؛ في جميع حركاتهم وسكناتهم، وشقاوتهم

---

٨٤ – شفاء العليل لابن القيم (ص:٤٠٠)

وسعادتهم، ومن هو من أهل الجنة، ومن هو من أهل النار من قبل أن يخلقهم، وأنه يعلم كبير الأشياء ودقيقها على السواء، ويعلم عن الأمر الذي لم يقع، لو وقع كيف سيقع.

١٤٤٩. ما الدليل على وجود هذه المرتبة؟

- قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. (الأنعام:٥٩)

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. (لقمان:٣٤)

١٤٥٠. هل هذا العلم الكريم يُؤثر على اختيار أي إنسان؟

هذا العلم إنما هو علم سابق، ولا يؤثر على ما يختاره المخلوق لاحقاً.

١٤٥١. ما توضيح هذه المعلومة؟

توضيحها أن يُقال بأن الإنسان لن يعلم بأي أمر إلا بعد وقوعه.

إذاً علم الإنسان إنما هو علم لاحق لما يقع فقط، أما ربنا سبحانه فعلمه بالأشياء قبل أن تقع، ويعلم بالأشياء التي لم تقع لو وقعت فرضا كيف ستقع، فعلمه سبحانه سابق ولاحق، ويعلم ما لم يقع.

١٤٥٢. ما الدليل على أن الله يعلم الأمر الذي لم يقع، لو وقع، كيف سيكون؟

قال تعالى عن المنافقين: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾. (التوبة: ٤٧)

ثانيا: ما يتعلق بمرتبة الكتابة

١٤٥٣. ما المقصود بهذه المرتبة؟

معناها: الإيمان الجازم بأن الله تعالى قد كتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

١٤٥٤. ما الدليل على وجود هذه المرتبة في القرآن الكريم؟

من أدلة وجودها:

- وقال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.(الأنعام:٥٩)
- وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾. (فاطر:١١)
- وقال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾.(التوبة:٥١)

١٤٥٥. ما الدليل على وجود هذه المرتبة في السنة النبوية؟

قال ﷺ: (ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار، إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة). رواه مسلم

١٤٥٦. هل هناك إجماع من الصحابة على هذه المرتبة؟

نعم، أجمع الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أهل السنة على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب عند الله تعالى.

١٤٥٧. متى تمت كتابة مقادير الخلق؟

عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ». رواه مسلم

ثالثا: ما يتعلق بمرتبة: المشيئة

١٤٥٨. ما المقصود بهذه المرتبة؟

معناها: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يكون من حركةٍ ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته.

١٤٥٩. كيف نفهم مشيئة الله في حياتنا؟

أن نفهم أنه لو خطط الإنسان لما يريد، وبذل كل ما في وسعه، فإذا لم يشأ الله له تحقق هذا الأمر، فلن يقع أبدًا ولن يكون.

١٤٦٠. ما الأمور الدالة على هذه المرتبة؟

هذه المرتبة قد دلّ عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنّزلة من عند الله تعالى، والفطرة التي فطر الله الناس عليها.

١٤٦١. ما الدليل على هذه المرتبة في الشرع؟

- قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾. (القصص: ٦٨)
- قال تعالى: ﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. (الأنعام:٣٩)
- قال ﷺ: (إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحد يصرفه حيث يشاء). رواه مسلم

رابعا: ما يتعلق بمرتبة الخلق

١٤٦٢. ما المقصود بهذه المرتبة؟

يُراد بها تحقيق الإيمان بأن الله تعالى وحده خالق كل شيء؛ الكائنات بذواتها وصفاتها وحركاتها، فهو الخالق لكل شيء وما سواه مخلوق.

١٤٦٣. ما الدليل على وجود هذه المرتبة في القرآن الحكيم؟

قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. (الزمر:٦٢)

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ﴾. (النحل:٧٠)

١٤٦٤. ما الدليل على وجود هذه المرتبة في السنة النبوية؟

عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ». [٨٥]

١٤٦٥. ما الاعتقاد الصحيح في أفعال العباد؟

هو أنها داخلة في عموم قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾. (الزمر:٦٢)، وأفعال العباد من جملة الأشياء، فأفعال العباد كلها مَن الطّاعات والمعاصي داخلة في خلق الله تعالى وقضائه وقدره، فقد علم الله تعالى ما سيخلقه في عباده وعلم ما هم فاعلون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ وخلقهم الله كما شاء، ومضى فيهم قدره، فهم يعملون على وفق ما سبق به العلم والقدر والكتابة، فأفعال العباد خلقًا وإيجادًا وتقديرًا من الله تعالى.

١٤٦٦. هل هي من كسب العباد؟

نعم، هي من العباد كسبًا وفعلاً، فالله تعالى هو الخالق لأفعالهم، وهم الفاعلون لها حقيقة.

١٤٦٧. ما الدليل على الحكم السابق؟

دليله قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾. (الصافات)

سواءً قلنا إن ﴿ مَا ﴾ بمعنى المصدر، أي (والله خلقكم وعملكم)، أو كانت بمعنى (الذي)، فيكون المعنى: (والله خلقكم والذي تعملون).

١٤٦٨. من الذي خالف في ذلك؟

خالف في ذلك القدريّة، الذين يخرجون أفعال العباد عن أن تكون مخلوقة لله تعالى، ويقولون إن العبد هو الذي يخلق فعله بنفسه.

١٤٦٩. ما توضيح هذا الاعتقاد؟

يعتقدون أن الانسان بقدرته وجهده يصنع ما يريد في حياته، وله القوة بأن

٨٥- روى الإمام البخاري في كتاب: خلق أفعال العباد

يجلب لنفسه ما يريد، ولا شأن لله بهذا الأمر، ولا يعلمه سبحانه إلا بعد وقوعه.

١٤٧٠. هل هذا الفكر الخاطىء موجود في زماننا المعاصر؟

نعم، من أمثلته من ينشرون فكرة أن الإنسان بقدرته وطاقته وقواه يستطيع أن يجذب لنفسه ما يريد في أمور الدنيا، بعيدًا عن الإستعانة بالله سبحانه.

١٤٧١. كيف الردّ على أقوال القدرية؟

يجاب عنهم بعدة وجوه:

الأول: أنه مخالف لما أجمع عليه الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل السنة، وما خالف إجماع السلف فهو باطل؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. (النساء: ١١٥)

الثاني: أنه مخالف لدلالة الكتاب والسنة؛ لأن نصوص الوحيين قضت قضاءً جازمًا أن الله تعالى هو خالق الأشياء كلها، وأنه لا خالق إلا هو، وهم يقولون: العبد هو الذي يخلق فعله! وهذا معارض ومناقض للكتاب والسنة، ومفض إلى تعطيل عموم نصوص خلق الله تعالى لكل شيء، وما أفضى إلى تعطيل عموم نصوص خلق الله تعالى لكل شيء فهو باطل.

الثالث: إن فيه نوع إشراك في الربوبية؛ لأن من مقتضيات الإيمان بتوحيد الربوبية الإيمان بعموم خلق الله تعالى لكل شيء، لا يخرج عن ذلك أي شيء من المخلوقات.

فإذا قالوا: إن العبد هو الذي يخلق فعله! فقد أثبتوا مع الله تعالى خالقًا آخر، وهذا شرك في الربوبية، وهو تشبه بقول المجوس الذين يقولون: إن للعالم صانعيْن؛ النور والظلمة، فالنورُ خلق الخير، والظلمة خلقت الشر.

الرابع: ورد في بعض الأحاديث والآثار أن هؤلاء القدرية مجوس هذه

الأمـة، لأنهم يضيفون خلق فعـل العبد إليه، ويزعمـون أنه هو الذي خلقه، واعتقادهم يفضي إلى هذه النتيجة الباطلة بالاتفاق.

١٤٧٢. ما القول مع من يخوض بغير علم في مسائل القدر؟

الخـوض فـي القدر لا يجـوز، فقد نهى عنـه ﷺ، وقال الإمـام الطحاوي: (وأصل القدر سـر اللـه تعالى في خلقه، لم يطلع علـى ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء:٢٣)

١٤٧٣. ما القول في القلم الذي كتب مقادير الخلق؟

القلـم الذي كتب المقادير شـأنه عظيم بلا شـك، وهو قلـم حقيقي، كالذي يفهـم الناس من معاني القلم، وله جرم أيضـا، لكن لا يقدر قدره ولا يعلم حقيقة أمره إلا الله تعالى.

١٤٧٤. ما الدليل الوارد فيه؟

فعن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال: سـمعت رسـول اللّه ﷺ يقول: «إنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فقال: اكْتُبْ! فَقَالَ: ما أَكْتُبُ؟ قال: اكْتُبْ الْقَدَرَ، مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ». رواه الترمذي

١٤٧٥. ما كيفية الخلق له؟

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: (لا يعلم كيفية اللوح والقلم إلا الله، وهما مخلوقان من مخلوقات الله عز وجل ، نؤمن بذلك).[٨٦]

وأما تفاصيل ماهية اللوح والقلم فإن هذا لم تفصّله النصوص.

١٤٧٦. ما مادة خلق القلم؟

٨٦- «شرح العقيدة الطحاوية» (ص: ١١١)

الله أعلم بهذا، فلم يثبت بدليل صحيح عن مادة خلقه.

١٤٧٧. ما شرف الخلقة له؟

خلقه الله عز وجل بيده[٨٧]؛ فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: (خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده: آدم عليه السلام، والعرش، والقلم، وجنات عدن، ثم قال لسائر الخلق: كن فكان).[٨٨]

المطلب الثاني: ما يتعلق بالتقدير

١٤٧٨. ما المراد بهذا العنوان؟

المراد بيان أنواع الكتابة لما يقع في الكون، ومتى تمت هذه الكتابة، ومقادير وما يتعلق بأعمال الكائنات.

١٤٧٩. ما أنواع التقدير؟

ذكر أهل العلم أن كتابة المقادير لها عدة أنواع وهي كما يلي:

الأول : التقدير العام الشامل لكل شيء.

الثاني : التقدير العمري.

الثالث : التقدير الحولي.

الرابع : التقدير اليومي.

أولا: ما يتعلق بالتقدير العام

١٤٨٠. ما المراد بهذا التقدير؟

يُراد به التقدير العام الشامل لكل شيء، وهو تقدير الرب لجميع الكائنات بمعنى علمه بها وكتابته لها ومشيئة وخلقه لها.

١٤٨١. ما دليل القول السابق؟

٨٧- كما روى الحاكم في «المستدرك» (٣٢٤٤) والآجري في «الشريعة» (٧٥٠)

٨٨- صححه الألباني في «مختصر العلو» (٧٥)

دليلِ ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ . (الحج: ٧٠)

١٤٨٢. هل له من مسمى آخر عند العلماء؟

نعم، هذا النوع يسـميه بعضِ أهل العلم بالتقديـر الأزلي، ويدل عليه أيضًا قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ . (يس: ١٢)

١٤٨٣. هل ورد في الشرع زمن كتابة هذا التقدير العام؟

نعم، من الأدلة الوضحة لهذا الزمن:

- عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)، قال: (وعرشه على الماء). رواه مسلم
- حديـث محاجة موسـى لآدم عليهما الصلاة والسـلام، وفيـه أن آدم ﷺ قـال: فبكم وجـدت الله كتب التـوراة قبل أن يخلقني؟ قال موسـى ﷺ: بأربعـين عامًا. قـال آدم: أتلومني على أن عملت عملاً كتب الله أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين عامًا؟ قال: (فحجّ آدم موسى) .
- حديـث: «إِنَّ أَوَّلَ مَـا خَلَـقَ اللَّـهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، قَـالَ : رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».رواه الترمذي

١٤٨٤. ما معنى جملة (إن أَوّلَ ما خَلَقَ الله القلم قال له اكتب)؟

يعني: حين خَلَقَ الله القلم ، فتكون (ما) هنا مصدرية وليست موصولة .

١٤٨٥. هل هذا التقدير العام يشمل الخلق قبل وجودهم الحقيقي؟

نعم، التقدير حين أخذ الميثاق على بني آدم وهم على ظهر أبيهم آدم.

١٤٨٦. ما دليل هذا التقرير؟

دليلـه حديث عمر بنِ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينَ سـئل عنِ هذه الآيـة: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾ (الأعراف: ١٧٢) الآيَةَ، فقالَ: سمعت رسول اللَه ﷺ سُئِلَ عنها

فقال: « إن الله خلق آدم ﷺ، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذريته، قال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل النار». رواه أبو داود والترمذي

ثانيا: ما يتعلق بالتقدير العمري

١٤٨٧. ما المراد من هذا العنوان؟

يُراد به تقرير وجود تقدير لكل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله؛ من كتابة رزقه وأجله، وعمله وشقي أو سعيد.

١٤٨٨. ما الدليل الدال على هذا التقدير؟

يدلّ عليها:

- حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا الصادق المصدوق ﷺ قال: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وشقي أو سعيد) متفق عليه.
- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (وَكَّلَ الله تعالى بالرحم ملكًا فيقول: أي رب نطفة ، أي رب علقة ، أي رب مضغة ، فإذا أراد الله تعالى أن يقضي خلقها قال: أي ربي أذكر أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب في بطن أمه). متفق عليه.

ثالثا: ما يتعلق بالتقدير الحولي

١٤٨٩. ما المراد من هذا العنوان؟

معناه كتابة ما سيكون في هذه السنة، من الإيجاد والإعدام، والإعزاز

والإذلال، والرفع والخفض، والرزق والعمل ونحو ذلك.

١٤٩٠. متى يكون هذا التقدير؟

هذا التقدير يكون في ليلة القدر من العشر الأواخر من رمضان.

١٤٩١. ما الدليل على هذا التقدير؟

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾. (الدخان:٣)
وقد روي عن ابن عمر وابن عباس والحسن وسعيد بن جبير أنهم قالوا: (يُكتب فيها، أي في هذه الليلة ما يحدث في السنة من موت وحياة، وعز وذل، ورزق ومطر، حتى الحجاج؛ يُقال: يحج فلان ويحج فلان) .[٨٩]

رابعا: ما يتعلق بالتقدير اليومي

١٤٩٢. ما المراد من هذا العنوان؟

هو فهم ما يتعلق بالتقدير لما سيحصل في كل يوم بيومه.

١٤٩٣. ما دليل هذا التقدير؟

يدل عليه قوله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) ﴾ (الرحمن)، فقد قيل في تفسيرها: شأنه أن يعز ويذلّ، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع ، ويغني ويفقر، ويضحك ويبكي، ويميت ويحيي، إلى غير ذلك.

١٤٩٤. كيف سنعرف الاعتقاد الصحيح الوسطي في هذا الباب؟

الوسطية في هذا الباب سنعرفها إذا عرفنا من خالف في هذا الباب من الفرق.

١٤٩٥. كيف ظهر الانحراف عن الوسطية في جانب القدر؟

ظهر في اعتقادات فرقتان ضالتان كل الضلال، قد تاهتا فيه أعظم التيه، إحداهما غلت في إثباته، والثانية فرطت.

٨٩- روى ابن أبي حاتم في تفسيره.

١٤٩٦. من هي الفرقة التي وقعت في الغلو في باب إثبات القدر؟

هي فرقة يقال لها الجبريّة، لانحرافهم في باب القدر، وهم يقال لهم الجهمية نفاة الصفات.

١٤٩٧. ما قول وفكر هذه الفرقة؟

يقولون إن كل شيء لا يقع إلا بقضاء الله وقدره، وهذا قول صحيح لا غبار عليه.

ولكن غلوا في إثبات القدر، حتى قالوا: وليس للعبد قدرة ولا اختيار على فعله، بل هو كالريشة في مهب الريح، وكالميت بين يدي غاسله، ولا يملك مطلق القدرة ولا مطلق الاختيار.

١٤٩٨. من هي الفرقة التي فرّطت في باب القدر؟

هي القدرية، وهم من يقال لهم المعتزلة.

١٤٩٩. ما قول هذه الفرقة؟

يقولون: إن العبد له مشيئة وقدرة واختيار على فعله، فليس هو مجبور عليه، بل يفعل فعله بقدرته واختياره، وهذا القدر من قولهم حقٌ لا غبار عليه.

ولكن زادوا عليه قولهم، والعبد هو الذي يخلق فعله، ولا رابطة بين مشيئته ومشيئة الله جل وعلا، فجعلوه هو الذي يختار ويشاء فعله الاختيار المطلق والمشيئة المطلقة.

١٥٠٠. هل نفهم من قول القدرية أن المخلوق ينافس الخالق؟

نعم، فهو عندهم قد يشاء العبد ما لا يشاؤه الله جل وعلا، فليس هناك مطلق الرابطة بين مشيئة العبد ومشيئة الله عز وجل.

١٥٠١. ما مثال قول القدرية في زماننا؟

مثل قولهم من يظن أن الإنسان له القوة والمشيئة في فعل ما يشاء، وبإرادته يستطيع تحقيق ما يريد، وبعزيمته يستطيع أن يجذب لنفسه ما يأمل به.

١٥٠٢. هل هناك شعارات دالة على عقيدة القدرية؟

من تلك الشعارات المعاصرة: ثقتي بنفسي هي الأقوى - اطلق المارد داخلك - القوى الخفية - الصلة بالطاقة الكونية - قوة الجذب.

١٥٠٣. ما القول الصحيح المعتدل في باب القضاء والقدر؟

أن نعتقد أن كل شيء بقضاء الله وقدره، فالله تعالى قدّر المقادير قبل خلق السموات والأرض، وكتب كل ذلك في اللوح المحفوظ، وشاءه بمشيئته النافذة وقدرته الشاملة وخلق كل شيء فقدره تقديرًا، وجعل للعباد قدرة على أفعالهم ومشيئة، وهو الخالق لقدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم، فلا يشاءون إلا ما يشاء الله، وأن العباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم، وأن العبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والمزكي والصائم.

١٥٠٤. ما الدليل على التقرير السابق؟

دليله ما ورد عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء». رواه مسلم

١٥٠٥. ما توضيح القول السابق؟

توضيحه أن نقول بأن أفعال العباد تُنسب إلى الله تعالى خلقًا وإيجادًا، وتنسب إلى العبد فعلاً واكتسابًا.

١٥٠٦. ما قول الناس في قضية: هل العبد مسيّر أم مخيّر؟

هناك الذين يسلبون العبد قدرته واختياره، ويقولون: إن العبد مسير مطلقًا، لا حيلة له في فعله ولا ينسب إليه فعله إلا مجازًا.

وهناك الذين يثبتون للعبد القدرة الكاملة والمشيئة المستقلة، ويقولون: العبد مخيّر مطلقًا.

١٥٠٧. هل الأقوال السابقة صحيحة؟

هي خاطئة، لأنها قائمة على أصول خاطئة.

١٥٠٨. ما القول الصحيح في هذا الجانب؟

الصحيح هو القول بإثبات القدر السابق، وبإثبات قدرة العبد ومشيئته، مع الاعتقاد: أن العبد مسيّر ومخير.

١٥٠٩. ما أوجه الاختيار والجبر في حياة الإنسان؟

هو مسيّر باعتبار ما كُتب وقُدر له، وسبق به العلم في الأزل.

ومخيّر باعتبار دخول الفعل تحت قدرته واختياره.

١٥١٠. ما توضيح ما سبق؟

أي أننا إذا نظرنا إلى ما سبق وقُدّر وتم الفراغ من كتابته عند الله تعالى، قلنا: هو مسيّر.

وإذا نظرنا إلى دخول الفعل تحت قدرة الانسان واختياره، قلنا: هو مخير.

فاجتمع فيه التسيير والتخيير.

١٥١١. ما المثال الموضح للتقرير السابق؟

- لو أن إنسانًا سلك طريقًا من الطرق، ثم جاءه مساران؛ إما يمين وإما شمال، فهو مخيّرٍ باعتبار أنه إن أراد أن يذهب يمينًا فله ذلك، وإن أراد أن يذهب شمالا فله ذلك، فهذا الفعل داخل تحت اختياره، فهو بهذا الاعتبار مخير، لكن نعلم أنه لن يذهب إلا إلى الجهة التي قدرها الله له وسبق بها علمه وكتابته، فهو بهذا الاعتبار مسيّر.
- لو أن إنسانًا خُيّر بين سيارتين لشراء واحدة منهما، فهو مخيّر إن شاء اشترى هذه السيارة وإن شاء اشترى الأخرى، فهذا الفعل أي شراء إحدى السيارتين فعل داخل تحت قدرته واختياره، فهو بهذا الاعتبار مخير، ولكن نعلم أنه لن يشتري إلا السيارة التي كتبت له وقُدرت له، وسبق بها علم الله تعالى وشاءها له ، وهو بهذا الاعتبار مسير.

المطلب الثالث: الاحتجاج بالقدر

١٥١٢. ما حكم الاحتجاج بالقدر لأفعالنا؟

الاحتجاج بالقدر منه ما هو سائغ مشروع، ومنه ما هو زائغ ممنوع.

١٥١٣. متى يكون الاحتجاج بالقدر أمرا جائزاً مشروعًا؟

أما السائغ المشروع فأمران:

الأول: الاحتجاج بالقدر عند نزول المصائب، فإذا نزلت المصائب فعلى العبد أن يتسلى بنسبتها للقدر، فيقول: قدّر الله تعالى ذلك ولا دافع لقضائه ولا معقب لحكمه، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن:١١)، قال علقمة: (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله، فيرضى ويسلم) .

وقال ﷺ: (وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان). رواه مسلم

الثانية: الاحتجاج بالقدر على المعصية، التي قد تاب منها التوبة النصوح الصادقة، فهذا أيضًا جائز لا بأس به؛ لأنه لا يريد بهذا الاحتجاج أن يسوّغ لنفسه الاستمرار عليها؛ لأنه قد تاب منها، فإذا وقع الإنسان في شيء من المحرمات، ثم تاب التوبة النصوح فعوتب في ذلك فله أن يقول: هذا أمر قدره الله علي.

ويستدل على ذلك بحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين في محاجة موسى وآدم عليهما الصلاة والسلام وفيه: (فقال آدم : يا موسى أتلومني على أن عملت عملاً كتب الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين عامًا) ، فآدم ﷺ احتج على أكله من الشجرة بأنه أمر مكتوب ومقدر عليه، لكن هذا الاحتجاج إنما وقع بعد التوبة النصوح المقبولة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾. (طه:١٢٢)

١٥١٤. متى يكون الاحتجاج بالقدر أمرا محرّما ممنوعا؟

الممنوع فيه هو الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية التي لا يزال الإنسان يقارفها، مسوغًا لنفسه بهذا الاحتجاج الدوام عليها والاستمرار في

تعاطيها.

١٥١٥. ما الضابط لما سبق بيانه في قضية الاحتجاج بالقدر في حياتنا؟

من الضوابط في هذا الجانب ما يأتي:

الأول: يجوز الاحتجاج بالقدر في المصائب لا المعائب، ونعني بالمعائب أي المعاصي التي لا يزال يقارفها.

الثاني: أن الاحتجاج بالقدر حجةٌ إبليسيةُ التأصيلَ والتخطيط، وآدميةُ التنفيذ، فأساسها من كيد الشيطان الرجيم، والمنفذ لها تطبيقًا عمليًا هم كثير من بني آدم.

١٥١٦. ما المشروع عند نزول المصائب؟

المشروع عند نزول المصائب من الموت والأمراض والعاهات والحوادث والكوارث، ونحو ذلك عدة أمور:

الأول: أن نعلم أنها مما سبق به القلم وطويت عليه الصحف، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج:٢٢)، وأنه لا دافعَ لقضائه ولا معقبَ لحكمه جل وعلا.

الثاني: الإيمان الجازم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وأن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا.

الثالث: وجوب الصبر وعدم فعل أو قول شيء فيه جزع وتسخط على ما نزل من القدر، قال ﷺ: (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية). وقال أبو موسى: (إن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة)[٩٠]. رواه البخاري

ومن ذلك قول (لو) كما قال ﷺ: (وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل)، فالصبر

٩٠- الصالقة: هي ترفع صوتها عند المصيبة، والحالقة: التي تحلق شعرها أو تنتفه عند المصيبة، والشاقة: هي التي تشق جيبها عند المصائب

عند المصائب معناه حبس اللسان والجوارح عن قول وفعل ما لا يليق مما فيه منافاة لما يجب منه.

الرابع: أن يعلم العبد أن هذه الحوادث والكوارث إنما سببها ما كسبت يداه من الذنوب والآثام، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم:٤١)، لأن العبد إذا استشعر ذلك أحدث له توبة واعترافًا وخضوعًا لربه جل وعلا، واستغفارًا على سابق هذا الذنب، وهذا أمر مقصود شرعًا، وقد يكون طريق تحصيله في بعض الأحيان نزول هذه المصائب.

الخامس: الرضى والتسليم لقضاء الله وقدره، قال تعالى: ﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾، قال علقمة: (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويسلم).

السادس: شكر الله وحمده على ما قضاه وقدره، وأن يحدث العبد عند ذلك عبودية الشكر والحمد وهذا مقام العارفين وهو سنة لكنه حالة كاملة عالية فاضلة صعبة المنال إلا على من يسرها الله عليه، فإن العبد قد يشكر ويحمد بلسانه فقط وفي قلبه ما فيه، أما أن يكون الشكر والحمد مصدره القلب واللسان معبرٌ عنه فهذا لا يستطيعه إلا أهل العبادات وصفاء النفوس.

السابع: التسلي بقول الأوراد الشرعية الثابتة في ذلك، كقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾. (البقرة: ١٥٦-١٥٧)

وكقول: (اللهم آجرني في مصيبتي، واخلف لي خيرًا منها)، كما في حديث أم سلمة لما مات أبو سلمة أمرها النبي ﷺ أن تقول ذلك، فأبدلها الله برسول الله ﷺ.

المطلب الرابع: ما يتعلق بالمشيئة والمحبة

١٥١٧. ما المراد من هذا العنوان؟

المراد توضيح تساؤل مهم: هل كل ما يقع في الكون ويأذن الله فيه، هل يستلزم أنه سبحانه يحبه؟

١٥١٨. ما توضيح المقصود بالمثال؟

حينما يقع الكذب والسرقة والغش والزنا من الإنسان، ونعلم أن مشيئته بعد مشيئة الله، فهل هذا يستلزم أن الله يحب أفعال هذا الإنسان السيئة، لأن مثل هذه المعاصي وقعت وفق إرادة الله سبحانه ومشيئته؟

١٥١٩. ما الإشكال في هذا الجانب؟

الإشكال ورد أن هناك من الفرق الإسلامية مثل الجبرية والقدرية لم يفهموا هذه المسألة جيدًا، وكانوا على طرفي نقيض.

١٥٢٠. ما أساس الافتراق في فكر الجبرية والقدرية في هذا الجانب؟

القدرية والجبرية كانوا أخوين يمشيان في طريق واحد، وعندهم قاعدة قد أصّلوها واعتمدوها، وهي أن كل شيء يشاؤه الله فهو يحبه! فالمشيئة عندهم مرادفة للمحبة، إلى هنا وهم متفقون.

١٥٢١. ما الذي فرّق بينهما في فكر الجبرية والقدرية في باب القدر؟

ظهر الافتراق بينهما حينما نظروا إلى الأشياء الموجودة في الكون، فوجدوا فيها الكفر والشرك والبدعة، والزنا وشرب الخمور وعقوق الوالدين والسرقة ونحو ذلك من الآثام، فاختلفوا بعد ذلك في قضية: هل يخلق الله ما يكرهه، ويوجده في ملكوته؟!

١٥٢٢. ما أساس قول الجبرية في باب مشيئة الله في أفعال الناس؟

قالت الجبرية: بما أن هذه الأشياء قد شاءها الله وأوجدها فهو يحبها، ونحن مجبورون على فعلها، فترى الواحد منهم يفعل الذنب، ويرى أنه يفعل ما

يحبه الله تعالى؛ لأن الله شاءه، وظنوا أن كل شيء يشاؤه سبحانه فهو يحبه.

١٥٢٣. ما أساس قول القدرية في باب مشيئة الله مع ما يقع من العصاة؟

القدرية لما نظروا إلى ما يقع من العصاة، وقفوا متحيرين، وتعاظموا أن يقولوا إن الله يحب الكفر والزنا واللواط والخمر ونحو ذلك؛ لأن وجودها في الكون دليل المشيئة لها، والمشيئة عندهم مرادفة للمحبة فقالوا: إن العبد هو الذي يخلق هذه الأفعال، وأن الله تعالى لم يشأها منه ولا أرادها أن تقع في الكون، لكن العبد هو الذي أوجدها بنفسه استقلالاً. وهم بذلك قد وقعوا في شر مما فروا منه.

١٥٢٤. ما خلاصة الافتراق بينهما في مسألة مشيئة الله؟

سبب ضلال هاتين الفرقتين هو أنهم جعلوا مشيئة الله وإرادته شيئًا واحدًا لا ينقسم، وأنها مرادفة للمحبة، ولهذا لزم عليهم هذه اللوازم الباطلة .

والجبرية والقدرية اتفقوا في الأصل والقاعدة، واختلفوا لما ظهرت نتائجها، فالجبرية رضيت بها، وأما القدرية فرفضت هذه النتيجة.

١٥٢٥. ما مذهب أهل السنة في إرادة الله جلّ وعلا؟

مذهبهم أن إرادة الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

الأول: الإرادة الكونية القدرية.

الثاني: الإرادة الشرعية الأمرية الدينية.

١٥٢٦. ما اعتقاد أهل السنة في الإرادة الكونية القدرية؟

يعتقدون أنها مرادفة للمشيئة، وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواءً، فالطاعات والمعاصي كلها داخلة تحت هذه الإرادة.

١٥٢٧. ما أدلتهم في هذا المعتقد؟

من أدلتهم في هذا:

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾. (الرعد: ١١)
- وقال تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. (هود: ٣٤)
- وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾.(الأنعام:١٢٥)
- وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.(البقرة: ٢٥٣)

١٥٢٨. ما مذهب أهل السنة في الإرادة الشرعية الدينية؟

مذهبهم فيها أنها مرادفة للمحبة، وتتضمن ما يحبه الله ويرضاه.

١٥٢٩. ما أدلتهم في هذا الجانب؟

من الأدلة المثبتة لهذا الجانب العقدي:
- قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.(البقرة:١٨٥)
- وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾. (النساء:٢٧)
- وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. (المائدة:٦)

١٥٣٠. كيف نفهم أن ربنا يحب إيمان أبي لهب وإبليس، ثم لم يتحقق هذا؟

الإيمان من أبي لهب، أو سجود إبليس لأبينا آدم ونحو ذلك، فكل ذلك مما يحبه الله فهو إرادة شرعية، لكنه لم يقع، فأبو لهب لم يؤمن، وإبليس لم يسجد فتحققت الإرادة الشرعية، وانفردت عن الإرادة الكونية.

١٥٣١. ما وجه التفريق بين الإرادتين؟

أهل العلم قد فرقوا بينهما بثلاثة فروق:

الأول: أن الإرادة الكونية لا تستلزم المحبة، أي أنها ليس كل شيء يخلقه الله كونًا يلزم أن يكون محبوبًا له.

وأما الإرادة الشرعية فإنها تستلزم المحبة، أي أن كل شيء أمر الله به شرعًا فإنه يحبه ويرضاه.

وهذا فيه رد على من يقول: كل شيء يشاؤه فهو يحبه! فالكونية لا تستلزم المحبة، والشرعية تستلزم المحبة.

الثاني: الإرادة الكونية لابد أن تقع، أي أن كل شيء أراده الله كونًا فإنه لابد أن يقع لا يدفعه شيء أبدًا، فالإرادة الكونية لازمة الوقوع،

وأما الإرادة الشرعية فإنها قد تقع وقد لا تقع، أي قد يريد الله أشياء شرعًا لكنها لا تقع كونًا، فالله يريد شرعًا من الناس الإسلام والهداية، لكن هذا لم يقع لأن أكثر الناس في كفر وضلال.

الثالث: أن الإرادة الكونية مرادة لغيرها لا لذاتها، وأما الإرادة الشرعية فإنها مرادة لذاتها، فالكفر الواقع مراد لغيره لا لذاته، والمعاصي الواقعة مرادة لغيرها لا لذاتها، وأما الإيمان فإنه مراد لذاته وكذلك الصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر الطاعات، فإنها مرادة لذاتها.

١٥٣٢. متى تجتمع الإرادتان؟

تجتمع الإرادتان في الآتي:

- مثل إيمان أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، أي في إيمان من قد آمن من الثقلين، فهو كوني لأنه وقع في الكون، وشرعي لأن الله يحبه ويرضاه.
- من يصلي، فإن صلاته هذه قد اجتمعت فيها الإرادتان؛ فيه إرادة كونية لأنها وقعت في الكون، وشرعية لأن الله يحبها ويرضاها.

١٥٣٣. هل كل ما يقع في الكون تجتمع فيه الإرادتان؟

نعم، كل شيء وقع في الكون وهو مما يحبه الله ويرضاه فإنه مما اجتمع فيه الإرادتان.

١٥٣٤. متى تنفرد إحداهما عن الأخرى؟

تنفرد الإرادة الكونية في الأشياء التي وقعت في الكون وهي ما لا يحبه الله

ويرضـاه، ككفر أبي جهل وأبي لهب، بل وكفر من كفر من الثقلين ويدخل في ذلك سـائر الذنـوب والمعاصي التـي وقعت في الكـون، فإنها من قبيل الإرادة الكونية فقط؛ لأنها مما لا يحبه الله ويرضاه .

وتنفرد الإرادة الشـرعية في الأشياء التي يحبها الله ويرضاها لكنها لم تقع في الكون، فهي شرعية فقط، لكن ليست بكونية لأنها ما وقعت.

١٥٣٥. أي الإرادتين لازمة في الوقوع؟

الإرادة الكونية لازمة الوقوع.

المطلب الخامس: الشر والخير في أفعال الله سبحانه

١٥٣٦. ما المقصود من هذا العنوان؟

المقصـود توضيح: هل في أفعال الله سـبحانه شـر، أو أنهـا كلها خير، لكن الإنسان قد تخفى عليه الحكمة؟

١٥٣٧. هل هذا الجانب العقدي له تعلّق بما سبق؟

نعم، له ارتباط وثيق من جهات عديدة منها:

- معرفة الحكمة في ما يقدّره الله.
- هل الأمور مرادة بذاتها أو لغيرها؟

١٥٣٨. هل يُنسب الشر إلى الله تعالى، أو هل يقع في أفعاله شر؟

لقد فصّل النبي ﷺ هذه المسـألة بالبيان الواضح والشـافي، وذلك في دعاء الاسـتفتاح، أنـه ﷺ كان يقول: (لبيك وسـعديك، والخير كلـه في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت). رواه مسلم

١٥٣٩. كيف نفهم القول النبوي السابق؟

الحديث النبوي السـابق يثبت أن الشر لا يُنسب إلى الله تعالى، فالله تعالى لا يفعل إلا الخير، والقدر من حيث نسبته إلى الله تعالى لا شر فيه بوجهٍ من الوجوه، فإنه علمُ الله وكتابته ومشيئته وخلقه، وذلك خيرٌ محض، وكمال

من كل وجه.

١٥٤٠. ما خلاصة ما سبق بيانه؟

أن نعتقد بأن الشر ليس إلى الرب بوجهٍ من الوجوه؛ لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته ولا في أفعاله، وإنما الشر يدخل في المقضي لا في القضاء، وفي المقدور لا في القدر.

١٥٤١. ما توضيح الكلام السابق؟

نعني بالمقضي والمقدور الفعل الصادر من المخلوق، فالمخلوق هو الذي يفعل الشر.

فالقدر فعل الله تعالى، وكله خير لا ينقسم إلى خير وإلى شر.

وأما المقدور فهو فعل العبد، وهو ينقسم إلى خير وإلى شر.

١٥٤٢. كيف التوجيه لوجود الأعمال السيئة؛ مثل الكفر والظلم؟

الكفر شر باعتبار نسبته إلى العبد، والظلم شر باعتبار نسبته إلى العبد، فلابد من التفريق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق.

١٥٤٣. ما خلاصة ما تم تقريره؟

خلاصته أن نعتقد بأن فعل الله وخلقه كله خير لا شر فيه ، وإنما الشر في بعض مخلوقاته.

١٥٤٤. هل أسماء الله وصفاته فيها توضيح لمنع وجود الشر سبحانه في أفعاله؟

نعم، فإن أسماءه الحسنى وصفاته العليا تمنع نسبة الشر والسوء والظلم إليه، وذلك لأن الشر إن أريد به وضع الشيء في غير موضعه فهو الظلم، ويقابله العدل، والله سبحانه منزه عن الظلم، قال جل وعلا: ﴿ وما ربك بظلام للعبيد﴾، وورد في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي) رواه مسلم، فالله تعالى منزّه عن الظلم لكمال عدله.

١٥٤٥. كيف نفهم وقوع الشر والعدل في أفعال الله سبحانه؟

لو سألنا: هل حالة البرد موجودة؟

فالجواب: نعم.

فيقال: هذا خطأ، ففي الحقيقة البرد موجود بسبب انعدام للحرارة، وليس لوجود البرودة بذاتها.

ولو سألنا: هل الظلام موجود؟

لكان الجواب: نعم.

فيقال: هذا خطأ، والصواب هو أن نقول: حينما ينعدم النور يظهر الظلام.

وعلى هذا نقول: حينما يمنع الله سبحانه الخير عن إنسان، لحكمة عنده ولسبب ما في الإنسان، فسيقع له نقيض الخير، ألا وهو (الشر).

١٥٤٦. ما ينزل على بعض الناس من أذى ومصيبة، هل هو من الشر؟

إذا فهمنا المثال السابق فيمكن فهم الآتي، إن أريد بالشر ما يلحق العبدَ من الأذى بسبب ذنب ارتكبه العبد، فإن هذا لا يعد شرًا له، بل هو عدل منه جل وعلا.

١٥٤٧. مقولة (يريد الله تعالى أمرًا وهو لا يحبه)...بعضهم يقول هذا لا يتصور؟

هذا قول مشهور تردّده ألسنة الذين لا يعقلون عن الله الحِكم والمصلحة، ويجعلونه وسيلة للقدح في أفعال الله تعالى وسلب الحكم والمصالح عنها، وهو مزلق خطير إذا لم يُؤخذ جوابه من اعتقاد أهل السنة.

١٥٤٨. ما تبيان ما يتعلق بالشبهة السابقة؟

جوابه في فهم الآتي، إنه لابد أولاً أن نفرّق بين المرادات، أي الأمور التي يريدها الله سبحانه.

فإن المرادات قسمان: مرادات لذاتها، ومرادات لغيرها.

١٥٤٩. ما الفرق بينهما؟

المراد لذاته: الأمر المطلوب المحبوب لذاته.

وأما المراد لغيره: فإنه قد لا يكون محبوبًا ومطلوبًا لذاته، بل لما يترتب على

وجوده من الحكم والمصالح.

١٥٥٠. كيف نفهم المقصود بمصطلح: المراد لغيره؟

المـراد لغيـره بالنظر إلـى ذاته لا يكـون محبوبًا ولا مطلوبـًا، وبالنظر إلى ما يترتب عليه يكون مرادًا، فهو مراد لشيء آخر لا أنه مراد لنفسه.

١٥٥١. ما الأمثلة الموضحة لما سبق توضيحه؟

أضرب مثالين على (المراد لغيره) ليتضح الأمر:

الأول: قطـع العضــو المريض الذي يكون في بقائه تلـف بقية الأعضاء! فإن الإنســان يذهب بنفسه إلى الطبيب، ويمد هذا العضو إليه، وهو يعرف أن الطبيب سيقطع هذا العضو من جسده.

لكـن: هل المريض يريد هذا القطع لـذات القطع، أي لأنه يحب ذلك لنفســه؟ بالطبـع لا، ولكنه أراده لعلمه بآثاره الطيبــة ومصالحه المترتبة عليـه لاحقا، أي إنمـا أراده لغيـره، أي لما يترتب عليه من ســلامة بقية الأعضاء، فاجتمع في هذا القطع البغض والحب.

فبالنظـر إلـى ذاته فهو مبغوض مكــروه حاليًا، وبالنظـر إلى آثاره فهو محبوب مراد لاحقًا

الثانـي: قطـع الانسـان المســافات والصحـارى والقفـار، وتحمّـل الأخطار ومفارقـة الأهـل والبلد، للوصول إلى محبوبه؛ الـذي ملك عليه قلبه واســتحكم حبه في نفسه، فإن أحدًا لا يريد تعذيب نفسه بذلك، لكنه علم أنه لا ســبيل للوصال إلا بهذا الشـقاء، فأراد الدخول فيه، لا لأنه يريده لذاته، وإنما لأنه يعلم بآثاره المترتبة عليه، فقطع المسافات وتحمل المشاق إنما للمراد لغيره، فهو محبوب من وجه ومبغوض من وجه.

١٥٥٢. ماذا يتضح لنا من المثالين السابقين؟

يتبـين لنـا أن الشــيء يجتمع فيه الأمـران، بغضٌ من وجه، وحــبٌ من وجهٍ آخر.

١٥٥٣. كيف نربط بين ما يتعلق بالمراد لغيره، مع أن الله خلق أمورًا لا يُحبها؟

يُقال: إن الأشياء التي أراد الله تعالى وقوعها كونًا وهو لا يحبها ولا يرضاها هي من قبيل (المراد لغيره)، لا من قبيل المراد لذاته، حتى يرد الإشكال.

١٥٥٤. هل الإشكال لعدم وضوح الأمر السابق؟

نعم، فإن الذي يورد هذا الإشكال في ذهنه إنما هو الذي يجعل الأشياء الواقعة كلها من قبيل (المراد لذاته).

١٥٥٥. ما الأمثلة الدالة على ما سبق تقريره من الناحية الشرعية؟

من ذلك: خلق الله لإبليس، وجود المصائب والآلام والحكمة من ذلك.

١٥٥٦. هل في خلق الله لإبليس حِكما شرعية؟

نعم، مع إن إبليس مادة كل فسادٍ في هذه الدنيا؛ في الأديان والاعتقادات والأعمال والشهوات والشبهات، وهو سبب لشقاوة العبد، فخلقه ليس مرادًا لذاته، بل مراد لغيره، أي في وجوده حِكما كثيرة.

١٥٥٧. ما الحكم التي يمكن معرفتها من سبب وجود إبليس؟

تلمّس العلماء الحكم والمصالح من ذلك، فذكروا منها ما يلي:

- أن يظهر للعباد قدرة الرب سبحانه على خلق المتضادات والمتقابلات، فالذي خلق هذه الذات الفاسدة من كل وجه؛ والتي هي أخبث الذوات، والتي هي سبب كل شر، هو الذي خلق ذات جبريل التي هي من أشرف الذوات وأزكاها والتي هي مادة كل خير.

  فتبارك من خلق هذا وهذا، وذلك كما ظهرت حكمته في خلق الليل والنهار، والحر والبرد، والماء والنار، والداء والدواء، والموت والحياة، والجنة والنار.

- أنه سبحانه خلق هذه المتضادات، وقابل بعضها ببعض، وسلّط بعضها على بعض، وجعلها محل تصرفه وتدبيره وحكمته، فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير ملكه، وهذا يظهر ظهورًا جليًا لمن له قلب سليم.

- أن يكمّل الله تعالى لأوليائه مراتب العبودية، وذلك بمجاهدة إبليس وحزبه، وإغاظته بالطاعة لله جل وعلا، والاستعاذة بالله منه واللجوء إلى الله أن يعيذهم من شره وكيده، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والدينية والأخروية ما لا يحصل بدونه.
- العلم بأن المحبة والإنابة، والتوكل والصبر، والرضا ونحوها، أحب أنواع العبودية لله جل وعلا، وهذه إنما تتحقق بالجهاد وبذل النفس وتقديم محبته جل وعلا على كل ما سواه، فكان خلق إبليس سببًا لوجود هذه الأمور.
- حصول الابتلاء، ذلك أن إبليس خُلق ليكون محكًا يمتحن به الخلق، ليميز الله الخبيث من الطيب.
- ظهور آثار أسمائه تعالى ومقتضياتها ومتعلقاتها، فمن أسمائه: الحكم، والغفور، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحكامها، فكان خلق إبليس سببًا لظهور آثار هذه الأسماء، فلو كان الخلق كلهم مطيعين ومؤمنين لم تظهر آثار هذه الأسماء.
- خروج ما في طبائع البشر من الخير والشر، فالطبيعة البشرية مشتملة على الخير والشر، والطيب والخبث.

فخُلق الشيطان مستخرجًا لما في طبائع أهل الشر من القوة إلى الفعل، وأرسلت الرسل تستخرج ما في طبيعة أهل الخير من القوة إلى الفعل، فاستخرج أحكم الحاكمين ما في هؤلاء من الخير الكامن فيهم ليترتب عليه آثاره، وما في أولئك من الشر ليترتب عليه آثاره، وتظهر حكمته في الفريقين وينفذ حكمه فيهما.

١٥٥٨. ما الحِكم الشرعية التي أودعها الله في المصائب والآلام؟

الحكم ي هذا الجانب عظيمة وكثيرة، منها:

- تذكير العباد العصاة بقدرته جل وعلا عسى أن يحدث ذلك في قلوبهم رجوعًا وتوبة، وكم حصل من الخير بسبب هذه الحوادث والآلام من توبة المذنبين وتيقظ الغافلين، وإقبال المعرضين ورجوع الكثير إلى الله

تعالى، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.(الروم:٤١)

- استخراج عبودية الضراء وهي الصبر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، (الزمر:١٠)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنعام:١٤٦)، وهذا لا يتم إلا بأن يقلب الله الأحوال على العبد حتى يتبين صدق عبوديته لله جل وعلا.
- تكفير السيئات، فإن العباد كسّابون للذنوب كثيرًا وهم خطاءون، ولربما يغفل العبد عن التوبة عن كثير منها فيجري الله تعالى هذه المصائب والآلام على العبد فيصبر فيكون ذلك سببًا لتكفير السيئات عنه، وفي الحديث: (لا بأس عليك كفارة وطهور إن شاء الله).
- حثّ النفوس إلى الجنة، فإن العبد مع مرور هذه الآلام والمصائب التي تكدّر عيشه وتنغّص عليه حياته يعلم علم اليقين أن هذه الدار دار تعب ومكابدة، وأما الجنة فإنها دار الراحة المطلقة، فيشمر العبد بالاجتهاد في العمل الصالح لنيل هذه الدار الكريمة الغالية.
- تقوية الرابطة بين العبد وربه جل وعلا وعلمه بضعفه، فإن هذه المصائب والآلام يعلم العبد أنه لا خلاص له منها ولا مخرج له عنها إلا بصدق الالتجاء إلى ربه سبحانه، فيكون العبد دائم الذكر والدعاء والتضرع إلى الله، وهذا أمر يحبه الله من العبد.
- الدخول في زمرة المحبوبين لله جل وعلا، فالمبتلون يدخلون في زمرة المحبوبين المشرّفين بمحبة الله جل وعلا، فإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، وقد جاء ذلك في قوله ﷺ: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط) رواه الترمذي وابن ماجه.

١٥٥٩. ما الواجب على العبد اعتقاده في أفعال الله تعالى؟

الواجب على العبد تجاه ذلك معرفة الأمور الآتية:

- الاعتقاد الجازم أن لله جل وعلا في جميع أفعاله حكمًا جليلة وغايات

ومصالح عظيمة، سواءً علمناها أو لم نعلمها.

- يجب على العبد أن يعلم ويعتقد أن أفعال الله سبحانه لا تخلو من الحكم العظيمة التي تحير العقول وأنه متنزه عن فعل ما لا حكمة فيه ولا مصلحة، فإن هذا عبث وقد نزه نفسه الكريمة عنه كما في قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾. (المؤمنون:١١٥-١١٦)
- أفعاله سبحانه كلها حكم ومصالح، وإذا لم تدخل في حدود معلومنا فذلك لا يدل على انتفائها في نفس الأمر؛ لأن عدم العلم ليس علمًا بالعدم، وعقولنا أضعف من تحيط بذلك على وجه التفصيل.

١٥٦٠. ما حكم الاعتقاد السابق لكل مؤمن؟

هذا الإيمان الإجمالي فرض عين على كل أحد، بل هو من مقتضيات وصف الله جل وعلا بالكمال المطلق، فإن القدح في ذلك قدح في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وهو مناف لكمال التوحيد الواجب.

بل قد يكون في بعض صوره مناف لأصل التوحيد، فعلى العبد أن يؤمن بلا ريب أن الله تعالى هو الكامل الكمال المطلق في علمه وحكمته وسائر أفعاله جل وعلا، ومقتضى هذا الإيمان أن يؤمن بأن أفعاله جل وعلا كلها بلا استثناء لها الحكم العظيمة والغايات والمصالح المحمودة.

المطلب السادس: المحو والتثبيت في القدر

١٥٦١. ما المقصود بهذا العنوان؟

المقصود بيان هل هناك تغيير للقدر، أو أنه ثابت.

١٥٦٢. ما معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٣٩)؟

بيان ذلك أن يقال أن القدر نوعان:

الأول: القدر المثبت، أو المطلق أو المبرم، ويراد به ما قد كتب في أم الكتاب، أي اللوح المحفوظ، فإن هذا التقدير ثابت لا يتبدل ولا يتغير ولا يزاد

فيـه ولا ينقص، وهـذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَعِنـدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾، وبنـاءً عليـه فالآجـال والأرزاق والأعمال وغيرها التـي كتبت في أم الكتاب ثابتة لا يعتريها شيء من التغيير والتبديل .

الثانـي: القـدر المعلّـق أو المقيد، وهو ما في صحف الملائكـة، فهذا هو الذي يقع فيه المحو والإثبات.

١٥٦٣. كيف يتحقق التغيير في القدر المعلّق؟

مثاله: قد يأمر الله تعالى الملَك أن يكتب لإنسان أجلاً، وقال الله له: إن قام بصلـة رحمـه زدته كذا وكذا. والملك لا يعلم أيـزداد أم لا؟ لكن الله تعالى يعلم ما يستقر عليه الأمر ، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر.

وكذلك يُقال في الأرزاق والمصائب ونحوها، فإنه قد يثبت منها أشـياء في الكتب التي بأيدي الملائكة، وقد يمحى منها أشياء.

١٥٦٤. ما دليل هذا من القرآن؟

ما سـبق كله داخل تحت قولـه تعالى: ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَـاءُ وَيُثْبِتُ ﴾، فهذا المحـو والإثبات إنما يكون في الصحف التـي بأيدي الملائكة، وكل ذلك قد كُتـب في أم الكتاب، أي الأقدار وأسـبابها، فـلا تبديل ولا محو ولا إثبات فيما كتب في اللوح المحفوظ.

١٥٦٥. ما الأخطاء التي وقع فيها بعض الناس في هذا الباب المهم لنحذر منها؟

- الخوض في هذا الباب بلا علم والنزاع فيه، ولذلك وردت الأدلة والآثار محـذرة مـن ذلـك كل التحذير، فقد عـن عبدالله بـن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله خرج على الصحابة وهم يتنازعون في القدر، هذا ينزع آية وهذا ينزع آية ، فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان غضبا من صنيعهم، فقـال: (بهـذا أمرتم - أو بهـذا وكلتم - أن تضربـوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا إلى ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتهم عنه فاجتنبوه) . رواه أحمد وابن ماجه

ومن حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا : (وإذا ذكر القدر فأمسكوا).

رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية

- أن الخوض في القدر بلا علم ولا برهان قد أورث كثيرًا من الأسئلة الاعتراضية التي لا ينبغي أن يسأل عنها، وقد أورث أن بعض الناس يبحث في الجوانب الخفية في هذا الباب، وأفضى أيضًا إلى ترك التسليم والإذعان لله تعالى في قدره، وكثير من الناس أقحم عقله الضعيف العاجز في اكتشاف مسائل هذا الباب من غير اهتداء بنور الكتاب والسنة، وهذا أدى إلى التنازع والافتراق في هذا الباب.
- الاحتجاج به على فعل المعائب أي المعاصي.
- الاتكال على ما كتب وترك تحصيل الأسباب الشرعية وغيرها اعتمادًا على ما سبق به العلم، وهذا خطأ فادح ومدخل شيطاني لابد من سده بمعرفة منهج أهل السنة.
- عدم الاهتمام بشأن الدعاء، والظن أنه لا حاجة له؛ لأنه لو دعا، ثم دعا فلن يأتيه إلا ما قدر له، فما قدر له فإنه يأتيه بلا دعاء، وما لم يقدر له فلن يأتيه ولو استفرغ جهده في الدعاء!

وهذا فرع من فروع الاتكال على القدرة وتعطيل للأسباب الشرعية، وقد قال ﷺ: (ولا يرد القدر إلا الدعاء) رواه أحمد وابن ماجه. وقال ﷺ: (من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئًا يعطى أحب إليه من أن يسأل العافية، إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء). حسنه الألباني.

- نسبة المشيئة إلى الظروف أو الأقدار فيقول: (شاءت الظروف وشاءت الأقدار)، وهذا خطأ، لأن الظروف والأقدار لا مشيئة لها، وإنما الذي يشاء هو الله تعالى.
- دعاء بعض الدعاء بقوله: (اللهم إني لا أسألك ردّ القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه)! وهذا دعاء لا ينبغي؛ لأنه قد شرع لنا ما هو خير منه وأفضل وهو الدعاء برد القضاء إذا كان فيه سوء، ويكفيك قوله ﷺ: (تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء) رواه البخاري .

- سبّ القدر واتهامه والتسخط عليه ونسبة السوء إليه - والعياذ بالله تعالى - ، وهو منافٍ للأدب مع الله تعالى، وعلامة للجزع النافي للصبر الواجب، ومفضٍ بصاحبه إلى سخط الله تعالى كما في الحديث: (ومن سخط فعليّه السخط) والجزاء من جنس العمل.
- ما يفعله بعض الناس من استطلاع القدر المستقبلي عند الكهنة والمنجمين، وهذا ضلال مبين في باب القدر؛ لأن القدر من الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، ويدخل في ذلك من يصدق بتأثير الأسماء والأبراج فيما يجري للإنسان في حياته.
- إنكار علم الله تعالى السابق أو إنكار الكتابة السابقة، أو إخراج أفعال العباد أن تكون مخلوقة لله تعالى كما تقوله القدرية.

ومنها: سلب العبد قدرته ومشيئته كما هو قول الجبرية.

ومنها: زعم أن الإنسان مخيّر مطلقًا أو مسيّر مطلقًا.

ومنها: قول العبد (لو)، أو (ليت) عند نزول الأمر المؤلم.

ومنها: تمني الموت بسبب ما نزل به من الضر، وهذا حرام لا يجوز، قال ﷺ: (لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنيًا فليقل: اللهم أحييني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي) متفق عليه .

١٥٦٦. كيف الجواب على من أشكل عليه الجمع بين قوله تعالى: ﴿ ويعلم ما في الأرحام ﴾، وبين معرفة الأطباء لما في الرحم من كونه ذكرًا أو أنثى؟

أولاً: نعلم بأن المقدّم هو كلام الشارع في كل شيء، فالقرآن والسنة لا يجوز أن يُعارضا بأي شيء، ولا يجوز التقدم عليها بقولٍ أو فعل.

وثانيًا: لا يمكن أبدًا ولا يتصور أن تتعارض الحقائق العلمية التي ثبتت بالطريق الصحيح مع نصوص الكتاب وصحيح السنة، فإن الذي أنزل النص هو الذي خلق الأشياء كلها، وهو العالم بذواتها وصفاتها وخصائصها وأفعالها، وما يتعلق بها ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فلا يمكن أبدًا أن يكون كلامه معارضًا لذلك إذا تكلم عنه.

١٥٦٧. إذا كان هناك ما يُوهم المعارضة، ما العمل؟

إذا وجد ما يوهم المعارضة، فلا يخلو:

- إما أن تكون هذه الحقيقة العلمية المدعاة ليست بشيء أصلاً، أي أنها لم تُبن على علم وبصيرة وهدى.
- أو أن تكون مُتلقاة ممن لا يؤتمنون على علم، فيظهرونها في صورة الحقائق العلمية، وهي إلى الخرافات أقرب ويعارضون بها نصوص الوحيين.
- وإما أن يكون صريح النص لم يدل على خلافها أصلاً، لكنه لم يفهم على وجهه الصحيح.

١٥٦٨. على أي حال ينطبق السؤال؟

ينطبق على الحال الثالث.

١٥٦٩. ما وجه الفهم القاصر؟

عند قوله تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ (البقرة:٣٤)

بعضهم لا يفهم منه إلا العلم بالذكورةَ والأنوثة فقط، وهذا فهم قاصر؛ لأن المراد بهذا العلم هو العلم الشامل لكل أحوال هذه النطفة من ذكورة وأنوثة، وانفراد وتعدد، وشقاوة وسعادة، وأجل وعمل، وما تكون عليه من الصفات الخَلقية والخُلقية في المستقبل، ويعلم رزقها، وهل يولد حيًا أو ميتًا، فلا يحصر العلم فقط في الذكورة والأنوثة .

١٥٧٠. كيف بما يتعلق بعمل الأطباء، هل له علاقة بعلم الغيب؟

الأطباء لا يعلمون ذلك غيبًا، بل بالأجهزة المعلومة المعروفة التي تبدي ما كان مستترًا حتى يكون علانية فيرون صورة الجنين الذي تخلق ، أي أن علمهم هذا ليس من علم الغيب، بل من علم الشهادة؛ لأن مبناه على الوسائل الحسية التي هداهم الله لها.

ويقال أيضًا: إن هذه النطفة قبل تخلقها هل يعرف الأطباء ما ستكون عليه؟ بالطبع لا، فوالله الذي لا إله إلا هو لو يجتمع أطباء الدنيا على نطفة في

الرحـم لـم تتخلق لما عرفوا هل هي ذكر أو أنثى، وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾.

١٥٧١. ما ثمرات الإيمان بالقدر؟

ثمراته كثيرة ، وأذكر منها ما يلي :

الأولى: حصول الهداية وزيادة الإيمان.

الثانية: خفة حدة المصائب النازلة والأقدار المؤلمة.

الثالثـة: راحـة النفـس وطمأنينتها، لأنها تعلـم أن كلاً بقضاء وقـدر وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها وما أخطأها لم يكن ليصيبها.

الرابعة: أن الإيمان بالقدر يربي النفس على الصبر وقوة الاحتمال .

الخامسة: محاربة اليأس والقنوط والعجز والكسل .

السادسة: الشجاعة والإقدام واطراح الخور والجبن .

السابعة: تربية النفس على القناعة .

الثامنة: سدّ باب الدجل والخرافة وتحرير العقول من الجهل، لأن المؤمن بالقدر لا يعتمد على خبر دجال ولا عراف ولا كاهن ولا يستطلع إلى مستقبله إلا بالبناء الصحيح بالجدّ والعزيمة الصادقة والاجتهاد في العمل.

المطلب السابع: ما يتعلق بالأسباب

١٥٧٢. هل النظر في الأسباب من الأهمية بمكان في الدين؟

نعـم، فإن باب الأسـباب وارتباطهـا بآثارها، له عند العلمـاء أهمية كبرى، ولذلك فإنهم نظروا له نظر المؤصّل له، فذكروا في هذا الباب ثلاث قواعد مهمـة جـدًا، كل قاعدة منها تعتبر ركيزة عظيمـة، فلابد من حفظها وفهمها الفهم الجيد:

القاعدة الأولى: (الأسباب مؤثّرة لا بذاتها)

١٥٧٣. ما بيان هذه القاعدة الأولى؟

بيانها أن يقال أن الناس قد انقسموا في تأثير الأسباب إلى ثلاث طوائف: طرفين، ووسط.

الأول: هم المعطلة، أي معطّلة الأسباب، وهم الذين يعتقدون أنه لا تأثير للأسباب أصلاً، وإنما الآثار تُوجد عند السبب لا به، ومثاله:

- فالانكسار حصل عند رمي الزجاجة ولا أثر للرمي فيه.
- والموت حصل عند رمي الرصاصة وإصابتها للجسد ولا أثر لها فيه.

١٥٧٤. ما القول في هذا القول؟

هذا المذهب مذهبٌ باطلٌ كل البطلان، لأنهم فرّطوا في الأسباب حتى نفي تأثيرها النفي المطلق.

فهذه الطائفة تعتقد نفي تأثير الأسباب ولو مطلق التأثير، أي أنه لا أثر للأسباب في مسبباتها البتة.

الثانية: وهم مشركة الأسباب، وهؤلاء يعتقدون أن السبب هو المؤثّر بذاته لا بتقدير الله تعالى، فالسبب هو الذي يُوجد أثره بنفسه بلا تدخّل شيء آخر.

١٥٧٥. ما القول في هذا المذهب؟

وهذا المذهب باطلٌ كلِ البطلان، وهو في ذاته شركٌ في الربوبية؛ لأنهم يعتقدون أن ثمة متصرفًا وخالقًا في هذا الكون غير الله تعالى، فهم غلو في إثباتها حتى أثبتوا لها التأثير المطلق.

الثالثة: أهل الحق، فتوسطوا بين هذين المذهبين، فقرروا هذه القاعدة العظيمة، فقالوا: (السبب يُؤثر، لكن لا بذاته، وإنما يجعل الله له مؤثرًا).

فلم ينفوا تأثير الأسباب كما زعمه المعطلة، ولم يثبتوا التأثير المطلق كما زعمه مشركة الأسباب، بل قالوا: (السبب يؤثر لا بذاته)،

١٥٧٦. ما توضيح قولهم في تفنيد الأقوال المخالفة؟

قولهم: (**السبب يؤثر**): رد على معطلة الأسباب.

وقولهم: (**لا بذاته**): رد على مشركة الأسباب، فالله جل وعلا هو الذي خلق الأسباب وآثارها، وهو الذي يربط بينها ويفصل على ما تقتضيه حكمته البالغة، فلا خالق إلا هو جل وعلا.

القاعدة الثانية: كل من اتخذ سببًا لم يدل عليه شرعٌ ولا قدرٌ فشركٌ أصغر، وإن اعتقده الفاعل بذاته فشرك أكبر.

١٥٧٧. ما بيان هذه القاعدة؟

بيانها أن يُقال أن من اعتقد أن هذا الشيء سبب لهذا الشيء، فإن دعواه هذه موقوفة على إثباتها بأحد دليلَيْن، إما بدليل الشرع، وإما بدليل القدر أي التجربة.

فإذا أثبت هذه الدعوى بأحد هذيْن الدليلين قبلنا كلامه واعتقدنا سببية هذا الشيء لهذا الشيء، وأما إذا لم يكن هناك دليل يثبت صدق الدعوى لا من الشرع ولا من القدر فإن كلامه مردود عليه.

١٥٧٨. هل يصل الخلل في فهم هذه القاعدة إلى المعصية؟

نعم، إن اعتقاد الإنسان بما سبق يوصله إلى الشرك الأصغر؛ لأنه تدخّل فيما هو من خصائص الله تعالى.

فالله تعالى هو الذي يربط بين الأسباب وآثارها ، فلابد لاعتقاد سببية شيء لشيء من دليل شرعي أو قدري، وأما أن يزعم أحد سببية شيء لشيء بلا دليل، فهذا تدخّل فيما هو من فعل الله تعالى وإقحام للنفس فيما قد اختص الله به، وأقل أحواله أن يكون شركًا أصغر، وهذا هو معنى قولنا: (من اعتقد سببًا لم يدل عليه شرع ولا قدر فشرك أصغر).

١٥٧٩. ماذا ينبني على التقرير السابق؟

بناءً عليه: فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن هذا الشيء سببٌ لهذا الشيء إلا بالدليل وإلا لكان واقعًا في هذا المحظور العظيم.

ويزداد الأمر سوءًا على سوء إذا كان يعتقد أن السبب هو الفاعل بذاته،

وهـذا هـو الشـرك الأكبـر المخرج عـن الملـة بالكلية، وهـو اعتقاد مشـركة الأسـباب الذين ذكرناهم في القاعـدة الأولى، وهذا هو معنى قولنا: (وإن اعتقده الفاعل بذاته فشرك أكبر).

١٥٨٠. ما أمثلة هذا الأمر في الحياة اليومية؟

من أمثلته:

- من يعتقد أن التمائم هي التي تجلب الخير وتدفع الشر بذاتها.
- من يعتقد أن الرقية تدفع المرض بذاتها.
- من اعتقد أن الأنواء هي التي أنزلت المطر بذاتها.
- اعتقاد أن هذا الشـيء الذي تبرك بهو هو الذي يفيض البركة عليه بذاته.

كل ذلك من الشرك الأكبر الذي يخرج من الإسلام بالكلية.

١٥٨١. ما خلاصة القاعدة الثانية المتعلقة بالأسباب؟

خلاصتها أن يقال:

أولاً: من اعتقد سببًا قد دلّ على سببيته الشرع فلا شيء عليه.

ثانيًا: من اعتقد سببًا قد دل على سببيته القدر فلا شيء عليه.

ثالثًا: من اعتقد سببًا لم يدل عليه شرع ولا قدر فشرك أصغر.

رابعًا: من اعتقد سبباً أنه هو الفاعل بذاته فهذا شرك أكبر.

القاعدة الثالثة: الالتفات إلى الأسـباب مطلقًا شـرك في الشـرع، وعدم الالتفات لها مطلقًا قدح في الشـرع، والأخذ بها مع كمال التوكل على الله هو حقيقة الشرع.

١٥٨٢. ما الأمور التي أشتملت عليها القاعدة الثالثة؟

اشتملت على أمور:

الأول: وهو شـأن مشركة الأسـباب الذين لا ينظرون إلا إلى السبب؛ وذلك لاعتقادهـم أنه هـو المؤثر بذاته، وقد علمنا أن هذا الاعتقاد شـرك في توحيـد الربوبيـة لاعتقاد أن ثمـة خالقًا ومتصرفًا في هـذه الكون غير

الله تعالى.

فهذه نظرة متطرفة جائرة، قد تعلقت قلوب أصحابها بالمخلوق العاجز الضعيف، وانصرفت عن التعلق بالخالق القوي القادر من كل وجه، فخابوا الخيبة المطلقة، وخسروا الخسران المبين.

الثاني: وهو شأن معطلة الأسباب، الذين صرفوا نظرهم الصرف المطلق عن تحصيل الأسباب اعتمادًا على القدر، فتركوا العمل والسعي اتكالاً على ما كتب وسبق به القلم؛ وذلك لأنهم ظنوا أنه لا تأثير للأسباب في المسببات أبدًا، فحيث لا تأثير لها فلماذا يتعبون أنفسهم في تحصيلها؟

١٥٨٣. ما الحكم على ما ورد في الفقرتين السابقتين في الاعتقاد بالأسباب؟

ما سبق قدح في الشرع؛ لأن الشرع قد رتب الآثار على أسبابها، وربط الكون بعضه ببعض، وأمرنا بتحصيل الأسباب الشرعية والقدرية، فأمرنا بالعمل الصالح لأنه سبب لدخول الجنة، وأمرنا بالجهاد حتى لا تكون فتنة، وقال لنا: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾، وأي تعطيل للأدلة التي تثبت الأسباب أعظم من ذلك؟

١٥٨٤. ما قول أهل السنة في القاعدة الثالثة؟

أهل السنة والجماعة توسّطوا بين المذهبين، فقالوا: نأخذ بالأسباب، ونتوكل أولاً وآخرًا على الله تعالى.

فجمعوا بين الأمرين؛ فسعوا في تحصيل الأسباب، مع اعتماد قلوبهم الاعتماد المطلق على ربهم جل وعلا، وهذا هو النهج القويم.

١٥٨٥. هل من تعلّق بالتوكل بعيدا عن بذل الأسباب يكون صادقا؟

لا، لم يصدق في دعوى التوكل من ترك تحصيل الأسباب، فإنه لو كان صادقًا لأخذ بها، فالأخذ بالأسباب من تمام التوكل على الله تعالى.

١٥٨٦. هل الإيمان بالقدر يتعارض مع الدعوة لفعل الأسباب والحرص عليها؟

الإيمان بالقدر لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب، بل إن الأخذ بالأسباب من الإيمان بالقدر، ولهذا فيجب على العبد مع الإيمان بالقدر الاجتهاد في العمل والأخذ بأسباب النجاة والالتجاء إلى الله تعالى بأن ييسر له أسباب السعادة، وأن يعينه عليها.

١٥٨٧. هل نصوص الشرع داعية إلى هذا السلوك؟

نعم، نصوص الكتاب والسنة حافلة بالأمر باتخاذ الأسباب المشروعة في مختلف شؤون الحياة، إذ أنها قد أمرت بالعمل وطلب الرزق واتخاذ العدة لمواجهة العدو والتزود للأسفار وغير ذلك.

١٥٨٨. ما النصوص الشرعية الداعية إلى هذا الفعل في حياتنا؟

قال تعالى: ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾.

١٥٨٩. ما الدليل على مشروعية بذل الأسباب من النبي ﷺ؟

الأدلة على ذلك كثيرة، منها:

- النبي ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر.
- وقاتل النبي ﷺ يوم أحد بين درعين.
- تواترت الأدلة التواتر المعنوي بحرصه ﷺ على الأخذ بأذكار الصباح والمساء، وذلك أخذًا بأسباب الحفظ.
- ثبت عنه ﷺ أنه كان يحرص أن يضع بين يديه العَنَزة لتكون سترةً له، أخذًا بأسباب حفظ صلاته من القطع أو نقص الأجر.
- وكان في بداية أمره ﷺ مستخفيًا في دار الأرقم بن أبي الأرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ولا يصلي إلا في الشعاب بأصحابه، أخذًا بأسباب حفظ بيضة المسلمين.
- وهاجر ﷺ مع أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليلاً مستخفيين، أخذًا بأسباب السلامة من

العدو.

- واستأجر في سفر الهجرة عبدالله بن الأريقط هاديًا خريتًا، أخذًا بأسباب الاهتداء للوجهة الصحيحة وعدم الضياع.
- ولما أدركهم سراقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمره ﷺ بإخفاء خبرهم، ووعده تاج كسرى بن هرمز، أخذًا بأسباب الاحتماء من العدو ومن كيده.
- واتخذ ﷺ خاتمًا من فضة نقشه (محمد رسول الله) أخذًا بأسباب قبول وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله وهي المكاتبة، لأنه قيل له إن الروم لا يقرأون الكتاب إلا إذا كان مختومًا.
- واتخذ ﷺ المنبر للخطبة، أخذًا بأسباب إبلاغ الصوت لمن كان بعيدًا.
- وبنى ﷺ حُجر نسائه حول المسجد، أخذًا بأسباب الاستتار عن الأعين.
- وباع ﷺ واشترى، أخذًا بأسباب تحصيل المعاش.
- وكان ﷺ يتسحر ويأمر به أخذًا بأسباب التقوية على الصيام.
- وأفطر ﷺ يوم عرفة وأظهره للناس ليتقوى على الاجتهاد في الدعاء.
- وأفطر ﷺ في سفر من أسفار الجهاد وأظهر فطره للناس ليتقوى على مواجهة العدو وقتالهم.
- وكان ﷺ يتخوّل الصحابة بالموعظة في الأيام أخذًا بأسباب عدم إملالهم، أي لئلا تدخل السآمة في قلوبهم من المواعظ.
- وآخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار في بداية الهجرة؛ ليرسخ أخوة الإيمان في القلوب، ولإزالة الوحشة من النفوس، وليكسر حاجز العوائد، وليكتسب بعضهم من بعض عاداته وتقاليده، وليخفف على المهاجرين ألم الفقر والغربة وفراق الأهل والأولاد والأوطان، وغير ذلك، فهذه المؤاخاة أخذًا بأسباب هذه المصالح كلها.

١٥٩٠. كيف أوضح النبي ﷺ هذا التصرف لمن حوله في حياتهم؟

قال ﷺ لما قيل له: أفلا نتّكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال ﷺ: «اعملوا فكل ميسّر لما خلق له، فأهل السعادة يسيرون لعمل السعادة وأهل الشقاوة يسيرون لعمل الشقاوة»، ثم قرأ: ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى

فسنيسره لليسرى ﴾) والحديث في الصحيح.

وقال ﷺ: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز».

١٥٩١. ترك العمل والاعتماد فقط على القدر..هل يعدّ من التصرف الصحيح؟

هذا تصرف خاطىء، فترك تعاطي الأسباب اتكالاً على الكتابة السابقة في حقيقته أنه للقدر أصلاً ليس من الهدي الصحيح.

١٥٩٢. ما الهدي الصحيح فيما سبق إجابته؟

هو العلم بأن الله تعالى ربط هذا الكون بعضه ببعض، ونظم بعضه ببعض، وربط الأشياء بأسبابها، ودلنا على السبب إن كنا نريد حصول أثره.

١٥٩٣. كيف توضيح الأسباب والمسببات في حياتنا؟

تعلمنا شرعًا دفع قدر الجوع بالأكل، وقدر الظمأ بالشرب، وقدر منازلة العدو بحسن الإعداد الباطني والظاهري، وقدر إحكام الشهوة بالزواج للقادر وبالصوم لمن لم يجد، وقدر الفقر بالسعي في طلب الرزق الحلال، وقدر دخول النار بالاجتهاد في العمل الصالح مع ترك الذنوب والمعاصي، وهكذا.

١٥٩٤. من يقول أنا اتعلّق بالقدر وانتظر ما يقع..ما القول معه؟

هذا القول في الحقيقة إنكارٌ للقدر، وتكذيب به، وإلا فمن مقتضيات الإيمان بالقدر تعاطي الأسباب المشروعة؛ في دفع المكروه وجلب المحبوب.

١٥٩٥. لو أمكن توضيح ما يتعلق بأهمية تحصيل الأسباب وعدم الاتكال على ما كتب وقدر في حياتنا؟

نضرب لذلك بمثالين وهما:

الأول: قوله تعالى توجيهه لمريم: ﴿ وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا ﴾، فامرأة نفساء خائفة مما سيواجهها، تُؤمر بهز جذع نخلة حتى يتساقط الرطب، وِإنه لو اجتمع عدد من الرجال الأقوياء فإنهم قد يعجزون عن هزها، أَوَلا يقدر الله تعالى على إسقاط الرطب بلا

هـذا الهز؟ بلى، هو قادر على كل شـيء، لكن من باب ربط الأشـياء بأسبابها، وترك التواكل والعجز والكسل.

الثانـي: قولـه تعالى نصرة لموسـى ﷺ: ﴿وأوحينـا إليه أن اضـرب بعصاك البحـر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ فهذه الضربة بالعصى أمـرٌ بالأخذ بالأسـباب، وإلا فالله قادر القـدرة التامة على فلق البحر بلا ضرب، ولكنه أمر موسى أن يضرب في هذا الوقت العصيب، مع أن هذا الضرب سـيؤخرهم قليلاً، والعدو قد اقترب منهم، ومع ذلك أمره بالضـرب بالعصى، وهذه تربية على تعاطي الأسـباب، والأخذ بالمشروع منها.

١٥٩٦. هل أمورنا الشرعية متعلّقة ببذل الأسباب؟

نعم، فإن الأشياء قد رُبطت بأسبابها، والتفريق بين الآثار وأسبابها قدحٌ في الشرع وخبل في العقل.

ونقول: وكذلك أيضًا الهداية ودخول الجنة فإنها قد ربطت بأسـبابها، ففي الحديث: (فاسـتهدوني أهدكم)، وفي الحديث الآخـر: (اعقلها وتوكل)، فمن أراد الهداية فعليه بسلوك سبب تحصيلها، ومن أراد الجنة فعليه بسلوك سـبب تحصيلهـا مـن فعـل المأمورات وتـرك المحظـورات، مـع الإخلاص والمتابعة.

الفصل السابع
ما يتعلق بالأسماء والصفات

المبحث الأول: تقسيم الصفات
المبحث الثاني: ضوابط في الأسماء والصفات
المبحث الثالث: قواعد في فهم الأسماء والصفات
المبحث الرابع: طرق إثبات وفهم معاني الصفات وكيفيتها
المبحث الخامس: الصفات الثبوتية
المبحث السادس: الإضافة إلى الله تعالى
المبحث السابع: ضوابط في إثبات الأسماء لله
المبحث الثامن: ضوابط في فهم الصفات الذاتية لله
المبحث التاسع: أمثلة للصفات الفعلية لله تعالى.
المبحث العاشر: قضايا متعلقة بالأسماء والصفات

المبحث الأول

تقسيم الصفات

١٥٩٧. إلى كم قسم يمكن تقسيم صفات الله عز وجل من جهة الثبوت وعدمه؟

تنقسم إلى نوعان :

أ . **صفات ثبوتيه**: وهي التي أثبتها الله لنفسه، أو أثبتها له رسوله ﷺ، كالحياة والعلم والوجه والنزول والاستواء وغيرها من الصفات، وكلها صفات مدح وكمال، وهي أغلب الصفات المنصوص عليها في الكتاب والسنة، وهذا النوع يجب إثباتها له سبحانه.

ب . **صفات سلبية**: وهي التي نفاها الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ، كالموت، والنوم، والظلم، وكلها صفات نقص، والواجب في هذا النوع نفي النقص مع إثبات كمال الضد، فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩)، فيجب الإيمان بانتفاء الظلم عن الله، وثبوت ضده وهو العدل الذي لا ظلم فيه.

١٥٩٨. إلى كم قسم يمكن تقسيم صفات الله عز وجل من جهة أدلة ثبوتها؟

تنقسم باعتبار أدلة ثبوتها ، إلى نوعين:

أ – **صفات خبرية**: وهي الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا السمع والخبر عن الله، أو عن رسوله ﷺ، وتسمى (صفات سمعية أو نقلية)، وقد تكون ذاتية، كالوجه، واليدين، وقد تكون فعليّة، كالفرح، والضحك.

ب – **صفات سمعية عقلية**: وهي الصفات التي يشترك في إثباتها الدليل السمعي (النقلي) والدليل العقلي، وقد تكون ذاتية: كالحياة والعلم، والقدرة، وقد تكون فعلية: كالخلق، والإعطاء.

١٥٩٩. إلى كم قسم يمكن تقسيم صفات الله باعتبار تعلقها بذات الله وأفعاله؟

يمكن تقسيمها وفق هذا الاعتبار إلى ثلاثة أنواع :

أ – **صفات ذاتية**: وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها، فهي لا تنفك عنه

سبحانه وتعالى.

كالعلم، والقدرة، والحياة، والسمع، والبصر، والوجه، واليدين ونحو ذلك، ويسمى هذا النوع بـ (الصفات اللازمة) لأنها ملازمة للذات لا تنفك عنها.

ب - **صفات فعلية**: وهي التي تتعلق بمشيئة الله ، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، وتتجدد حسب المشيئة.

كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والغضب، والفرح، والضحك، وتسمى بـ (الصفات الاختيارية).

ج - **صفات ذاتية فعلية باعتبارين**: باعتبار أصل الصفة ذاتي، وباعتبار آحاد الفعل فعلي.

فالكلام - مثلاً - صفة ذاتية باعتبار أصله ؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا، أما باعتبار آحاد الكلام، فهو صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته سبحانه.[91]

١٦٠٠. ما هو الضابط لفهم ومعرفة الصفات الفعلية لله تعالى؟

ضابطها أنها تقيّد بالمشيئة، فنقول: يرحم إذا شاء، ويغضب إذا شاء، ويكتب إذا شاء.

بخلاف الصفات الذاتية، فلا نقول: يقدر إذا شاء، ويعلم إذا شاء، بل هو سبحانه عليم وقدير في جميع الأحوال.

١٦٠١. هل يمكن وضع تقسيم لصفات الجمال والجلال لله تعالى؟

نعم، وهو نوعان:

أ - **صفات الجمال**: وهي الصفات التي تبعث في القلب محبة الخالق والرغبة فيما عنده سبحانه وتعالى، ومن ذلك صفة الرحمة، والمغفرة، والرأفة.

ب - **صفات الجلال**: وهي الصفات التي تبعث في القلب مخافة الله جل

٩١- مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (١ / ١٢٤)

وعلا وتعظيمه، ومن ذلك صفة القوة، والقدرة، والقهر.[٩٢]

٩٢- قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله : «صفات العَظَمَة هذه يقال لها صفات جلال، وصفات ونعوت الرحمة والمحبة يقال له صفات جمال، هذا اصطلاح لبعض علماء السنة وهو اصطلاح صحيح، ولهذا في الختمة التي تُنسبُ لشيخ الإسلام ابن تيمية، رجّحَ طائفة من أهل العلم أن تكون لشيخ الإسلام لورود هذا التقسيم فيها، وهو قوله في أولها (صدق الله العظيم المُتَوحّدُ بالجلال لكمال الجمال تعظيما وتكبيرا)، ولا أعلم من أَشْهَرَ هذا التقسيم قبل شيخ الإسلام ابن تيمية، يعني: تقسيم الصفات إلى صفات جلال وجمال» .. شرح الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ.

المبحث الثاني

ضوابط في
الأسماء والصفات

١٦٠٢. ما المقصود بهذا العنوان؟

هو بيان ما يتعلق بكيفية الفهم الصحيح لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وفق ما ورد في الكتاب العزيز، والسنة الصحيحة، ووفق فهم سلف الأمة.

١٦٠٣. ما مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات؟

مذهبهم فيها أنها تتوجه إلى ثلاث نقاط:

١/ في الإثبات.

٢/ في النفي.

٣/ فيما لم يرد فيه دليل بخصوصه.

١٦٠٤. ما قولهم في الإثبات؟

هم يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات في كتابه، وما أثبته له نبيه ﷺ في سنته، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع العليم والبصير .

١٦٠٥. ما قولهم في النفي؟

هم ينفون عن الله تعالى ما نفاه عن نفسه في كتابه، وما نفاه عنه نبيه ﷺ في سنته، مع إثبات كمال الضد.

١٦٠٦. كيف العمل مع ما لم يُرد فيه النص؟

ما لم يرد فيه دليل بخصوصه فإنهم لا يثبتون لفظه ولا ينفونه، ويستفصلون في معناه، فإن أريد به الحق قبلوه، وإن أريد به الباطل ردوه.

١٦٠٧. ما معنى: (من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل)؟

هذه المصطلحات الأربعة مهمة جدًا في سياق مذهب أهل السنة في الأسماء والصفات، وواجب معرفتها.

المطلب الأول: التحريف.

١٦٠٨. ما معنى (التحريف) في اللغة؟

هو لغة: التغيير.

١٦٠٩. ما معنى (التحريف) في الاصطلاح؟

هو تغيير النص لفظًا أو دلالة، ونعني بالدلالة المعنى.

١٦١٠. إلى كم قسم يمكن تقسيم التحريف؟

التحريف قسمان:

- تحريف للفظ النص بأن يُزاد فيه، أو يُنقص منه، أو تغيّر حركته، وقد يتغير معه المعنى، وقد لا يتغير.
- تحريف لمعنى النص، وهو تحريف دلالة النص، بأن يبقى اللفظ على ما هو عليه، ولكن تسلب دلالته الصحيحة ويقحم فيه معنى لا يدل عليه.

١٦١١. ما الأمثلة الدالة على التحريف للألفاظ مع تغيير المعنى؟

من تلك الأمثلة:

- تحريف اللفظ الذي تغير معه المعنى، تحريف اليهود لقوله تعالى: ﴿وقولوا حطة﴾ أي حط عنا ذنوبنا، فحرفوه وقالوا: (حنطة) فزادوا هذه النون، فهذه النون حرفت النص لفظًا ومعنى، ويسميها العلماء نون اليهود.
- تحريف الجهمية لقوله تعالى:﴿ثم استوى على العرش﴾فحرفوه إلى قولهم: (استولى) فزادوا فيه اللام، وبها يكون قد تغير النص لفظا ومعنى، ويسميها العلماء لام الجهمية.
- في قوله تعالى: ﴿وكلم اللهُ موسى تكليمًا﴾ فحرفه بعضهم بنصب لفظ الجلالة، وذلك لنفي صفة الكلام عن الله تعالى.

١٦١٢. ما الأمثلة الدالة على التحريف للألفاظ بدون تغيير للمعنى؟

كنصب لفظ (الحمدَ) في قوله تعالى: ﴿ الحمدُ لله رب العالمين ﴾ .

١٦١٣. ما الأمثلة الدالة على التحريف للمعنى؟

كتحريف بعض الناس لصفات الله تعالى، مثل قولهم: المراد باليدين هي النعمة، أو القدرة، والمراد بالنزول إلى السماء الدنيا هو نزول الملَك، أو الأمر أو الرحمة، ونحو ذلك.

١٦١٤. ما حكم التحريف؟

التحريف حرام، وقد يصل بصاحبه في بعض صوره إلى الكفر.

المطلب الثاني: التعطيل

١٦١٥. ما معنى (التعطيل) في اللغة؟

وهو لغة: الإخلاء والتفريغ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وبئر معطلة ﴾ أي لا وراد لها لحلول العذاب بأهلها، ومنه قول العرب: (عنق معطل) أي خليٌّ من الحلي.

١٦١٦. ما معنى (التعطيل) في الاصطلاح؟

إخلاء الله تعالى عن أسمائه وصفاته.

١٦١٧. إلى كم قسم يمكن تقسيم التعطيل؟

التعطيل قسمان أيضًا:

- تعطيل كلي، مثل من يعطل الله تعالى عن أسمائه وصفاته كلها.
- وتعطيل جزئي، مثل من لا يثبت بعض الأسماء أو الصفات لله تعالى.

١٦١٨. ما حكم التعطيل؟

التعطيل حرام، وقد يصل بصاحبه في بعض صوره إلى الكفر.

المطلب الثالث: التكييف

١٦١٩. ما المقصود بالتكييف؟

هـو حكاية كيفيـة الصفة، أي أن يقال: كيفية يد الله كذا وكذا ، وكيفية وجه الله كذا وكذا.

١٦٢٠. ما حكم التكييف؟

هو حرام، وقد يصل بصاحبه في بعض صوره إلى الكفر.

المطلب الرابع: التمثيل

١٦٢١. ما المقصود بالتمثيل؟

هو إثبات مماثل، كأن يُقال: يد الله مثل أيدينا، أو وجه الله مثل وجوهنا.

١٦٢٢. ما حكم التمثيل؟

هو حرام، وقد يصل بصاحبه إلى الكفر.

المبحث الثالث

قواعد في فهم الأسماء والصفات

القاعدة الأولى: (أن الإثبات في الكتاب والسنة إثبات مفصل، وغالب النفي أنه نفي مجمل)

١٦٢٣. ما مثال الدال على هذه القاعدة؟

فمن ذلك الإثبات المفصل لأسماء الله في القرآن: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر:٢٢] ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥] ومن الإثبات المفصل في الصفات قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩] ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤].

١٦٢٤. ما الأمثلة على هذه القاعدة في الإثبات؟

في الإثبات: نقرأ قوله تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ... ﴾ الآية، وقد ختم كثير من الآيات بإسمين، أو أكثر من أسمائه جل وعلا.

١٦٢٥. ما الأمثلة على هذه القاعدة في النفي؟

في النفي، نجد القرآن يجمل في هذا، كقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾، وقوله: ﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾، وقوله: ﴿هل تعلم له سميًا﴾.

١٦٢٦. هل هذا الأسلوب موافق للغة العربية؟

نعم، فإن القرآن نزل باللسان العربي المبين حاملاً أساليب اللغة فيه، ومن هذا أن العرب إذا أبلغوا في مدحة أحد من الملوك والعظماء فصلّوا في الإثبات، فيثبتون له من صفات الكمال على وجه التفصيل ما استطاعوا، ويجملون في نفي النقص عنه وهذا أبلغ في المدح والحمد والثناء والتعظيم، والله أحق بذلك لأنه ملك الملوك، فمنهج أهل السنة في ذلك جار على سنن سلوك الأدب مع الله تعالى، ومتوافق مع المتقرر في لغة العرب.

١٦٢٧. هل هذه الطريقة دائمة أو أغلبية في القرآن؟

لا، فالإثبات المفصّل والنفي المجمل هو الغالب على الطريقة القرآنية النبوية، ولكن يقع في القرآن إثبات مجمل ونفي مفصل.

١٦٢٨. ما مثال الإثبات المجمل والنفي المفصل؟

مثاله في الأسماء قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف:١٨٠] وفي الصفات وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ [النحل:٦٠] أي: الوصف الأكمل.

١٦٢٩. هل يمكن أن يأتي النفي مفصّلا في القرآن؟

نعم، ومثاله في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف:٤٩] وقوله تعالى: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]

١٦٣٠. ماذا يتضمن النفي المفصل؟

يتضمن ثبوت كمال الضد؛ لأن النفي المحض -أي: الذي لا يتضمن أمراً ثبوتياً- ليس بشيء، فلا يكون كمالاً، بل يكون في موضع الاستدلال نقصاً يُنزّه الله تعالى عنه.

١٦٣١. ما القاعدة الممكن تقريرها وفق ما سبق؟

ممكن تقرير أن كل نفي مفصّلٍ في القرآن فإنه يتضمن ثبوت كمال الضد، فقوله: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدا﴾ [الكهف:٤٩] أي: لكمال عدله، وقوله: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥] أي: لكمال حياته وقيوميته.

القاعدة الثانية: (أن القول في الصفات كالقول في الذات)

١٦٣٢. ما توضيح هذه القاعدة؟

نعلم أن لله سبحانه ذاتًا لا تشابه الذوات، وهو منزّه سبحانه وتعالى في ذاته عن خلقه، وذاته ثابتة له بإجماع المسلمين، بل بإجماع عامة بني آدم الذين يقرون بوجود الرب سبحانه وتعالى، فإن القول في صفاته كالقول في الذات؛ لأن الصفات مناسبة وتابعة للذات.

١٦٣٣. هذه القاعدة ردٌّ على من؟

هـذه القاعـدة ردٌّ علـى الجهميـة والمعتزلـة الذين أثبتـوا الـذات المنزهة عن الذوات، ونفوا الصفات لأنها تستلزم - مثلما يتوهمون-أن تكون كصفات المخلوقين.

١٦٣٤. كيف الردّ عليهم؟

يُقـال: كما أثبتم لله ذاتاً لا تشـابه الـذوات، فإنه يلزم أن تكون له صفات لا تشابه الصفات؛ فإن القول في الصفات فرعٌ عن القول في الذات.

القاعدة الثالثة

(أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر)

١٦٣٥. ما معنى هذه القاعدة؟

تعني أن أي قول في أي صفة من صفات الله فيلزم أن يقال في غيرها مثلها، وهذا يدل على أن القول في الصفات واحد، إثباتا أو نفيا.

١٦٣٦. هذه القاعدة فيها ردّ على من؟

هـذه القاعـدة يرد بها علـى نفاة متكلمـة الصفاتية من الأشـعرية، ونحوهم الذيـن أثبتـوا بعض الصفـات ولم يروا فيها تشـبيهاً، ونفـوا بعض الصفات ورأوا في إثباتها تشبيهاً أو تجسيماً أو حدوثاً، أو نحو ذلك.

١٦٣٧. كيف نفهم الرد في هذه القاعدة؟

مـن قـال: إن غضـب اللـه يُـؤوّل بـالإرادة؛ لأن الغضـب مـن صفـات المخلوقين.

يقال له: والمخلوق يتصف بالإرادة.

فإذا قال: إرادة الله ليست كإرادة المخلوقين.

قيل له: وغضبه سبحانه كذلك ليس كغضبهم.

القاعدة الرابعة

(أن الصفات لها نظرٌ من ناحية معانيها، ونظر من ناحية كيفياتها)

١٦٣٨. ما توضيح هذه القاعدة؟

أننا نعلم ما أُخبرنا به من أسماء الله وصفاته من وجه دون وجه، فنعلمها من حيث المعاني؛ مثل معنى السميع والبصير والعليم والحكيم، ونعلم معنى الرضى والغضب والسمع والقدرة والخلق.

لكن لا نعلمها من وجه آخر، وهو: كيفية هذه الصفات.

١٦٣٩. ما قول العلماء في هذه القاعدة؟

قال مالك رحمه الله: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

١٦٤٠. هل هناك من تلازم بين فهم المعنى مع معرفة الكيفية؟

لا تلازم بين العلم بالمعنى والعلم بالكيفية؛ لأن العلم بالكيفية ممتنع؛ لأن الله سبحانه لا يُحاط به علماً، والعلم بالمعنى اللغوي ممكن لأن القرآن نزل بلغة معلومة المعاني، وهي اللغة العربية.

القاعدة الخامسة: (أن لفظ الظاهر صار فيه إجمال واشتراك)

١٦٤١. ما المقصود بهذه القاعدة؟

يقصد بها التنبيه على أن هناك استخدام للألفاظ الواردة في القرآن، من جهة الحق، وجهة الباطل.

١٦٤٢. كيف الفهم الصحيح لهذه القاعدة في إيات الصفات؟

إذا قيل: هل ظاهر النصوص مراد أو ليس مراداً؟

قيل: إن قُصد بالظاهر المعنى اللائق بالله سبحانه وتعالى، فإن ظاهر النصوص مراد.

وإن قُصد بالظاهر التشبيه، فإن هذا المعنى الرب سبحانه منزه عنه.

١٦٤٣. ما حكم جعل المعنى الباطل لله سبحانه؟

هـذا لا يجوز، فلا يسـلـم أن يُجعل هذا المعنـى الباطل هو ظاهر النصوص؛ لأنـه يلزم منه أن يكون ظاهر القرآن كفراً، وهذا مما ينزه كتاب الله سـبحانه وتعالى عنه.

القاعدة السادسة: (أن ما عُلم ثبوته في الكتاب والسنة يثبت،
وما عُلم نفيه ينفى،
ومـا لم يـرد بلفظه إثبات ولا نفي مـن الألفاظ المجملة الحادثـة فإنه يتوقف فيه)

١٦٤٤. ما توضيح هذه القاعدة؟

القاعدة تنصُ على أن المسلم لا ينفي نقصاً عن الله إلا إن كان النص القرآني صرح به.

١٦٤٥. ما مثال هذا الأمر؟

إن القـول بـأن الله منزه عن الجهل أمر صحيح وبدهي عند المسـلمين، لكن التصريـح بنفـي الجهل لـم يرد في القـرآن أو السـنة، مع أنه منفـي عن الله سـبحانه وتعالى، فنعلم أنه سبحانه لما وصف نفسه بالعلم دل على أنه منزه عن الجهل.

١٦٤٦. هل ورد استثناء لهذه القاعدة؟

نعم، فقد يأتي النص تارة بالتصريح ببعض هذه الأضداد، كقول النبي ﷺ: (إن ربكم ليس بأعور) فإن الله موصوف بالبصر، ومع ذلك قال النبي ﷺ: (إن ربكـم ليس بأعور) مـع أن من وصف بالبصر على جهـة الكمال، فإنه يعلم أنه منزه عن ذلك.

١٦٤٧. ما العمل مع صفات لم يرد فيها نص شرعي؟

اللفظ الذي لم يرد شرعا، ولكنه من الألفاظ الحادثة المجملة التي تحتمل حقاً وباطلاً؛ فإن طريقة السـلف في هذا أنهم يتوقفون في اللفظ، ويسـتفصلون

في المعنى، فإن كان صواباً قبل، وإن كان باطلاً رد، أما اللفظ فإنه يتوقف فيه من حيث الأصل.[٩٣]

١٦٤٨. ما أمثال هذه المصطلحات الجديدة على الشرع؟

مثل: الحيز، الجسم، الجهة.

١٦٤٩. متى يمكن استخدام المصطلحات الجديدة؟

يمكن استعمالها عند مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم، فهذا لا بأس به عند المناظرة؛ وذلك كلفظ الجهة والجسم ونحوها.

القاعدة السابعة: (الاشتراك في الاسم المطلق لا يستلزم التماثل في الحقيقة عند الإضافة والتخصيص)

١٦٥٠. ما توضيح هذه القاعدة؟

أن الاشتراك في الاسم المطلق ليس هو التشبيه الذي نفته النصوص في مثل قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (الشورى:١١)

١٦٥١. ما توضيح هذا بالمثال؟

- الله سبحانه وصف نفسه بالرضا، فقال: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (المائدة:١١٩) وأيضا أضاف صفة الرضا إلى المخلوقين، فقال: ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩]
- وقال تعالى عن نفسه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (النساء:٥٨) وقال عن عبده: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (الإنسان:٢)
- وقال تعالى عن نفسه: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ (الأحزاب:٤٣) وقال عن رسول الله ﷺ: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨).

٩٣- تفصيل القول في هذا الجانب في (ص: ٤٢٣)

١٦٥٢. كيف الضبط في فهم هذه القاعدة؟

حينما نعلم بأن الاشتراك في الاسم المطلق ليس هو التشبيه الذي نفته النصوص؛ لأن الاشتراك في الاسم المطلق ليس له وجود خارجي، إنما وجوده وجودٌ ذهني، والوجود الخارجي من شرطه: الإضافة والتخصيص والتعيين.

١٦٥٣. ما توضيحها مع الألفاظ المستعملة في حياتنا؟

إذا قيل: المحبة.

فهل فهمنا أي محبة هنا؟ هل هي محبة الولد لأبيه، أو الأب لابنه، أو الزوج لزوجته، أو هي محبة المؤمن لربه، أو محبة الرب لعبده المؤمن؟

إذاً: هي لفظة مجردة لا تخصيص فيها ولا إضافة ولا تعيين؛ فإذا أضفت فقلت: محبة المؤمنين لربهم.

أو قيل: محبة الله لعبده.

أو قلت: محبة زيد لعمر.

فعند الإضافة والتخصيص يكون معنى المحبة في المقامات الثلاثة مختلفاً، والماهية والحقيقة مختلفة كذلك.

١٦٥٤. كيف نستخدم هذه القاعدة في الرد على بعض الفرق؟

يقال: إن نعيم الجنة الذي وصفه الله في الكتاب، أو في ما جاء في السنة النبوية في كثير من الأسماء يشترك مع نعيم الدنيا.

١٦٥٥. ما المثال على هذا التقرير؟

في الجنة (خمر)، وفي الدنيا (خمر)، لكن خمرِ الجنة ليس كخمرِ الدنيا؛ لأن الله ذم خمر الدنيا بل سماه رجساً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (المائدة:٩٠)، وهذا مجمع عليه بين المسلمين، فبالضرورة أن خمرَ الآخرة ليس مثل خمر الدنيا مع أن الاسم واحد، وكذلك الماء، وغيره من الأسماء التي ذكرت في الدنيا وذكرت أيضا في نعيم الآخرة.

فمثلما: حصل اشتراك في الاسم المطلق بين الخمر والخمر ولم تتماثل الحقيقة، فمن باب أولى إذا أضيفت صفة إلى الله وجاء اسمها في حق العبد ألا تكون الصفة كالصفة.

١٦٥٦. كيف التبيان للأشاعرة عند نفيهم لصفات الغضب والرضا لله؟

من ينفي بعض صفات الله كالغضب والرضا ونحوه بحجة أن المخلوق يتصف بها، أو أن إثباتها يستلزم تشبيهاً، يُقال له:

ما قولكم في علم الله؟ ألم تثبتوا لله علماً يليق به مع أن للمخلوق علماً، وأثبتم لله قدرة مع أن للمخلوق قدرة، بل ثبوت صفة القدرة للمخلوق أعرف وأشهر من ثبوت صفة الغضب.

ومع ذلك قالوا: إن قدرة الباري ليس كقدرة المخلوق.

فيقال: فكذلك القول في صفتي الغضب والرضا.

١٦٥٧. إن كان النافي لها من المعتزلة - نفاة الصفاة- فكيف الرد عليهم؟

إن كان النافي من المعتزلة والجهمية الذين ينفون كل الصفات، كذلك يقال لهم:

أنتم أثبتم لله وجوداً مع أن المخلوق موجود، فحصل اشتراك في اسم الوجود.

فإما أن تكون ماهية الوجود واحدة، وهذا يُعلم امتناعه، فإن الله واجب الوجود، والمخلوق ممكن الوجود، ومعلوم بالضرورة العقلية والفطرية أن ثمة تباينًا بين وجود الخالق ووجود المخلوق مع الاشتراك في اسم الوجود.

فلذا يقال: وكذلك القول في العلم وغيره كالقول في الوجود.

فإن قلتم: إثبات العلم يستلزم أن يكون كعلم المخلوق.

قيل: لم لم يلزم ذلك في اسم أو في صفة الوجود؟

١٦٥٨. ما خلاصة التبيان في الرد؟

الأشاعرة يُرد عليهم بما يثبتونه من الصفات، والمعتزلة ومن ينفي كل

الصفات يُرد عليه بصفة الوجود التي لا يستطيع أحد أن ينفك عنها.

القاعدة الثامنة

(أن كل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق أوَلَى به)

١٦٥٩. من أين يستدل على هذه القاعدة؟

هـذا هـو معنى قوله تعالـى: ﴿ وَلِلَّـهِ الْمَثَـلُ الأَعْلَى﴾ (النحـل:٦٠) وهو من القياس بقياس الأولى في حق الله تعالى.

١٦٦٠. ما المثال الموضح لما يتعلق بهذه القاعدة؟

مثال ذلك: صفة الكلام.

نعلـم بأن الكلام صفة كمال في المخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه من حيث هو صفة، فيكون إذا الخالق أولى بالاتصاف به.

١٦٦١. ما الدليل على أن الكلام صفة كمال؟

دليل ذلك: أن الله أبطل ألوهية العجل لكونه ليس متصفاً بصفة كمال وهي الكلام: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ **لا يُكَلِّمُهُمْ**﴾ (الأعراف:١٤٨).

فـدل على أن عدم اتصافه بالكلام دليلٌ على نقصه، وأن الإله الحق يتصف بالكلام.

وكذلـك فـي قول إبراهيم عليه السـلام: ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْـمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَـيْئاً﴾ (مريم:٤٢) حيث اسـتدل إبراهيم على بطلان ألوهية الأصنام بكونها لا تسمع ولا تبصر.

١٦٦٢. ماذا نستنتج مما سبق بيانه؟

نستنتج الآتي: بما أن الكلام والسمع والبصر والإرادة والقدرة كمالات في المخلوق، فنقول أن الخالق أولى بها، ولكنها في حقه ليست كالصفات التي يتصف بها المخلوق.

١٦٦٣. لماذا التقييد بمقولة: (لا نقص فيه بوجه من الوجوه)؟

هـذا التقييد ينفعنا لأنٍ بعضٍ الصفـات هي كمال في المخلوق، لكنها كمال إضافـي وليـس كمالاً مطلقاً، أي: أنه كمال بشـري، بمعنـى: أن الصفة عند تجريدها لا يمكن أن يُقال عنها: إنها كمال! لكنها صارت كمالاً باعتبار حال بني آدم.

١٦٦٤. أي الكمالات واجب مدح الله بها؟

الكمال الذي إذا اتصف به المخلوق فالخالق أولى به هو: ما كان في المخلوق من الكمال المطلق، وليس المقصود بالكمال الإضافي، وإنما الذي هو كمال حتى في مقام التجريد، كصفة الإرادة.

فإن الإرادة صفة كمال، ولو أضيفت إلى أي شيء.

١٦٦٥. ما توضيح مصطلحات الكمال المطلق والإضافي؟

نعلم بأن الشـخص الذي يأكل ويشـرب أكمل من الشـخص الذي لا يأكل ولا يشرب، بل الذي لا يأكل ولا يشرب يكون فيه علة؛ إذاً: الأكل والشربٍ صفـة كمال! فنقول: الأكل والشـرب كمـال إضافي وليس كمـالاً مطلقاً، بمعنى أنه عند التحقيق يعتبر نقصاً.

لماذا؟ لأن طبيعة تركيب الإنسـان الجسمانية ينبني بقاؤها على مسألة الأكل فلو لم يأكل ويشرب لانتهى، وهذا نقص في بني آدم.

فالمقصود: أن (الأكل والشـرب) وإن قيل: إنهما كمال في الإنسـان إلا أنه كمال إضافي، أي: أن حقيقتها نقص من حيث التكوين الخلقي الأساسـي، وفـرق بـين الكمال الذي هـو كمال حتى في حـال تجريـده وإطلاقه، وبين الكمال الإضافي.[٩٤]

٩٤- يقـول ابـن تيميـة عـن الملائكـة: «كانـت الملائكة صُمْـد .وفي قولـه تعالـى: ﴿اللَّـهُ الصَّمَدُ﴾ (الإخلاص:٢) في أشهر التفسيرين عند السلف أن الصمد: السيد، ولكن جاء في رواية عن ابن عباس صححها شـيخ الإسـلام ونصرها وصوبها وقال: إنها لا تعارض الرواية الأخرى عـن ابن عباس والقول الآخر عند السـلف أن الصمد: هو الـذي لا جوف له . وقال: إن هذا كمال يتصف الله به؛ لأن التجويف نقص .

القاعدة التاسعة: (أن ثبوت أحد الوصفين المتقابلين يستلزم العلم بنفي الآخر، وأن نفي أحد المتقابلين يستلزم العلم بثبوت الآخر).

١٦٦٦. ما مثال هذه القاعدة؟

مثالها: أن العلم باتصاف الله سبحانه وتعالى بالعلم يستلزم انتفاء الجهل، والمنفي هنا ليس هو محل خلاف بين المسلمين.

فإذا أردت أن تبطل مذهب المخالف تستعمل طريقة العكس، فتقول: أن العلم بانتفاء أحد الوصفين المتقابلين يستلزم العلم ضرورة بثبوت الآخر.

١٦٦٧. كيف نستعملها في الرد على من ينكر الصفات؟

يمكن أن نرد بها على المعتزلة، فنقول لهم: لما اتفقنا أن الله منزه عن الجهل لزم أن يكون موصوفاً بالعلم.

ولما اتفقنا أن الله منزه عن العجز لزم أن يكون موصوفاً بصفة القدرة.

١٦٦٨. ما أساس هذه القاعدة؟

هذه القاعدة قاعدة اطرادية وهي مبنية على قبضة قوانين العقل، وهو قانون: عدم الجمع بين النقيضين.

وهو المذكور في مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور:٣٥) فإن القول بخلقهم لأنفسهم: ممتنع، وخلقهم من غير شيء كذلك ممتنع، إذاً: لزم بالضرورة العقلية أن يكون الله هو الذي خلقهم.[٩٥]

ولهذا ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة لما خلق الله آدم تركه في الجنة ما شاء أن يتركه، فجعل إبليس يطوف به -أي: يدور حوله- فرآه أجوف -أي: مجوْف الداخل، بمعنى أنه يحتاج لقانون الأكل والشرب والشهوة..الخ- قال: فلما رآه أجوف؛ عرف أنه خلق خلقاً لا يتمالك؛ ولهذا يأتي الشيطان الإنسان من هذه البوابة كثيراً.

٩٥- اهتم بقاعدة التقابل هذه شيخ الإسلام كثيراً، فقد أشار إليها في الرسالة التدمرية في القاعدة السابعة، وشرحها في كتبه شرحاً مطولاً، وهي محك الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة.

القاعدة العاشرة: (أن القول بنفي الصفات، أو ما هو منها في كثير من الموارد هو فرع عن تقرير مسألة الكيفية)

١٦٦٩. كيف فهم السلف هذه القاعدة؟

السلف يفرقون بين العلم بالصفة من حيث معناها، وبين العلم بها من حيث كيفيتها.

١٦٧٠. كيف فهم المخالفون لمنهج السلف شأن إثبات الصفات؟

المخالفون لهم يزعمون أن إثبات الصفة يستلزم التشبيه.

فيُقال: هذا مبني على أن العلم بالصفة يستلزم العلم بكيفيتها، أما من فرّق بين المقامين والتزم أن العلم بالمعنى لا يستلزم العلم بالكيفية لم يرِد عليه هذا الإشكال،

وهذا معنى قول العلماء: (أن كل معطل ممثل، وكل ممثل معطل).

١٦٧١. من أين أتى سوء الخلاف في هذا الجانب؟

سوء الخلاف جاء عند من ظن أن هناك تلازمًا بين العلم بالمعنى والعلم بالكيفية،

حيث توهم أنه إن أثبت المعنى لزم أن يثبت العلم بالكيفية، ثم سعى للبحث في الكيفية.

ثم نجده لا يعرف إلا كيفيةً يختص بها المخلوق، فينفي الكيفية وينفي تبعاً لها المعنى الذي ظنه ملازماً لهذه الكيفية.

المبحث الرابع:

طرق إثبات معاني الصفات أو الكيفيات

١٦٧٢. ما منهج أهل السنة عند نظرهم في الصفات الإلهية؟

نصوص الصفات لهم فيها نظران:

= نظر من ناحية معانيها. = ونظر من ناحية كيفياتها.

أولاً: النظر في معاني الصفات

١٦٧٣. ما الضابط عندهم في جهة المعنى؟

أما باعتبار معانيها: فإنهم يقرّون بالعلم في معانيها وعدم جهلها.

١٦٧٤. لماذا أهل السنة يعتقدون وجود معاني للصفات؟

لأنهم يعلمون معاني نصوص الصفات.

١٦٧٥. من أين جاءهم هذا العلم في معاني الصفات؟

مما لا شك فيه أن نصوص القرإن نزلت باللسان العربي المبين كما جاء ذلك في آيات كثيرة، فيقررون بوجوب حمل معاني هذه الألفاظ على المتقرر في اللغة العربية، ولأن الله تعالى أمرنا بتدبر كتابه وغالبه آيات الصفات،

ولهذا لا يتصور أن يأمر ربنا بتدبر ما لا يفقه معناه! فلما أمر بتدبر ذلك تم العلم جزمًا أنه مما يمكن تدبره وتفهمه وتعقله.

١٦٧٦. ماذا يترتب على التقرير السابق؟

هذا يقضي علينا أن نحمل معاني نصوص الصفات على ما تقرر من المعاني في لساننا العربي.

١٦٧٧. هل حرص سلفنا على تأصيل هذا الفهم؟

نعم، ولذلك قال أبو عبدالرحمن السلمي: (حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن؛ عبدالله بن مسعود، وعثمان بن عفان أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي

ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها، حتى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل، قال: (فتعلّمنا العلم والعمل جميعًا).

١٦٧٨. هل تفسير القرآن ممكن معرفته؟

نعم، قال ابن عباس: (تفسير القرآن على أربعة وجوه:

- تفسير تعرفه العرب من كلامها،
- وتفسير لا يعذر أحد بجهالته،
- وتفسير يعلمه العلماء،
- وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل، فمن ادعى علمه فهو كاذب) ا.هـ.

وقال مجاهد: (عرضتُ المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما من فاتحته إلى خاتمته أقفه عند كل آية وأسأله عنها).

١٦٧٩. ما أمثلة فهم ما ورد في الصفات مع قواعد اللغة العربية؟

السلف يعلمون معاني الصفات، فيقولون مثلاً:

- الوجه معناه ما تحصل به المواجهة.
- والسمع إدراك المسموعات.
- والبصر رؤية الأشياء.
- والنزول الانحطاط والتدلي من أعلى إلى أسفل.
- والاستواء المعدى بـ(على) معناه العلو والاستقرار.

فهذا كله من ناحية المعنى اللغوي لا إشكال فيه، بل معناه في غاية الوضوح والبيان.

١٦٨٠. ما الضابط عندهم في جهة الكيفية؟

أما باعتبار كيفياتها: فهي التي لا نعلمها، ولا سبيل لنا إلى علمها، وذلك لانعدام طرق العلم بالكيفية.

١٦٨١. ما سبل معرفة الكيفية للموجودات؟

كيفية معرفة الشيء لا تُعلم إلا بأحد الأمور التالية:

- برؤية الشيء.
- أو برؤية مماثل له.
- أو بإخبار الصادق عن هذه الكيفية.

١٦٨٢. هل السبل السابقة لمعرفة الكيفيات ممكنة في حق صفات الله سبحانه؟

لا، إذ كلها منعدمة في حق كيفية صفات الله تعالى، فإننا لم نره سبحانه، ولن نراه في هذه الدنيا، وهو سبحانه ليس له نظير أو مثيل حتى يُستدل به عليه، ولم يخبرنا ﷺ عن كيفية شيء من صفاته، وإنما أخبرنا بالصفة فقط، ولم يخبرنا عن كيفيتها.

١٦٨٣. مع انعدام السبل لمعرفة الكيفية لصفات الله، فما الواجب فعله؟

الواجب هو الوقوف حيث وقف النص، لا نتعدى القرآن والحديث في الفهم والتقرير.

١٦٨٤. ما القاعدة التي وضعها العلماء لفهم ما سبق بيانه في الكيفيات؟

قال العلماء: (أهل السنة والجماعة يعلمون معاني الصفات، ويجهلون كيفياتها).

١٦٨٥. ما القول الصحيح عند الحديث حول صفات الله تعالى؟

أن يقول المسلم مثلاً: أنا أعلم معنى **الوجه** وأجهل كيفيته، وأعلم معنى **الاستواء** ولكن أجهل كيفيته، وأعلم معنى **اليد** وأجهل كيفيتها، وأعلم معنى **النزول** وأجهل كيفيته، وأعلم معنى **القدم والرجل والساق** وأجهل كيفيتها.

١٦٨٦. ما منهج أهل السنة والجماعة في الصفات التي هي كمال باعتبار ونقص باعتبار؟

مذهبهم في ذلك هو إثبات هذه الصفات لله تعالى في حال كونها كمالاً، ونفيها عنه جل وعلا في حال كونها نقصًا.

١٦٨٧. ما الأمثلة على ما سبق تقريره؟

من تلك الأمثلة صفات: المكر، الكيد، الاستهزاء، السخرية، المخادعة.

١٦٨٨. لماذا هذا التشدّد في هذا الجانب؟

ذلك لأنه يعتري أي صفة عمومًا نقصٌ وكمال، فلا تثبت لله الإثبات المطلق لأنها ليست من قبيل الكمال المطلق، ولا تنفى عن الله النفي المطلق لأنها ليست من قبيل النقص المطلق، ولكن تُثبت لله تعالى في حال دون حال، والحال التي نثبتها لله تعالى هي حال كمالها، والحال التي ننفيها عن الله تعالى هي حال نقصها.

١٦٨٩. على أي وجهٍ يثبت أهل السنة الصفات، وعلى أي وجه ينفون؟

يثبتون لله الصفات على وجه التفصيل، وينفون عنه صفات النقص على وجه الإجمال.

١٦٩٠. هل تجوز الإشارة الحسية عند ذكر شيء من صفات الله تعالى؟

لا يخلو الأمر من حالتين:

الأولى: إن أريد بهذه الإشارة عين المماثلة فهي حرام.

لأن المتقرر عند أهل السنة أننا لا نعلم كيفية صفات الله تعالى، وأن الله ليس كمثله شيء ولم يكن له كفواً أحد، وليس له سمي ولا ند ولا نظير، فإذا كان مقصود صاحب هذه الإشارة أن هذا هو عين كيفية صفة الله تعالى فهو حرام، ولا شك في ذلك.

الثانية: أما إن كان يقصد بذلك إرادة تحقيق إثبات الصفة لله تعالى، فهذا لا بأس به، لكن من الأحسن تركه سداً لذريعة انقداح المماثلة وخصوصاً عند العوام الذين يخشى عليهم من ذلك.

١٦٩١. ما الدليل على جواز الإشارة؟

الدليل على جوازه:

ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت رسول الله ﷺ يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ

اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ (النساء:٥٨) ويضع إصبعه، قال يونس: ووضع أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه[٩٦]، قال البيهقي رحمه الله تعالى: «وأراد بهذه الإشارة تحقيق إثبات السمع والبصر لله تعالى لبيان محلهما من الإنسان).

٩٦ - أبو داود من حديث

المبحث الخامس

أهمية الاستفصال لفهم الصفات

١٦٩٢. ما المراد من هذا العنوان؟

يُراد به أن هناك من الصفات تحتاج إلى مزيد من الاستفسار والتوضيح ليتحقق الفهم لها بشكل صحيح.

١٦٩٣. أي الصفات تحتاج إلى مزيد من النظر والتوضيح؟

هذه الصفات على نوعين:

الأولى: التي لم يتم ورودها في القرآن أو السنة النبوية.

الثانية: المحتملة لحق وباطل.

المطلب الأول: صفات غير واردة في الشرع

١٦٩٤. ما القول مع الصفات التي لم يرد فيها دليل بخصوصها؟

حذرًا من انسياق العوام وراء هذه الألفاظ المحدثة فقد حرص العلماء أن يبرزوا مذهبهم فيها، فقالوا: (ما لم يرد في الكتاب ولا في السنة نفيه ولا إثباته من الصفات، فلنا فيه نظران:

- نظر من ناحية لفظه.
- ونظر من ناحية معناه.

١٦٩٥. ما الضابط في جهة اللفظ؟

ضابطه أنهم يتوقفون فيه، فلا يثبتونه ولا ينفونه، ولا يتكلمون به أبدًا في إثبات ولا نفي، لأنه لم يرَد في القرآن ولا في السنة، ولا على لسان السلف.

١٦٩٦. ما الضابط في جهة المعنى؟

ضابطه الاستفصال عن مراد المتكلم، لأن هذه الألفاظ مجملة تحتمل الحق والباطل، لهذا لا يقبلون معناها مطلقًا، خشية أن يؤدي ذلك إلى قبول ما فيها

من الباطل، ولا يردّون معانيها مطلقًا فيؤدي ذلك إلى ردّ ما فيها من الحق.

١٦٩٧. **ما الأمثلة على ما سبق بيانه؟**

من الصفات التي تحتاج لتفصيل حولها: الجهة، المكان، الحيز، والجسم.

المثال الأول: الجهة.

١٦٩٨. **ما المراد من هذا العنوان؟**

المراد به هو: ما مشروعية قولنا: أن الله سبحانه في جهة أو لا؟

١٦٩٩. **هل وردت هذه الكلمة في الشرع؟**

هذا اللفظ بعينه لم يرد ذكره في القرآن ولا في السنة، ولا في كلام السلف.

١٧٠٠. **ما توضيح القول فيه؟**

لنا فيه نظران: من جهة اللفظ، ومن جهة المعنى.

١٧٠١. **ما القول مع هذه الكلمة من جهة اللفظ واستخدامها في كلامنا؟**

أما لفظه: فلا نتكلم به، بل نتوقف، فلا نثبته ولا ننفيه.

١٧٠٢. **ما القول مع هذه الكلمة من جهة المعنى، لو تكلم بها إنسان؟**

عندما يستخدمها إنسان، فالواجب سؤاله عن المعنى، فنستفصل فيه ونقول: هل تريد بالجهة جهة محددة؟! فإن كنت تريد هذا فهو مردود عليك؛ لأن الله تعالى لا يحيط به شيء.

أم تريد جهة علو غير محيطة به جل وعلا؟ فإن كنت تريد هذا المعنى الأخير فهو حق وصدق، وقد توافرت الدلائل المتواترة لفظًا ومعنى على إثباته[٩٧]، لكن هذا المعنى الأخير لا نسميه جهة، وإنما نقول: الله في العلو المطلق.

المثال الثاني: المكان.

١٧٠٣. **ما المراد بهذا العنوان؟**

٩٧- كما سيأتي - إن شاء الله تعالى في (ص:)

المراد به بيان مشروعية قول: هل الله سبحانه في مكان، أو لا؟

١٧٠٤. هل وردت هذه الكلمة في الشرع؟

هذا اللفظ لم يرد ذكره بعينه لا في القرآن ولا في السنة ولا في كلام الصحابة والتابعين.

١٧٠٥. ما قولنا مع هذه الكلمة من جهة اللفظ؟

من ناحيةاللفظ فلا نتكلم به، ولا نستخدمه في كلامنا، بل نتوقف فيه فلا نثبته ولا ننفيه، أي لا نقول: الله في مكان، ولا نقول: الله ليس في مكان.

١٧٠٦. ما قولنا مع هذه الكلمة من جهة المعنى، لو سمعناها من إنسان؟

أما من جهة معرفة المعنى، ومع من يستخدمها، فواجب أن نستفصل عنها من المتكلم، ونقول:

١/ هل تقصد بالمكان مكان سُفل؟ فإن كنت تقصد هذا فهو ممتنع على الله تعالى؛ لأن السفل نقص، والله منزه عن النقص.

٢/ أم تقصد مكان علو محيط بالله جل وعلا؟ فإن كنت تقصد هذا فهو أيضًا باطل وممتنع عليه جل وعلا ؛ لأنه لا يحيط به شيء عز وجل.

٣/ أم تريد مكان علو لائق به جلّ وعلا غير محيط به؟ فإن كنت تريد هذا فهو حق وصدق.

١٧٠٧. ما حكم استعمال هذا اللفظ في كلامنا عن الله؟

لا يجوز أن نستعمل عليه سبحانه اسم المكان، وإنما نقول: الرحمن على العرش استوى.

ونقول بقول أهل السنة: الله فوق سماواته، مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته.

المثال الثالث: الحيّز.

١٧٠٨. ما المراد من هذا العنوان؟

يُراد به بيان مشروعية الوصف لله أنه في حيز، أو لا؟

١٧٠٩. هل وردت هذه الكلمة في الشرع؟

هـذا لفـظ تكلم به المبتدعة وامتحنوا عباد الله به، وحرّفوا نصوص الكتاب والسنة من أجله، لهذا قال أهل السنة: إن هذا اللفظ لفظ محدث لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام الصحابة والسلف الصالح.

١٧١٠. ما قولنا مع هذه الكلمة من جهة اللفظ، واستخدام هذا اللفظ في كلامنا؟

أما لفظه فلا نتكلم فيه، بل نتوقف فيه فلا نثبته ولا ننفيه، فلا نقول: الله في حيز، ولا نقول الله ليس في حيز.

١٧١١. ما قولنا مع هذه الكلمة من جهة المعنى لو استخدمها إنسان؟

أما من جهة معناها، فنستفصل عنها، ونقول للمتكلم:

١/ هل المراد بالحيّز هو الذي يحوز الأشـياء، أو تحوزه الأشـياء، أي يدخل فيها وتدخل فيه؟

فـإن كان المراد هـذا فهو معنى باطـل كل البطلان، وهـو مذهب أهل الحلول.

٢/ أم تريـد بالحيـز أي المنحاز وهـو المنفصل البائـن، أي أن الله منحاز عن المخلوقـات، بمعنـى أنـه منفصل عنها بائـن منها، ليس فيها شـيء من ذاته، وليس فيه شيء منها؟

فـإن كان هـذا المعنىهـو المـراد فهو حـقٌ وصـدقٌ لا ريب فيـه، وهو الواجب اعتقاده.

١٧١٢. هل مشروع إستخدام هذا الوصف في حديثنا عن الله تعالى؟

غير مشـروع، لأنه لفظ مجمل، وإنما نقول: الله فوق سـماواته مسـتوٍ على عرشه، بائن من خلقه، ليس فيه شيء منهم وليس فيهم شيء منه.

المثال الرابع: الجسم

١٧١٣. ما المراد من هذا العنوان؟

المراد هو مشروعية اطلاق هذا اللفظ في حق الله تعالى.

١٧١٤. **ما قولنا مع هذه الكلمة من جهة اللفظ؟**

نحـذر كل الحذر من أن نقول: الله جسـم، أو نقول: الله ليس بجسـم! فلا نثبت اللفظ ولا ننفيه.

١٧١٥. **ما سبب هذا التحذير؟**

لأنـه لفـظ لم يـرد إثباتـه ولا نفيه فـي القرآن ولا فـي السـنة، ولا في كلام الصحابة وتابعيهم وأئمة السلف، فالواجب عدم الكلام فيه أو استخدامه.

١٧١٦. **ما قولنا مع هذه الكلمة من جهة المعنى، ومع من يستخدمها في حديثه؟**

أما معناه فنستفصل فيه، ونقول للقائل:

١/ هل تريد بالجسـم ما هو معهود في حقنا، من كونه أجزاءً وأقسـام يفتقر بعضها إلى بعض؟

فـإن كنـت تريد هـذا، فإن هذا نقـص، والله منزّه عـن النقص، وهذا معنى باطل كل البطلان، لأنه مفض إلى تمثيل الله بخلقه، ومفضٍ إلى تعطيله عما يجب له من الكمال.

٢/ أم تريد بالجسـم، الـذات الكاملة من كل وجـه، المتصفة بصفات الجلال والكمال والجمال على ما يليق به جل وعلا؟

فإن كنت تريد ذلك، فهذا معنى حق لا شك فيه ولا ريب، بل هذا من مقتضيات الإيمان بالله تعالى.

١٧١٧. **ما مشروعية استخدام مصطلح (الجسم) في حقّ الله تعالى؟**

لا يجوز أن نستخدم لفظ (الجسم)، وإنما نقول: لله ذاتٌ وصفات.

المطلب الثاني: صفات فيها معنى صحيح، وآخر وباطل

١٧١٨. **ما المقصود من هذا العنوان؟**

يُقصـد بهـذا العنوان توضيح الإشـكال في بعض الأسـماء والصفات التي

فيها نقص من وجه، وكمال من وجه آخر.

١٧١٩. **ما الأمثلة لهذا الأمر؟**

من أمثلة هذا صفات: المكر، الكيد، الإستهزاء، العجب، وغيرهم.

أولا: صفة المكر

١٧٢٠. **هل هي صفة كمال أو نقص؟**

هي ليست من الكمال المطلق، ولا من النقص المطلق، بل من الأسماء التي هي كمال باعتبار، ونقص باعتبار.

١٧٢١. **ما توضيح التقرير السابق؟**

هي كمال أو نقص وفق ما تكون فيه شرعًا.

١٧٢٢. **هل يمكن وصف الله أنه (ماكر)؟**

لا يجوز هذا، فهي صفة مقيدة بسبب.

١٧٢٣. **ما تبيان القول السابق؟**

هي نقص باعتبار الابتداء، أي المكر ابتداءً بمن لا يستحق أن يمكر به فهذا نقص؛ لأنه ظلم فينزّه الله تعالى عن المكر بهذا الاعتبار لأنه تعالى لا يظلم أحدا.

١٧٢٤. **كيف تكون صفة المكر في حق الله تعالى؟**

حينما يكون المكر من باب الجزاء والمقابلة، أي المكر بمن يمكر فهذا كمال؛ لأنه دليل على كمال القدرة والعلم والحكمة، فيوصف الله به حينئذ، أي أن الله تعالى يوصف بالمكر الذي من باب الجزاء والمقابلة، لا بالمكر ابتداءً.

١٧٢٥. **هل هذا المعنى مذكور في القرآن الكريم؟**

نعم، كقوله تعالى: ﴿ ومكروا ومكر الله ﴾، وقال تعالى: ﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾. ونلاحظ هنا أن الصفة في القرآن جاءت مضافة إلى الله تعالى في حال الجزاء والمقابلة، وليس الابتداء.

ثانيا: الكيد.

١٧٢٦. هل هذه الصفة وردت في حق الله تعالى؟

نعم، قال تعالى: ﴿إنهم يكيدون كيدًا وأكيد كيدًا ﴾.

١٧٢٧. هل هي صفة كمال أو نقص؟

هي ليست من صفات الكمال المطلق، ولا من الصفات التي هي نقص مطلق، بل من الصفات التي هي كمال باعتبار ونقص باعتبار، فنثبتها لله حال كمالها، وتُنفى عن الله حال نقصها.

١٧٢٨. كيف الإثبات لهذه الصفة في حق الله تعالى؟

الكيد ابتداءً بلا مقتضى ظلمٌ، والله منزهٌ عن الظلم، فلا يُوصف الله به، وأما الكيد من باب جزاء المقابلة فإنه كمالٌ؛ لأنه دليل على كمال القدرة والعلم والحكمة، فيوصف الله تعالى به حينئذٍ لأنه كمال.

١٧٢٩. ما توضيح التقرير السابق؟

يمكن القول: الكيد ابتداءً نقص لا يوصف الله به، والكيد جزاءً ومقابلة كمال فيوصف الله به، ولذلك لا نجدها في القرآن مضافة إلى الله تعالى إلا في باب المقابلة، كما قال تعالى: ﴿إنهم يكيدون كيدًا وأكيد كيدًا ﴾.

١٧٣٠. وفق ما سبق بيانه، ما حكم وصف الله بأنه (كائد)؟

هذا لا يجوز.

ثالثا: الاستهزاء

١٧٣١. هل هذه الصفة يجوز إطلاقها على الله سبحانه؟

هذه الصفة ليست من قبيل الكمال المطلق، ولا من قبيل النقص المطلق، ولكنها كمال باعتبار، ونقص باعتبار.

١٧٣٢. كيف الإثبات لهذه الصفة في حق الله تعالى؟

الاستهزاء ابتداءً بلا موجب ولا سبب يُعدّ نقصا؛ لأنه اعتداء وظلم، فلا يُوصف الله به حينئذٍ.

وأما الاستهزاء بمن استهزأ بالله، أو رسله، أو كتبه، أو عباده المؤمنين، فإنه كمال؛ لأنه دليل على كمال القدرة والقوة والعلم والحكمة، فيُوصف الله به.

١٧٣٣. **كيف نجد استخدام هذا الاستعمال لهذه الصفة في القرآن؟**

لا نجدها في القرآن إلا مضافة إلى الله تعالى من باب الجزاء والمقابلة، كما في قوله جل ذكره: ﴿إنما نحن مستهزئون. الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾.

١٧٣٤. **وفق ما سبق بيانه، ما حكم وصف الله بأنه (مستهزىء)؟**

هذا لا يجوز.

رابعا: السخرية.

١٧٣٥. **كيف الإثبات لهذه الصفة في حق الله تعالى؟**

هذه الصفة لا يُوصف الله بها ابتداءً، وإنما يُوصف بها من باب الجزاء والمقابلة، كما قال تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾.

١٧٣٦. **ما مشروعية وصف الله أنه ساخرٌ من غيره، على سبيل الدوام؟**

لا يجوز هذا، فهي صفة لا تُقال في حقه سبحانه إلا في مقابل أمر آخر.

خامسا: المخادعة.

١٧٣٧. **هل القول عن هذه الصفة يختلف عن سابقتها؟**

لا يختلف، فهذه الصفة لا يُوصف الله بها ابتداءً، وإنما يوصف بها من باب الجزاء والمقابلة، كما في قوله تعالى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾.

سادسا: النسيان

١٧٣٨. هل يوصف الله تعالى بالنسيان؟

صفة النسيان من الصفات التي هي كمال باعتبار ونقص باعتبار، وقد تقدم أن منهج أهل السنة في ذلك أنهم يثبتونها لله حال كمالها، وينفونها عن الله حال نقصها.

١٧٣٩. ما بيان ما سبق تقريره؟

بيان ذلك أن يقال: إن النسيان له في لغة العرب له معنيان:

الأول: النسيان بمعنى الغفلة والذهول عن الشيء، فهذا نقصٌ لا يُوصف الله تعالى به، وهو النسيان المنفي في قوله تعالى: ﴿ وما كان ربك نسيًا﴾، وفي قوله تعالى: ﴿ لا يضل ربي ولا ينسى ﴾، ومثاله أن يضع الإنسان متاعه في مكان فيغفل عنه، بل قد يكون قلمه في يده م نراه يبحث عنه، فهذا نقصٌ والله منزه عن النقص.

الثاني: النسيان بمعنى الترك عن علم وقصد جزاءً ومقابلة للمتروك، فهذا الترك يُقال له في لغة العربً نسيانٌ، لكنه كمال فيُوصف الله به، ولذلك لا تجده في القرآن مضافًا إلى الله إلا في موضع الجزاء والمقابلة، كما في قوله تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فذوقوا العذاب بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم ﴾، فالنسيان بمعنى الترك عن علم وعمد جزاءً ومقابلة، ومنه أيضًا قوله في الحديث: (فإني أنساك اليوم كما نسيتني).

سابعا: العُجب

١٧٤٠. هل يمكن أن يوصف الله بالعُجب؟

نعم، فقد وردت في نصوص صحيحة.

١٧٤١. هل يمكن وصف الله على صفة الإطلاق بالعجب؟

لا، فهذه الصفة من الصفات التي هي كمال باعتبار ونقص باعتبار، وقد

عرفنا أن منهج أهل السنة في مثل هذه الصفات أنهم يثبتونها لله حال كمالها، وينفونها عنه جل وعلا حال نقصها.

١٧٤٢. ما توضيح القول في صفة العُجب المنهي عنه في حق الله؟

هناك عُجبٌ يكون سببه خفاء الأسباب، وهو الذي يقول فيه الناس: إذا (عُرف السبب بطل العجب)، فالموجب للتعجب هو خفاء السبب، ومتى ما بان السبب وعُلم زال ذلك العجب من أساسه.

١٧٤٣. ما مثاله في حياة الناس؟

مثاله: فقير لا يملك شيئًا، ثم رأينا معه سيارة فارهة غالية الثمن، فنحن نتعجب لذلك، وسبب عجبنا هو خفاء السبب، لكن لو علمنا بعد ذلك أن أحدًا تصدق بها عليه، أو أنه سرقها، أو أنه اشتراها بأقساط يسيرة يستطيع سدادها، فإننا بذلك يزول عجبنا لأننا علمنا السبب.

١٧٤٤. ما حكم العُجب في المثال السابق؟

العُجب بهذا الاعتبار نقص، يجوز تحققه في النسان.

١٧٤٥. ما حكم الاعتقاد به في حق الله تعالى وفق المثال السابق؟

لا يجوز وصف الله تعالى به؛ لأن مبناه على خفاء السبب، والله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ومن صفاته العلم الكامل الشامل لكل شيء، فسبحان الله عن أن يوصف بالعُجب بهذا الاعتبار.

١٧٤٦. ما الوجه الصحيح لصفة العجب، والتي يجوز وصف الله بها؟

أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره، أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب، وهذا هو الثابت لله تعالى.

١٧٤٧. ما توضيح البيان السابق؟

أي أن يكون هناك نظائر لها حكم واحد، فيخرج منها فرد من أفرادها عن حكم نظائره، فيتعجب من هذا الخروج، مع أن سبب الخروج معلوم ليس بخافٍ، ولكن التعجب من عين هذا الخروج.

١٧٤٨. ما مثال هذا العجب الممدوح؟

من أمثلة هذا

- قوله تعالى: ﴿بل عجبتُ ويسخرون﴾ بضم التاء في قراءة سبعية متواترة.
- وقوله ﷺ: (لقد عجب ربكما بصنيعكما بضيفكما البارحة).
- وقوله ﷺ: (عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه، ينظر إليكم أزلين قنطين، فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب).
- وفي الحديث: (يعجب ربك إلى الشاب ليست له صبوة). رواه أحمد

١٧٤٩. ما قول أهل البدع عن صفة العجب لله؟

فسره أهل التعطيل: بالمجازاة.

المبحث السادس

ما يتعلق بأسماء الله الحسنى

١٧٥٠. ما المقصود بهذا؟

الترادف: هو التشابه، أي أن الأسماء متشابه في دلالتها على شيء واحد، وإن تنوعت الأسماء.

التباين: هو الاختلاف، أي أنها مختلفة في معنى كل اسم، وإن اشتركت في الدلالة على ذات واحدة.

١٧٥١. هل أسماء الله تعالى مترادفة أم متباينة؟

هذا سؤال مجمل يحتاج إلى تفصيل، والقاعدة عند أهل السنة تنص على أن: أسماء الله تعالى مترادفة من حيث الذات، ومتباينة من حيث الصفات.

١٧٥٢. ما بيان القاعدة السابقة؟

بيان ذلك أن يقال: إن التباين يكون بالنظر إلى أن كل اسم من أسمائه جل وعلا يدلّ على صفة كمال ليست هي الصفة التي يدل عليها الاسم الآخر.

١٧٥٣. ما توضيح هذا بالأمثلة؟

- القدير السميع: يدلّ على القدرة، والسميع يدل على السمع.

فالقدير والسميع متباينان من حيث النظر إلى ما تضمناه من الصفات، لكنهما اسم لذاتٍ واحدة، وهي ذات الباري جل وعلا.

- العلي العزيز: يدلّ على صفة العزة، والعليُّ يدل على صفة العلو، والعزة ليست هي العلو.

فالعزيز والعلي من حيث النظر إلى صفاتهما متباينان، ولكنهما اسم لذات الباري جل وعلا، وهي واحدة ولا تتعدد.

- القوي العليم: يدلّ على صفة القوة، وأن القوة ليست هي العلم، فهما من هذا الاعتبار متباينان، أي مختلفان، لكنهما متشابهة في دلالتها على اسمٌ لذات واحدة.

١٧٥٤. ما القول في أسماء الله في عمومها، وكذلك صفاته سبحانه؟؟

أسماء الله تعالى إذا نظرنا إلى أنها جميعها تدلُ على ذاتٍ واحدة وهي ذات الباري جل وعلا، فنقول: مترادفة.

وإذا نظرت إلى ما تضمنته من الصفات، فتكون متباينة (مختلفة).

١٧٥٥. ما خلاصة التقريرات السابقة؟

خلاصة ما سبق أننا لا نقول: أنها متباينة مطلقاً، ولا مترادفة مطلقاً، بل نقول: مترادفة من حيث الذات، ومتباينة من حيث الصفات.

١٧٥٦. لو أمكن ضرب بعض الأمثلة لفهم هذه الأحكام؟

نضرب ثلاثة أمثلة ليتضح الأمر أكثر، ومنها:

الأول: أسماء القرآن، فإن من أسمائه الذكر والكتاب والهدى والشفاء، فهذه الأسماء مترادفة من حيث أنها تدل على شيء واحد؛ وهي ذات القرآن، لكن كل منها يدل على صفة لا يدل عليها الاسم الآخر، فهي باعتبار صفاتها متباينة (مختلفة).

الثاني: أسماء النبي ﷺ، فإنه محمد، وأحمد، والعاقب، والحاشر، ونبي الملحمة، ونبي الرحمة، والمقفي ﷺ، فهذه الأسماء مترادفة، أي متفقة من حيث إنها تدلّ على ذات واحدة، وهي ذات النبي ﷺ، لكن كل أسم منها يدل على صفة ومعنى لا يدل عليها الاسم الآخر، فهي من هذا الاعتبار متباينة (مختلفة).

الثالث: أسماء اليوم الآخر، فإن من أسمائه يوم القيامة، والصاخة، والطامة، والقارعة، ويوم التغابن، والواقعة وغير ذلك، فهذه الأسماء باعتبار دلالتها على يوم واحد فهي مترادفة، ولكن كل اسم منها يحمل صفة ومعنى لا يحملها الاسم الآخر، فهي بهذا الاعتبار متباينة.

المطلب الأول: عدد أسماء الله سبحانه

١٧٥٧. هل أسماء الله تعالى محصورة بعدد معين أم لا ؟

القاعدة عند أهل السنة والجماعة أن أسماء الله تعالى لا تحصر بعدد معين.

١٧٥٨. ما الدليل على ذلك؟

الدليل على ذلك حديث أبن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديث الكرب، وفيه: (أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك...الحديث) رواه أحمد وابن حبان.

فهذا الحديث دليلٌ على أن لله أسماء قد استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها أحد، فقوله: (استأثرت به) أي انفردت بعلمه، وما استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يمكن لأحد حصره ولا الإحاطة به.

١٧٥٩. كيف نوفق بين القول السابق مع قول النبي ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحد، من أحصاها دخل الجنة) أليس هذا دليل على الحصر؟

بيان ذلك بتقديم مثالين، وهما:

الأول: لو قال إنسان: إن عندي مائة بيت شعر، من حفظها أعطيته ألف دينار. فهل نفهم من هذا التركيب اللّغوي أنه ليس هناك إلا مائة بيت فقط؟ بالطبع لا، ولكن تم حصر المكافأة فيمن حفظ هذا المقدار.

الثاني: لو قال أحدهم: إن عندي مائة دينار أعددتها للصدقة! فهل نفهم من هذا التركيب أنه لا يوجد عنده إلا هذه الدنانير فقط؟ بالطبع لا، وإنما هذه الدنانير هي المعدّة للصدقة فقط.

١٧٦٠. ماذا نفهم من قول النبي ﷺ عن الحصر في(تسع وتسعين) اسما؟

يمكن الفهم بأن الله تعالى رتّب دخول الجنة على من أحصى من أسمائه هذا المقدار، فكأنه سبحانه يقول: إن من أحصى من أسمائي تسعة وتسعين اسماً فله الجنة. أي أن هذا العدد من شأنه أن من أحصاه دخل الجنة وهذا واضح، ويُقال أيضاً: سلمنا أنه يُفهم منه الحصر، فإن الحديث الثاني: (أو استأثرت به في علم الغيب عندك) أفادنا أن ما فهمناه من الحصر ليس مقصوداً، وفهمنا تابع للأدلة، لا أن الأدلة موقوفة على فهمنا، فما وافقه منها قبلناه وما خالفه رددناه، وقد انعقدت القلوب على أنه لا تعارض بين نصين صحيحين مطلقاً.

١٧٦١. هناك أحاديث فيها تعداد لأسماء الله تعالى، ما صحة الذي فيها؟

ما ورد مرفوعاً من تعداد هذه الأسماء لا يصح، فقد قال ابن تيمية: «إن تعينها ليس من كلام النبي ﷺ باتفاق أهل المعرفة بالحديث، وقد تتبعها بعض أهل العلم، والمرجع في ذلك القرآن وما صح من السنة».

١٧٦٢. ما معنى كلمة (أحصاها) الواردة في الحديث النبوي؟

قوله (من أحصاها) المراد بذلك حفظها لفظاً والإيمان بها وبما تضمنته من الصفات، وتمامه أن يُتعبد لله بمقتضاها.

المطلب الثاني: ما يتعلق باسم (القديم)

١٧٦٣. هل من أسمائه جل وعلا (القديم)؟

لا، ليس من أسمائه سبحانه القديم.

١٧٦٤. ما توضيح ذلك ؟

توضيح هذا يظهر من أمرين:

الأول: أن أسماء الله تعالى مبناها على التوقيف، أي على ورود الدليل ولم يأت فيما نعلم نص صحيح بذلك، فحيث لم يثبت في ذلك شيء، فإن الأصل عدمه، ولا يجوز تسمية الله تعالى به.

الثاني: أن أسماء الله تعالى أسماء حسنى، وذلك لاشتمالها وتضمنها صفات كمال من كل وجه، والقديم صفته القدم، وهذه الصفة لا كمال فيها، فلا يصح تسمية الله تعالى به، وتستبدل باسمه الثابت بالإجماع (الأول) الذي ليس قبله شيء جل وعلا.

١٧٦٥. ما حكم وصف الله بالقديم؟

يجوز هذا في مقام الإخبار عنه سبحانه، لا في مقام التسمية والوصف.

١٧٦٦. ما توجيه العلماء في هذا؟

قال ابن القيم رحمه الله: "أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى، أوسع

مما يدخل في باب أسمائه وصفاته؛ كالشيء، والموجود، والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا". [98]

١٧٦٧. كيـف التوجيه لما ورد في الحديـث: (أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيـمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم)؟

القديم في الحديث وصفٌ لسلطان الله تعالى، وليس وصفًا لله.

١٧٦٨. ما حكم التسمّي بأسماء الله تعالى؟

هذه المسألة لا تخلو من حالتين:

الأولى: أما الأسماء الخاصة به جل وعلا كـ (الله) و (رب العالمين) و (الرحمن) و(الإله) ونحوها فإنه لا يجوز التسمي بها قولاً واحداً، لأنها لا يصح أن تُطلق إلا عليه جل وعلا، إذ لا يستحقها غيره عز وجل.

الثانية: بقية الأسماء كالرحيم والكريم والعزيز والسميع والبصير ونحوها، فهذا يجوز التسمي بها بشرطين.

١٧٦٩. ما الشروط لجواز التسمّي ببعض أسماء الله؟

الأول: شرط أصلي لازم، وفيه ألا يراعى في التسمية معنى الصفة.

الثاني: الشرط التكميلي: فهو أن يكون الاسم غير محليً بالألف واللام.

ما يتعلق بالشرط الأول:

١٧٧٠. ما توضيح هذا الشرط؟

أي لا يسمي أحد بالكريم، لأن من صفاته البارزة الكرم، ولا يسمى أحد بالقوي لأن من صفاته البارزة القوة.

ولا يسمى أحد بالجواد لأن من صفاته الجود.

ولا يُسمى أحد بالحكم لأن من صفاته البارزة فصل الحكومات بين الناس والرضا بحكمه، وهكذا فإذا روعي في التسمية معنى الصفة فإنه يمنع.

٩٨- بدائع الفوائد (١/ ٢٨٤)

١٧٧١. ما دليل هذا الشرط من الدليل الشرعي؟

دليله حديث أبي شريح، وأنه كان يكنى أبا الحكم، فلما سأله النبي ﷺ عن علة ذلك قال: إني إذا اختصم قومي حكمت بينهم فرضوا بحكمي. فقال: (ما أحسن هذا، فكم لك من الولد، فعدّهم وذكر أن أكبرهم شريح، فقال: (أنت أبو شريح). رواه أبو داود والنسائي.

فقد غيّر النبي ﷺ كنيته لأنه روعي، أو نقول: روقب فيها معنى الصفة، مع أن من أصحابه من كان اسمه الحكم، كالحكم بن هشام رضي الله عنه، ولم يغيره النبي ﷺ لأنه لم يراقب فيه معنى الصفة، فهذا دليله من الأثر.

١٧٧٢. ما دليل هذا الشرط من الدليل العقلي؟

أما النظر العقلي، فلأن ذلك فيه لزوم الأدب مع الله تعالى، وسلوك مسلك المتعبدين المتواضعين الذين يقدّرون الله تعالى حق قدره، وفيه احترام لأسمائه وصفاته جل وعلا وتعظيمها، وهذا من تعظيم من تسمّى واتصف بها عز وجل، ولأنه إذا رضى بذلك فإن ذلك نوع مضاهاة لله تعالى في أسمائه وصفاته جل وعلا.

ما يتعلق بالشرط الثاني:

١٧٧٣. ما توضيح هذا الشرط؟

كأن يقال: (كريم) بدون (أل)، أو (عزيز) بدون (أل)، أو (جواد) بدون (أل) وهكذا، وذلك لأن الألف واللام لها شأن عندنا في لغة العرب، وهي أنها تفيد استغراق أجزاء المسمى ما لم يتقدم قرينة عهد.

فإذا قلت: (العزيز) دخل فيه كل معاني العزة، وإذا قلت: الكريم دخل فيه كل معاني الكرم، وهكذا، وهذا خاص بالله جل وعلا، وهذا المعنى يزول إذا جردتها من (أل).

١٧٧٤. ما سبب الوصف له بالتكميلي؟

إن ذلك شرط تكميلي لأمرين:

الأول: لأن النبي ﷺ أقرّ الحكم بن هشام على التسمي بذلك، مع أنه معرف

بـ (أل) مما يدل على أن الأمر فيه تسامح.

الثاني: أن العامة غالباً لا يريدون معنى الاستغراق العام الذي يدخل فيه أجزاء المسمى كلها، فإن هذا المعنى لا يقصدونه أبداً، وإنما يفهمون أن (أل) لمجرد التعريف فقط، فأمر هذا الشرط سهل.

لكن الورع ترك التسمي بأسماء الله مطلقاً خروجاً من الخلاف، وبُعداً عن مطلق المضاهاة، وادعَى لخضوع القلب وانقياده لله تعالى في مقامات التعبد.

المبحث السابع

الإضافة إلى الله تعالى

١٧٧٥. **ما أهمية دراسة هذا الجانب؟**

أهميته في بيان ضوابط إضافة الأشـياء إلى الله تعالى، الموجودة المحسوسة أو المعنوية.

١٧٧٦. **ما أنواع الإضافة إلى الله تعالى؟**

الأشياء التي يضيفها الله تعالى إليه نوعان:

الأول: إضافة أشياء لا يُتصور قيامها بذاتها، بل لا يُتصور قيامها إلا بغيرها، فهذه الإضافة إضافة صفة إلى موصوف.

النـوع الثانـي: إضافة أعيـان قائمة بذاتها، أي بنفسـها منفصلـة عن الله كل الانفصـال، فهذه إضافة تشـريف، أو إضافة خلـق أو إضافة عابدٍ إلى معبوده.

النوع الأول: إضافة صفة لموصوف:

١٧٧٧. **ما الأمثلة الدالة على مثل إضافة صفة إلى موصوف؟**

من أمثلة هذا:

- **إضافـة الوجـه** في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّـكَ ذُو الْجَلالِ وَالْأكْرَام﴾ (الرحمـن:٢٧) فالوجه عين لا يمكن قيامـه إلا بغيره، فهو إضافة صفة إلـى موصوف، فنقول: من صفاته جل وعلا أن له وجهاً لائقاً بجلاله وعظمته.
- **إضافة اليدين** في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة: ٦٤) فاليدُ لا يُتصور قيامها إلا بغيرها[٩٩]، فهي إضافة صفة إلى موصوف فنقول: من

٩٩- القائم بغيره: هو الشيء الذي لا يتصور وجوده لوحده، مثل أن يكون هناك عين مخلوقة لوحدها غير موجودة في جسم أو أمر موجود آخر.

صفاته جل وعلا اليدان، فله يدان كريمتان لائقتان بجلاله وعظمته.

- **إضافة العين** في قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩) والعينُ من الأشياء التي لا تقوم إلا بغيرها، فهي إضافة صفة إلى موصوف فنقول: من صفاته جل وعلا أن له عينين تليقان بجلاله وعظمته.

١٧٧٨. هل من مثال آخر يوضح ما يتعلق بالصفات؟

نعم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ (طه: ٨١) نعلم بعد ذلك بأن الغضب لا يقوم بذاته، بل لا يقوم إلا بغيره، فهو إضافة صفة على موصوف، فنقول: من صفاته جل وعلا أن له غضباً يليق بجلاله وعظمته.

النوع الثاني: إضافة أعيان للذات العليّة:

١٧٧٩. ما النوع الثاني من الإضافات إلى الله سبحانه؟

النوع الثاني: إضافة أعيان قائمة بذاتها، أي بنفسها منفصلة عن الله كل الانفصال، كإضافة خلق أو إضافة عابدٍ إلى معبوده.

١٧٨٠. ما سبب هذه الإضافة للذات العلية؟

هذه إضافة تشريف، ودلالة على علو مكانة.

١٧٨١. ما الأمثلة الدالة على مثل هذه الإضافة؟

من أمثلة هذا:

- قوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾ (الأعراف: ٧٣) الناقة عين قائمة بذاتها منفصلة عن الله كل الانفصال، فهي إضافة تشريف وتكريم.
- وكقوله تعالى: ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ (البقرة: ١٢٥)، والبيت أي المسجد الحرام عين قائمة بنفسها منفصلة عن الله كل الانفصال، فهو إضافة تشريف وتكريم.
- وكقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ (الأحزاب: ٤٠) والرسول ﷺ عينٌ قائمه بذاتها منفصلة عن الله تعالى كل الانفصال، فهي إضافة تشريف

وتكريم.

- وكقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾ (مريم: ١٧) وجبريل عليه السلام عين قائمة بذاتها منفصلة عن الله تعالى كل الانفصال، فهي إضافة تشريف وتكريم.

١٧٨٢. ما الضابط في هذا الإشكال؟

القاعدة في ذلك تقول: أن الأشياء المضافة إلى الله تعالى إن كانت لا تقوم بذاتها فهي إضافة صفة إلى موصوف.

وإن كانت تقوم بذاتها فإضافتها إضافة تشريف وتكريم أو خلق.

١٧٨٣. ما الذي دعا أهل السنة لتوضيح هذه القضية؟

الذي دعاهم لذلك هو أن المبتدعة يسوّون بين الإضافتين، إرادةً منهم لنفي صفات الله تعالى.

١٧٨٤. ما قول المبتدعة في أمر الإضافة إلى الله؟

قالوا: إن قوله: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ كقوله: ﴿ناقة الله﴾، فكما أن إضافة الناقة له جلّ وعلا لا تدل على أنها صفته، فكذلك إضافة الوجه له لا يدل على أنه صفته، بل إضافة الوجه له إضافة تشريف وتكريم كإضافة الناقة، فأضطر أهل السنة للتفريق بين الإضافتين للردّ على المبتدعة في باب صفات الله تعالى، وهذا من توفيق الله تعالى لأهل السنة.

١٧٨٥. من نسأل لإزالة مثل هذا الإشكال لو جاء على الذهن؟

علينا أن نرجع إلى أهل العلم، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٤٣).

المبحث الثامن

ضوابط في إثبات الإسماء لله

١٧٨٦. ما الواجب في الإيمان بأسماء الله تعالى؟

الواجب في ذلك أن نؤمن بثلاثة أمور:

الأول: أن نؤمن بها اسماء لله تعالى، أي أن نعتقد أنه أسم له جلّ وعلا، فنسميه به.

الثاني: أن نؤمن بالصفة التي تضمنها ذلك الاسم.

لأن القاعدة تنص أن كل أسم من أسماء الله تعالى يتضمن صفة من الصفات، فلا يتم الإيمان بأسمائه جل وعلا إلا إذا آمنا بالصفة التي تضمنها ذلك الاسم.

فالعزيز اسمٌ والعزة صفة، والقوي اسمٌ والقوة صفة، والحي اسمٌ والحياة صفة، والبصير والسميع اسمان والبصر والسمع صفة وهكذا، فأسماء الله تعالى أعلام ونعوت، فهي أعلام باعتبار دلالتها على الاسمية، ونعوت باعتبار دلالتها على الوصفية.

الثالث: إنه يكون خاصاً بالأسماء التي يكون لصفاتها أثراً متعد، فإذا كانت صفة هذا الاسم لها أثر متعد، فإن من تمام الإيمان له أًن نؤمن بهذا الأثر.

١٧٨٧. ما الأمثلة للآثار المتعدّية في الأسماء والصفات المباركة؟

من تلك الأمثلة:

- **البصير**: اسم والبصر صفة، والأثر هو أنه لا يخفى عليه أي شيء.
- **السميع**: اسم والسمع صفة، وفيه إثبات عموم سمع الله تعالى لكل شيء فلا يخفى على سمعه شيء، كما قالت عائشة رضي الله عنها: (الحمد لله الذي وسِع سمعه الأصوات). رواه البخاري
- **العليم**: اسم والعلم صفة، والأثر هو أنه يعلم كل شيء، فيعلم ما كان

وما يكون وما سيكون، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، فلا يخرج شيء عن كونه معلوماً له جل وعلا.

- **الحكيم:** اسم والحكمة صفة، والأثر الإيمان التام بأنه سبحانه في أقداره وأفعاله وشرعه.
- **القدير:** اسم والقدرة صفة، والأثر هو أن نؤمن بأنه الذي لا يعجزه أي شيء، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمنه.

١٧٨٨. هل هناك من اسم لا أثر متعد له، وما العمل معها؟

نعم، إذا كانت الإسم ليس له أثر متعد فالواجب الإيمان بالأمرين الأولين فقط وذلك كالحي، فإنه اسم والحياة صفة، ولكن ليس لهذه الصفة أثر متعدٍ.

١٧٨٩. ما خلاصة ما يتعلق بما سبق بيانه؟

يُقال: الواجب في الأسماء أمران:

- الإيمان بها اسماء، والإيمان بما تضمنته من الصفات.
- وإذا كانت صفة الاسم لها أثر متعدٍ فيزيد ذلك الاسم بوجوب الإيمان بالأثر المتعدي.

المبحث التاسع

الصفات الثبوتية لله تعالى

١٧٩٠. ما المراد من هذا العنوان؟

يُراد به بيان الفهم الصحيح للصفات الثبوتية لله تعالى.

١٧٩١. كم أقسام صفات الله تعالى الثبوتية؟

صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

صفات ذاتية: وهي الملازمة للذات متعلقة به أزلاً وأبداً.

وصفات فعلية: وهي المتعلقة بالمشيئة، أي متى ما شاء سبحانه فعلها، ومتى شاء لم يفعلها.

١٧٩٢. ما التمثيل للصفات السابقة؟

- يمثل للصفات الذاتية: بالوجه، والبصر، والحياة، والوجود، والسمع، والقدم، والساق، وغير ذلك.
- ويمثل للصفات الفعلية: بالنزول إلى السماء الدنيا، والرضى والغضب ونحو ذلك.

١٧٩٣. هل إثبات هذه الصفات يستلزم التشبيه بين الخالق والمخلوق؟

الإثبات لها لا يستلزم التشبيه، إن كان الأمر وفق الإثبات الشرعي لها.

١٧٩٤. ما القول مع من لا يتكلم عن الصفات الذاتية لله حذرًا وابتعادًا عن وجود التشبيه؟

هذا لم يقع عند الصحابة عندما أخيرهم بها النبي ﷺ، لأنهم عرفوا ما يليق بالله تعالى، وبما يناسب المخلوق.

١٧٩٥. هل التشابه في الصفات يستلزم التشابه من كل وجه فيها بين المخلوق والخالق؟

لا، فالتشابه بالأسماء لا يستلزم التشابه بالمسميات والحقائق بين الخالق والمخلوق.

١/ صفة (النفس)

١٧٩٦. ما مذهب أهل السنة في صفة (النفس) لله تعالى؟

يعتقدون أن لله تعالى نفساً لائقة بجلاله، ليست كأنفس المخلوقين.

١٧٩٧. هل الاتفاق في الاسم فيه دلالة على المشابهة؟

لا، إذ مجرد اتفاق اسم (نفسه) مع أسم (نفسنا) في المسمى لا يستلزم اتفاقهما في كيفياتهما.

١٧٩٨. ما الدليل على هذا التقرير من القرآن الكريم؟

الدليل على هذا:

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام: ٥٤) فقد أضاف النفس إليه وهي لا تقوم بذاتها، فدل ذلك على أنها إضافة صفة إلى موصوف، وتقدس عن أن تكون نفسه كنفس خلقه.
- قال تعالى لكليمه موسى ﷺ: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه:٤١،٤٠) فثبت أن لله نفساً.
- قال تعالى عن عيسى ﷺ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ فثبت لله نفساً إثباتاً بلا تمثيل، ونزهه عن مماثلة خلقه فيها تنزيهاً بلا تعطيل.

١٧٩٩. ما الدليل على هذا التقرير من السنة النبوية؟

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال الرسول ﷺ: (يقول الله تعالى: أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأٍ خير منهم) متفق عليه، وإضافة النفس هنا إضافة صفةٍ إلى موصوف.

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (لما قضى الله الخلق كتب كتاباً على نفسه، فهو عنده فوق العرش: أن رحمتي سبقت غضبي) متفق عليه.

١٨٠٠. هل أجمع أهل السنة على ثبوت هذه الصفة لله تعالى؟

نعم، فقد تم الإجماع منهم رحمهم الله تعالى على إثبات النفس لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته،وهي من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله تعالى.

٢/ صفة العلم.

١٨٠١. ما مذهب أهل السنة في علم الله تعالى؟

يعتقدون اعتقاداً جازما أن الله تعالى موصوفٌ بالعلم الكامل الشامل الذي لم يسبق بجهل، وهو يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

١٨٠٢. هل صفة (العلم) من الصفات الذاتية أم الفعلية؟

هي من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله تعالى أزلاً وأبداً.

١٨٠٣. ما الأدلة على هذا التقرير من القرآن الكريم؟

- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَة إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ......الآية﴾.
- وقال تعالى: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ).
- وقال تعالى: (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ).

١٨٠٤. ما الأدلة على هذا التقرير من السنة النبوية؟

- في حديث الاستخارة الطويل: (اللهم إني أستخيرك بعلمك الغيب

......الحديث)

- وعـن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قـال: (مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا اللـه ثـم قرأ هذه الآيـة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّـاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَـمُ مَـا فِي الْأَرْحَـامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِـبُ غَـدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله ﷺ: (سـبق علم الله في خلقه فهم صائرون إليه).[١٠٠]

١٨٠٥ . هل دلّ العقل على هذا المعتقد؟

نعم دل عليها العقل أيضاً، وذلك من وجوه:

الأول: أن العلم في حد ذاته صفة كمال في المخلوق لا نقص فيه، وقد تقرر فـي القواعـد أن مـا كان صفة كمال فـي المخلوق لا نقـص فيها بوجه فالخالق أولى بها.

الثاني: أن الله تعالى هو الذي أعطى المخلوق هذه الصفة التي هي كمال في ذاتها، ومعطي الكمال أولى بالكمال.

الثالـث: أنه يسـتحيل أن يوجد هذا الكـون العظيم على هذا النسـق الرفيع والنظام البديع وهو غير متصف بالعلم ،

١٨٠٦ . هل استدل العلماء على صفة العلم للرد على المبتدعة؟

نعم، قد أشتد نكير السلف على من أنكرها، حتى قالوا: (ناظروهم بالعلم، فإن أقرّوا به خصموا، وإن جحدوا كفروا).

وقـال الإمـام أحمد: (فـإن قال الجهمي ليس له علم كفـر، وإن قال له علم محـدث كفر؛ حيـث زعم أن الله كان في وقت مـن الأوقات لا يعلم حتى أحدث له علماً فعُلّم) أ.هـ

١٠٠- أخرجه اللالكائي رحمه الله تعالى في شرح العقائد

٣/ صفة الوجه

١٨٠٧. ما المعتقد الصحيح في صفة الوجه؟

أن نعتقد أن لله تعالى وجهاً يليق بجلاله وعظمته.

١٨٠٨. هل هو من صفات الذات أم الفعل؟

نعم، هو من صفاته الذاتية.

١٨٠٩. ما الأدلة على هذه الصفة من القرآن الكريم؟

- قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾
- وقال تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْأِكْرَامِ ﴾
- وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

١٨١٠. ما الأدلة على هذا التقرير من السنة النبوية؟

- عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) رواه مسلم
- وعن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يدعو يقول: (اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِك عَلَى الْخَلْقِ...وفيه: وأسألك لذة النظر إلى وجهك). رواه النسائي.
- وعن شقيق قال: كنا عند حذيفه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقام شبث بن ربعي فصلّى فبصق بين يديه، فقال له حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا شبث. لا تبصق بين يديك، ولا عن يمينك، فإن عن يمينك كاتب الحسنات، ولكن عن يسارك أو من ورائك، فإن العبد إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه فيناجيه، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف عنه، أو يحدث حدث سوء» . متفق عليه.

١٨١١. ماذا قال المبتدعة في هذه الصفة؟

قالوا: إن لفظ الوجه الوارد لا يُقصد به إثبات صفة، وإنما المراد به الذات.

١٨١٢. كيف الرد عليهم؟

يُقال لهم: جوابنا على هذا التحريف من وجوه:

الأول: أنه مخالف لمنهج السلف وما أجمعوا عليه، وما خالف منهجهم وإجماعهم فهو باطلٌ مردود.

الثاني: لا يتصور أبدًا أن يكون الصحابة والتابعين في معزل عن فهم ما أنزل عليهم، ويفهمه هؤلاء الضالون، هذا ما لا يقوله عاقل يعلم ما يقول، فضلاً عن كونه مسلماً.

الثالث: أنه مخالف لما يظهر من دلالة النصوص، فإن هذه الأدلة قد أضافت الوجه إلى الله تعالى إضافة الصفة إلى الموصوف، والانصراف عن هذا الظاهر المتبادر للفهم السليم لا يجوز إلا بمقتضى دليل صارف، وليس ثمة دليل يصرفنا عن الأصل والظاهر والحقيقة، فوجب البقاء عليه.

الرابع: القول لهم: إنكم فررتم من إثبات الوجه لله تعالى خوفاً من مماثلة الله بخلقه لأن لهم وجوهاً، وقلتم إنه الذات، فنقول: أوليست لنا ذوات؟ بالطبع نعم. إذاً قد فررتم من شيء ووقعتم في مثله.

فإن قالوا: نحن نقول هي ذات ليست كالذوات! فنقول: قولوا هذا القول في الوجه، وقد تقرر أن القول في الصفات فرع عن القول في الذات.

الخامس: قال البيهقي: «وهذه صفات طريق إثباتها السمع، فَنُثْبِتُها لورود خبر الصادق بها، ولا نكيّفها، قال الله تبارك وتعالى: «وَيبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» فأضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه، فقال: «ذو الجلال والإكرام» ولو كان ذكر الوجه صلة -(أي: زيادة)، ولم يكن للذات صفة لقال: ذي الجلال والإكرام. فلما قال: ذو الجلال والإكرام علمنا أنه نعت للوجه، وهو صفة للذات»[١٠١].

١٠١ - الاعتقاد (ص:٨٩)

٤/ صفة اليد.

١٨١٣. ما المعتقد الصحيح في صفة اليدين؟

أن نعتقد أن لله تعالى يديْن اثنتيْن لائقتين بجلاله، لا تماثل أيدي المخلوقين.

١٨١٤. هل وجود المشابهة في الاسم يستلزم المشابهة من جميع الجوانب؟

لا يستلزم، إذ مجرد الاتفاق في الاسم لا يستلزم الاتفاق في المسمّى.

١٨١٥. هل هي صفة ذاتيّة أو فعلية؟

هما من الصفات الذاتية التي لا تنفك عنه جل وعلا أزلاً ولا أبداً، وأنهما كريمتان مبسوطتان بالعطاء والنعم.

١٨١٦. ما الأدلة على إثبات هذه الصفة لله تعالى من القرآن الكريم؟

قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة: ٦٤)

وقال تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (صّ: ٧٥)

وقال تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر:٦٧)

١٨١٧. ما الأدلة على إثبات هذه الصفة لله تعالى من السنة النبوية؟

من تلك الأدلة:

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ذكر محاجة موسى لآدم عليهما الصلاة والسلام وفيه أن موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (أنت آدم الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيك من روحه....الحديث). متفق عليه
- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي». رواه البخاري
- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أحدكم ليتصدق بالتمرة من طيب، ولا يقبل الله إلا طيباً فيجعلها الله تعالى في يده اليمنى، ثم يربيها كما يربي أحدكم فلوُه حتى تصير مثل أحد»، وفي رواية: «فيقع في كف الرحمن». متفق عليه

١٨١٨. هل اتفق علماء أهل السنة على هذا القول في هذه الصفة؟

نعم، قد أتفقوا على إثبات هذه الصفة لله تعالى من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكييف، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

١٨١٩. ماذا قال المبتدعة في هذه الصفة ؟

نفَى المبتدعة على مختلف طوائفهم هذه الصفة، وقالوا: المراد بها القدرة، أو النعمة.

١٨٢٠. كيف الجواب عليهم؟

الجواب عليهم من وجوه:

الأول: أنه خلاف منهج السلف.

الثاني: أنه لا دليل على هذا الصرف، فهو في حقيقته تحريف.

الثالث: أنه مخالفٌ لما ظهر من الأدلة.

الرابع: أن ذلك ممتنع كل الامتناع في قوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وقوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ فإن القدرة والنعمة لا يصح أن تأتي مثناة.

الخامس: أنه لو كان المراد باليد القدرة، لما كان لآدم عليه السلام فضل على إبليس لعنه الله، إذ أن إبليس خُلق بقدرة الله تعالى وكذا آدم وفق ما اعتقدوا.

١٨٢١. هل اليدان لله كلاهما يمين؟

اتفق أهل السنة على إثبات اليدين لله تعالى، وأنهما يمين في البذل والعطاء والإنفاق، وأن إحداهما يمين في الاسم أيضاً.

١٨٢٢. ما قول العلماء في مسمى اليد الأخرى؟

اختلفوا في أسم اليد الأخرى على قولين:

- فالأكثر على أنها يمين في الاسم أيضاً، واستدلوا على ذلك بالحديث الذي فيه (وكلتا يدي ربي يمين مباركة)، وبحديث: «وكلتا يديه يمين»، وهما

في الصحيح.[١٠٢]

- ذهب بعضهم إلى أنها شمال في الاسم فقط، لكنها يمين في البذل والعطاء، أي هي يمين في الخير والبركة، استدلالا بحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يقبض اللـه تعالى سـماواته فيأخذهن بيمينه، ثم يهزهـنّ فيقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، ثم يطوي الأرضين فيأخذهنّ بشماله، فيهزهن ويقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون) رواه مسلم.

١٨٢٣. لقد وردت صفة اليد في الأدلة مفردة ومثناة ومجموعة، ما الأدلة؟

أما صفة اليد مفردة، ففي قوله تعالى: (بِيَدِهِ الْمُلْكُ).

وأما ورودها مثناة، ففي قوله تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ).

وأما ورودها مجموعة، ففي قوله تعالى: (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا).

١٨٢٤. كيف الجمع بينها؟

وجه الجمع بينهما أن يُقال:

- أما ورودهما مثناة، فلا إشـكال فيه لأن أهل السـنة اثبتـوا الله تعالى يديْن اثنتين على ما يليق به جل وعلا.
- وأما ورودهما مفردة، فلا إشـكال فيه أيضاً، لأنهما لما أفردتا أضيفتا فهما مفـرد مضـاف، وقد تقـرر في الأصـول أن المفرد المضـاف يعم، فيعم اللفظ كل ما لله من يد، وقد سبق أنهما اثنتان.
- وأما ورودهما مجموعة، فإن النون هنا ليسـت نون الجمع، وإنما هي نون المعظم نفسـه، كقول الملك لمن أعطاه شيئاً: «قد أعطيناك هذا بأيدينا»، وإذا رأى الملك شـيئاً وسُـئل عنه فإنه يقول: «قد رأيناه بأعيننا» ونحو ذلـك، فهذه النـون هي نون المعظم نفسـه، وليسـت نـون الجمع، فلا إشكال في ذلك.

٥

١٠٢- وهذه المسـألة- أعني مسـألة اسم اليد الأخرى- من المسائل التي ثبت فيها الخلاف بين أهل السنة.

/ صفة (الكف).

١٨٢٥ . هل يُوصف الله تعالى بـأن له (الكف)؟

نعـم له ذلـك سـبحانه، فنحن نصـف اللـه تعالى بأن لـه كفاً يليـق بجلاله وعظمته، لا تماثل كفوفنا.

١٨٢٦ . ما الدليل على ثبوت هذه الصفة لله تعالى؟

الدليل على ذلك

- حديـث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله ﷺ: (إن أحدكم ليتصدق بالتمـرة إذا كانت من الطيب ولا يقبل الله إلا طيباً، فيجعلها الرحمن فـي كفـه، فيربيها كما يربي أحدكم مهره أو فصيلة، حتى تعود في يده مثـل الجبل) رواه البخاري، والشـاهد من قولـه: "في كفه" ففيه إضافة الكف لله تعالى.
- حديـث اختصـام الملأ الأعلـى، من حديـث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (رأيـت ربي في أحسـن صورة... فرأيته وضع كفه بين كتفي، حتى وجدت برد أنامله في صدري). رواه أحمد والترمذي صححه الألباني.

٦/ صفة (الأصابع)

١٨٢٧ . ما مذهب أهل السنة في صفة الأصابع؟

يعتقـدون أن للـه أصابع تليق بجلالـه وعظمته، وأنها مـن الصفات الذاتية لـه جـل وعلا، مـع ملاحظـة أن الاتفاق في الاسـم لا يسـتلزم الاتفاق في المسمى.

١٨٢٨ . ما الأدلة على ثبوت تلك الصفة لله تعالى؟

الأدلة على ذلك:

- مـا في الصحيحـين من حديث عبد الله بن مسـعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : أتى النبي ﷺ رجـل من اليهود فقـال: يا محمد إن الله يجعل السـماوات على إصبع، والأراضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، فيهزهن

فيقـول: أنا الملك. قال: فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لـما يقول الرجل، ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّـمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

- عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء)، ثم قال: "اللهم مصرّف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك". رواه مسلم

٧/ صفة (العين)

١٨٢٩. ما مذهب أهل السنة في صفة (العين)؟

يعتقـدون أن لله عينـيْن اثنتيْن ذاتيتـين لائقتيْن به جلّ وعـلا، وأنها لا تماثل أعين العباد، والاتفاق في الاسم لا يستلزم الاتفاق في المسمى.

١٨٣٠. ما الأدلة الدالة على ثبوت الصفة الكريمة لله من القرآن الكريم؟

قال تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر: ١٤)

وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه:٣٩)

وقال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ (هود: ٣٧)

وقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور:٤٨)

١٨٣١. هل ورد الإثبات لها في السنة النبوية؟

نعـم، فعـن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسـول الله ﷺ قال: (إن ربكـم ليس بأعور، إلا إن المسـيح الدجال أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية) متفق عليه، فنفي العور عنه جل وعلا دليل على أن له عينين اثنتين لائقتين به جل وعلا.

١٨٣٢. هل اتفق علماء أهل السنة على هذا الاعتقاد؟

نعم، فقد أجمع أهل السنة على إثبات ذلك.

١٨٣٣. هل وردت صفة العين فقط مفردة؟

لا، فقد وردت في حالات ثلاث:

- صفة العين مفردة، ففي قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ ( )
- ورودها مثناة، ففي الحديث (قام بين عيني الرحمن). رواه
- ورودها مجموعة، ففي قوله تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ ( )

١٨٣٤. كيف الجمع بينها؟

وجه الجمع بينهما أن يُقال وفق ما قيل في إثبات اليدين له سبحانه.

٨/ صفة (القدم والرجل والساق)

١٨٣٥. ما مذهب أهل السنة في صفة القدم والرجل والساق لله تعالى؟

يعتقدون أن لله قدماً ورجلاً وساقاً لائقة بجلاله وعظمته، وباتفاقهم أنها لا تماثل المعهود من صفاتنا.

١٨٣٦. هناك من يكون في حرج في إثبات هذه الصفات خوفا من التشبيه بين الخالق والمخلوق؟

لا تثريب على من أثبت ما أثبتته الأدلة، وقال بما قالت به النصوص مع علم المعنى والجهل بالكيفية، ولا حرج أن نقول كما قال النبي ﷺ، وأن نثبت لربنا ما أثبته له أعلم الخلق به ﷺ.

١٨٣٧. ما الأدلة على ثبوت هذه الصفات الكريمة لله تعالى؟

من الأدلة على ثبوت هذه الصفة لله تعالى:

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ولا يزال جهنم يلقى فيها وهي تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها رجله وفي رواية عليها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط) متفق عليه، فقد أضاف الرجل والقدم إليه إضافة الصفة إلى الموصوف.
- عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: (افتخرت الجنة والنار .....فذكر الحديث وفيه ....فيلقى في النار أهلها فتقول: هل من مزيد؟ قال: ويلقى فيها وهي تقول هل من مزيد، قال: فيلقى فيها، وهي تقول:

هـل من مزيد، حتـى يأتيها الله عـز وجل فيضع عليهـا قدمه فتنزوي وتقول: قدني قدني ... الحديث). رواه أحمد

- وفي حديث أبي سـعيد الطويل ...وفيه: (فيكشـف رب العزة عن ساقه، فيسـجد له كل من كان يسـجد في الدنيا، ويبقى من كان يسـجد رياءً وسُمعة، فيذهب كما يسجد، فينقلب ظهره طبقاً واحداً). متفق عليه

٩/ صفة (الكلام)

١٨٣٨. ما مذهب أهل السنة في صفة الكلام؟

يعتقـدون أن اللـه تعالى موصـوف بالكلام، فهو جل وعلا يتكلم بما شـاء، كيفما شـاء ومتى شـاء، وأن كلامه جـل وعلا بحرف وصوت يسـمعه من شاء الله أن يسمعه.

١٨٣٩. هل هو من صفات الذات أم الفعل؟

هـو من صفـات الذات باعتبـار أصل الصفـة، ومن صفات الفعـل باعتبار آحاده وإفراده، وهذا معنى قول أهل السـنة: " كلام الله قديم النوع حادث الآحـاد".

١٨٤٠. ما معنى التقرير السابق؟

أن صفة الكلام باعتبار نوعها تعدّ من الصفات الذاتية، لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، فكلامه من كماله الواجب له سبحانه.

وباعتبار آحاد الكلام، أي باعتبار الكلام المعين الذي يتكلم به سبحانه متى شاء، فهو من الصفات الفعلية، لأنه كان بمشيئته سبحانه.

١٨٤١. ما الأدلة المثبتة لهذه الصفة الكريمة؟

الأدلة كثيرة، ومن ذلك:

- قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ (النساء:١٦٤)
- وقال: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنعام:١١٥)

- وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة:٦)
- وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى:٥١)
- وكل آية فيها: و(قال الله) فإنها دليل على إثبات هذه الصفة.

١٨٤٢. ماذا ورد في السنة النبوية من تقرير لهذه الصفة المباركة لله تعالى؟

- أن النبي ﷺ قال: (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان). متفق عليه
- قال النبي ﷺ: (من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل عن منزله ذلك) رواه مسلم.

فدلّ ذلك على أن الله موصوف بالكلام، وأنه ليس بمخلوق إذ لا تصح الاستعاذة بمخلوق، فلما استعاذ بكلمات الله التامات دلّ ذلك على أنها ليست بمخلوقة.

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى يوم القيامة : (يا آدم فيقول: لبيك وسعديك ، فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج بعث النار .... الحديث)، والشاهد منه: "يقول الله"، وكذلك: "فينادي بصوت"، فإن فيه أن كلام الله تعالى بصوت.

١٨٤٣. ما الأدلة من كلام الصحابة وسلف الأمة على إثبات هذه الصفة لله تعالى؟

- عن نيار بن مكرم وكانت له صحبة، أن أبا بكر رضي الله عنه خاطر قوماً من أهل مكة على أن الروم تغلب فارس، فغلبت الروم، فنزلت: ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ (الروم١:٢) فأتى قريشاً فقرأها عليهم، فقالوا: كلامك هذا؟ قال: (ليس بكلامي، ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله عز وجل)[١٠٣].
- وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في قصة الإفك: (والله ما كنت

١٠٣- رواه ابن خزيمة في التوحيد وعبد الله بن أحمد في السنة والبيهقي في الاعتقاد

أظـن أن اللـه تعالى ينزل براءتي وحياً يتلى، ولشـأني في نفسـي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى....). متفق عليه

- عن قروة بن نوفل الأشـجعي قال: (كنت جاراً لخباب، فخرجنا يوماً من المسـجد وهو آخذ بيدي فقال: "يا هناه، تقرّب إلى الله ما استطعت، فإنك لن تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه. يعني القرآن ". [١٠٤]

١٨٤٤ . ما الدلالة العقلية على اتصاف الله سبحانه بصفة الكلام؟

من الأدلة على هذا:

- الـكلام من حيث هو يعتبـر من صفات الكمـال، لأن نقيضها نقص وهو البكـم والخرس، وهذه الصفة - أعني البكـم والخرس- لو اتصف بها المخلوق الضعيف العاجز كانت نقصًا بيناً، فكيف يصلح إثباتها لمن له الكمال في المطلق سبحانه؟

- قد تقرر عند أهل السـنة أن كل كمـال في المخلوق لا نقص فيه فالله أحقّ أن يوصـف بـه، لأنه واهب الكمـال ومعطيه، ومعطـي الكمال أولى بالكمـال، فلما كان يلزم من نفى الكلام عنه وصفه بالنقص الذي هو منزه عنه وجبَ إثباتها على ما يليق بجلاله وعظمته.

- من الأدلة المثبتة لبطلان إلهية الأصنام والأحجار سلب الكلام عنها، كما قال تعالى عن إبراهيم ﷺ: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (الأنبياء:٦٣)

١٨٤٥ . هل دلّ الدليل الفطري على إثبات هذه الصفة له سبحانه؟

نعـم، وبيـان هذا أن الفطر السـليمة التي لـم تتلوث بعلم الـكلام المذموم، تعتقـد أحقية اللـه تعالى بكل كمال وتنزيهه عـن كل نقص، وصفة الكلام من الكمال، فوجب إثباته لله تعالى.

١٨٤٦ . ما عقيدة أهل السـنة والجماعة في القـرآن، مع بيان ذلك بالأدلة من الكتاب

١٠٤- وروى الإمـام أحمـد فـي الزهـد، وابنه عبد الله في السـنة، وأبو بكر بن أبي شـيبة في المصنف، والحاكم في المستدرك

والسنة؟

عقيدتهم في القرآن تتوجه إلى ثلاث نقاط:

الأولى: أنه كلام الله.

- قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ (التوبة:٦) والمراد حتى يسمع القرآن فدل ذلك على أنه كلام الله تعالى.

- قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ (الأعراف:٥٤) ففرّق تعالى هنا بين الخلق والأمر، وهما صفتان من صفاته أضافهما إلى نفسه الكريمة، أما الخلق ففعله، أما الأمر فقوله، والأصل في المتعاطفين التغاير إلا بقرينه، فبان بذلك أن الأمر غير مخلوق والأمر هو القرآن.

الثاني: أنه منزّل غير مخلوق.

- قال تعالى في آيات كثيرة: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (الزمر:١).

الثالث: أن القرآن من الله بدأ، وإليه يعود.

والمراد بقولهم: (منه بدأ) أي أن الله تعالى هو الذي تكلم به ابتداءً، كما قال تعالى: ﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾

وكل آية فيها إثبات تنزيل القرآن من الله تعالى فهي دليل على أنه منه بدأ.

١٨٤٧. ما حكم السلف في من زعم بأن القرآن مخلوق، وليس كلام الله؟

اتفق أهل السنة على أن القرآن كلام سبحانه، وصرّحوا بكفر من قال بأنه مخلوق.

١٨٤٨. ما أقوال السلف في قضية الزعم بأن القرآن مخلوق؟

- قال عمر بن دينار رحمه الله تعالى: «أدركت أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله تعالى منه خرج وإليه يعود».

- قال إسحاق بن راهويه رحمه الله تعالى: «وقد أدرك عمرو بن دينار

أجلـة أصحـاب النبي ﷺ، مثل جابر بن عبدالله وأبي سـعيد الخدري وعبداللـه بن عمر وابن عباس وعبدالله بن الزبير، وأجلةً من التابعين وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة».

- قـال معاوية بـن عمار الذهيني: «قلـت لجعفر - يعني ابـن محمد-: إنهم يسـألون عـن القرآن مخلوق هـو؟ قال: (ليس بخالـقٍ ولا مخلوق، ولكنه كلام الله عز وجل)».

- قـال عبداللـه بن نافع: «كان مالك بن أنس إمـام دار الهجرة يقول: (كلم اللـه موسـى) ويقـول: (القرآن كلام اللـه) وكان يسـتفضع قول من يقول القرآن مخلوق».

- سُئل سفيان بن عيينه عن القرآن فقال: «كلام الله، وليس بمخلوق».

- قـال عبداللـه بن المبارك رحمـه الله تعالى: «القـرآن كلام الله تعالى ليس بخالق ولا مخلوق».

١٨٤٩. مقولة (منه بدأ) هل فيها ردّ على أحد من المخالفين؟

نعم، قول السلف (منه بدأ) فيه رد على الجهمية الذين قالوا: بدأ من غيره، وقولهم (وإليه يعود) فإنه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف.

١٨٥٠. ما دليل هذا الأمر؟

- عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله ﷺ: (يسـرى على كتاب الله ليلاً فيصبح الناس ليس في الأرض ولا جوف مسلم منه آية).

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (يسـرى على كتاب الله، فيرفع إلى السـماء فلا يصبـح في الأرض آية من القرآن ولا مـن التوراة ولا من الإنجيل ولا من الزبور، وينتزع من قلوب الرجال فيصبحون ولا يدرون ما هو).

- وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (لينتزعن هذا القرآن من بين أظهركم) فقال له شـداد بن معقل: يا أبا عبدالرحمن كيف ينتزع وقد أثبتناه في صدورنا، وأثبتناه في مصاحفنا؟ فقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يسرى عليه فـي ليلـة فلا يبقى في قلـب عبدٍ منه ولا مصحف منه شـيء، ويصبح

الناس فقراء كالبهائم». ثم قرأ عبدالله: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا﴾.

١٨٥١. ما أساس حجة من ذهب إلى القول بأن القرآن مخلوق؟

لا دليل لهم على ذلك، وإنما هي خيالات وشبه توهموها بفهمهم الفاسد، فهم يتبعون المتشابه ويتركون المحكم، ويلوون أعناق الأدلة ويحملونها ما لا تحتمل لتتوافق مع قولهم الفاسد البائر.

١٨٥٢. هل يصحّ أن يُقال إن بعض القرآن أفضل من بعض؟

هذا السؤال مجمل، وقد تقرر في أجوبة كثيرة أن اللفظ المجمل يحتاج إلى تفصيل، ويحتاج هنا النظر لاعتبارين: باعتبار المتكلم به، وباعتبار دلالته ومعانيه، فنقول:

١/ باعتبار المتكلم به، فهو لا يتفاضل، لأن المتكلم به هو الله تعالى، فالقرآن كله حروفه ومعانيه من الله تعالى، من الفاتحة إلى الناس فالمتكلم به واحد، فهو بهذا الاعتبار لا يتفاضل لأن التفاضل إنما يكون بين شيئين أو أكثر، فيقال: هذا أفضل من هذا، والذي تكلم بالقرآن هو الله تعالى وهو واحد في ذاته وصفاته جل وعلا.

٢/ باعتبار دلالة الكلام، وما يحمله من المعاني العظيمة، فهو بهذا الاعتبار يتفاضل، وقال الشيخ تقي الدين: «والصواب الذي عليه جمهور السلف والأئمة أن بعض كلام الله أفضل من بعض، كما دل عليه الشرع والعقل».

١٨٥٣. ما توضيح التفاضل من جهة الدلالة؟

- عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسير له فنزل، ونزل رجل إلى جانبه، فالتفت إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: (ألا أخبرك بأفضل القرآن)؟ قال فتلا عليه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. رواه النسائي
- عن أبي سعيد بن المعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي! فقال: (ألم

يقل الله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم﴾ (الأنفال:٢٤) ثم قال لي: (لأعلمنّك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد). ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: (لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ فقال ﷺ: ﴿الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته). رواه البخاري

- عن أبيٍّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أبا المنذر، أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم)؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: (يا أبا المنذر أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم؟) قال: قلت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ قال: فضرب في صدري وقال ﷺ: "والله، ليهنك العلم أبا المنذر". رواه مسلم.
- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ يردّدها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها، فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن). رواه البخاري

١٠/ صفة (العلو)

١٨٥٤. ما مذهب أهل السنة في صفة (العلو) إجمالاً؟

يعتقد أهل السنة أن الله تعالى له العلو المطلق في ذاته وصفاته.

١٨٥٥. ماذا نعني المطلق في الصفات؟

نعني أن كل صفة أثبتها النص له جل وعلا فله كمالها المطلق جلّ وعلا.

١٨٥٦. ما العلو الثابت لله تعالى؟

له سبحانه علو الذات، والمكان، والمكانة، والقهر.

١٨٥٧. هل هذه من الصفات الذاتية لله تعالى؟

نعم، هي من صفاته سبحانه الذاتية التي لا تنفك عنه أزلاً وأبداً.

١٨٥٨. هل وقع الاختلاف بين الناس في هذه الصفة؟

نعم، فهذه الصفة أشتد فيها خلاف أهل القبلة، وقد أفردها بعض أهل السنة بمؤلفات؛ خاصة ككتاب العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي، واجتماع الجيوش الإسلامية للإمام ابن القيم، وغيرها من الكتب.

١٨٥٩. ما أوجه دلالة النقل على إثبات هذه الصفة العظيمة؟

تنوعت الدلالات على إثبات هذه الصفة تنوعًا دالا على أن الله تعالى متصف بها، وأمثلة ذلك:

- التصريح بها، كقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (الأعلى:١)
- التصريح بالفوقية، لقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل:٥٠) وفي الحديث (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات)
- التصريح بأن الأشياء تنزل من عنده، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩).
- التصريح بصعود الأشياء ورفعها إليه، كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر:١٠) وقوله تعالى عن عيسى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء:١٥٨).
- التصريح بعروج الملائكة والأمر إليه، كقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج:٤)، ولا تعرج إلا لمن كان في العلو.
- التصريح بأنه استوى على العرش، والعرش هو سقف المخلوقات وأعلاها كما في الآيات التي ذكرها في إثبات صفة الاستواء.
- التصريح بأنه في السماء، كقوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ (الملك:١٦-١٧) وكقول الجارية: (في السماء) وأقرّها النبي ﷺ وشهد لها بالإيمان.
- التصريح بأنه ترفع إليه الأيدي في الدعاء، كحديث: (إن الله تعالى

يستحي من عبده إذا رفع اليدين أن يردهما صُفراً) ولا ترفع إلا لمن كان في العلو.

- التصريح بأنه ينزل إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، ولا ينزل إلا من كان في العلو.
- الإشارة الحسيه إليه إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم بربه وما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر لما كان في عرفة، قال لهم: إنكم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فرفع إصبعه الكريمة إلى السماء وينكبها إليهم، قائلاً: (اللهم اشهد، اللهم اشهد)، فإنها تدل دلالة قطعية على إثبات هذه الصفة لله تعالى.

١٨٦٠. هل هناك نصوص أخرى دالة على صفة العلو لله، وأنه في السماء؟

- عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكنّ أهاليكنّ، وزوجني الله من فوق سبع سماوات). رواه البخاري
- عن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لما خلق الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي). رواه البخاري
- وقال ﷺ في رقية المريض: (ربنا الله الذي في السماء تقدّس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، أنزل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع). رواه أبو داود
- قال النبي ﷺ: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء). رواه البخاري
- عن عائشة أن النبي ﷺ قبل وفاته: (رفع يده أو إصبعه إلى السماء، وقال: "في الرفيق الأعلى. ثلاثاً، ثم قضى". رواه البخاري

١٨٦١. هل دلت الفطرة على إثبات هذه الصفة؟

نعم ، من المتقرر في الفطر السليمة التي لم تتلوث بعض أهل الكلام، أن الله تعالى في العلو، ومثال ذلك:

إن من قام بقلبه حاجة، وأراد أن يدعو الله تعالى بكشف حاجته وما به من

ضـر، نجـد أن قلبـه لا يتجه إلى أسـفل ولا إلى اليمين ولا الشـمال ولا إلى الخلـف، بل يجد فـي قلبه ضرورة طلب جهة العلو، ولذلك نجده من حيث يشـعر أو لا يشـعر يتجه ببصره ورأسه ويديه إلى السـماء، لأن فطرته تعلم جزماً أن مفرج الكربات وقاضي الحاجات في العلو.

١٨٦٢. ما دلالة العقل في إثبات هذه الصفة؟

أما دلالة العقل، فمن وجوه:

الأول: أن ضد العلو السُـفل أو المحاذاة، والسُـفل نقـص، والمحاذاة توجب المسـاواة، وهـي نقـص في حق اللـه تعالـى، والله منزه عـن النقص، فحيث انتفى السفل والمحايذة ثبت العلو وهو المطلوب.

الثاني: أن البشر يستشرفون أن يكونوا في العلو، لعلمهم أنها كمال، ولذلك تجد علية القوم من الملوك والأمراء يعلون بنيانهم ويكونون في أعلاه، ويتشـرّف أحدهم إذا أجتمع رعيته في الشـوارع أن يشرف عليهم من أعلا شرفات قصره ليكلمهم ويأمرهم و ينهاهم.

وللـه المثل الأعلى، فهو ملك الملوك وجبار السـماوات والأرض العلي الأعلـى، فحيث كان ذلك كمالاً في المخلـوق، فالخالق أحق أن يتصف به، لأن كل كمالٍ ثبت للمخلوق لا نقص فيه فالله أحق بالاتصاف به.

١٨٦٣. هل هناك من أنكر هده الصفة؟

نعم، أنكرها أغلب الأشاعرة، وكذلك المعتزلة.

١٨٦٤. ما سبب هذا الإنكار منه؟

توهمـوا أن إثبـات صفـة العلو يسـتلزم التحديد، أو يسـتلزم التجسـيم، أو يسـتلزم التحيّز، وهم يسـتعظمون أن يكون الله في حيز، أو في جهة، أو أن يكون الرب موصوفا بجهة أنه في هذه الصفة.

١٨٦٥. ما بيان الحق لهم؟

يمكـن القـول: أنه سـبحانه أثبت لنفسـه هذه الصفـة، ولا يلزم مـن ذلك ما تخيلـوه، بل هو فوق العباد كلهم، ومع ذلك لا تحويه الجهة التي يشـار إليها

ولا تحصره، فإنه في الجهة العدمية، وليس هناك محذور من إثبات هذه الجهة، أو هذه الصفة، وتم توضيح الأدلة سابقا على إثبات هذه الصفة المباركة لله تعالى.

١٢/ صفة الاستواء

١٨٦٦. ما مذهب أهل السنة في صفة الاستواء؟

يعتقدون أن الله تعالى استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته.

١٨٦٧. هل يُقال بأن صفة (الاستواء) فيها أمر معلوم، وآخر مجهول؟

نعم، فاستواء الله تعالى على عرشه معلومٌ معناه في اللغة العربية، لكنه مجهول في الكيف.

فلهذا واجب أن نقول بأنه استواء حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، وتعالى سبحانه عن مماثلة خلقه في شيء من صفاته.

١٨٦٨. هل الاستواء من الصفات الذاتية؟

نعم، الاستواء من الصفات الذاتية.

١٨٦٩. ما الدليل على ورود هذه الصفة لله تعالى؟

ورد إثبات ذلك لله تعالى في سبع آيات من القرآن:

- قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (السجدة:٤)
- وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الرعد:٢)
- وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الحديد:٤)
- وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (لأعراف:٥٤)
- وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه:٥)

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾. (يونس:٣)
- وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾. (الفرقان:٥٩)

١٨٧٠. **هل أجمع علماء أهل السنة على هذه الصفة؟**

نعم، أجمعوا على إثبات هذه الصفة.

١٨٧١. **ما معاني الاستواء مطلقًا في لغة العرب؟**

إن ورد مطلقاً، فيكون بمعنى النُضج والكمال، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واستوى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾ ( ) أي لما بلغ كماله وتمامه.

١٨٧٢. **ما معاني الاستواء في لغة العرب لو جاء متعديا بحرفٍ معه؟**

- إذا ورد مقيداً بـ (إلى) فيكون معناه القصد بإرادة تامة، ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ (فصلت:١١) أي قصدها بالإرادة التامة.
- إذا ورد مقيداً بـ (الواو)، فهو بمعنى المساواة، ومنه قول العرب: «استوى الماء والخشبة» أي ساواها، وقول البعض: «استوى محمد وبكر في العلم»، أي تساويا في العلم.
- إذا ورد مقيداً بـ (على) فإنه يكون بمعنى العلو والاستقرار والفوقية، ومنه الآيات السبع المذكورة سابقا.

١٨٧٣. **ما العلّة في إنكار كثير من الفرق لهذه الصفة مع ثبوتها بالأدلة من القرآن والسنة الصحيحة الصريحة المتواترة؟**

العلّة في ذلك أنهم توهموا أن الإثبات لهذه الصفة يسلتزم معهاالتشابه والتماثل باستواء الله على عرشه لاستواء المخلوق على كرسيه، أو على ظهر السفينة أو الدابة.

واستوجب لهم ذلك لوازم باطلة، فأرادوا أن يفرّوا منها، فتوهموا أنه يلزم عليهم أن الله محتاج إلى العرش، وأنه يكون محيطاً به، وأنه لو أبعد

العرش لخرّ الربّ!

١٨٧٤. **ما الحل الذي انتهجوه ليعالجوا توهماتهم الباطلة؟**

بعد أن توهموا ما سبق، لم يجدوا إلا أن يحرّفوا هذه الصفة بالاستيلاء، فقال بعضهم بكل جهل: معنى استوى: (استولى).

وهذا تحريف للكلم عن مواضعه.

١٨٧٥. **هل كان لديهم سند، أو دليل يستندون عندهم؟**

الأدهى والأمرّ أنهم يحرّفون نصوص الاستواء ويخرجونها عن دلالتها لبيت من الشعر لا يُعرف قائله، وهو:

قد استوى بشرٌ على العراق   من غير سيف ولا دم مهراق

١٨٧٦. **ماذا يلزمهم من بعد هذا التحريف؟**

يلزم منه أن العرش كان مملوكاً لغيره جلّ وعلا، ثم استولى عليه.

وهو مخالف لدلالة اللغة، ومخالف لمنهج السلف.

١٨٧٧. **ما السلامة من التمثيل الذي هو سبب في وقوعهم بالخطأ الشنيع؟**

القول بما قال به أهل السنة، وترك التوهمات العقلية.

المبحث الحادي عشر

الصفات الفعليه لله تعالى

١٨٧٨. ما المقصود بهذا العنوان؟

يقصد به إثبات وبيان ما يتعلق بصفات الله الفعلية.

١٨٧٩. ما القصود بمصطلح (صفات فعلية)؟

هي التي تتعلق بمشيئته سبحانه، وليست لازمة لذاته، لا باعتبار نوعها، ولا باعتبار آحادها، إن شاء فعلها سبحانه، وإن شاء لم يفعلها.

١٨٨٠. ما أمثلة هذه الصفات؟

مثال تلك الصفات:

- الاستواء على العرش.
- والنزول إلى السماء الدنيا.
- والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة.

فهذه الصفات من صفات الفعلية له سبحانه.

١٨٨١. لماذا جعلنا الصفات السابقة في قسم الصفات الفعلية؟

لأنها صفات حادثة في نوعها وآحادها، فالاستواء على العرش لم يكن إلا بعد خلق العرش، والنزول إلى السماء الدنيا لم يكن إلا بعد خلق السماء، والمجيء يوم القيامة لم يكن قبل يوم القيامة.

١/ صفة المعيّة

١٨٨٢. ما مذهب أهل السنة في صفة المعية؟

يعتقدون أن الله جلّ وعلا مع خلقه في معيّة تليق بجلاله وعظمته.

١٨٨٣. إلى كم قسم تنقسم المعية؟

يمكن تقسيمها إلى قسمين: معيّة عامة، ومعيّة خاصة.

١٨٨٤. ما مقتضيات كل معية؟

المعية العامة: من مقتضياتها العلم والإحاطة والهيمنة والقدرة والتدبر.
والمعية الخاصة: من مقتضياتها الحفظ والنصر والتأييد.

١٨٨٥. ما أدلة المعيّة العامة؟

من أدلة المعية العامة:
- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد:٤)
- وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ (المجادلة: ٧)

١٨٨٦. ما الأدلة الدالة على المعيّة الخاصة؟

من أدلتها:
- قوله تعالى: ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾(التوبة:٤٠)
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه:٤٦)
- وقوله تعالى: ﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ (الشعراء:١٥)
وهذه معية خاصة مخصوصة بشخص.

١٨٨٧. هل هناك نوع آخر من المعية الخاصة؟

نعم، هناك المعية الخاصة المقيدة بوصف، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾. (النحل:١٢٨)

١٨٨٨. ما القول الجامع في هذه الصفة الكريمة؟

القول الجامع أن يقال:
- أن من صفاته سبحانه المعيّة، فنحن نثبتها لله تعالى من غير تمثيل ولا تكييف، ومن غير تحريف ولا تعطيل، لأن الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).
- أن معيّة الله لخلقه ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

- أنهـا حق على حقيقتها، لكنها معية تليق بجلاله وعظمته، ولا تشـبه معيّة المخلوق للمخلوق.
- أنها لا تقتضي أن يكون الله تعالى مختلطاً بالخلق، أو حالاً في أمكنتهم.

١٨٨٩. هل هناك تعارض بين كونه تعالى فوق عرشه في العلو المطلق وأنه معنا؟

لا تعـارض في ذلـك البتة، لكن الحذر من أن يأتي فـي الذهن مماثلة لله في صفاته بصفات خلقه!

فإنـه لا يتعـارض إلا في ذهـن من جعل صفـات البـاري وقدرته كصفات خلقـه وقدرتهـم، وأما مـن قدّر الله حق قـدره، وعلِم علـم اليقين أنه ليس كمثله شـيء فإنه أبداً لا يمكن أن يثور في ذهنه شـيء من هذه الإشـكالات التي يوردها المخالفون.

١٨٩٠. كيف جمع العلماء بين القولين؟

الجمع بين ذلك من وجوه:

الأول: أن الأدلة جمعت بينهما، والأدلة لا يمكن أن تأتي بالمحال أبداً، فهي وإن أتت أحياناً بما يحار فيه العقل، لكنها لا تأتي أبداً بما يتعارض مع العقول السليمة من الآفات الدخيلة.

الثانـي: العلو والمعية قد يجتمعان في حـق المخلوق الضعيف والعاجز، فإن العرب تقول في أسفارها: مازلنا نسير والقمر معنا ، والقمر في العلو، ومـع ذلك يقولـون إنه معنا، فإذا كان ذلك متصـورًا في حق المخلوق العاجز الضعيف، أفيكون محالاً في حق الخالق القادر القوي من كل وجه؟

الثالـث: لو سـلّمنا جـدلاً أنه ممتنـع في حق المخلـوق، فإن امتناعـه في حق المخلـوق لا يلـزم منه امتناعه في حق الخالق، الذي ليس كمثله شـيء فـي ذاته ولا فـي صفاته ولا في أفعالـه، وهو العلي فـي قربه ودنوه، والقريب في علوه وفوقيته جل وعلا.

٢/ صفة (النزول)

١٨٩١. ما مذهب أهل السنة في صفة النزول؟

يعتقدون أن الله جل وعلا ينزل متى ما يشاء نزولاً يليق بجلاله وعظمته.

١٨٩٢. هل هذه الصفة من الصفات الفعلية؟

نعم، هي من الصفات الفعلية.

١٨٩٣. ما دلالة ثبوت هذه الصفة لله تعالى؟

تواتر الدليل من السنة بإثباته،ومن ذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:(ينزل ربنا عز وجل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يسألني فأعطيه، من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فأغفر له)

١٨٩٤. هل تواتر هذا الخبر عن الصحابة؟

نعم، روى هذا الحديث عدّة من الصحابة، منهم أبو سعيد الخدري، وجابر بن عبدالله، ورفاعة بن عرابه الجهني، وجبير بن مطعم، وعثمان بن أبي العاص، وأبي الدرداء، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وابن عباس، وأم المؤمنين عائشة، وأم سلمة، وعبادة بن الصامت وغيرهم رضي الله عنهم وأرضاهم بألفاظ مختلفة، لكنها متفقة في إثبات صفة النزول لله تعالى.

١٨٩٥. ماذا قال العلماء في نظمهم لهذه الصفة العظيمة؟

قال الناظم :

والله ينزل دون كيفٍ يا فتى ... نحو السماء إذا مضى الثلثان

فيقول هل من سائل فأجيبه ... هل من منيبٍ طالب الغفران.

١٨٩٦. ماذا قال المخالفون في إثبات هذه الصفة؟

قالوا: إن إضافة النزول إلى الله تعالى إضافة مجازيّة لا حقيقية، وإنما الذي

ينـزل أمره، أو رحمتـه، أو مَلك من الملائكة، وأما اللـه تعالى فإنه منزّه عن النـزول.

١٨٩٧. ما سبب عدم قبولهم للنصوص الصحيحة في هذه الصفة؟

رأوا بأفهامهـم أن إثبـات ذلك لله تعالى يوجب اتصافه بالنقص للمشـابهة مع الخلق، ففرّوا من إثباتها إلى تحريفها وتعطيلها.

١٨٩٨. ما بيان الجواب على ذلك؟

قال أهل السنة جوابا على ما قالوه:

الأول: أن قولكـم هذا مخالف لما فهمه السـلف وأجمعوا عليه، فهو باطلٌ، لأنه مخالف للحق.

الثاني: أنه صرفٌ للفظ عن دلالته الظاهرة إلى شـيء آخر بلا دليل أو قرينة صارفـة، وقـد تقرر شـرعا وعقلا أن الأصـل هو البقـاء على الأصل والظاهر حتى يرد الناقل.

الثالـث: أنكـم جعلتـم في الـكلام شـيئاً محذوفاً مثـل (تنزل رحمـة الله) والأصـل عـدم الحـذف وعـدم التقدير، ومـن يخالف الأصـل فعليه الدليل.

الرابـع: أن أمرَ الله ورحمتـه نازلة بالليل والنهار، فلـم التقييد لنزولهما من النبي ﷺ في هذا الوقت فقط؟

الخامـس: هـل يُتصـور أن يقول: الأمـر أو الرحمـة أو الملَك: (من يسـألني فأعطيه من يدعوني فأسـتجيب له، من يستغفر فأغفر له)، وفي الثلث الأخير من الليل؟

فهـل يمكن أن يصدر هذا الكلام من أحدٍ إلا الله عز وجل، فهو الذي يعطـي السـائلين ويجيب الداعـين، ويغفـر للمسـتغفرين؟ فمن قال التأويل السابق لم يفكر في عواقب تحريفه، هذا وإنما همه كيف الفرار من إثبات هذه الصفة فقط فوقع فيما وقع فيه بسبب ذلك.

١٨٩٩. قـد يتوهّم البعض فـي قوله تعالـى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَـنْ فِي السَّـمَاءِ﴾(الملك:١٦)

وما شابهها، وقول الجارية لما سُئلت: أين الله؟ وقالت (في السماء) أن الله تعالى داخل السماء، أي أنها تقلُّهُ أو تظله، فما الجواب لإزالة ذلك الإيهام؟

هذا الوهم لا يرد إلا في ذهن من لم يقدّر الله تعالى حق قدره، ولم يعرف أنه تعالى العظيمَ في ذاته وصفاته وأفعاله، ومن جاءه التفكير بالمشابهة بين الله وخلقه.

١٩٠٠. كيف ردّ أهل السنة على هذه الأوهام؟

كشف أهل السنة النقاب عن هذا الوارد، من خلال البيان الآتي:

الأول: أن حرف ﴿ في ﴾ في الآية والحديث لا يُراد به الظرفية، وإنما يقصد به أنه بمعنى (على)، ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (طه:٧١) والمراد: عليها.

وقال تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (التوبة:٢) والمراد: عليها، فقوله تعالى: ﴿ أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ (الملك:١٦) أي: على السماء .

الثاني: لو سلمنا أن المراد بـ﴿ في ﴾ الظرفية، لكن لا نسلم أن المراد بالسماء هذه السماوات السبعة، بل المراد بها العلو، فإن كل ما علا فهو سماء.

١٩٠١. ما أدلة القول الأخير؟

ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾ (الفرقان:٤٨) والمطر ينزل من السحاب، فسمي السحاب سماءً لعلوه، فقوله تعالى: ﴿ أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ أي من في العلو، والله له العلو المطلق جل وعلا.

٣/ صفة (المجيء – الإتيان)

١٩٠٢. ما مذهب أهل السنة في صفة المجيء والإتيان؟

يعتقدون أن لله تعالى مجيئاً وإتياناً يوم القيامة لائقاً بجلاله وعظمته، لا يماثل مجيء المخلوقين ولا إتيانهم، فليس كمثله شيء في مجيئه وإتيانه.

١٩٠٣. ما القول في المشابهة بين مصطلحي مجيء وإتيان للخالق مع الخالق؟

يمكن القول بأن مجرد الاتفاق في الاسم لا يستلزم الاتفاق في المسمى، فنثبتها لله تعالى إثباتاً بلا تمثيل، وننزهه عن مماثلة خلقه تنزيهاً بلا تعطيل.

١٩٠٤. هل هما من صفات الذات أم الفعل؟

هما من من صفات الله الفعلية، والمتعلقة بالمشيئة.

١٩٠٥. ما الدليل على وجود هذه الصفة لله تعالى؟

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾. (الفجر:٢٢)

وقال تعالى:﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (البقرة:٢١٠)

وفي الحديث: (فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون). رواه مسلم

١٩٠٦. كيف حرّف المخالفون هذا القول الصريح؟

تم تحريفه إلى مجيء أمره.

وهذا مخالف للأدلة،وإقحام لكلام في السياق ولا برهان عليها، وفيه مخالفة للأصل بلا مقتضٍ.

٤/ صفات الرضى والغضب والسخط والكره

١٩٠٧. ما مذهب أهل السنة في صفة الرضى والغضب والسخط والكره؟

مذهبهم في ذلك هو كمذهبهم في سائر صفات الله تعالى، وهو الإيمان بها، ووصف الله تعالى بها.

١٩٠٨. هل هي صفات فعلية أم ذاتية؟

هي من قبيل الصفات الفعلية المتعلقة بالمشيئة، والتي توجد عند وجود مقتضياتها إذا أرادها الله تعالى، على ما يليق بجلاله وعظمته.

١٩٠٩. هل معاني هذه الصفات الكريمة معلومة؟

نعم، معانيها وفق ما ورد في اللغة معلومة، ولكن نفوّض علم كيفياتها إلى

الله تعالى، فهو أعلم بحقيقتها.

١٩١٠. ما دليل ثبوتها لله تعالى؟

- قال تعالى: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾(البينة: ٨)

- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (النساء:٩٣)

- وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد:٢٨)

- وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (التوبة:٤٦)

١٩١١. ما قول أهل السنة في هذه الصفة؟

حينما أجمعوا على إثبات هذه الصفات، حرصوا على إثباتها إثباتاً بلا تمثيل، وينزّهون الله تعالى عن مماثلة خلقه تنزيهاً بلا تعطيل.

٥/ صفة الفرح والضحك

١٩١٢. ما مذهب أهل السنة في صفة الفرح والضحك؟

يؤمنون بأن من صفاته جل وعلا الفرح والضحك، فيثبتون هاتين الصفتين كسائر صفاته جل وعلا من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل لأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

١٩١٣. ما بيانها بالدليل؟

- قال النبي ﷺ: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده من راحلته ..). متفق عليه

- وقال ﷺ: (يضحك الله تعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة .... الحديث). متفق عليه

- وفي الحديث الآخر: (أتدرون مما أضحك، من ضحك الله تعالى حين قال له: أتستهزئ بي وأنت رب العالمين). رواه مسلم

١٩١٤. هل هي صفة ذاتية أم فعلية؟

هما من الصفات الفعلية التي يفعلها الله متى شاء وكيفما شاء.

١٩١٥. هل المعنى المتعلق بهما واضح؟

نعـم، فمعنى الفرح والضحك لغةً معلوم لغة، لكن كيفه مجهول، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عن كيفيته لا تجوز.

٦/ وصف الشيء والموجود

١٩١٦. هل يمكن وصف الله: بالشيء والموجود؟

نعم، فــ (الشــيء) و(الموجود) يُخْبر بهما عن الله تعالى، وليسا من أسماء الله،

١٩١٧. ما قول العلماء في هذا الجانب؟

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله: «وَيُفَرِّقُ بَيْنَ دُعَائه وَالْإِخْبَارِ عَنْهُ، فَلَا يُدْعَى إلَّا بِالْأَسْـمَاءِ الْحُسْـنَى؛ وَأَمَّا الْإِخْبَارُ عَنْهُ، فَلَا يَكُونُ بِاسْـمٍ سَيِّئٍ؛ لَكِنْ قَدْ يَكُونُ بِاسْمٍ حَسَنٍ، أَوْ بِاسْمٍ لَيْسَ بِسَيِّئٍ وَإِنْ لَمْ يُحْكَمْ بِحُسْنِهِ، مِثْلَ اسْمِ شَيْءٍ وَذَاتٍ وَمَوْجُودٍ ...»[١٠٥].

١٩١٨. هل هناك من قاعدة في هذا الجانب؟

نعم، قال ابن القيم رحمه الله: "ما يُطلق عليه في باب الأسـماء والصفات توقيفـي، ومـا يطلق عليه من الأخبـار لا يجب أن يكـون توقيفا؛ كالقديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه".[١٠٦]

١٠٥- مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٢)

١٠٦- بدائع الفوائد" (١/ ٢٨٥)

المبحث الثاني عشر

قضايا متعلقة بالأسماء والصفات

١٩١٩. ما المقصود من هذا العنوان؟

هناك قضايـا متعلقة بهذا الجانب العقدي المهم لها ارتباط وثيق بها، مثالها: الرؤيـة، تقـديم العقـل على النقـل، وكيفية فهـم المحكم والمتشـابه في هذا الجانب.

المطلب الأول: ما يتعلق بالرؤية

١٩٢٠. ما المقصود من هذا العنوان؟

يقصد به الاعتقاد بإمكانية أو استحالة رؤية المخلوق للخالق سبحانه.

١٩٢١. ما مذهب أهل السنة رحمهم الله تعالى في الرؤية؟

يعتقـدون أن الله تعالى يُرى يوم القيامـة، رؤية حقيقية عياناً بالأبصار، كما يُرى القمر ليلة البدر، والشمس صحوًا ليس دونها سحاب.

١٩٢٢. كيف ستتحقق هذه الرؤية؟

كل ذلـك علـى الكيفيـة التي يريدهـا الله تعالـى، لا ندخل في هـذا الباب متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، بل نثبت ما أثبته النص، ونسكت عما سكت عنه، ونقف حيث وقف السلف رحمهم الله تعالى في تقريراتهم.

١٩٢٣. هل هناك مواضع تتحقق فيها الرؤية للمؤمنين مع الله تعالى؟

نعم، فسيتحقق للمؤمنين ذلك في عرصات يوم القيامة، ويُرى سبحانه بعد دخولهم إلى الجنة.

١٩٢٤. ما الأدلة المثبتة لذلك من القرآن؟

الأدلة على تحقق الرؤية:

- قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة:٢٢:٢٣)

- وقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (يونس:٢٦) وقد فسّر أعلم الخلق بربه هذه الزيادة بأنها رؤية الله تعالى.
- وقال تعالى: ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (قّ:٣٥)

١٩٢٥. ما الأدلة المثبتة لذلك من السنة؟

من السنة فالأحاديث كثيرة ، ومنها

- حديث صهيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ: (إذا دخل أهل الجنة الجنةَ، يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا، ألم تُدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم) ثم تلا هذه الآية: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ رواه مسلم
- وعن جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب، فإن استطعتم على أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا). رواه البخاري
- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن أناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: (هل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. فقال ﷺ: هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب؟ قالوا لا يا رسول الله. قال: فإنكم ترونه كذلك). رواه البخاري

١٩٢٦. ماذا يُستفاد من الحديث الثاني والثالث السابقين؟

يستفاد منها أن فيهما تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، أي أن رؤية الله تعالى يوم القيامة ستكون في أعلى درجات الوضوح، فلا مُضارة فيها ولا خفاء ولا لبس ولا شك.

١٩٢٧. هل هذا الخبر فيه تواتر عن الصحابة y؟

نعـم، وهـذا من التواتر بالنقل بينهم، فقد ورد عن أبي سـعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحو حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في الصحيح أيضاً.

وقـد وردت أحاديـث الرؤيـة مـن طريـق الصدّيـق، وأنس وجابـر وجرير البجلـي، وحذيفـة، وأبـي هريـرة، وزيـد بن ثابـت، وصهيب، وعبـادة بن الصامـت، وابـن عباس، وابن عمر، وأبن مسـعود، ولقيط بـن عامر، وأبي رزيـن، وعلـي بن أبي طالب، وعـدي بن حاتم، وعمار بن ياسـر، وفضالة بن عبيد، وأبي سعيد الخدري، وأبي موسى الأشعري، وبريدة بن الحصيب الأسلمي، رضي الله عنه وأرضاهم.

وقد أخرج اللالكائي في شـرح السـنة قال: «سمعت يحيى بن معين يقول: عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية، كلها صحاح». أهـ.

١٩٢٨. هل أثبت المخالفون رؤية الله تعالى؟

لـم يثبتوهـا، بـل حرّفوها إلـى رؤية الثـواب والجـزاء والنعيم فقـط، وهذا كعادتهم فيما لا يتوافق مع عقولهم وأفهامهم.

١٩٢٩. بماذا احتجوا، وكيف الجواب عن استدلالتهم؟

استدلوا على نفيهم هذا بأدلة من القرآن، من ذلك:

قالوا: قال تعالى لموسـى عليه السـلام: ﴿ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾ (الأعراف: ١٤٣) وزعمـوا بـأن ﴿ لـن ﴾ تفيد النفـي للتأبيد، فـإذا هذا نفي للرؤيـة على وجه الإطلاق!

قال أهل السنة: الجواب على ما زعموا:

الأول: أن (لن) لا تفيد النفي المؤبد، حتى وإن قُرنت بلفظ الأبد، بدليل قوله تعالى عـن اليهود: ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَـا قَدَّمَـتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ (الجمعة٦:٧) ومع ذلـك فإنهم يتمنونه في الآخرة إذا دخلـوا النار، كمـا في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِـكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّـكَ قَالَ إِنَّكُـمْ مَاكِثُونَ ﴾ (الزخرف:٧٧) فـإذا النفي للرؤية في ذلك الوقت لا يلزم منه انتفائه مطلقاً.

الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ولم يقل: (إني لا أُرى)، أو (لست بمرئي)، أو لا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر، بل قوله: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ فيه دليل على أنه يُرى، لكن لمانع منع الرؤية في وقت الطلب.

الثالث: أنه سبحانه بيّن السبب في عدم رؤيته، وهو عدم تحمل النفس، ذلك بدليل أنه تعالى لما تجلّى للجبل، وحصل للجبل ما حصل من الإندكاك، فأعلم الله تعالى موسى عمليا أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذين خلقوا من ضعف؟ فهذا دليل على أن المانع ضعف القوى البشرية عن رؤيته، وهذا الحال سيتغير يوم القيامة، وفي الجنة تحديدًا.

الرابع: أنه لو كانت رؤيته تعالى محال لما كان كليم الله تعالى يتكلّف السؤال عنها، لأنه أعلم الناس بربه في زمانه، فلا يتصور منه أن يسأل ما لا يجوز على الله تعالى، فلما سألها موسى ولم يمنعه ربه، عُلم بذلك أنها مما يمكن، ولكن ثمة مانع وهو الضعف البشري، فلا يمكن أن يكون من يمنع الرؤية مطلقا، أشد تنزيهاً وأعلم بالله من كليمه ورسوله الكريم.

الخامس: أنه تعالى تجلّى للجبل! فإذا جاز أن يتجلّى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته؟ ولهذا أوضح الله تعالى لموسى بأن الرؤية في الدنيا متعذرة.

السادس: لو سلمنا جدلاً أن هذه الآية فيها شيء من النقاش، فلا تعدو بذلك أن تكون من المتشابه.

وقد تقرر في الأصول أن المتشابه يُرد إلى المحكم، ونعلم بأن الأدلة المثبتة للرؤية من الكتاب والسنة كثيرة، وتأيدت بالإجماع القطعي الذي يكفر من خالفه، فإذا قدروا على الدخول على هذه الآية فهل يقدرون على كل الأدلة المثبتة للرؤية؟ بالطبع لا إلا مع العناد والاستكبار، وهذا التسليم جدلي، وإلا فالآية من المحكم كما سبق في الأجوبة.

١٩٣٠. ما الرد على من يستدل بقوله تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ (الأنعام: ١٠٣) وأن هذا فيه نفيٌ للرؤية؟

الرد على هذا:

- إن المنفي في هذه الآية ليس الرؤية، وإنما هو الإدراك، وهو أمر يعقب الرؤية.
- الآية تفيد أنه سبحانه يُرى، ولكنه لا يُدرك بالرؤية، كما أنه يُعلم ولكن لا يحاط به علماً، فكل إدراك رؤية، وليس كل رؤية إدراكاً.
- مثالِ الفرق بين الإدراك والرؤية، قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قال كلا﴾ (الشعراء:٦١) فأثبت الرؤية ونفى الإدراك، فلهذا نقول بأن الإدراك أمر زائد على الرؤية.
- في الحقيقة أن هذه الآية دليل لمن يثبت الرؤية لا عليهم، لأنه سبحانه لما نفى الإدراك علمنا أن هناك رؤية، إذ لو لم يكن هناك رؤية أصلاً لما نفى الإدراك.

المطلب الثاني: ما يتعلق بالإلحاد

١٩٣١. ما تعريف (الإلحاد) لغة؟

هو الميل، ومنه اللحد، لأنه ميلٌ عن حفرة القبر.

١٩٣٢. ما تعريف الإلحاد شرعا؟

هو الميل عن ما يجب اعتقاده في أسمائه جل وعلا وآياته.

ومنه وصف الملحد، لأنه مائل عن الاعتقاد والعمل الصحيح الموافق للكتاب والسنّة.

١٩٣٣. ما بيان أقسامه؟

من التعريف يتضح أن الإلحاد قسمان:

- إلحاد في أسماء الله تعالى.
- إلحاد في آياته.

١٩٣٤. ما أنواع الإلحاد في أسماء الله جل وعلا، وما حكمه؟

الإلحاد في أسماء الله تعالى أنواع:

الأول: إنكارها جملة، أو إنكار بعضها، كما وقع من الجهمية نفاة الأسماء والصفات، وكما وقع من المشركين، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً﴾ (الفرقان:٦٠) فمنَ أنكر أسماء الله تعالى بعضًا، أو كلاً فهو ملحد.

الثاني: إنكار ما تضمنته من الصفات، فيثبت الاسم ولكنه ينكر الصفة، كما وقع من المعتزلة، فإنهم يقولون: الله عليمٌ بلا علم، وقدير بلا قدرة، وبصير بلا بصر، وسميعٌ بلا سمع، وقوي بلا قوة، وهكذا في سائر الأسماء.

وقد تقدم أن أهل السنة يثبتون الأسماء، ويؤمنون بما تضمنه الاسم من الصفة.

الثالث: تسمية الله تعالى بما لا دليل عليه، وهذا تجرؤٌ على مقام الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فتراهم يطلقون على الله تعالى من الأسماء ما لا دليل عليه، وذلك كتسمية النصارى له بـ (الأب).

وكقول الفلاسفة: الله هو العقل الفعّال، والعلة الفاعلة، والموجب بالذات.

أما أهل السنة فإن باب الأسماء عندهم باب توقيفي على الدليل، فلا يسمّون الله تعالى إلا بما سمّى به نفسه، أو سمّاه به رسوله ﷺ.

الرابع: وصفه تعالى بما لا يليق به جل وعلا وتقدس.

كقول اليهود عن الله سبحانه: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق الخلق، وقولهم أن يده مغلولة.

وقول النصارى: إنه أتخذ صاحبة وولداً.

الخامس: أن يشتق من أسمائه جل وعلا أسماء لبعض المعبودات الباطلة، كتسميتهم اللات من الله، والعزّى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهاً،

وهذا إلحاد حقيقة، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى معبوداتهم الباطلة.

السادس: تشبيه صفاته بصفات خلقه أو تعطيلها، كما وقع فيه الممثلة والمعطلة، وهذا الإلحاد حرام وجريمة، وقد يصل بصاحبه إلى الكفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف:١٨٠).

١٩٣٥. ما أنواع الإلحاد في الآيات؟

الإلحاد في الآيات نوعان:

- إلحاد في الآيات الكونية، كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض ونحوها.
- وإلحاد في الآيات الشرعية، أي القرآن.

١٩٣٦. ما توضيح الإلحاد في الآيات الكونية؟

الإلحاد في الآيات الكونية، يكون باعتقاد خالق لها مع الله تعالى، أو معين له في خلقها، أو أن هناك مدبرًا لها معه جلّ وعلا، أو صرف شيء من العبادة لها من دونه جل وعلا.

١٩٣٧. ما أدلة هذا القول من القرآن الكريم؟

- قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (سبأ:٢٢)
- وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ (فاطر:٤٠)

١٩٣٨. ما توضيح الإلحاد في الآيات الشرعية؟

يكون بإنكارها جملة، أو بإنكار بعضها، أو تحريفها وإخراجها عن المعاني الصحيحة اللائقة بها، أو اعتقاد أن هذا القرآن مخلوق من جملة المخلوقات،

أو التكذيب بشيء منها.

١٩٣٩. ما حكم هذا النوع من الإلحاد؟

هذا الإلحاد حرام وكبيرة من كبائر الذنوب، وقد يصل بصاحبه في كثير أحيانه إلى الكفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت:٤٠).

المطلب الثالث: المحكم والمتشابه في الصفات

١٩٤٠. ما معنى المحكم والمتشابه في صفات الله؟

المراد بالمحكم ما اتضح معناه، والمتشابه ما خفيَ معناه ولم يُعرف.

١٩٤١. هل آيات الصفات من قبيل المحكم أم من المتشابه؟

لا يُقال أنها من المحكم مطلقاً، ولا يقال أنها من المتشابه مطلقاً.

١٩٤٢. ما بيان هذا القول؟

آيات الصفات من المحكم باعتبار معانيها، بل هي من أعلى درجات المحكم لأننا نعلم معانيها كما قدمنا سابقاً.

ومن المتشابه باعتبار كيفياتها، لأننا لا نعلمها، ولا طريق للعلم بها.

١٩٤٣. ما أقوال الفرق الإسلامية فيها؟

الأول: من يرى أنها من المتشابه مطلقاً، أي لا يُعلم معناها أصلاً، فضلاً عن كيفيتها.

الثاني: من يرى أنها من المفهوم المعلوم حتى في كيفياتها.

الثالث: أنها من المحكم باعتبار، ومن المتشابه باعتبار، فهي محكمة باعتبار معانيها، ومتشابهة باعتبار كيفياتها.

١٩٤٤. هل هناك إثبات وتفويض عند كلامنا عن صفات الله سبحانه؟

نعم، هناك إثبات للصفات وفق معانيها في اللغة، وتفويض لعلم كيفيتها.

١٩٤٥. هل واجب الاحتياط والتوضيح عند الكلام في صفات الله؟

نعم، فإن الاحتياط في الجواب وإزالة ما عساه أن يأتي على ذهن السامع من مقاصد أهل السنة والجماعة.

١٩٤٦. هل مهم التوضيح بما يتعلق بظاهر الصفات؟

نعم، إن لفظ الظاهر بحسب كثرة الاستعمال صار من الألفاظ المجملة، فالممثلة والمعطلة يفهمون منها ظاهراً، وأهل السنة يفهمون منها ظاهراً.

١٩٤٧. هل ظاهر نصوص الصفات مرادٌ أم غير مراد؟

إن كان المتكلم يريد بالظاهر ما يفهمه أهل السنة والجماعة من هذه النصوص من المعاني اللائقة بالله جل وعلا التي لا تمثيل فيها ولا تعطيل ولا نقص بوجه من الوجوه، فهذا الظاهر لاشك أنه مراد.

وإن كان غير ذلك فهو غير مطلوب.

١٩٤٨. هل هناك إجماع بحمل الصفات على الحقيقة والظاهر؟

نعم، فعلماء أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز.

١٩٤٩. ما الأمثلة الدالة على مثل هذا التقرير؟

من الأمثلة على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾، فالظاهر منها عند أهل السنة إثبات اليديْن اللائقتيْن بالله جل وعلا.
- قوله تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك﴾، فالظاهر منها عند أهل السنة إثبات الوجه لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته.
- قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، فالظاهر منها إثبات الرحمة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته.
- قوله ﷺ: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا.....الحديث) فالظاهر منه إثبات

النزول في هذا الوقت لله جل وعلا، على ما يليق بجلاله وعظمته.

١٩٥٠. ما حكم السؤال عن كيفية شيء من صفات الله تعالى؟

هذا محرّم، وهو جريمة من إقحام العقل والنفس فيما لا مجال لهما فيه.

١٩٥١. لماذا لا يُشرع لنا السؤال عن كيفية صفات الله تعالى؟

لأنه مسلك أهل البدع، ومن أبواب الشر التي لو فتحت لأفسدت على الناس عقيدتهم في ربهم جل وعلا، بتشبيه الخالق بالمخلوق، ولهذا لا نجده عند السلف رحمهم الله تعالى، ولا يُعرف عنهم كلمة واحدة في ذلك.

١٩٥٢. لماذا ابتعد سلف الأمة عن هذا الجانب؟

لأنه من الأمور الغيبية التي هي خارجة عن حدود العقل وطاقاته، فمهما أعمل الإنسان عقله في إدراك الكيفية لشيء من صفات الله فلن يرجع إلا بالضلال والشكوك والأسئلة الكثيرة والإشكالات المحيرة التي لا جواب عنها إلا بردع العقل والنفس عن الدخول في ذلك.

١٩٥٣. لماذا لا يصحّ عقلا السؤال عن كيفية صفات الله؟

لا يصح عقلا لأن معرفة كيفية أي صفة يحتاج إلى ثلاثة سبل، وهي:

١/ رؤية ذات الشيء.

٢/ رؤية المثيل له.

٣/ إخبار الشيء عن نفسه.

وكل هذه الأمور ممتنعة في حق أي صفة من صفات الله سبحانه.

المطلب الرابع: ما يتعلق بالتأويل

١٩٥٤. ما تعريف التأويل؟

هو صرف المعنى الراجح إلى معنى مرجوح من غير قرينة.

١٩٥٥. ما أقسام التأويل؟

التأويل ثلاثة أقسام:

الأول: حقيقة الشيء التي يؤُول إليها.

الثاني: التأويل بمعنى التفسير.

الثالث: التأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى معناه المرجوح.

ما يتعلق بالأول: حقيقة الشيء.

١٩٥٦. ما المقصود بهذا النوع؟

يُراد به اللفظ وما تصرّف منه، أي حقيقة الشيء التي هو عليها في الواقع، فتأويل الأمر امتثاله وفعله.

١٩٥٧. أين نجد هذا النوع من التأويل؟

نجده في القرآن الكريم، حيث يكثر استعماله لهذه اللفظة وما تصرّف منها.

١٩٥٨. ما الدليل على وجود هذا الاستعمال في الشرع؟

من أدلة هذا:

- قالت عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي. يتأول القرآن) متفق عليه، أي يوقع حقيقة ما أمر به في القرآن، وتأويل النهي اجتنابه.
- تأويل قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ (الإسراء:٣٢) هو اجتناب الزنى.
- تأويل قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (الأنعام:١٥١) هو ترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن وهكذا.
- تأويل الرؤيا وقوعها أي وقوع حقيقتها في الخارج ومنه قوله تعالى عن يوسف ﷺ: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً﴾ (يوسف:١٠٠) أي أنَ سجودَ أبويه وإخوته له هو حقيقة الرؤيا التي رآها من قبل.

- تأويـل الخبـر بوقوع حقيقته، كما قـال تعالى مهدداً الذيـن ينكرون اليوم الآخـر: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَـهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ (الأعراف:٥٣) أي هـل ينتظرون إلا وقوعَ حقيقتِه على ما أَخبـرَت به الكتب وجاءت به الرسـل يوم تأتـي حقيقته حينئذ يندمون ولات سـاعة منـدم، فتأويل اليوم الآخر هو وقوعه، وتأويل الصفات هي حقيقتها التي هي عليها في الواقع.
- قـول الخضر لموسـى ﷺ: ﴿سَـأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيـلِ مَا لَمْ تَسْـتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرا﴾ (الكهـف: ٧٨) أي سـأخبرك بحقيقَـةِ مـا رأيـت مـن الأمـور التـي جعلتـك تسـتنكر وتبادر بالإنكار، ثم قال بعـد ذلك أي بعد أن بين له حقيقتها:﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ (الكهف: ٨٢) أي هذا الذي بينته لك هو الحقيقة التي يؤول إليها ما فعلته.

ما يتعلق بالثاني: التأويل بمعنى التفسير.

١٩٥٩. أين نجد هذا النوع من التأويل؟

نجـده بوضوح فـي كتب التفسـير، ومنه قول الإمـام ابن جريـر الطبري في تفسيره: «القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا....كذا وكذا»، أي تفسير.

١٩٦٠. ما مثاله؟

قول النبي ﷺ لابن عباس ﷺ: (اللهم فقهه في الدين، وعلّمه التأويل) أي تفسير القرآن، ومنه قول ابن عباس ﷺ: «أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله».

١٩٦١. ما مشروعية استخدام لفظ التأويل في معنى التفسير؟

هـذا مـن الجائز في الاسـتعمال، فقد قيل فـي بعض الآيات التـي ورد فيها لفـظ التأويل أنها بمعنى التفسـير، وهذا من خلاف التنوع لا التضاد، فهذان المعنيان صحيحان مقبولان متفق عليهما بين أهل العلم، وهما المأثوران عن السلف الصالح.

النوع الثالث: التأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى معناه المرجوح، أو من حقيقته إلى مجازه.

١٩٦٢. **هل هذا النوع والاستخدام مأثور عن سلف الأمة؟**

هذا النوع من التأويل لا يُعرف عن السلف.

١٩٦٣. **من أين جاء هذا المصطلح؟**

إنما أحدثه المتأخرون من المتكلمين في الأصول والفقه، وقد تلقفوه من أهل الكلام المذموم.

١٩٦٤. **هل النتائج كانت مباركة بعد استحداث هذا النوع؟**

هذا الذي أدخل على أهل الإسلام البلاء الكثير والشر المستطير.

١٩٦٥. **ما الأمثلة على هذا النوع من التأويل؟**

من أمثلته تأويل (يدُ الله) بالرحمة أو القدرة، أو (الإستواء لله) بالإستيلاء.

١٩٦٦. **كيف تعامل أهل السنة مع هذا النوع من التأويل؟**

توقّف علماء أهل السنة في قبوله أو ردّه لأنه من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقاً وباطلاً، وشأنهم فيما كان من هذا القبيل التوقف والإستفصال.

١٩٦٧. **ماذا كانت وجهة نظرهم في هذا النوع من التأويل؟**

قالوا: إن كان هذا الصرف وفق الدليل الصحيح الصريح فإنه صرفٌ مقبول، وأما إذا كان صرفاً لا دليل عليه، وإنما مبناه على الوهم والتخرّص والظنون الكاذبة والشهوات والهوى فإنه مردودٌ على صاحبه.

١٩٦٨. **هل الوصف له بمصطلح (تأويل) ينفعه بشيء؟**

هو في هذه الحالة، وإن سمّاه أصحابه تأويلاً ليرُوج وتقبله النفوس، إلا أنه في حقيقته تحريف وخلط وباطل.

١٩٦٩. ما الدليل على بطلان التأويل في النوع الثالث؟

دليل بطلانه تعود لأسباب كثيرة، منها:

- أن المتقرر عند أهل العلم أن الأصل هو البقاء على الظاهر الراجح، ولا ننتقل إلى المرجوح إلا بدليل.
- أن الأصل في الكلام الحقيقة، فلا يعدِل عنها إلى المجاز إلا بقرينه صادقة.
- أن هذا الصرف الذي لا دليل عليه يعتبر تحكّم في كلام المتكلم بلا إذن منه، وهذا لا يجوز في آحاد كلام البشر، فكيف بكلام الله جل وعلا وكلام رسله صلوات الله وسلامه عليهم؟
- أن أدلة الشريعة إنما جاءت لإرادة البيان والهدى لا للألغاز والتعمية، فكيف يخاطبنا الشارع بكلام له ظاهر، وهو في حقيقة الأمر لا يريد منّا أن نعتقد ظاهره من غير بيانٍ منه لذلك! فإن هذا القول يتضمن إخراج هذه النصوص عن مقصودٍ إنزالها الذي هو الهداية.

١٩٧٠. ما قول العلماء عن النوع الثالث من أنواع التأويل؟

لله در العلماء في إنكارهم على هذا النوع من التأويل، ومن ذلك الإمام العلامة ابن القيم لما جعله من جملة الطواغيت التي أفسدت كثيراً من عقول المسلمين وعلومهم، وأدخلت عليهم التمثيل والتعطيل والجبر وإنكار القدر، والوقيعة في خيار الأمة وسلفها.

١٩٧١. أيهما أرجح في الوقف في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ٧١) أن يكون على لفظ الجلالة ﴿اَللَّه﴾، أم يكون على لفظةَ ﴿العلم﴾؟

الوقف يختلف باختلاف ما يقوم في قلب القاري من معاني التأويل السابقة - أي النوع الأول والثاني فقط - لأنهما المأثوران عن السلف.

١٩٧٢. ما توضيح هذا؟

- إن قام في القلب المعنى الأول، فالوقف على اسم الجلالة، أي على قوله ﴿إلا الله﴾ لأن الذي يعلم حقيقة ما أخبرت به الرسل على ما هو

عليه في الواقع من آيات الصفات واليوم الآخر إنما هو الله تعالى، ونحن وإن علمنا معانيها لكن لا يعلم كيفياتها على ما هي عليه إلا الله تعالى.

- وأما إذا كان الذي قام بقلب القارئ المعنى التأويل، أي التفسير، فالوقف التام على قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾ وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى، فإذا وقفت على اسم الجلالة فاعتقد المعنى الأول، وإذا وصلت فأعتقد المعنى الثاني.

المطلب الخامس: العقل والنقل

١٩٧٣. ما المقصود من هذا العنوان؟

المراد منه بيان: هل هناك من تعارض بين النقل الشرعي الوارد في القرآن، أو السنة الصحيحة مع العقل الصحيح؟

١٩٧٤. هل يمكن أن يتعارض النقل (النص الشرعي) مع العقل؟

لا، لا يمكن هذا أبداً، ولذلك فإن أهل السنة رحمهم الله تعالى قرروا في ذلك قاعدة عظيمة وهي قولهم: (لا يتعارض نص صحيح، وعقل صريح) ويقصدون العقل الصريح أي السليم من الآفات والشبهات الدخيلة على العقل.

١٩٧٥. هل بيّن العلماء ما يتعلق حول هذا الأمر؟

نعم، فقد ألّف فيها ابن تيمية كتابه الكبير: (درء تعارض العقل والنقل)، وردّ فيه إمكانية تعارض العقل الصريح والنقل الصحيح، فأتى فيه بما لم يأتِ به أحد، فجزاه الله خيراً ورفع نزله في الفردوس الأعلى.

١٩٧٦. ماذا نفعل لو وجدنا شيء من التعارض الظاهري بين النص الشرعي مع العقل؟

إذا وجد ما يُوهم التعارض، فننظر أولاً في صحة النقل، أي إذا كان من السنة، فإذا ثبتت صحته، فننظر في صراحة العقل وسلامته من الآفات

الدخيلـة عليـه، فإذا توفـر الأمران فإنه أبـداً لا يمكن أن يتعـارض النقل مع العقل.

١٩٧٧. **لماذا لا يمكن تعارض النقل مع العقل؟**

لأن الـذي أنزل النص هو الـذي خلق العقل، وهو أصدق حديثاً وأحسـن قيلاً من خلقه،

والنقـل مـا نـزل إلا لهداية العقـل وإخراجه مـن ظلمات الشـرك والبدعة والغفلة والمعصية إلى نور التوحيد والسـنة والطاعة، فكيف يجعل معارضاً له؟

١٩٧٨. **من الذي نتوقع أن تكون عندهم هذا التعارض؟**

لا يدّعي وجود هذه المعارضة إلا أهل البدع، وأما أهل السـنة فإنه لا يعرف عنهم في ذلك حرف واحد.

الفصل الثامن

ما يتعلق بالصحابة رضي الله عنهم

المبحث الأول:الفضائل العامة للصحابة رضي الله عنهم

المبحث الثاني: التعامل الشرعي مع الصحابة.

المبحث الثالث: فضائل الخلفاء الراشدين

المبحث الرابع: ما يتعلق بالخلافة

المبحث الخامس: الشهادة في الآخرة على معين

المبحث السادس: ما يتعلق بكرامات الأولياء

المبحث السابع: ما يتعلق بمعرفة الغيب

المبحث الثامن: ما يتعلق بالولاء والبراء

المبحث الأول

الفضائل العامة
للصحابة رضي الله عنهم العامة

١٩٧٩. ما المقصود بمصطلح (صحابي).

هو كل من لقي النبي ﷺ، آمن به، ومات على الإيمان.

١٩٨٠. من يدخل في تعريف صحابي؟

يشمل كل فرد ممن هاجر إلى المدينة، ومن كان في المدينة، وأيضا ممن كان غير مكة والمدينة، ممن ألتقى بالنبي ﷺ وآمن به ومات على الإيمان.

١٩٨١. ما فضائلهم الواردة في القرآن الكريم؟

- قال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾. (التوبة:١٠٠)
- وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. (الفتح:٢٩)
- وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. (الفتح:١٨)

١٩٨٢. ما النصوص من السنة النبوية في فضائلهم؟

- قال ﷺ: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم).

- وقال ﷺ: (لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدكم ولا نصيفه).

١٩٨٣. ما الذي أوجبه الله تعالى على من جاء من بعدهم أن يحققوه معهم؟

أن يحققوا الأمور الآتية:

- أنهم يدينون لله تعالى بسلامة قلوبهم وألسنتهم للصحابة جميعا، فقلوبنا سليمة عليهم فلا غلّ ولا حقد ولا كراهة لأحد منهم.
- لا يذكرونهم إلا بالجميل، لأن من ذكرهم بغير ذلك فهو على غير سواء السبيل، قال تعالى: ﴿ والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾. (الحجرات:)
- أنهم خير الناس بعد الأنبياء: عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رجل النبي ﷺ: أي الناس خير؟ فقال: (القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث). رواه مسلم
- الاعتقاد الجازم أنهم أكبر هذه الأمة عقولا، وأكثرهم وأصحهم علوما، وأعلاهم فهومًا، وأسلمهم صدورًا، وأشدهم إتباعا، وأرفعهم قدرًا.
- أنهم الواسطة بيننا وبين نبينا ﷺ في إبلاغ الشريعة.
- الاعتقاد بأنهم قاموا بما أوجبه الله عليهم من البلاغ أتمّ القيام.

١٩٨٤. ما فضائل الصحابة على الأمة؟

الفضائل كثيرة، ومن ذلك:

- أنهم أمنة هذه الأمة: كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (صلّينا مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي العشاء قال: فجلسنا، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: (مازلتم ههنا)؟ فقلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: (أحسنتم)، أو (أصبتم). قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال (النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد،

وأنـا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما توعد)

- سببٌ لتحقق النصر: عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (يأتي علـى الناس زمان نغزو فئام مـن الناس، فيقال لهـم: فكيم من صحب رسـول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم، ثم فئام من الناس فيقال لهم: فكيف من رأى من صحب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم، فيفتح لهم " . متفق عليه

١٩٨٥. هل هناك ما يعادل شرف الصحبة مع النبي ﷺ؟

الصُحبة لا يعدلها شيءٌ، لأسباب كثيرة، منها:

- ولمشاهدتهم النبي ﷺ.
- ذبّهم عنه ونصرة دين الإسلام.
- حرصهم على ضبط الوحي الذي تلقوه عن النبي ﷺ،
- مـا مـن خصلة من خصال الخيـر إلا والصحابة قد ضربـوا فيها أكبر الحظ والنصيب.
- هـم أحق الأمة بقوله ﷺ: (نضر الله امرءًا سـمع منا مقالة فوعاها فأداها كما سمعها ...الحديث).

المبحث الثاني

التعامل الشرعي مع الصحابة

١٩٨٦. ما أقوال السلف في أهمية الاتباع للصحابة؟

النصوص في هذا كثيرة، ومنها:

- قال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «من كان مستنّا فليستنّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة، أبرّها قلوبا وأعمقها علما، وأقلها تكلفا قوم، أختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبّهوا بأخلاقهم وطرائقهم؛ فهم أصحاب محمد ﷺ، وكانوا على الهدى المستقيم».
- وقال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير القلوب فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ».

١٩٨٧. كيف نحقق الحب الشرعي للصحابة؟

نحققه من خلال الأمور التالية:

الأول: أننا نحبهم ولا نفرط في حب أحد منهم.

الثاني: أننا نبغض في الله من أبغضهم.

الثالث: أنهم خير هذه الأمة وأفضلها على الإطلاق، وأن الله تعالى رضي عنهم.

الرابع: أنهم عدول ثقات أثبات، لا يبحث عن عدالتهم.

الخامس: سلامة ألسنتنا وقلوبهم عليهم.

١٩٨٨. ما حكم سبّ الصحابة؟

سبّهم موبقة عظيمة وجريمة وخيمة، وهو محرم التحريم الشديد بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

١٩٨٩. ما الدليل من الكتاب على ذلك؟

حينما نقرأ أنه تعالى رفع ذكرهم في غير آية أنه رضي الله عنهم، ووعدهم الثواب الجزيل والأجر العظيم، ومن المعلوم أن هذا ثناء حسن وكل من أثنى الله عليه خيرا في القرآن، فإنه يموت على ذلك، فسبهم مصادمة لهذه الآيات وجاحدة لمدلولها.

١٩٩٠. ما الآيات المحرّمة لسبّ الصحابة؟

- قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. (التوبة:١٠٠)
- وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. (الفتح:١٨)
- ومن قال الله تعالى فيهم: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

١٩٩١. هل التنقص منهم دلالة على التنقص من النبي ﷺ؟

نعم، فسبّ أصحاب محمد ﷺ سبٌ له، وتنقصهم والقدح فيهم هو في حقيقته تنقص له وقدح فيه، وهو من إيذائه،

١٩٩٢. من يؤذي الصحابة بالشتم، هل يشمله عقاب الله؟

نعم، فقد توعّد الله تعالى من يؤذي المؤمنين والمؤمنات بالعذاب الشديد فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب:٥٨)، والسبّ من الإيذاء، بل وأعظم من ذلك، ولا شك أن الصحابة من المؤمنين.

١٩٩٣. ماذا توعّد الله من يؤذي النبي ﷺ؟

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (الأحزاب:٥٧)، فمن آذى الصحابة فقد آذى النبي ﷺ، ومن آذى النبي ﷺ فقد آذى الله تعالى.

١٩٩٤. ما الدلالة من السنة على تحريم السبّ للصحابة؟

الأدلة كثيرة، فمن ذلك:

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبُوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه). متفق عليه
- في رواية أخرى كان بين خالد بن الوليد وعبدالرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبدالرحمن بن عوف: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: (دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحدٍ ذهبا، أو مثل الجبال ذهبا، لما بلغتم أعمالهم). رواه أحمد

١٩٩٥. ماذا يستفاد من الحديثين السابقين؟

الحديثان السابقان اشتملا على النهي الأكيد والتحذير الشديد عن سب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

١٩٩٦. ما الآثار الدالة على تحريم هذا التطاول على الصحابة عند سلف الأمة؟

- عن رباح بن الحارث فقال: كنت قاعدًا عند فولان، في مسجد الكوفة وعنده أهل الكوفة، فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فرحب به وحيّاه وأقعده عند رجله على السرير، فجاء رجل من أهل الكوفة يُقال له قيس بن علقمة، فأستقبله فسبّ وسبّ، فقال سعيد: من يسب هذا الرجل؟ فقال: يسب علياً! فقال: ألا أرى أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك، ثم لا تنكر ولا تغير؟ أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة) وسكت عن العاشر، فقالوا: من هو العاشر؟ فقال: سعيد بن زيد - يعني نفسه - ثم قال: والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر

فيه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عُمِّر عمر نوح) . روى أبو داود

- ما رواه ابن بطة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة – يعني مع النبي ﷺ – خير من عمل أحدكم أربعين سنة) .
- عـن يزيد بن هزاري لقي سـعيد بـن جبير بأصبهان فقال لـه: أن رأيت أن تفيدنـي مما عندك؟ فحبس دابته وقال: قال لي ابن عباس: أحفظ عني ثلاثـا: إياك والنظر فـي النجوم فإنه يدعو إلى الكهانـة، وإياك والنظر في القدر، فإنه يدعو إلى الزندقة، وإياك وشـتم أصحاب رسـول الله ﷺ فيكبك الله على وجهك في النار يوم القيامة). [١٠٧]

١٩٩٧. هل انعقد الاجماع من أهل العلم على هذا الحكم؟

نعم، قال النووي رحمه الله تعالى: (وأعلم أن سبّ الصحابة y حرامٌ، من فواحـش المحرمات، سـواء من لابس الفتن منهم وغيـره، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون [١٠٨]) أ.هـ

١٩٩٨. هل العقل يمنع التطاول والسبّ في حق الصحابة؟

نعم، وذلك من وجوه:

الأول: أن سـبّهم مفض إلى ترك ما بلغوه من الشرع، إذ كيف يُأخذ التشريع ممن يستحق اللعّنة؟ ففي الحقيقة أن سبّهم يؤدي على نسف الشريعة.

الثاني: من المتقرر أنه لا تعارض بين نص صحيح مع عقل صريح.

وقد أثبت النص الشـرعي عدالتهم وأنهـم خير الأمة، وأن الله رضي عنهـم ورضـوا عنه، وقد شـهدت بعض النصـوص لآحادهم بالجنة، فحيـث ثبت أن هذا مقتضـى النص فيكون أيضا هـو مقتضى العقل، فالعقـل يقضى بما قضى به النص، وسـبهم وتنقصهـم والقدح فيهم مناقض لدلالة النص ومبطل له.

١٠٧- رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان

١٠٨- يقصد ما وقع بين الصحابة في معركة الجمل، رضي الله عنهم جميعا.

الثالـث: أن الـذي يعلم ما كان وما سيكون قد سطّر لهم في كتابه أجمل الذكر والثناء، وأخرج ذلك كله مخرج الأخبار التي لا يدخلها النسخ، وأخبر أن كتابه هذا سيبقى إلى أن يُرفع في آخر الزمان، ولا تزال هذه الآيات التي فيها الثناء على الصحابة ومدحهم تقرأ في المدارس والمساجد والدور وتحفظ في الصدور، فمحال مع ذلك أن يكون الحال قد اختلف.

الرابع: لا يُتصور أبدا أن يقول عاقل أن تلك الآيات لا تصح في دلالتها، لأنها تمدح قوما حقهم السب والشتائم! هذا من أمحل المحال، وأبطل الباطل، بل نقول: أن كل من أثنى الله عليه في القرآن خيرا فإنه سيموت على ذلك.

الخامس: مما لا شك فيه أن لا تبديل في القرآن ولا تغيّر ولا زيادة ولا نقص، فما مدحهم الله هذا المدح، ولا أثنى عليهم هذا الثناء إلا لأنهم أهله في حياتهم وبعد مماتهم، وهذا واضح كل الوضوح.

السادس: أنه يستحيل في العقل السليم أن يكون القوم الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، ونصرة دينه، وإقامة شرعه، وإبلاغ أحكامه، أن يكونوا يستحقون اللعنة في باطن الأمر، بل العقل السليم يرفض الرفض الأكيد أن يكون هؤلاء القوم كذلك.

السابع: إن من نظر في سيرة القوم بالعدل والإنصاف فإنه يعلم قطعًا عُلو فضل الصحابة، ولذلك فإنه لا يقدح فيهم ولا يثرب عليهم إلا الجاهل بحقيقة حالهم، وما هم عليه من كمال العلم النافع والعمل الصالح.

١٩٩٩. ما حكم سابّ الصحابة رضوان الله عليهم، مع بيان ذلك بالتفصيل؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين مشهورين:

الأول: ذهب جمع من أهل العلم إلى القول بتكفير من سبّ الصحابة رضي الله عنهم، أو إنتقصهم وطعن في عدالتهم وصرح ببغضهم، وأن من كان هذه صفته فقد أباح دم نفسه، وحلّ قتله، إلا أن يتوب من بعد ذلك ويترحّم عليهم ويترضّى عنهم.

وممن قال بذلك عبدالرحمن بن أبي أبزى، وعبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي، وأبو بكر بن عياش، وسفيان بن عيينة، ومحمد بن يوسف الفريابي، وبشر بن الحارث، والمروزي، ومحمد بن بشار العبدي، وغيرهم كثير، وهو قول بعض العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية.

الثاني: ذهب فريق آخر من أهل العلم إلى أن سابّ الصحابة لا يكفر بسبهم، بل يفسق ويضلل ويعزر التعزير البليغ، ويزجر الزجر الشديد، حتى يرجع عن ارتكاب هذا الجرم الخطير الشنيع.

٢٠٠٠. هل هذان القولان من اختلاف التضاد أو التنوع؟

هذان القولان في الحقيقة من خلاف التنوع، أي أن أصحاب القول الأول لا يقصدون بقولهم كل صور السبّ، أي لا يكفرون بكل سب، وإنما يقصدون صور مخصوصة.

وأصحاب القول الثاني لا يقصدون أن السابّ لا يكفر أبدًا، وإنما يعنون صورًا مخصوصة.

ولذلك فالقول الجامع لهذه المسألة هو التفصيل في حكم سابّ أصحاب النبي ﷺ، وقد ذكر هذا التفصيل جمع من أهل العلم.

٢٠٠١. ما تبيان القول السابق؟

تبيانه هو كما يلي:

الأول: أما سبّ جميعهم، أي سبّهم على وجه العموم فهذا كفر ولا شك، وذلك كلعنهم جميعهم، أو اعتقاد أنهم ارتدوا إلا نفراً يسيراً، أو القدح فيهم بما يوجب سقوط عدالتهم ويقدح في أمانتهم وديانتهم، فهذا كله كفر، ولا شك لأنه مكذّب لما نصه القرآن، وقال ابن تيمية: (بل من يشكّ في كفر مثل هذا فإن كفره متعيّن، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق). أهـ

الثاني: سبّ الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما سباً يقدح في عدالتهم وديانتهم،كاعتقاد كفرهم، أو أنهم كتموا شيئا من الوحي، أو أنهم

خانـوا النبي ﷺ، فهذا أيضـا فاعله كافر، لمخالفتـه النصوص الكثيرة المتواترة التي وردت في فضلهما وعلو قدرهما.

الثالث: سـبّ عائشـة رضي الله عنها بما برأها الله جل وعلا منه، فهذا كفر بلا شـك، لأنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسـلام براءتها من ذلك بالكتاب والسنة، فحقيقة قوله تكذيب الكتاب والسنة.

الرابع: أن يسبّ بعضهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهـم بالبخـل أو الجـبن، أو قلة العلـم أو عدم الزهـد ونحو ذلك، فهـذا لا يكفر بذلك، ولكن فاعله يسـتحق التعزير الشـديد والتأديب البليـغ الذي يردعه، قال أبو العباس: (وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم) أ.هـ.

المبحث الثالث

فضائل بعض الصحابة

٢٠٠٢. هل الصحابة يتفاضلون في الفضل؟

نعم، وهذا مما لا شك فيه.

٢٠٠٣. ما توضيح الحكم السابق؟

توضيحه أن نقول:

- أن أفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم، فهؤلاء أفضل الأمة، بل هم أفضل الخلق بعد الأنبياء.
- ثم يأتي بعد هؤلاء الأربعة في الفضل بقية العشرة المبشرين بالجنة، عبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وسعد ابن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، والزبير ابن العوام، وطلحة ابن عبيد الله، رضي الله عنهم.
- المتقرر شرعًا أن المهاجرين أفضل من الأنصار.
- أن الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، وكلا وعد اللهُ الحسنى.
- أن أهل بدر وبيعة الرضوان أفضل من غيرهم، رضي الله عنهم جميعًا.

المطلب الأول: ما يتعلق بفضائل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٢٠٠٤. ما اسم أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونسبه؟

هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، التيمي القرشي.

ويلتقي مع النبي ﷺ في الجد السادس: مُرة بن كعب.

٢٠٠٥. متى كانت ولادته؟

وُلد في مكة بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر.

٢٠٠٦. ما الاعتقاد العام في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

الاعتقاد أنه أفضل البشر بعد الأنبياء، فهو صدّيق هذه الأمة؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٠٠٧. متى كانت وفاته؟

تُوفي أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الاثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ، وكان عمره ثلاثا وستين سنة.

٢٠٠٨. ما الأدلة على فضل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مما ورد في الكتاب الحكيم؟

من تلك الأدلة:

منها: قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (الليل:١٧)، فإن غالب المفسرين ذكروا أن سبب نزولها هو إنفاق أبي بكر ماله في شراء الأرقاء والضعفاء من الذين أسلموا من يد من يعذبهم من الكفار.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقال ﷺ: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) فالآية دالة على فضل أبي بكر إذ جعله الله ثاني النبي ﷺ وسماه صاحبه، وأخبر أنه معهما، وأنه أنزل السكينة عليهما، وأيدهما بجنود من عنده، وما ذلك إلا لأن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد بلغ الغاية في الفضل.

ومنهـا: قوله تعالى: ﴿ وَالَّـذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (الزمر:٣٣)، وقد فسرها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٠٠٩. ما الأدلة على فضل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مما ورد في السنة النبوية؟

من ذلك:

- عـن أنـس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أبـا بكـر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدثه قـال: «نظرت إلـى أقدام المشـركين على رؤوسنا ونحن في الغار». فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهـم نظـر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه! فقـال ﷺ: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما). متفق عليه
- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: (إن اللـه خيّـر عبد بين الدنيا وبين ما عنده فأختـار ما عنده) قال فبكى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعجبنا لبكائه، فكان رسـول اللـه ﷺ هو المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: (أن منْ أمَنِّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذا خليلا لَاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسـلام ومودته، لا يبقينّ في المسـجد باب إلا سدّ إلا باب أبي بكر). متفق عليه

٢٠١٠. ما الدليل على معرفة الصحابة لخيّريّته عليهم؟

من ذلك:

- ما ورد عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسـول اللـه ﷺ؟ فقـال: أبـو بكر. قلـت: ثم من؟ قـال: عمر. وخشـيت أن يقول عثمان. قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسـلمين. رواه البخاري
- مـا ورد عـن ابن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا نخيّـر بين الناس في زمـن النبي ﷺ فنخيـر أبا بكـر، ثم عمر، ثم عثمـان بن عفان رضي اللـه عنهم. رواه البخاري

٢٠١١. ما الدليل على حب النبي ﷺ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

من ذلك:

- عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال ﷺ: (عائشة) فقلت: من الرجال قال ﷺ: (أبوها) قلت: ثم من؟ قال ﷺ: (ثم عمر ابن الخطاب) فعدّ رجالا. متفق عليه

- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: (إن الله خيّر عبد بين الدنيا وبين ما عنده فأختار ما عنده) قال فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه، فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله ﷺ: (أن مِنْ أَمَنِّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذا خليلا لَاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقَيَنَّ في المسجد باب إلا سّد إلا باب أبي بكر). رواه البخاري

- عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذ بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ: (أما صاحبكم فقد غامر). فسلّم، وقال: «يا رسول الله، إنه قد كان بيني وبين ابن الخطاب شيئاً، فأسرعت إليه، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ، فأقبلت إليك»! فقال النبي ﷺ: (يغفر الله لك يا أبا بكر) ثلاثاً، ثم إن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ندم، فأتى منزل أبا بكر فسأل عنه فلم يجده، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم عليه، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثى على ركبتيه، فقال: «يا رسول الله أنا كنت أظلم». مرتين. فقال النبي ﷺ: (إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي مرتين) فما أوذي بعدها. رواه البخاري

٢٠١٢. ما الدليل على قوة تصديقه للنبي ﷺ؟

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بين راع في غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة فطلبه الراعي، فالتفت إليه، فقال: من لها يوم السبع يوم ليس لها راعي غيري. وبين رجل يسوق بقرة قد حمل عليها

فالتفـت إليـه، فكلمته فقالت: إني لـم أخلق لهذا ولكنـي خلقت للحرث) فقال الناس: (سـبحان اللـه) فقال النبي ﷺ: (فإني أومـن بذلك، وأبو بكر وعمر بن الخطاب). متفق عليه

٢٠١٣. ما المناقب التي تميّز بها الصديق رضي الله عنه عن غيره؟

من ذلك:

- عـن أبـي هريـرة رضي الله عنه قال: قال رسـول اللـه ﷺ: من أصبـح منكم اليوم صائمـاً؟ قال أبـو بكر: أنا. قال: فمن تبع منكم اليـوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: (ما اجتمعن في امريء إلا دخل الجنة). رواه مسلم
- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجـف بهـم، فقـال ﷺ: (أثبـت أحـد، فإنما عليـك نبـي وصديـق وشهيدان). رواه البخاري
- تلقيب النبي ﷺ له باللقب السابق، الذي يفيد ثبوت منزلة الصدّيقية له، وهذه المنزلة تعقب منزلة النبيين، كما في سورة النساء، قال تعالى: ﴿ ومن يطع الله ورسـوله فأولئك مع الذيـن أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ .
- ما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها: (مُروا أبا بكر فليصلي بالناس) متفـق عليـه، والإمامة فـي الصلاة منزلـة عالية، وخصوصـاً إذا كان الآمر بها المعصوم ﷺ، فإنه لم يكن ليختار لإمامة المسـلمين في عهده إلا أفضلهم وأعلاهم قدراً وأوفرهم علماً .
- عـن أبـي هريـرة رضي الله عنه يرفعه للنبـي ﷺ وفيه: (فمن كان مـن أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومـن كان من أهل الصدقة دعـي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيـام دعي من باب الصيام وباب الريـان) فقال أبو بكر رضي الله عنه: " ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسـول الله؟ قال : نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر". رواه البخاري.

٢٠١٤. هل هناك من الصحابة عارض الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما تولى الخلافة؟

لم يقع هذا عنهم أبدًا، وهذا دلالة منهم على أحقيته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على هذا الموضع.

المطلب الثاني: ما يتعلق بفضائل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٢٠١٥. ما الاعتقاد الذي نعتقده في عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

نعتقد اعتقادا جازما أن أفضل الصحابة بعد أبي بكر هو فاروق الإسلام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٠١٦. ما اسمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونسبه؟

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، العدوي القرشي.

٢٠١٧. ما نسب والدته، وهل تلتقي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

أمه هي: حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كلاب بن مرة.

وهي ابنة عمّ كل من أم المؤمنين أم سلمة، والصحابي خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمرو بن هشامٍ المعروف بلقب أبي جهل، ويجتمع نسبها مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كلاب بن مرة.

٢٠١٨. متى كانت ولادته، وإسلامه؟

وُلد بعد عام الفيل، وبعد مولد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثلاث عشرة سنة.

قيل أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسلم بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة -في السنة الخامسة للبعثة-، وقيل أنه أسلم في السنة السادسة للبعثة.

٢٠١٩. ما الأدلة الدالة على فضائل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

وردت الأدلة الكثيرة الدالة على فضله، فمن ذلك:

- عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: (رأيتني دخلت الجنة، فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحه، وسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال. ورأيت قصرا بفنائه جارية، فقلت لمن هذا؟ فقال: لعمر. فقال النبي ﷺ: (فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك). فقال عمر: «بأبي وأمي، يا رسول الله أعليك أغار»؟ متفق عليه
- عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: (بينا أنا نائم إذ رأيت قدحاً أتيت به فيه لبن، فشربت منه، حتى إنّي لأرى الريّ يجري في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب. قالوا: فما أوّلت ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: (العلم). رواه البخاري
- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بين أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليّ، وعليهم قمُصٌ، منها ما يبلغ الثدي، ومنها دون ذلك. وعرض عليّ عمر وعليه قميص يجره) قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال ﷺ: (الدين). متفق عليه
- عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجًا إلا سلك فجًا آخر). متفق عليه
- عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (أُريت في المنام أني أنزع بدلو بكره على قليب، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعا ضعيفا، والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب، فاستحالت غربا، فلم أرى عبقريا يفري فرية حتى روي الناس وضربوا بعطن). متفق عليه
- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال الرسول ﷺ: (لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر). متفق عليه

٢٠٢٠. يُقال بأن القرآن وافق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بعض الأمور، ما صحة هذا؟

نعم، عن عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وافقت ربي في ثلاث.

قلت: «يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى»، فنزلت: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾

وآية الحجاب قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر و الفاجر. فنزلت آية الحجاب.

وأجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهنّ: ﴿عسى ربه أن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾ فنزلت هذه الآية . رواه البخاري

٢٠٢١. هل عمر رضي الله عنه من المبشرين بالجنة؟

نعم، ودليله:

- ما ورد عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب).
- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: (أفتح لـه وبشره بالجنة)، ففتحت له فإذا هو أبو بكر، فبشرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: (أفتح له وبشره بالجنة) ففتحت له فإذا هو عمر بن الخطاب، فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله .... الحديث). رواه الترمذي وأحمد

٢٠٢٢. كيف كان لإسلام عمر رضي الله عنه الأثر الكبير على الإسلام؟

من تلك الدلالة على هذا الأثر ما يلي:

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر). رواه البخاري
- عن ابن مسعود رضي الله عنه: (كان إسلام عمر عزاً، وهجرته نصراً، وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر).
- قال ابن عباس رضي الله عنه: (أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب). رواه ابن أبي شيبة والطبراني

٢٠٢٣. كيف ظهر حرص النبي ﷺ على إسلام عمر رضي الله عنه؟

عن ابن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم أعزّ الإسلام بأحب هذين الرجلَيْن إليك، بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب) وكان أحبهما إليه

عمر. رواه الترمذي

٢٠٢٤. **كيف كانت علاقة الصحابة بعد تولي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة؟**

لم تكون هناك أي معارضة من أي فرد من الصحابة في توليه الخلافة بعد وفاة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دلالة على الرضا منهم له.

المطلب الثالث: ما يتعلق بفضائل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٢٠٢٥. **ما اسم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونسبه؟**

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب. ويلتقي نسبه بنسب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عبد مناف.

٢٠٢٦. **متى جاءته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة، وكم استمرت؟**

بُويع لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة بعد الشورى، والتي تمت بعد وفاة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ٢٣ هـ (٦٤٤ م)، وقد استمرت خلافته نحو اثني عشر عاماً.

٢٠٢٧. **ما الاعتقاد العام الذي يعتقده المسلمون في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟**

نعتقد أن أفضل الناس على الإطلاق بعد أبي بكر وعمر هو عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٠٢٨. **ما الأمور التي تميّز بها عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟**

- هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.
- أحد الستة أصحاب الشورى.
- هو ثالث الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين المأمور الإقتداء بهم.
- هو أحد السابقين إلى الإسلام.
- هاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة.
- هو الملقب بذا النورين، لأنه تزوج ابنتي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رقية ثم أم كلثوم.
- بايع عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإحدى يديه في صلح الحديبية.

٢٠٢٩. **أذكر شيئا من فضائل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بما ورد في النصوص الشرعية؟**

من تلك الفضائل له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

- عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحد، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم». رواه البخاري

- عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «ثم جاء رجل يستأذن، فسكت هنيهة، ثم قال ﷺ: (ائذن له، وبشره بالجنة على بلوى تصيبه). فإذا هو عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ». متفق عليه

- عن أبي عبدالرحمن أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما حوصر، أشرف عليهم، فقال: «أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: (من حفر رومه فله الجنة) فحفرتها، ألستم تعلمون أنه ﷺ قال: (من جهّز جيش العسرة فله الجنة) فجهزته. فصدقوه بما قال. رواه البخاري

- قوله ﷺ فيه: (أثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق شهيدان)

- عن عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز ﷺ جيش العسرة، فصبّها في حجر النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: (ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم) يرددها مرارا». رواه أحمد

- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان مضطجعا في بيتها كاشفا عن ساقيه أو فخذيه، فاستأذن أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإذن له وهو على تلك الحال، ثم أستأذن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأذن له وهو كذلك، ثم أستأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه) وفي آخره: (أن النبي ﷺ قال: ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة). رواه مسلم.

٢٠٣٠. ما مناقب عثمان بين الصحابة؟

مناقبه كثيرة، منها:

- أجماع الصحابة على خيرته وأفضيلته بعد الشيخين، ولذلك اختاروه خليفة لهم، ثم اجمعوا على توليته الخلافة.

- أنه جمع الناس على مصحف واحد، وكفى الأمة شرًا كبيرا وبلاءً عظيما، وهو الاختلاف في الكتاب، وقد شكر له هذا العمل من جاء بعد من المسلمين وأهل السنة.
- أن النبي ﷺ شهد له أنه سيكون مستمرا على الهدى المستقيم عند حلول الفتنة، عن مره بن كعب قال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة فقربها، فمر به رجل مقنع في ثوب فقال ﷺ: (هذا يومئذ على الهدى)، فقمت إليه فإذا هو عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فأقبلت بوجهه فقلت: هو هذا؟ فقال: (نعم) . رواه الحاكم
- أنه منع الصحابة من أن يريقوا دم أحد من المسلمين بسببه، وذلك لكمال صبره ورضاه بما قضاه الله.

المطلب الرابع: من فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

٢٠٣١. ما بيان اسمه ونسبه؟

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، ابن عم النبي ﷺ.

وأمه هي فاطمة الأسدية.

٢٠٣٢. ما مكانة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بين الصحابة؟

اجمع أهل السنة والجماعة أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفضل الخلق بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

٢٠٣٣. متى تمت له المبايعة بالخلافة؟

بويع له بالخلافة سنة ٣٥ هـ (٦٥٦ م) بالمدينة المنورة، وحكم خمس سنوات وثلاث أشهر.

٢٠٣٤. ما مناقب علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بين الصحابة؟؟

- هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.
- أحد الستة أصحاب الشورى.

- تُوفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض.
- هو رابع الخلفاء الراشدين والأئمةً المهديين المأمور بالإقتداء بهم.
- هو من السابقين الأولين بالإسلام.
- وقد تربّى في حِجر النبي ﷺ.
- هو زوج ابنته فاطمة رضي الله عنها وأرضاها.
- شهد المشاهد كلها غير تبوك.
- عقد لواء النبي ﷺ بيده في مواطن كثير.

٢٠٣٥. أذكر شيئا من فضائل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بما ورد في الأدلة الشرعية؟

وردت الأدلة الكثيرة في إثبات فضله، ومن ذلك:

- عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها، فقال رسول الله ﷺ: (أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق في عينيه وأعطاه الراية، وقال: (أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم أدعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمر النعم). متفق عليه
- عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي). متفق عليه
- قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليّ، أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق). رواه مسلم
- عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أنت مني، وأنا منك) . رواه البخاري
- أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أصحاب الكساء، وحديثه معروف فإنه لما نزل قوله تعالى: ﴿فقل تعالوا ندعوا أبنائنا وأبنائكم ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة

وحسنا وحسينا فقال: (اللهم هؤلاء أهلي) رواه مسلم

- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (شكى علي بن أبي طالب الناس إلى رسول الله ﷺ، فقام فينا خطيبا فسمعته يقول: أيها الناس لا تشكوا عليا، فوالله إنه لأخشى في ذات الله وفي سبيل الله). رواه الحاكم

٢٠٣٦. ما مقدار العلم عند أبي الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

علمه غزير واسخ، وذلك لبركة دعاء النبي ﷺ له، حينما دعا لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بقوله: (اللهم ثبّت لسانه، وأهدي قلبه).

٢٠٣٧. ما قول الصحابة في علم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

ورد أن عمر ﷺ كان يتعوّذ من معضلةٍ ليس لها أبو حسن.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أقرؤنا أبيّ، وأقضانا علي». رواه البخاري

المبحث الرابع

ما يتعلق بالخلافة

٢٠٣٨. ما المراد من هذا العنوان؟

يُراد به بيان الصحيح فيما يتعلق بالخلافة بعد وفاة النبي ﷺ.

٢٠٣٩. ما عقيدة أهل السنة في الخلافة؟

يعتقد أهل السنة أن الخليفة بعد الرسول ﷺ هو أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم الحسن رضي الله عنهم وأرضاهم.

٢٠٤٠. كيف تمت الخلافة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

لما قُبض رسول الله ﷺ ونقله الله إلى الرفيق الأعلى، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعده بمدينة النبي ﷺ، وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبلغ ذلك أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فقصدا نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين، ولما انتهوا إليهم حصل بينهم حوار في أمر الخلافة، حيث اضطرب أمر الأنصار فجعلوا يطلبون الأمر لأنفسهم، أو الشركة فيه مع المهاجرين، فأعلمهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن الإمامة لا تكون إلا في قريش، وأحتج عليهم بقوله ﷺ: (الأئمة من قريش)، فأذعنوا لذلك رضي الله عنهم، وانقادوا طائعين وبايعوا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واجتمعوا على إمامته واتفقوا على خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٠٤١. هل القصة السابقة صحيحة؟

نعم روى هذه القصة البخاري في صحيحه، وإنما ذكرت معناها مختصرًا.

٢٠٤٢. ماذا كان موقف سعد بن عبادة لاحقا من استخلاف الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عليهم؟

أذعن سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك وأعترف بصحة ما قال الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم السقيفة من أن قريشا هم ولاة هذا الأمر، فقال: «صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء». كما في مسند الإمام أحمد، وقد حسّن إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

٢٠٤٣. كيف ثبتت الخلافة لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بالنص أم بالاختيار؟

سواءً قلنا: قد ثبتت خلافته بالنص، أو بالاختيار، كل ذلك له نتيجته واحدة، وبأي القولين قلنا فالأمر سهل يسير، والخلاف فيه سائغ.

٢٠٤٤. هل هناك من إشارات على تتويج أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للخلافة؟

الذي يترجّح -والله أعلم- أن النبي ﷺ قد دلّ الأمة على خلافته، وأخبر أنه يرضاها له، وقد عزم على الكتابة بذلك لكن علم ﷺ أن الله تعالى ورسوله والمؤمنين لا يبغون عن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِولا.

٢٠٤٥. ما الدليل على القول السابق؟

- عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك - كأنها تقول الموت - فقال ﷺ: (إن لم تجديني فأتي أبا بكر). متفق عليه

  قال ابن حزم: (وهذا نص جلّي على استخلاف أبي بكر). أهـ

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي النبي ﷺ في مرضه: (ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر). متفق عليه

٢٠٤٦. هل قضية الاستخلاف في الصلاة لها دلالة على الإستخلاف على الأمة؟

نعم، فاختيار النبي ﷺ لأبي بكر الإمامة الصلاة فيها هذه الدلالة، فلما رضيه للإمامة الشرعية وقدّمه فيها على غيره، فإنه من باب أولى أن يرضاه ويقدمه على غيره في الإمامة الدنيوية.

وكذلك قال بعض الصحابة: «قد رضيه رسول الله ﷺ لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا».

٢٠٤٧. هل فهم الصحابة y النصوص السابقة فابتعدوا عن المنافسة مع أبي بكر في الإمامة؟

نعم، فعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لما قُبض رسول الله ﷺ، قالت الأنصار:

«منّا أمير ومنكم أمير»! قال: فأتاهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: «يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمّر أبابكر يؤم الناس، فإيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر»؟ فقالت الأنصار: «نعوذ بالله أن نتقدّم أبا بكر».
رواه الحاكم

٢٠٤٨. لماذا لم يكن هناك نص واضح في قضية الاستخلاف على شخص محدد؟

التحقيق في ذلك أن النبي ﷺ قد دلّ المسلمين على استخلاف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرشدهم إلى ذلك بأمور كثيرة من أقواله وأفعاله، مع همّه بأن يكتب في ذلك كتابًا، لكن لما علم أن المسلمين مجتمعون على حبه وتذكر فضله، ترك الكتابة اكتفاءً بذلك، واختار هذا القول أبو العباس ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٠٤٩. هل قضية استخلاف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تعدّ من القضايا الكبيرة في الدين؟

هذه المسألة ليست من المسائل الكبار عند أهل السنة، وإنما المهم أن نثبت خلافته وأنه أحق بها من غيره، وأنه أفضل الأمة بعد نبينا ﷺ.

وأن نثبت أيضا وقوع الإجماع على خلافته، وإن حصل في بداية الأمر شيء من الخلاف، لكن قد انعقد الإجماع على أنه أحق بالخلافة بعد النبي ﷺ.

٢٠٥٠. هل قضية الاختلاف في مسألة الاستخلاف مما يسوغ فيه الخلاف؟

نعم، وذلك لاحتمال الدليل.

٢٠٥١. ماذا يترتب على ما سبق من تقرير؟

بناءً عليه فلا تأثيم ولا تبديع في حال الاختلاف فيها، أي أنه لا يحرج على من قال: ثبتت بنصّ جلي، أو قال: ثبتت بنصّ خفي، وإنما الذي تعظم مخالفته هو القدح في خلافته أصلاً، أو القدح في أحقيته بها بعد رسول الله ﷺ.

٢٠٥٢. ما أساس قول علماء الأمة مع ما وقع بين الصحابة y من خلاف؟

أساس مذهبهم في ذلك يعد أفضل المذاهب على الإطلاق، لأن مبناه على تعظيم قدر الصحابة وعلو منزلتهم في قلوبهم، فما من فرقة عظمت الصحابة كأهل السنة، وما فرقة عرفت للصحابة فضلهم ومنزلتهم كأهل

السنة.

٢٠٥٣. ما مذهب أهل السنة رحمهم الله تعالى فيما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم من الخلاف والقتال؟

واجب الاعتقاد والتقيّد بالأمور الآتية:

- ما وقع بينهم من أمور نعتقد أنهم مجتهدون فيها، وقد أخبر النبي ﷺ أن المجتهد المصيب له أجران، والمخطئ له أجر واحد، فهم دائرون بين الأجرين والأجر، فالمصيب منهم له أجران، والمخطئ له أجر واحد، فهم مأجورون على كل حال.
- غالب المرويات في الخلاف بينهم كذبٌ وزور، وكثير منها ضعيف من جهة سنده، والصحيح منها نزر قليل يسير، وهم فيه مجتهدون.
- نشهد أن لهم من الفضائل والمحاسن ما يوجب مغفرة ما صدر من بعضهم من الخطأ، إن صح عنه ذلك.
- نشهد بالله انهم أحقّ الناس بشفاعة النبي ﷺ، وأن هذا الخلاف لم يدخل فيه إلا نزر يسير منهم، وأنهم بشر لا ملائكة.
- أن العصمة إنما هي في إجماعهم، لا في قول آحادهم مع مخالفته غيره له، ولا ندخل في هذا الخلاف.
- نقول: كما أن الله تعالى عصم أيدينا منه، فلنحرص على عصمة ألسنتنا منه، ونعوذ بالله من أن نجعل صحابة الحبيب ﷺ فاكهة مجالسنا بالجرح والتثريب، بل نفديهم بأرواحنا وقلوبنا وأموالنا.
- وجوب السكوت وحبس اللسان وعدم الخوض فيما شجر بين الصحابة.
- لا نقول إلا كما قال ربنا جل وعلا: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

المبحث الخامس

الشهادة في الآخرة على معين

٢٠٥٤. ما عقيدة أهل السنة في الشهادة بالجنة والنار للناس؟

مذهبهم في ذلك التفصيل: فالشهادة بالجنة إما أن تكون عامة، وإما خاصة، أي لمعيّن.

٢٠٥٥. ما مثال الشهادة العامة؟

مثالها قولنا: (المؤمنون في الجنة، والكفّار في النار)، فهذه الشهادة لا إشكال فيها.

٢٠٥٦. ما الحُكم مع عموم الناس؟

من لم يثبت فيه نصٌّ فلا نقول له: أنه من أهل الجنة ولا من أهل النار!

ومع هذا فإننا نرجوا للمحسن الثواب، ونخاف على المسيء العقاب.

٢٠٥٧. ما مثال الشهادة الخاصة؟

مثالها: الشهادة لأحدٍ بعينه أنه من أهل الجنة، أو أنه من أهل النار.

٢٠٥٨. هل ممكن الشهادة الخاصة لإنسان معين؟

نعم، وذلك لمن شهد له النص الشرعي بذلك، فمن اثبت النص الصحيح أنه من أهل الجنة فهو من أهل الجنة، ومن أثبت النص أنه من أهل النار فهو من أهل النار.

٢٠٥٩. ما مثال الشهادة الخاصة في أشخاص معينين؟

ممن شهد له النص بالجنة تعيينًا:

- العشرة المبشرين بالجنة، وبلال، وثابت بن قيس بن شماس، وعكّاشة بن محصن، وغيرهم، فهؤلاء نشهد أنهم من أهل الجنة.
- ممن شهد عليه النص بأنه من أهل النار، مثل: أبي لهب، وأبي جهل،

وعقبة بن أبي معيط، وأمية بن خلف، وعمرو بن لحي، وعمه أبو طالب، والوليد بن المغيرة، وامرأة أبي لهب، وامرأة نوح، وامرأة لوط، وإبليس، وقارون، وفرعون، وهامان، والسامري من قوم موسى وغيرهم، فهؤلاء نشهد أنهم من أهل النار بأعيانهم لثبوت النصوص بذلك. [109]

١٠٩- سيكون هناك مزيد من التبيان فيما يتعلق بمسائل التكير في (ص: ٦٩٦) في قضايا الحكم بغير شرع الله.

المبحث السادس

ما يتعلق بكرامات الأولياء

٢٠٦٠. ما المقصود بهذا العنوان؟

يُراد به أن هناك كرامة معتبرة شرعا، تجري على يد أولياء الله تعالى الذين اتصفوا بصفات الولي، وهذا فضل من الله تعالى.

٢٠٦١. ما المقصود بمصطلح كرامة؟

المقصود به إكرام الله لمن يشاء من عباده بأن يحقق له أمرا خارق لعادة البشر.

٢٠٦٢. ما المقصود بالوليّ؟

الولي هو كل من كان من المسلمين، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. (يونس: ٦٢)

٢٠٦٣. هل الولاية متفاوتة في القدر؟

نعم، فتختلف مراتب الولاية كمالاً ونقصًا باختلاف تكميل مراتب الإيمان والتقوى، فكلما ازداد العبد إيمانًا وتقوى كلما ازدادت ولاية لله تعالى والاستجابة لدعائه.

٢٠٦٤. ماذا يقال عن الأمور الخارقة التي يفعلها بعض أهل الشر والفساد؟

هذه يقال دجل ومخاريق.

٢٠٦٥. ما المقياس لمعرفة صدق أو كذب الكرامة؟

لابد من عرض مدعيها على الكتاب والسنة.

وبناءً عليه فما يجري على يد أولياء الشيطان من الخوارق والمكاشفات لا تعد من باب الكرامات.

٢٠٦٦. ما المقصود بخوارق أو كواشف شيطانية؟

مثل ما يظهر عند السحرة والكهان والمشعوذين ودجل طائفة من الصوفية أصحاب الطرق المخالفة للكتاب والسنة، فإن هؤلاء وإن مشوا على الماء، أو طاروا في الهواء، أو دخلوا النار وخرجوا منها، أو أدخلوها في أجوافهم، أو أخبروا ببعض الأمور الغائبة ونحو ذلك، فكل ذلك من أحوال الشياطين.

٢٠٦٧. ما مقصد السحرة مما يفعلونه من خوارق؟

مقصدهم إحقاق الباطل، وإبطال الحق.

٢٠٦٨. كيف تتحقق الخوارق الشيطانية للساحر؟

حينما يصل الساحر في أحوال كثيرة إلى الكفر والشرك الشياطين سيجد العون والنصرة له من الشياطين، فإن الشياطين لا تعين أحدًا لمحبته وسواد عينيه، وإنما لما يتقرب إليها بذبح توحيده بفعل ما يطلبونه منه من أمور الشرك.

٢٠٦٩. ما عقيدة أهل السنة في كرامات الأولياء ؟

عقيدتهم: الإيمان بها وإثباتها على وجه العموم، أي يؤمنون إيمانًا جازمًا ويصدقون تصديقًا يقينيًا أن الله تعالى يجري بعض أنواع الخوارق على يد من شاء من أوليائه وأن هذه الكرامة قد تكون في مكاشفة أو أمر خارق للعادة ليس بمقدور لهذا الولي، وإنما الله تعالى هو الذي أجراها علّى يده، وذلك لإظهار فضلّه وشرفه ولتثبيته، فكم من كرامة صارت سببًا لثبات من ظهرت على يديه.

٢٠٧٠. هل واجب على المسلم أن يطلب الكرامة، وينتظر تحققها لنفسه؟

لا، فمنهج أهل السنة طلب الاستقامة لا طلب الكرامة، فالمؤمن إنما يعبد الله تعالى ويستقيم على شرعه بفعل أوامره واجتناب زواجره وتصديق أخباره طلبًا لرضاه، لا أنه يفعل ذلك طلبًا للكرامة، فإن هذا شرك في القصد.

لأن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا له جل وعلا؛ لأنه أغنى الشركاء عن الشرك، ولذلك قال بعض السلف: (كن طالبًا للاستقامة لا طالبًا للكرامة).

٢٠٧١. بعض الناس يعيش في القِفار والكهوف ويفعل الغرائب طلبًا للكرامات، فما القول فيهم؟

الذين يفنون أنفسهم في طلب مثل هذه الأمور ليسوا على شيء، وقد خالفوا منهج أهل السنة بذلك.

فنرى الواحد منهم يهيم في القفار، أو يعاشِر الوحوش، أو يحبس نفسه مع الحيات والثعابين، أو يَدْخُل النار، أو يُدْخِل النار في جوفه ونحو ذلك من خرافاتهم وهذيانهم، وكل ذلك طلبًا للكرامة، وهذا منكر في الشرع وخبل في العقل، وتعريض للنفس للهلاك بلا مصلحة شرعية، ولا قصد ممدوح.

٢٠٧٢. هل من ظهرت له كرامة من الله يعتبر أفضل ممن لم تظهر له؟

لا يستلزم أن يكون من ظهرت على يديه الكرامة أنه أفضل من غيره في الإيمان والتقوى.

٢٠٧٣. ما تعليل القول السابق؟

نعلم أن من أسباب وقوع الكرامة تثبيت المسلم، ولذلك فإن كرامات عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أكثر من كرامات أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مع أن إيمان أبي بكر أكمل ولا شك، بل وقد ظهرت كرامات كثيرة على يد بعض التابعين وتابعيهم لم تظهر على يد الصحابة، ولا مقارنة بين إيمان الصحابة وإيمان من بعدهم.

فلا تلازم بين الكرامة وكمال الإيمان.

٢٠٧٤. هل ممكن أن تظهر الكرامة عند العاصي؟

نعم، هذا ممكن، فقد تظهر الكرامة على يد من عنده تقصير في تكميل مراتب الإيمان، ولا تظهر على يد من كمُل إيمانه وتقواه.

٢٠٧٥. ماذا نستفيد مما سبق توضيحه بظهور الكرامة؟

هذا يوجب أن لا نجعل الكرامة سببًا لتفضيل من ظهرت على يديه على من لم تظهر له هذه الكرامة، ولعل هذا هو السبب الذي جعل بعض الطوائف والأفراد يفني حياته في طلب الكرامة، وذلك طلبًا لأنْ يكون أفضل من غيره، فَضَلَّ في سعيه وخاب في قصده.

٢٠٧٦. من هو الموفّق لو وقعت له كرامة؟

الموفق عند حصول الكرامة له من فع الأتي:

- عاملها بإكثار الشكر والحمد.
- وازداد بها تواضعًا للخلق.
- وازداد ثباتًا واستقامة على الحق.
- واستعملها فيما يقربه إلى الله تعالى وفيما ينفع عباد الله.
- وجعلها وسيلة لإحقاق الحق وإبطال الباطل.
- واستعان بها على طاعة الله جل وعلا.

٢٠٧٧. من استعان بالكرامة في أمر حرام، فماذا يُقال له؟

يقال له أن هذه الكرامة لم تزده في الحقيقة إلا ندامة وخيبة، وكان عدمها له أنفع.

وهذا حاله بما أخبر الله جل وعلا: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ.وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (الأعراف: ١٧٥- ١٧٦)

٢٠٧٨. هل يمكن القول بأن الكرامة فيها جانب من البلاء على المؤمن؟

نعم، فظهور الكرامة على يدي الولي فيها نوع ابتلاء له، فليتق العبد ربه وليكثر من حمده وشكره وليترق في مراتب الاستقامة، ولا تكون هذه الكرامة سببًا لتكبّره وغروره، ورفضه للحق وتعاليه على الخلق.

٢٠٧٩. هل واجب التفريق بين الكرامة عن الدجل؟

نعم، لأن الكرامة قد تشتبه على بعض الناس مع خوارق الكهان والسحرة، فإنه لابد من عرض الأمر على أهل العلم الثقات الذين يعرفون الفرق بين كرامات الأولياء ومخاريق (دجل) الفجرة.

٢٠٨٠. ما أهمية هذا السؤال للعلماء والتفريق بين الصدق عن الكذب؟

أهميته تظهر بأن العامي قد يغتر ببعض هذه الظواهر، ولأنه قد يدّعي الكرامة من هو كاذب في دعواه، فيقول: إني رأيت كذا وكذا، وكوشفت بكذا وكذا، وحصل لي كذا وكذا! وهو كاذب في ذلك.

فإذا أخذ الأمر بمعزل عن العلماء، فتوقّع الفساد والضلال الذي سيحصل.

٢٠٨١. ما الدليل على وجوب عرض الأمر على العلماء؟

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.(النساء:٨٣)

٢٠٨٢. ما علاقة الكرامة ووقعها من الأولياء مع دعوة النبي ﷺ؟

الكرامات التي تخرج على أيدي الأولياء هي دليل على صدق نبوة نبينا ﷺ؛ لأن الكرامة تختلف باختلاف متابعته، فإذا أكرم الله من آمن به واتبع سبيله واقتفى أثره، فهذا دليل على أنه رسول من عند الله، وأنه صادق كل الصدق في قوله: (إني رسول الله)، إذ لو كانت دعواه للنبوة كذبًا لا يرضاه الله لما أكرم الله أتباعه بمثل هذه الكرامات.

٢٠٨٣. ما الأمثلة الدالة على الكرامات التي ثبتت بالنقل الصحيح؟

الكرامات الثابتة كثيرة جدًا، ومن الأمثلة على بعضها:

- ما أجراه الله تعالى على يد المرأة التقية العفيفة مريم الصديقة، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. (آل عمران:٣٧)

- ما أجراه الله تعالى على يد الصالحة العابدة سارة امرأة نبي الله إبراهيم ﷺ، فإنها قد بُشرت بالولادة وهي عجوز كبيرة لا يلد مثلها، قال تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ . (هود:٧١)

- ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في حديث النفر الثلاثة، حينما انطبقت عليهم الصخرة، فدعوا الله تعالى بصالح أعمالهم، فاستجاب الله لهم وفرج عنهم أمر هذه الصخرة، بلا فعل إنسان، وإنما كرامة من الله تعالى لهم على صلاحهم وتوسلهم بهذه الأعمال الصالحة.

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (بينما رجل يمشي بأرض فلاة إذ سمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حَرَّةٍ فانتهى إلىَ الحرة، فإذا هي أذناب شراج وإذا شرجة من تلك الشراجِ قد استوعبت الماء، فتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، الاسم الذي سمع في السحابة، فقال له. يا عبد الله لِمَ سألتني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان، باسمك فما تصنع فيها؟ قال: إن قلت هذا فإني أنظر إِلى ما خرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل وعيالي ثلثه وأرد فيها ثلثه). رواه مسلم

- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر كانَا عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء حندس، فلما خرجا أضاءت عصا أحدهما، فجعلا يمشيان بضوئها ، فلما تفرقا أضاءت عصا الآخر. رواه البخاري.

- وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان من أحسن الناس صوتًا بالقرآن، قال: فقرأت ليلة سورة البقرة وفرس لي مربوط ويحيى ابني مضطجع قريب منه، فجالت جولةً فقمت ما لي همّ إلا ابني يحيى، فسكنت الفرس، ثم قرأت فجالت الفرس فقمت ليس لي همّ إلا ابني، ثم قرأت فجالت فرفعت رأسي، فإذا شيء كهيئة الظلة فيها المصابيح تقبل من السماء، فهالني فسكت، فلما أصبحت غدوت على رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: (اقرأ أبا يحيى). فقلت: قد قرأت فجالت الفرس، فقمت ليس لي همّ إلا ابني. فقال: (اقرأ

أبـا يحيى). فقلـت: قد قرأت فجالت الفرس فقمـت ليس لي هم إلا ابني. فقال: (اقرأ أبا يحيى). فقلت: قد قرأت فجالت الفرس فرفعت رأسـي فـإذا كهيئة الظلّة فيهـا مصابيح فهالني. فقـال: (تلك الملائكة دنـت دنـوًا لصوتك، ولو قـرأت حتى تصبح لأصبـح الناس ينظرون إليهم).

- مـا حصل للصحابي خبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما كان أسـيرًا، فإنـه كان يأكل من قطف عنـب، وما بمكة ثمـرة، وإنه لموثق في الحديد، ومـا كان إلا رزقًا رزقه الله إياه. رواه البخاري

- مـا حصل للصدّيقـة بنت الصديق رضي الله عنهما وأرضاهما، من نزول براءتها في آيات تتلى إلى يوم القيامة. والحديث في الصحيح.
- عـن حميـد بـن هلال قال: (سـمعت مطرف بـن عبدالله يقـول: قال لي عمـران بـن حصين: إني أحدثك حديثًا عسـى اللـه أن ينفعك بـه، إن رسـول الله ﷺ جمع بين الحـج والعمرة ولم ينه عنـه حتى مات ولم ينـزل فيه قرآن يحرمه، ولقد كان يُسَـلَّمُ عَلَيَّ - يعني الملائكة - فلما اكتويت أمسك فلما تركته عاد إلي). رواه مسلم

المبحث السابع

ما يتعلق بالولاء والبَراء

٢٠٨٤. ما المقصود من هذا العنوان؟

المقصود به هو معرفة القواعد الشرعية فيمن يستحق أن نحبه ونواليه، ومن نبغضه ونهجره.

٢٠٨٥. هل واجب تحقيق قضية الولاء والبراء في حياتنا؟

نعم، إذ واجب الحذر من مخالفة القول للعمل، والحذر من تناقض الظاهر مع الباطن، فلابد من المفاصلة والتباعد باطنًا وظاهرًا، ومن نتعامل معه بما يحبه الله تعالى.

٢٠٨٦. هل هذا أمر شرعي؟

نعم، فعلى هذا مدار الشريعة، فإن الشريعة إنما نزلت للتفريق بين أولياء الرحمن عن أولياء الشيطان.

٢٠٨٧. ما أدلة هذا التقرير بأهمية التمييز؟

النصوص في ذلك كثيرة، منها:

- ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾ (النساء: ٨٩).
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٥٦)
- ﴿ لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ

جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأنفال:٣٧)

٢٠٨٨. ما القول مع من يريد تمييع هذه القضية، والدعوة لترك التصنيف والتفريق بين المسلمين؟

الذي يريد تمييع هذه الفروق وإزالتها، أو يهوِّن في تطبيقها فهو مخطىء ومصادم للمقصود الشرعي الأعظم.

٢٠٨٩. كيف وقع منه هذا الخطأ؟

وقع منه الخطأ والكذب في حب الإسلام من أمور عديدة:

- حينما يدّعي البراءة من الكفرة، ثم نراه قد ارتمى في أحضانهم ليربونه كيف شاءوا، فهو إذا كاذب في دعواه.
- من يدّعي البراءة منهم، ثم نجد منه التعظيم لحضارتهم، ومقدّم لهديهم على هدي الكتاب والسنة فهو كاذب في دعواه.
- من يدّعي البراءة منهم وهو يحكّم قوانينهم في كل جانب، ومستبعدًا لقونين الشريعة فهو كاذب في دعواه.
- من يدّعي البراءة منهم وهو متشبّه لهم في سلوكياتهم وخصوصياتهم، وعاداتهم وتقاليدهم المخالفة للشريعة.
- من يدّعي البراءة منهم وهو يريد من أمة الإسلام أن تتمثّل بهم في أمورهم الخاصة والعامة فهو كاذب في دعواه ، وغير ذلك.

٢٠٩٠. هل في قضية الولاء والبراء اتصالٌ بين الظاهر والباطن؟

نعم، فنفهم مما سبق أن البراء ليس كلمة تُقال، ولا هو عاطفة باطنية فقط، بل لابد أن يصدق الظاهرُ الباطنَ، فمن ظهرت على جوارحه آثار البراء فهو صادق في دعواه، ومن خالف فعلهُ قولَه فالله له بالمرصاد.

القسم الأول: ما يتعلق بقضية الولاء.

٢٠٩١. ما المقصود من هذا العنوان؟

يُقصد به بيان ضوابط وما يتعلق بقضايا الولاء والحب.

٢٠٩٢. ما تعريف الولاء في اصطلاح علماء الاعتقاد؟

الولاء في الاصطلاح: هو التعاضد والنصرة والمحبة.

٢٠٩٣. ما دليل هذا القول؟

دليله قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة:٧١)، أي: يتناصرون ويتعاضدون.

ومنه قوله ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا) رواه البخاري، وشبّك ﷺ بين أصابعه.

٢٠٩٤. ماذا يُستفاد من حركة النبي ﷺ في الحديث السابق؟

هذا التشبيك منه ﷺ دليل على وجود التعاضد والنصرة، وهذا التعاضد والتناصر له مقتضيات كثيرة.

٢٠٩٥. هل الولاء مجرد كلمات وشعارات؟

لا، ليس الولاء كلمة تُقال، أو عاطفة باطنية فقط، بل يختلف صدق الدعوى باختلاف ظهور الآثار، فمن كانت الآثار فيه أكثر فهو الأصدق، وتقوى هذه الآثار كلما قويت المحبة التي في القلب التي هي مدار الولاء.

٢٠٩٦. ما مثاله الشرعي في حياتنا وتعاملاتنا، في صدق الولاء؟

من أمثلته في حياتنا وتعاملاتنا:

- من يدّعي الولاء للمؤمنين، ونجده ينصر المؤمنين بما يتيسر له.
- من يدّعي الولاء لهم وهوهو يبتعد عن غشهم أو خداعهم.
- من يدّعي الولاء لهم وهو لا يخذلهم ولا يسلمهم، ولا يعين عليهم عدوهم، فهو صادق في دعواه.
- من يدّعي ولاءهم، وهو يهتم بأمورهم، ويحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم فهو صادق.
- من يدّعي الولاء لهم وهو لا يؤذي أولياء الله تعالى من العلماء والعباد والدعاة والصالحين، فهو كاذب في دعواه.

٢٠٩٧. ما الولاء الذي يريده الله منّا؟

هـو الولاء له جلّ وعلا ولرســوله ﷺ ولعباده المؤمنين، فهـذه أنواع الولاء المشروعة، وما عداها فليس بمشروع.

٢٠٩٨. ما تقسيم الولاء؟

الولاء قسمان:

- ولاء مشروع، أي مأمورٌ به.
- ولاء ممنوع، أي منهيٌ عنه.

٢٠٩٩. ما توضيح التقسيم السابق؟

الولاء المشــروع: هو الولاء لله تعالى، والولاء لرســوله ﷺ، والولاء لعباده المؤمنين.

٢١٠٠. ما دليل هذا القسم من الولاء؟

دليلـه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.(المائدة:٥٥)

فقولـه: ﴿إنما﴾ هي أداة حصر، أي: أنه يجب حصـر الولاية فيما ذكر فقط ونفيها عما عداه، فهذه الآية الكريمة حددت لنا الذين يتوجه إليهم بالولاء، وهم: الله تعالى، ورسوله ﷺ، والذين آمنوا.

أولاً: الولاء لله تعالى.

٢١٠١. ما الأسس الرئيسية في قضية الولاء؟

الأسس الرئيسية في قضية الولاء: الحب والنصرة.

الركن الأول: الحب في الله تعالى

٢١٠٢. ما أهمية هذا الركن في هذا الجانب؟

الحــبّ لابد أن يتوفر في الــولاء، بل هو عموده الأساســي الذي ينبني عليه بعـد ذلـك لوازم هذا الـولاء وتوابع هـذا الحب، وهذا الحـب مكانه ومقره

القلب الذي هو مكان العاطفة، إلا أنه لابد أن تظهر آثاره على الجوارح، وإلا لكان كذبًا وزورًا وادعاءً.

٢١٠٣. ما توضيح القول السابق؟

الجوارح لابد أن تتأثر بما يكون في القلب، فالذي يدّعي الولاء والمحبة للمؤمنين فلابد أن يأتي بمصداق هذه الدعوى، حتى لا تكون دعواه مجرّدة عن البرهان، وبرهانها الذي يصدقها هو ما يظهر على الجوارح من الأعمال، ونعني بها مقتضيات الولاء.

٢١٠٤. ما أهمية الحب في الولاء؟

الحب في الله تعالى هو أساس الدين وقاعدة الشريعة، فهو جل وعلا أحق من يتوجه إليه بالموالاة بكل أشكالها، ومختلف صورها، ومحبته جل وعلا محبة تعبّد واتباع، فحبه تعالى ركن من أركان الولاء، أي: أنه لا يمكن أن يقوم ولاء لله تعالى بدون تحقيق هذا الحب، بل لا يقبل إسلام بدون هذا الحب، بل يجب على المسلم أن يفوق حبه لله تعالى كل حب.

٢١٠٥. ما دليل التقرير السابق؟

- قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾. (البقرة:١٦٥)
- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. (المائدة:٥٤)
- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. (التوبة:٢٤)

٢١٠٦. ما مقتضيات هذا الحب؟

من مقتضياته:

- توقيره سبحانه وتعظيمه.
- إفراده بالتوحيد جل وعلا، والتوكل عليه، والإنابة إليه.
- التحاكم إليه، وإسلام القلوب والوجوه له، والإيمان به، واللجوء إليه في جميع الأمور، ورجاؤه، والتقرب إليه بما يحبه ويرضاه من الشرائع إيجابًا أو استحبابًا، والإكثار من ذكره بأنواع الذكر المشروعة.
- الإقبال على التعرّف عليه، بمعرفة أسمائه وصفاته والتعبد له بآثارها ومقتضياتها.

الركن الثاني في الولاء لله تعالى.

٢١٠٧. ما الركن الثاني في الولاء؟

الركن الثاني هو نصرته جل وعلا، أي يجب على المسلم الذي يوالي في الله تعالى أن ينصر الله تعالى وما يحبه.

٢١٠٨. ما المراد بالنُصرة؟

المراد بها نصره باتباع شريعته بفعل المأمور وترك المحظور، ونصر كتابه، والدفاع عن دينه، والإيمان برسوله ﷺ، والجهاد في سبيله، وترك شهوات النفوس التي لا يرضاها، ونصرة أوليائه، وغير ذلك.

٢١٠٩. ما دليل هذا الركن؟

- قال الله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(محمد:٧)
- وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾. (الحشر:٨)

٢١١٠. هل قضية الولاء متفاوتة بين المسلمين؟

نعم، موالاة العباد لله جل وعلا تتفاوت بين شـخص وآخر بتفاوت تحقيق هـذه المقتضيات وظهور هذه الآثـار، فمحبته لها آثارًها ونصرته لها آثارها، فأعظمنا تحقيقًا لهذه الآثار أكبرنا ولاية له جل وعلا.

ثانيا: الموالاة للنبي ﷺ

٢١١١. ماذا تقتضي الموالاة للنبي ﷺ؟

الموالاة للنبي ﷺ تقتضي أمرين هما: المحبة والنصرة.

٢١١٢. ما حكم محبته ﷺ في قلوب العباد؟

محبته ﷺ فرضٌ لازمٌ على كل مسـلم، بل هي من مقتضيات الشـهادة بأنه رسـول اللـه، بل لابد أن تكون محبتنـا له مقدمة على محبـة الآباء والأبناء والإخـوان والأزواج والعشـيرة والأموال والتجارات والمسـاكن والأنفس والنـاس أجمعـين، فإنـه لم يحقق الإيمـان الواجب مـن قدّم شـيئًا من هذه المحاب على محبته ﷺ.

٢١١٣. ما دليل هذا الحكم؟

- قـال النبـي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحـب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). متفق عليه
- وقـال ﷺ: (ثـلاث مـن كنّ فيـه وجد بهنَّ حـلاوة الإيمان: مـن كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما...). متفق عليه
- لما قال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا رسـول الله، إني أحبك أكثر من كل شـيء إلا من نفسـي». فقـال ﷺ: (لا يـا عمر، حتى من نفسـك). فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والـذي بعثـك بالحق إني لأحبك أكثر من نفسـي. فقال ﷺ: (الآن يا عمر). رواه البخاري

٢١١٤. كيف يمكن تحقيق محبته ﷺ في حياتنا؟

يمكن تحقيق هذا في أمور، منها:

- أن نعلم أن محبته ﷺ ليست شعورًا نفسيًا، أو مجرد اعتقاد فقط.

- لابـد أن يأتي العبد ببرهانها الذي يصدّقهـا، وهو اتباعه ﷺ بفعل ما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر.
- ألا يُعبد الله إلا بما شرّع ﷺ.
- العلم بأن عنوان محبته ﷺ الاتباع وترك الابتداع.

٢١١٥. من أعظم الناس محبة للنبي ﷺ؟

أعظمنا وأصدقنا محبة له أشدنا له اتباعًا، وأكملنا به اقتداءً.

٢١١٦. هل النُصرة له ﷺ مرتبطة بالموالاة له؟

نعم، فمن تمام الموالاة أن ينصر المسـلمُ رسـولَ اللـه ﷺ بكل أنواع النصرة، وبكل ما تحويه هذه الكلمة من معانٍ ولوازم.

٢١١٧. كيف يمكن تحقيق النصرة له ﷺ؟

يمكن ذلك بأمور كثيرة، منها:

- نصرته بالإيمان به، واعتقاد أنه آخر الأنبياء، فلا نبي بعده.
- نصرتـه بالذبّ عن سـنته والدفاع عنها بما يفتحـه الله على العبد من العلم النافع.
- نصرته بالإقبال على سنته؛ تعلّمًا وتعليمًا وحفظًا وشرحًا ونشرًا.
- نصرته بتقديم قوله على قول كل أحدٍ.
- نصرته بطاعة أمره وترك نهيه وتصديقه في كل ما أخبر به.
- نصرته بتعزيره وتوقيره وتعظيمه وتقديره حق قدره، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُـوا بِهِ وَعَـزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّـورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَـهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (الأعراف:١٥٧)
- نصرتـه بحـب صحابته، واعتقاد أنهـم أفضل الخلق بعـد الأنبياء، وأنه لا كان ولا يكون مثلهم، والذبّ عنهم ونشر فضائلهم، والصمت وعدم الخوض فيما جرى بينهم من الخلاف.
- محاربـة البـدع بـكل صورهـا ومختلف أشـكالها، وبكل أنـواع المحاربة

الممكنة.

- بيان مكانته ﷺ وفضله ونشر شمائله والتحلي بأخلاقه وسلوك سبيله واتباع سنته واقتفاء أثره وغير ذلك من معاني الاتباع.
- قتل سابه والقادح فيه انتصارًا له ﷺ كما مضى ذكره مفصلاً في الكلام عن سب النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وينصرون الله ورسوله ﴾، وقال تعالى: ﴿ وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ﴾.

ثالثا: الموالاة للمؤمنين

٢١١٨. ما أركان الموالاة للمؤمنين؟

موالاة المؤمنين لها ركنان وهما: المحبة والنصرة.

٢١١٩. ما حكم المحبة للمؤمنين؟

يجب على كل مسلم أن يحب إخوانه المسلمين، فهم إخوة له في العقيدة، وشركاء له في التوحيد، فالمحبة بين المسلمين فرض لازم لابد من تحقيقه بتحقيق مقتضياتها وآثارها.

٢١٢٠. ما دليل الحكم السابق؟

قال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾، وقال تعالى عن المشركين: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾.

٢١٢١. ما مقتضيات تحقق المحبة للمؤمنين؟

هذه المحبة تقتضي الآتي:

- أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، كما قال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحبٍ لأخيه ما يحب لنفسه) متفق عليه، فجعل النبي ﷺ ذلك الأمر شرطًا لا يتحقق كمال الإيمان الواجب إلا به.
- تحقيق قوله ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه).
- تحقيق قوله ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا).
- التسامح والتصافح والتوادد والتعاطف والتراحم فيما بيننا.

- حفظ عرضه فلا يغتاب بعضنا بعضًا ولا ينم بعضنا على بعض.
- ستر عيوبه والتجاوز عن أخطائه ما أمكن ذلك.
- بذل النصيحة له بلا غش، كما قال ﷺ: (الدين النصيحة)، وقال ﷺ: (وإذا استنصحك فانصح له).
- سدّ فاقته وإعانته بما تقدر عليه من بذل جاه أو مال ونحو ذلك، وإن مما امتدح الله به الأنصار y قوله تعالىً: ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدروهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾.

٢١٢٢. كيف نحقق النصرة مع المؤمنين؟

يجب على المسلم أن ينصر إخوانه في الله، وأن يشدّ عضد إخوانه في العقيدة بما آتاه الله تعالى من قوة وقدرة، قال تعالى: ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ (الأنفال: ٧٢)، فنرى المسلم الحق يشعر بأخيه المسلمً في كل مكان؛ وإن تباعدت الأقطار واختلفت الألوان واللغات والجنسيات.

٢١٢٣. ما أوجه النصرة بين المؤمنين؟

هذه النصرة تقتضي الآتي:
- أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وتعليمه إن كان جاهلاً، وتذكيره إن كان ناسيًا، وتخليصه من الأسر إن كان مأسورًا.
- تقتضي اللين وخفض الجناح له، كما قال تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾.
- تقتضي محبته ومودته والحفاظ على حرمته ونصرته بالمال والنفس.
- تقتضي نصرته؛ بأن يخلفه بخير في أهله وماله، لو غاب عنهم.
- تقتضي نصرته بالدعاء له.
- وتقتضي الذب عن عرضه عند سماع غيبته.

- لابـد من نصره ظالما ومظلومًا ويوضح ذلك قوله ﷺ: (انصر أخاك ظالما أو مظلومًا) فقال: يا رسـول الله: أنصره مظلومًا فكيف أنصره ظالما؟ فقال: (تمنعه عن الظلم فإن ذلك نصر له).

رابعا: الولاء لكتاب الله تعالى

٢١٢٤. كيف يكون ولاء المؤمن لكتاب الله تعالى ؟

يكون ولاء المؤمن لكتاب الله إذا حقق عدة أمور، من ذلك:

- أن يعتقد أنه كلام الله منزل غير مخلوق، وأنه من الله بدأ وإليه يعود.
- السـعي الحثيـث في تحقيق مقاصـد إنزاله، وهـي تلاوته باللسـان وتدبره وتعقلـه والتذكـر والاتعاظ بـه وتفهمه، قال تعالـى: ﴿ كِتَـابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. (ص: ٢٩)
- العمل به بالائتمار بأوامره واجتناب زواجره وتصديق أخباره وأخذ العبرة والفائدة والدروس من قصصه وأمثاله.
- الحـذر والتحذير مـن تحريفه عن مواضعه أو الإلحاد فـي آياته بتكذيبها أو تعطيلها عن معانيها المرادة منها أو إخراجها عن مدلولاتها الصحيحة إلى معان باطلة .
- احترامـه بـكل أنواع الاحترام المشـروعة مـن تعظيمه وألا يمسـه إلا على طهارة كاملة وأن يبعده عن الأماكن التي لا تليق به .
- الـذب عنه ومحاربة خصومه المكذبين به وكشـف زيـف كلامهم وفضح أسرارهم وهتك عوارهم ودحض شبهاتهم التي يثيرونها حوله .
- الإقبال عليه تلاوة وحفظًا وتعلمًا وتعليمًا ونشرًا.
- التحاكم إليه عند التنازع، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُـولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَـنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء:٥٩)، وقد أجمع السلف على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه.

- الاستماع والإنصات عند تلاوته تمسكًا للفائدة ولنزول الرحمة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. (الأعراف:٢٠٤)
- الاستشفاء به، فإن الله جل وعلا جعل هذا القرآن هدى وشفاء، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾، (يونس:٥٧)، وإنه لما خفّ يقين كثير من الناس في القرآن تعلقت قلوبهم بالعلاج البدني المجرد وتركوا الاستشفاء بالقرآن.
- عدم التقدّم عليه بقول أو فعل، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾، فلاقول أو حكم يسبق كلام النبي ﷺ، وهذا هو الميزان الذي يوزن به الحق من الباطل، والصواب من الخطأ.

خامسا: الولاء للدين الإسلامي

٢١٢٥. كيف يكون ولاء المؤمن لدين الله جل وعلا؟

يكون ولاء المؤمن لدين الله تعالى بتحقيق عدة أمور، منها:

- حب شريعة الله تعالى، الحب الذي يثمر العمل بها بانشراح صدر وإقبال قلب وسعادة روح.
- تعلم أحكام هذا الدين العظيم وشرائعه، والعلم الواجب على كل أحدٍ هو العلم الذي تتوقف عليه صحة العقيدة والعبادة، وما زاد على ذلك ففرض كفاية في حق عموم الأمة.
- نشره بمختلف الوسائل، وعلى جميع بقاع الأرض، والدعوة إليه وإيصال صورته الحقيقية المشرقة الصافية لجميع البشر، ويتضمن ذلك: التعريف بمحاسن الإسلام.
- الذبّ عن هذا الدين، بتوضيح الاعتقاد الصحيح وكشف الشبه ومحاربة أهل الأهواء والبدع، وإثبات صلاحيته المطلقة في كل زمانٍ ومكانٍ.
- نصره بالجهاد بالنفس والمال لإعلاء كلمة الدين، ونصره بنصر قضاياه في

كل المحافل.

سادسا: **الولاء للصحابة** رضي الله عنهم

٢١٢٦. كيف يكون ولاء المؤمن لصحابة النبي ﷺ؟

يتحقق هذا بتحقيق عدة أمور، منها:

- أن نعتقد الاعتقاد الجازم أنهم خير البشر بعد الأنبياء والرسل، فلا كان ولا يكون مثلهم.
- أن نعتقد أن الله تعالى رضيَ عنهم، ورضوا عنه.
- أن نحبهم وننصرهم بالقول واليد والقلم، وبكل ما يدخل تحت ذلك المسمى.
- أن ننشر فضائلهم، ونظهر محاسنهم للعامة والخاصة.
- أن نمسك عن الخوض فيما شجر بينهم، مع اعتقادنا الجازم أنهم في ذلك الخلاف مجتهدون محبّون للحق، فالمصيب منهم له أجران، والمخطئ له أجر واحد.
- الذبّ عنهم ممن نالهم بسوءٍ، أو قدح فيهم بشيءٍ بالرد عليه وبيان زيف كلامه، وأن يهجر ويعزر بما يردعه وأمثاله عن الكلام في خيار الأمة.
- دراسة سيرهم، وأخذ الفوائد والأخلاق والعبرة منها، فإنهم القدوة للأمة بعد نبيها ﷺ، فهم أبر الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا.

القسم الثاني: ما يتعلق بقضية البراء

٢١٢٧. ما تعريف البراء؟

البراء في الاصطلاح هو: المصارمة والعداوة والمجانبة والتبرّي والبغض.

٢١٢٨. ما دليل هذا القول؟

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ

كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾. (المجادلة:٢٢)

٢١٢٩. ما الذي يدور عليه البراء ؟

البَراء مداره على البغض.

٢١٣٠. ما مفهوم البراء في الشريعة الإسلامية؟

إن مفهوم البراء في الشريعة الإسلامية تقتضي بغض أعداء الله تعالى، ومعاداتهم والتبرّي منهم.

٢١٣١. ما أقسام الكفار؟

يمكن تقسيمهم إلى الأقسام الآتية:

١/ **المعاهد**: هو الذي يسكن في بلاد المسلمين، وبينه وبين المسلمين عهد، ككفار الدول الكافرة في عصرنا هذا، التي بينها وبين الحاكم المسلم لسلطانه عهود وسفارات.

٢/ **الذمّي**: وهو الكافر الذي صالحه المسلمون على أن يدفع لهم الجزية، وبذل الجزية لحمايته، وفي مقابل التزامه الإسلام فيما يعتقدون تحريمه، دون ما يعتقد حله.

٣/ **المستأمن**: هو الذي يدخل بلاد المسلمين، إما بإذن من ولي الأمر، أو بإذن أحد من المسلمين.

٤/ **الحربي**: وهو ما عدا الأصناف السابقة من الكفار، فهذا يشرع للمسلمين جهاده وقتاله بحسب الاستطاعة والحكم الشرعي.

٢١٣٢. ما التعامل الشرعي الصحيح مع الكفار غير الحربيين؟

من أهم تلك التعاملات:

١/ حمايتهم ما داموا في بلاد المسلمين.

٢/ العدل عند الحكم بينهم وبين المسلمين، وبين بعضهم بعضًا.

٣/ دعوتهم إلى الإسلام، فإن دعوة الكفار فرض كفاية على المسلمين.

٤/ يحرم إكراههم على تغيير دينهم.

٥/ يحرم على المسلم الاعتداء عليهم.

٦/ يحرم على المسلم أن يغشّ أحدًا منهم.

٧/ يحرم على المسلم أن يسيء إلى أحدٍ منهم.

٢١٣٣. ما أقسام البَراء؟

قسّم العلماء البراء إلى قسمين: البراء المطلق، ومطلق البراء.

وبمعنى آخر نقول: البراء الكلي، والبراء الجزئي.

١/ **البراء المطلق** (أو البراء الكلي).

٢١٣٤. ماذا نعني بالبراء المطلق؟

نعني به البراء التام من الفعل وصاحب الفعل، البراءة المطلقة الكلية التامة الأبدية حتى يحصل منه الإيمان.

٢١٣٥. ما مثال هذه البراءة؟

مثالها ما ورد في قول تعالى عن إبراهيم ﷺ والذين آمنوا معه: ﴿ قال تعالى عن إبراهيم ﷺ والذين آمنوا معه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾. (الممتحنة:٤).

٢١٣٦. كيف يمكن تحقيق البراءة الكلية؟

هذه البراءة الكلية لها مقتضيات حتى تكون براءة صادقة، وهي العداوة الكاملة، ومن ذلك:

- ظهور آثارها على الجوارح؛ من ترك التشبّه بهم في شيء من عباداتهم وعاداتهم الخاصة بهم، وهكذا.
- تقتضي أيضًا وجود البغضاء المطلقة في القلب، ولذلك فإن الله تعالى قال في الآية السابقة: ﴿وبدا﴾ أي: بسبب هذه البراءة التي تقدم

ذكرها ﴿بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا﴾.

٢١٣٧. البراءة القلبية، هل هي واجبة من كل مسلم مع الكفار؟

نعم، فمن تحقق فيه مقتضى البراءة المطلقة فلابد يتبرأ منهم البراءة المطلقة التي تقتضي عداوته العداوة المطلقة، وبغضه البغض المطلق.

٢١٣٨. ما حكم هذه البراءة؟

هي فرض واجب على كل مسلم تجاه الكفار، وهي من الأمور التي نتقرب بها إلى الله تعالى.

٢١٣٩. هذه البراءة المطلقة تكون في حقّ من؟

البراءة المطلقة إنما تكون في حق الكافر الكفر الأكبر، والمشرك الشرك الأكبر، والمنافق النفاق الاعتقادي.

٢١٤٠. كيف تكون هذه البراءة مع الأصناف السابقة؟

- **الكافر**: نتبرأ منه البراءة المطلقة، ونعاديه ونبغضه المعاداة والبغض المطلق.
- **المشرك شركًا أكبر**: نتبرأ منه البراءة المطلقة، ونعاديه ونبغضه المعاداة والبغض المطلق.
- **المنافق النفاق الأكبر**: نبرأ منه البراءة المطلقة، ونعاديه ونبغضه المعاداة والبغض المطلق.

٢١٤١. ما سند هذه الأحكام؟

قوله تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ أي أن من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره فقط لا بباطنه ونيته.

وقال تعالى منكرًا على من يوالي الكفار: ﴿ الذين يتخذون الكافرين أولياء

من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا﴾.

٢١٤٢. ماذا تفيد الآيات؟

تفيد وجوب البراءة المطلقة لمن اتصف بالكفر، أو الشرك الأكبر، أو النفاق الاعتقادي.

٢١٤٣. ما قول سلفنا رحمهم الله تعالى مع هذا الجانب من البراءة؟

قال أبو الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (إنا لنكشّر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم) رواه البخاري. وقال الثوري: قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (ليس التُقية بالعمل، وإنما التقية باللسان).

٢/ البراءة الجزئية

٢١٤٤. ما المقصود بهذا العنوان؟

يُقصد بها أن هناك من الناس من نتبرأ ونكره جانبًا معينا فيه، لمخالفات شرعية وقع بها، ولا نتبرأ منه البراءة الكاملة.

٢١٤٥. لمن تكون البراءة الجزئية؟

البراء الجزئية، أو ما يُقال لها مطلق البراء، فإنه يكون لعصاة الموحدين؛ سواءً كانت المعصية معصية شهوة أو شبهة.

٢١٤٦. لماذا تكون معهم البراءة الجزئية؟

لأن معهم أصل الإسلام، وإنما نبرأ منهم مطلق البراء، أي بعض البراء لا كل البراء، ومطلق البراء ممن تحقق فيه ما يقتضيه، يوجب مطلق العداوة أي بعضها لا كلها، ويوجب مطلق البغضاء أي بعضها لا كلها.

٢١٤٧. كيف يمكن تعليل الحكم السابق؟

تعليله أنه قد يجتمع في الشخص الواحد موجب المحبة والعداوة، وموجب الثواب والعقاب.

وبعبارة أخرى نقول: عصاة الموحدين نحبهم ونواليهم بما معهم من الإيمان،

ونبغضهم ونعاديهم بما معهم من الفسوق والعصيان.

٢١٤٨. هل له من دليل في الهدي النبوي؟

نعم، ومن تلك الأدلة الشرعية ما يأتي:

- عبدالله بن أبي بن سلول، نبرأ منه البراءة المطلقة، ونبغضه البغض المطلق، ونعاديه المعاداة المطلقة؛ لأنه منافق النفاق الأكبر، بل هو عند أهل العلم يعد رأس المنافقين.
- أبو لهب وأبو جهل، نبرأ منهما البراءة المطلقة ونبغضهما البغض المطلق، ونعاديهما المعاداة المطلقة؛ لأنهما كافران ومشركان.
- السرّاق والزناة وشاربو الخمر وقطاع الطريق والبغاة، وسائر أصحاب المعاصي، فهؤلاء لا يخرجون من دائرة الإسلام بهذه المعاصي، بل ينقص إيمانهم بقدر ما عندهم من المعصية.

فهؤلاء نبرأ منهم مطلق البراءة، ونبغضهم مطلق البغض، ونعاديهم مطلق العداوة، ويكون ذلك بقدر ما مع كل واحدٍ منهم من المعصية.

٢١٤٩. هل من أمثلة على صور موالاة الكفار لنحذرها ونحذِّر منها؟

نعم، الأمثلة على موالاة الكفار كثيرة، ومن أهمها:

- الرضا بكفرهم، وعدم تكفيرهم، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة، وهذه الصورة ناقضة للتوحيد من أساسه، وقد جعلها العلماء من جملة نواقض الإسلام.
- التولي العام للكفار؛ باتخاذهم أنصارًا وأعوانًا وأصدقاء وإخوانًا، أو الدخول في دينهم، أو إعانتهم على مراسم كفرهم بقولٍ أو عمل.
- التحاكم إليهم عند نزول الحوادث وترك التحاكم للشريعة، فما أن تنزل نازلة بالمسلمين إلا ويرفعون الأمر إلى الكفار ليحكموا فيه، وهذا خطير جدًا؛ لأنه نوع من الإيمان بما هم عليه من الكفر، قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدًا﴾.

- مودتهم ومحبتهم، والسعي الحثيث في تحقيق ما يرضيهم ولو كان على حساب الإسلام وقضاياه، وهذا مزلق خطير وطامة كبيرة، قال تعالى: ﴿ لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله... ﴾ الآية.
- الركون إليهم، قال تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾، والمراد بالركون إليهم أي الاعتماد عليهم في سائر الأمور أو أغلبها اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا وفكريًا وغير ذلك.
- مداهنتهم ومجاملتهم ومداراتهم على حساب ديننا، قال تعالى: ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾.
- اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾.
- توليتهم أمرًا من أمور المسلمين؛ كالإمارة، والكتابة وقيادة الجند، أو توزيرهم، ونحو ذلك.
- التشبّه بهم فيما هو من عباداتهم، أو عاداتهم ومشاركتهم في أعيادهم وفي مراسم كفرهم الخاصة بهم وتهنئتهم على ذلك.

٢١٥٠. هل الموالاة للكفار فيها أقسام من الجهة الردّة عن الردة ودونها؟

نعم، فالموالات مختلفة معهم، حسب العمل والقصد.

٢١٥١. متى تكون الموالاة للكفار ردة وكفرا؟

ما يكون كفرًا وردة، مثل: التولي المطلق، ومودتهم لأجل دينهم وسلوكهم، والرضا بأعمالهم، وتمني انتصارهم على المسلمين، وطاعتهم في التشريع، واعتقاد مساواتهم بالمسلمين، وأن المسلمين لا ميزة لهم، والوثوق بهم وائتمانهم دون المسلمين، ونصرتهم ومساعدتهم على حرب المسلمين، والتشبه بهم إعجابًا واستحسانًا في قضايا التوحيد والعبادات، فهذه

الصور من الموالاة كفر أكبر.

٢١٥٢. متى تكون الموالاة للكفار كبيرة من الكبائر؟

تكـون الموالاة كبيـرة من الكبائر، ولا يكفر فاعلها إلا إذا فعلها اسـتحلالاً، وذلك كاتخاذهم بطانة، ومداهنتهم، والتذلل لهم، وملاينة الحربيين منهم، والمبالغـة فـي رفع شـأنهم وتعظيمهم، والدخـول في سـلطانهم بلا حاجة ولا اقتضـاء مصلحة عامة، والتشـبه بهم في أخلاقهم وشـعائرهم كالموالد والأعياد، والإقامة عندهم لمن لا يستطيع إعلان دينه مع قدرته على الهجرة، فهـذه الصور منٍ الـولاء لا تصل إلى حد الكفر، بل هي في دائرة الكبائر ما لم يكن مستحلا لها.

٢١٥٣. متى تكون الموالاة للكفار تحتاج إلى تنبيه، ولا تصل إلى الردة أو الكبائر؟

ما يكون أقل مما سبق، وذلك:

- ميل القلب غير الإرادي إلى الزوجة الكتابية، أو للابن غير المسلم.
- ميـل القلب لمن بذل إلينا معروفًا، أو مـن كان منهم صاحب خلقٍ وأدب، أو الثقة فيهم.
- العمل لديهم مع وجود الإهانة والاحتقار، مع وجود فرص عملٍ أخرى.

٢١٥٤. ما الأمور التي يباح للمسلم أن يتعامل بها مع غير المسلم؟

١/ يجوز اسـتعمالهم واسـتئجارهم في الأعمال التي ليس فيها ولاية على مسلم.

٢/ يسـتحب للمسـلم الإحسـان للمحتـاج مـن الكفـار، كالصدقـة علـى فقيرهـم.

٣/ يجوز برّهم بالهدايا، لترغيبهم في الإسلام.

٤/ يستحب إكرامه عند نزوله ضيفا على المسلم، كما يجوز أن ينزل المسلم ضيفا على الكافر.

٥/ يجوز إجابة دعوته للمصلحة الشرعية.

٦/ يجـوز الأكل العـارض معهم من غير أن يتخذ المسـلم الكافر صاحبا أو

جليسا، أو أكيلا دائما.

٧/ يجوز التعامل معهم في الأمور الدنيوية المباحة.

٨/ يجوز للمسلمين أن يستعينوا بالكفار في صد عدوان على المسلمين، وذلك بشرطين:

- الاضطرار إلى أعانتهم.
- الأمن من مكرهم وضررهم.

٩/ يجوز للمسلم أن يتزوج بالكافرة الكتابية فقط؛ إذا كانت عفيفة، وعند الأمن من ضررها على الدين والأولاد والنفس.

١٠/ يجوز للمسلم أن يذهب للطبيب الكافر إذا وثق به.

١١/ يجوز دفع الزكاة إلى المؤلفة قلوبهم من الكفار.

١٢/ يجوز للمسلم أن يشارك الكافر في التجارة، بشرط أن يشرف المسلم عليها.

١٣/ يجوز قبول الهدية من الكافر، إذا لم يكن فيها إذلال للمسلم، ولا موالاة منه للكافر.

١٤/ يجوز للمسلم أن يعمل عند الكافر، ويجوز أن يعمل في عمل يديره بعض الكفار، لكن لا يجوز أن يعمل في خدمة الكافر الشخصية؛ كطبخ طعامه، وغسل ثيابه.

١٥/ تجوز تهنئتهم بمناسباتهم الدنيوية؛ كولادة ولد، إذا كان لمصلحة شرعية.

التعامل مع الكافر المعاهد

٢١٥٥. ما المقصود من هذا العنوان؟

المقصود منه بيان كيفية التعامل الشرعي مع كافر يعيش في بلدٍ مسلم.

٢١٥٦. ما معنى مصطلح (معاهد)؟

أي هو المتواجد في البلد المسلم بصورة نظاميّة قانونيّة.

٢١٥٧. ما حكم الاعتداء أو قتل هذا الشخص؟

هذا محرّم، لما ثبت عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين سنة). رواه البخاري

٢١٥٨. هل الغدر بالكافر المعاهد، يجوز؟

هذا محرّم، فعن حذيفة بن اليمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبي حسيل، فأخذنَا كفار قريش، قالوا: إنكم تريدون محمدا؟ فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال ﷺ: (انصرفا، نفِي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم). رواه مسلم

٢١٥٩. ما الفرق في الحكم بين الخديعة عن الغدر مع غير المسلمين؟

الغدر في الشرع محرّم مطلقًا حتى في الجهاد الشرعي، فضلا عن الجهاد البدعي، عن بريدة عن أبيه، قال: كان رسول اللّه ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش أو سريّة أوصاهُ في خَاصّة نفسه بتقوى اللّه ومن معهُ من المسلمين خيرا، ثم قال: « اغْزُوا بسم اللّه وفي سبيل اللّه وقاتلوا من كفر باللّه، اغزوا ولا تغدُرُوا، ولا تَغْلوا، ولا تمثّلوا، ولا تقتُلوا وليدًا..). رواه مسلم، وهو نقض للعهد والأمان، وقد أمر الله بالإيفاء بالعهود فقال: ﴿أوفوا بالعقود﴾.

بخلاف الخدعة، فهي جائزة في مثل الحرب، كما روى جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن رسول الله ﷺ: (الحرب خدعة). متفق عليه، ولا تكون في مقابل أمان وعهد.

٢١٦٠. هل تقديم مال إلى كافر يعتبر من المحرمات؟

لا يعتبر من المحرمات، بل هذا راجع للمصالح والمفاسد، وفرق بين حالة القوة والضعف، عن حالة الاختيار والاضطرار، مع العلم بأن من أصناف الزكاة الثمانية (المؤلفة قلوبهم) وهم الكفار.

٢١٦١. ما القول مع من يفتي بأن مال غير المسلم حلال، مع جواز ظلمهم؟

هذا خطأ، بل إن الكافر المظلوم تستجاب دعوته في حق ظالمه ولو كان

مسـلمًا، كما ثبت عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أن رسول الله ﷺ قال: (واتقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب). متفق عليه

٢١٦٢. مـا حكـم ما يتـردّد علـى ألسـنة البعض مـن قولهـم: (الدين للـه، والوطن للجميع)، فهل لهذه الكلمة تعلّق بقضية الولاء والبراء؟

هذه الكلمة كلمة ضالة، يراد بها تمييع قضية الولاء والبراء، وهي من وسائل مكر الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم بالمسلمين.

٢١٦٣. ما معنى الجملة السابقة؟

أي أن الدين حقٌ لله جل وعلا، وأما المواطنة فهي حق الجميع، فالجميع يعيش تحـت رايـة واحدة، فتكون المحبة والعـداوة والولاء والبـراء مرتبط بالمصالح الدنيوية الشخصية والعلاقات المادية، ولا دخل للعقيدة والدين فيها.

٢١٦٤. ما عاقبة الجملة السابقة؟

عاقبتهـا ومؤدّاهـا تمييع قضية المحبـة والعـداوة، وعدم التمييـز بين الطيب والخبيـث، فيعيـش المسـلم مع الكافـر دون تحديد شـخصية ولا معرفة دين ولا بيـان معتقد، ويعيش الجميع تحـت راية واحدة، وأنه لا اعتبار باختلاف الأديـان والاعتقـادات ما دام الوطـن واحدًا، ولا حق لأحد مـن أفراد هذا الوطـن أن ينكـر على الفرد الآخر ما يدين به ويعتقده ، فكلٍ يعتقد ما يشـاء فهو حرّ في اعتقاده، ولا دخل لأحدٍ فيه.

٢١٦٥. ما أثر هذه الكلمة بين المسلمين والكفار؟

هذه دعوى لنبذ التفريق بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن، ومؤداها ترك الإنكار والأمر بالمعروف، وهي فكرة سيئة يُراد بها تعظيم صورة الوطن في النفوس، وتقديم الوطنية على أخوة الدين.

فالواجب رفضها والبراءة منها، والإنكار على من يتلفّظ بها، وهي كقولهم: (اعط ما لله لله، وما لقيصر لقيصر).

٢١٦٦. ما القول في فكرة التقارب بين الأديان، أو وحدة الأديان؟

هــذه دعوات ظاهرها الحضــارة والحوار، وباطنها الهــدم والدمار، كما قال تعالى: ﴿ ودوا لو تكفرون كما تكفرون كما كفروا فتكونون ســواء﴾، فهل يتصور أن الدين الحق الصحيح سيقترب من الديانات الباطلة؟

الفصل التاسع
متفرقات عقدية

المبحث الأول: التعامل مع المنافقين
المبحث الثاني: المسح على الخفين
المبحث الثالث: ما يتعلق بالبدعة
المبحث الرابع: التعامل مع المبتدعة
المبحث الخامس: بغض أهل البدع
المبحث السادس: الوسطية
المبحث السابع: ما يتعلق ببعض الفرق الإسلامية
المبحث الثامن: ما يتعلق بالمحكم والمتشابه
المبحث التاسع: ما يتعلق بمعرفة الغيب

المبحث الأول

التعامل مع المنافقين

٢١٦٧. من هو المنافق؟

هو الذي يظهر الإسلام، لكن باطنه فيه السوء والكفر.

٢١٦٨. كيف يتعامل المسلم مع المنافقين؟

واجب أن يتعامل معهم كما كان النبي ﷺ يتعامل مع المنافقين في زمنه.

٢١٦٩. كيف كان تعامله عليه الصلاة والسلام مع المنافقين بصورة عامة؟

أوضح الإمام ابن القيم في كتابه زاد المعاد، أن النبي ﷺ كان يأمر بقبول علانيتهم، ويترك سرائرهم إلى الله تعالى.

وأنه كان يجاهدهم بالحجة والعلم.

وأن الله أمره أن يعرض عنهم.

وأمره أن يغلظ عليهم وأن يبلغ القول البليغ إلى نفوسهم،

ونهاه أن يصلي عليهم وأن يقوم على قبورهم.

وأخبر أنه إن استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم.

٢١٧٠. كيف نتعامل مع المنافقين في حياتنا اليومية، وفق الدليل؟

نتعامل مع المنافقين بما يلي:

أولاً: قبول علانيتهم، ودليل ذلك: أنه ﷺ كان يسمح لهم بالخروج معه للجهاد، وبالدخول في المسجد وبالصلاة معه.

ولما تخلّف طائفة منهم في غزوة تبوك جاءوا واعتذروا وحلفوا بالله أنهم لم يستطيعوا الخروج ولا عدّة عندهم ويخافون من الفتنة، فقبل منهم علانيتهم واستغفر لهم، وكان يقول: (أتريد أن يتحدث الناسَ أن محمدًا يقتل أصحابه).[١١٠]

١١٠- مع علمنا اليقيني بوجودهم في عهده ﷺ، إلا أننا لم نقرأ ولا نعرف أنه ﷺ عامل

ثانيًا: توكيل سرائرهم إلى الله تعالى، ذلك لأن النفاق أمر باطني لا يُرى، ولكن له علامات، وهم يحاولون إخفاء هذه العلامات، ونحن مأمورون بالأخذ بالظاهر، وأما أمر السرائر فإنه إلى الله تعالى.

ثالثًا ورابعًا: مجاهدتهم بالعلم والحجة والإغلاظ عليهم، قال تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾، وقال تعالى: ﴿أولئك الذين يعلمِ الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغًا﴾ والمجاهدة هنا تختلف، والمراد بها مجاهدتهم بالحجة والبرهان، لا بالسيف والسنان.

خامسًا: الإعراض عنهم، قال تعالى: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ﴾.

سادسا: ترك الصلاة على من ثبت نفاقه يقينًا، وذلك لقوله تعالى: ﴿ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره ﴾.

سابعا: عدم شهود جنائزهم أوالقيام على قبورهم، كما في الآية السابقة، والشاهد منها قوله: ﴿ولا تقم على قبره ﴾.

تاسعًا: عدم الاستغفار لهم، قال تعالى: ﴿سواءً عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

٢١٧١. هل وردت صفات المنافقين في النصوص الشرعية؟

نعم، فصفاتهم كثيرة، وقد فضحهم الله في القرآن غاية الفضيحة، وبيَّن مكنون نفوسهم وما تحمله صدورهم من الغل والحسد والحقد لعباد الله تعالى.

٢١٧٢. ما صفات المنافقين وفق ما ورد في النصوص الشرعية؟

بالتتبع لبعض الآيات والسور والأحاديث تبين لنا من صفاتهم ما يلي:

أحدًا منهم بما يسرّه في قلبه، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة.

- إخلاف الوعد ونقض المواثيق، قال تعالى: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصَّدَّقنَّ ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)، وهذه الصفة من أبرز صفاتهم قبحهم الله تعالى.

- الكذب في الحديث والخيانة في الأمانة والفجور في المخاصمة، قال النبي ﷺ: (أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذ حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) متفق عليه.

- لمز المؤمنين في صدقاتهم وتعبداتهم، قال تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾.

- التذبّذب بين فريق الإيمان وفريق الكفار، قال تعالى: ﴿ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾، فهم يتكيفون حسب غلبة أحد الفريقين، فهم كما قال رسول الله ﷺ: (مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذا مرة وإلى هذا مرة). رواه مسلم.

- الإفساد في الأرض بدعوى الإصلاح، قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾.

- السخرية من عباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾، فيسخرون من اللحية، وتقصير الثوب والحجاب والأذان، وغير ذلك.

- المخادعة للمؤمنين والكيد لهم، قال تعالى: ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾.

- إشـاعة الفتنة والفاحشـة بين المسـلمين، قال تعالى: ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبـل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾
.
- كراهتهـم للإنفاق في سـبيل اللـه، كما قال تعالى: ﴿ومـا منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله﴾)
- لا يأتـون الصلاة إلا وهم كسـالى، قال تعالـى: ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهـو خادعهـم وإذا قامـوا إلى الصـلاة قاموا كسـالى﴾، ويـزداد ثقلها عليهـم في العشـاء والفجر، كما قال ﷺ: (أثقـل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا).
- الخوف الشـديد، كما قال تعالى: ﴿أشـحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت﴾.
- الفـرح بانتصار الكفار، والاسـتياء من انتصار أهل الإسـلام، قال تعالى: ﴿إن تصبك حسـنة تسـؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون﴾ .
- يدّعـون حـب المؤمنين ويبطنون بغضهم والحقد عليهـم، قال تعالى: ﴿ها أنتـم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنـون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور﴾.

٢١٧٣. مـا حكم إطـلاق وصف (منافـق)، على مـن وجدنا فيه بعـض من صفات المنافقين؟

هذا لا يجوز، فلم يقبت أن النبي ﷺ كان يطلق وصف النفاق على المنافقين، أو من كانت فيه صفة نفاق.

٢١٧٤. ماذا يعني وصف مسلم بأنه من المنافقين؟

هـذا يعني الحكـم عليه بالكفـر، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْـفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء: ١٤٥)، وهذا لَا يمكن قوله إلا بيقين.

٢١٧٥. ما القواعد التي يجب مراعاتها عند الحكم على الآخرين؟

القواعد كثيرة، وخلاصة هذه القواعد كما يلي:

القاعدة الأولى: يجب صون المنطق عن الحرام، ويسن كفه عن المكروه وفضول المباح.

القاعدة الثانية: لنا الظاهر والله يتولى السرائر.

القاعدة الثالثة: صفاء السريرة على المحكوم عليه، وإحسان الظن به مطلب أساسي في الحكم عليه.

القاعدة الرابعة: ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه.

القاعدة الخامسة: من وقع في مكفر أو مبدع أو مفسق فإنه لا يحكم عليه بمقتضاه، إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع.

القاعدة السادسة: الحكم العام يكون على الأقوال والأفعال، وهذا لا يستلزم انطباقه على الأفراد قطعًا إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع.

القاعدة السابعة: لا تقوم الحجة على المعيّن إلا بعد بلوغها وفهمها مطلق الفهم.

القاعدة الثامنة: لا يحكم على الغير لمخالفته شيئًا ثبت الخلاف الشرعي فيه، لا سيما إذا كان الخلاف قويًا.

القاعدة التاسعة: يجب في الحكم على الغير النظر في القرائن المصاحبة للقول والفعل.

القاعدة العاشرة: طلب العذر للمخالف مقدّم على الحكم عليه.

القاعدة الحادية عشرة: لازم القول ليس قولاً إلا بعد عرضه وقبوله.

القاعدة الثانية عشرة: من العدل والإنصاف أن يغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه.

القاعدة الثالثة عشرة: الحكم على الآخرين وقفٌ على العلماء الراسخين.

القاعدة الرابعة عشرة: لا تُبنى الأحكام على الإشاعات والنقول والأراجيف.

المبحث الثاني

المسح على الخفين

٢١٧٦. ما المقصود من المسح على الخفين؟

هي عملية المسح على ما يغطي القدمين أثناء الوضوء، بدلاً من غسلهما.

٢١٧٧. ما علاقة هذا الحكم الفقهي مع أمور العقيدة؟

له علاقة وثيقة لتميّز أهل السنة بين من خالفهم، حتى أصبح شعاراً لهم.

٢١٧٨. من الذي خالف في هذه المسألة؟

هم الشيعة، الذين يرون المسح على القدمين، بدلاً من المسح على الخفين.

٢١٧٩. ما الوارد في هذا الشأن في الشرع؟

ورد في كتاب ربنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة:٥)

٢١٨٠. الآية السابقة فيها تنصيص على أن كلمة ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ معطوفة على كلمة ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، فلماذا تم النصب لها بدلا من الجر؟

ورد في هذه الكلمة قراءتان صحيحتان:

الأولى: بالنصب، عطفا على كلمة: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾، ويكون القدم لها الغسل.

والثانية: وهي بالجر، وتكون (وَأَرْجُلَكُمْ) عطفا على كلمة: ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ ويكون لها المسح.

٢١٨١. ما تقدير الآية السابقة؟

كأن لفظ الآية في الأصل: (اغسلوا وجوهَكم وأيديَكم إلى المرافق وأرجلَكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسِكم)، ولكن أُخِّرَ غسلُ الرجل

بعد مسح الرأس للدلالة على أن ترتيب الأعضاء في الوضوء من الأركان، فيكون على هذا النحو: غسل الوجه، ثم الأيدي، ثم مسح الرأس، ثم غسل الأرجل.[111]

٢١٨٢. ما الراجح في القدم، الغسل أو المسح؟

كلاهما صحيح، وفق ما تم نقله إلينا عن فعل النبي ﷺ في صفة وضوئه، والحالات التي يكون فيها.

٢١٨٣. ما الدليل على غسل النبي ﷺ لقدميه؟

- سُئل عبد الله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن وضوء النبي ﷺ، فدعا بتور من ماء فتوضأ لهم وضوء النبي ﷺ، فأكفأ على يده من التور فغسل يديه ثلاثا، ثم أدخل يده في التور، فمضمض واستنشق واستنثر ثلاث غرفات، ثم أدخل يده فغسل وجهه ثلاثا، ثم غسل يديه مرتين إلى المرفقين، ثم أدخل يده فمسح رأسه، فأقبل بهما وأدبر مرة واحدة، ثم غسل رجليه إلى الكعبين). رواه البخاري
- وعن حمران مولى عثمان بن عفان، أنه رأى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعا بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات، ثم أدخل يمينه في الوضوء، ثم تمضمض واتنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثا، ويديه إلى المرفقين ثلاثا، ثم مسح برأسه ثم غسل كلتا رجليه ثلاثا، ثم قال: رأيت النبي ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا وقال: «من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه». متفق عليه

٢١٨٤. ماذا نقل العلماء عن هذا الحكم؟

قال الحافظ ابن حجر: « وقد تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في صفة وُضُوئِه أنه غسل رجليه وَهُوَ المبين لأمر اللّه، ولم يثبت عن أحد من الصحابة خلَاف ذلك إلا عن عليّ وابن عباَس وأنسٍ، وقد ثبت عنهم الرجوع عن ذلك، قال عبد الرحمن بن أبِي ليلى: أجمع أصحاب رسُول اللّه ﷺ عَلَى

١١١- المجموع» (١/ ٤٧١)

غسل القدمين، رواه سعيد بن منصور». انتهى .[112]

٢١٨٥. هل سار أعلام أهل البيت على خطى جدّهم المصطفى ﷺ؟

نعم، فقد كانوا يأمرون بغسل الرّجلين، وهذه بعض أقوالهم:

١. عن زيد بن علي عن آبائه عن علي (عليه السّلام) قال: «جلست أتوضّأ فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين ابتدأت في الوضوء، فقال لي: تمضمض واستنشق واستنّ، ثم غسلت ثلاثاً، فقال: قد يجزيك من ذلك المرّتان. فغسلت ذراعي ومسحت برأسي مرتين، فقال: قد يجزيك من ذلك المرّة. وغسلت قدميّ، فقال لي: يا علي خلل بين الأصابع، لا تخلّل بالنار»[113].

٢. عن أبي بَصير عن أبي عبد اللّه (عليه السلام) قال: «إذا نسيتَ فغسلتَ ذراعكَ قَبل وجهك فأعد غسل وجهِك، ثم اغسلَ ذراعيك بعد الوجه، فإن بدأت بذراعك الأيسر قبل الأيمن فأعد غسل الأيمن، ثم اغسل اليسار، وإن نسيت مسح رأسك حتى تغسل رجليك فامسح رأسك، ثم اغسل رجليك».[114]

٣. عن علي بن أبي حمزة قال: سألت أبا إبراهيم (عليه السلام) عن قول الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ ﴾ فقال: صدق اللّه. قلت: جعلت فداك كيف يتوضّأ؟ قال: مرّتين مَرّتين، قلت: يمسح؟ قال: مرّة مرّة، قلت: من الماء مرّة؟ قال: نعم، قلت: جعلت فداك فالقدمين؟ قال: اغسلهما غسلا».[115]

٢١٨٦. ما الدليل على مشروعية المسح في سنّة النبي ﷺ؟

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «إنطلق النبي ﷺ لحاجته، ثم أقبل فتلقيته بماء فتوضأ وعليه جُبة شامية، فمضمض وإستنشق، وغسل وجهه، فذهب

١١٢- فتح الباري» (١/ ٣٢٠)

١١٣- وسائل الشّيعة: (٠١/ ٤٢١)

١١٤- الكافي: ٠٣/ ٣٥. باب الشكّ في الوضوء ومن نسيه أو قدّم أو أخّر. رقم٠٦)

١١٥- تفسير العياشي (٠١/ ٣٠١)

يخـرج يديـه من كميه فكانا ضيقـين، فأخرج يديه من تحت الجبة فغسـلهما ومسح برأسه وعلى خفيه». رواه البخاري

المبحث الثالث

ما يتعلق بالبدعة

٢١٨٧. ما تعريف البدعة لغة؟

هي الشيء المخترع لا على مثال سابق.

٢١٨٨. ما دليل هذا القول من النصوص الشرعية؟

- منه قوله تعالى: ﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل﴾ أي ما كنت أول من أرسل، فقد أرسل قبلي رسل كثير.
- ومنه قوله تعالى: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ أي اخترعوها وأبتدؤوها من عند أنفسهم.
- ومنه قوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ وذلك لإبداعه لها وإحداثه لها لا على مثال سابق.

٢١٨٩. ما تعريف البدعة شرعاً؟

هي إحداث شيء في الدين ليس عليه أمر الشارع.

٢١٩٠. هل هذا التعريف موافق للهدي النبوي؟

نعم، هذا التعريف ألصق باللفظ النبوي، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ). رواه البخاري

ولمسلم: (من عمِل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد).

٢١٩١. هل هناك من تعريفات أخرى للبدعة، من الناحية الشرعية؟

نعم، ومن ذلك: (طريقة في الدين مخترعة تضاهي الطريقة الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد له سبحانه). وهذا تعريف الشاطبي.

وهناك أيضا: (كل محدث لم يأت به الشرع تعلقت به نية الفاعل بالتقرب إلى الله سبحانه بذاته أي نية عبادة واعتقاد ثواب على فعله).

وإن شئت الاختصار فقُل: (التعبد لله بما لا دليل عليه).

٢١٩٢. ما حكم البدعة الشرعية؟

أوضح حكمها النبي ﷺ غاية الإيضاح بما لا يدع مجالاً للمناقشة، وذلك في قوله ﷺ: (وكل بدعة ضلالة).

٢١٩٣. أين الاستنباط من هذا التوجيه النبوي على حكم البدعة؟

تقرر أن لفظة (كل) من أقوى صيغ العموم، فهذه كلية عامة لا يخرج عنها شيء مما يصح وصفه بالبدعة، فكل ما يدخل تحت هذا المسمى فإنه محكوم عليه بأنه ضلالة.

٢١٩٤. ماذا يستفاد من التعريفات السابقة للبدعة، أنه ليس من البدعة مع وجوده في العبادات؟

خرج بقيد (محدث) كل ما له أصل في الشريعة.

وخرج بقيد (بذاته) كل الوسائل المشروعة والمحدثة المساعدة في العبادة والمنفكة عنها؛ كمكبرات الصوت في المساجد، ودور المياه، والمدارس للتعلم وما شابه ذلك، لعدم دخول هذه المسميات في العبادة، ولم توضع كتشريع جديد، وانما احدثت لضرورة هدفها تحقيق العبادة على الطريقة المشروعة.

٢١٩٥. ما القيود التي تضبط مسار البدعة؟

القيود ثلاث وهي القيد الزماني، والمكاني، والكيفي.

٢١٩٦. ما توضيح القيود السابقة؟

القيد الزماني: اذا تم تخصيص عبادة بزمن، مع اعتقاد نية تقرب في هذا القيد، فقد دخلنا في البدعة، كمن خصّ يوما من السنة بصيام مع رجاء ثواب من هذا التخصيص، ولم يأت بهذا القيد الشرع، ومثله صيام النصف من شعبان، أو قراءة القرآن في المآتم.

القيد المكاني: كمن خصّ مكانا معينا بالصلاة فيه رجاء ثواب المكان، ولم

يثبت بدليل شرعي للثواب في هذا المكان.

القيـد الكيفي: مثل من اجتمعوا لقـراءة القرآن جماعة؛ إعتقادًا منهم بثواب قراءتـه جماعـة، وكمن اتخذ السـبحة يسـبح بها ظنا منـه أنها افضل من العـدّ بالأصابع، وكمن خصّ الخطبة بالدعـاء يوم الجمعة ظنا منه بسنيته، أي يرجوا ثواب اتباع السنة به.

٢١٩٧. بماذا تشترك البدع السابقة؟

فـي جميع هذه المحدثـات نجد عبادة أصليـة أُدخلت عليها قيـود وزيادات مبتدعة رجاء الثواب، ونسمي هذا النوع بدعة إضافية.

٢١٩٨. ما نصوص القرآن الآمرة بالإتباع والناهية عن الابتداع؟

تكاثرت الأدلة بالأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع، فمن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله﴾.
- وقال تعالى: ﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تفلحون﴾.
- وقال تعالى: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾.
- وقال الله تعالى: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السـبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾.
- وقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴾.

٢١٩٩. ما نصوص السنة النبوية الآمرة بالإتباع والناهية عن الابتداع؟

النصوص النبوية كثيرة، ومن ذلك:

- عـن جابـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبـي ﷺ كان يقـول إذا خطب الناس: (أمـا بعد فإن أصـدق الحديث كتـاب الله تعالـى، وخير الهدي هـدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة).
- وفـي الصحيـح في أحاديـث الحـوض: "وأن قوما يُذادون عنـه كما يذاد البعيـر الضـال فأقـول - أي النبـي ﷺ- : (أصيحابـي أصيحابي؟)،

فيقولون: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك! فأقول: (سُحقا سحقا).

٢٢٠٠. ما أقوال السلف في هذا الجانب المبارك؟

تواتر القول عن السلف أنهم كانوا:

- يقولون: (اقتصادٌ في سنة، خير من اجتهاد في بدعة).
- ويقولون: (ما ابتدع قومٌ بدعة إلا رُفع من السنة بقدَرِها).
- ويقولون: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتُم).
- وكان سفيان يقول: (لا يستقيم قولٌ ولا عملٌ إلا بموافقة السنة).
- وكان ابن عمر يقول: (كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة).

٢٢٠١. هل حُسن النية مع الخطأ في الفعل، يكون سببا للقبول عند الله؟

لا يعتبر سببًا للقبول، قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ قال: " أخلصه وأصوبه " . قيل: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: " إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يُقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصالم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص ما كان لله تعالى والصواب ما كان على السنة " .

٢٢٠٢. هل هناك من كتب تناولت هذا الموضوع المهم؟

نعم، وهي كثيرة، ومنها: (الاعتصام) للشاطبي، و(الباعث) لأبي شامة، وكتاب ابن وضاح المسمى بـ(ما جاء في البدع)، و(الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع) للسيوطي، و(الحوادث والبدع) للطرطوشي.

٢٢٠٣. ما الفرق بين البدعة والمعصية؟

تتفق البدعة والمعصية بأن كلا منهما مخالفة للمتقرر شرعا.

ولكن تزيد البدعة بأن فاعلها ينوي التقرب إلى الله تعالى بالفعل أو القول، فهو في قرارة نفسه لا يرى أنه قد خالف الشرع في شيء، وإنما يرى أنه متقرّب إلى الله تعالى بذلك.

وإما المعصية: فإن العاصي يعلم حال ارتكابه لهذه الفعلة إنه عاص بذلك،

ولا يقوم في قلبه التعبد لله تعالى بهذا الفعل.

٢٢٠٤. ما توضيح التفريق السابق بالأمثلة؟

مثاله:

- الزاني حين يزني، يعلم أنه يعصي ربه بذلك، ولكن غلبة الشهوة عليه، مع قوة داعي الشيطان وضعف الإيمان فحمله كل هذا على ذلك الفعل،
- السارق، وشارب الخمر والذي يأكل الربا، ونحوهم كلهم يفعلون ذلك وهم يقرّون في أنفسهم أن هذه معاصي، ولا يرجون بها تقربا أو ثوابا.
- أما من يطوف حول القبر، أو يحتفل بمولد النبي ﷺ، أو يدعو الأموات، أو ينذر لهم، أو يقول الذكر الجماعي أدبار الصلوات ونحو هذا، فإنه يفعل ذلك لأجل المبالغة في التعبّد والتقرب إلى الله تعالى.

٢٢٠٥. ما خلاصة ما سبق؟

البدعة ينوي صاحبها القُربة، والمعصية لا ينوي صاحبها ذلك.

٢٢٠٦. أيهما أحبّ إلى إبليس؛ البدعة أو المعصية؟

كلاهما شر، لكن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن صاحب البدعة لا يرى أنه مخطئ، بل يرى أنه على صواب.

٢٢٠٧. وسائل الإقناع، هل تختلف بين المبتدع عن العاصي في النصح عن الخطأ؟

التوبة من المبتدع؛ تحتاج إلى إقناعه أولا بخطأ فعله هذا وأنه بدعة، ونرى الكثير من المبتدعة لا تقبل أنفسهم النزع عن هذه البدعة لاعتيادهم عليها، ورسوخها في قلوبهم، وأنها من موروثات آبائهم وبني قومهم.

وأما صاحب المعصية فلأنه يعلم قبح فعلته، وأنها حرام وموجبة للعذاب، فإنه غالبًا بالتذكير والوعظ يزدجر عنها ويتوب منها.

٢٢٠٨. أيهما أكثر عودة للحق، ومن ثم التوبة عن خطئه؟

التوبة في العصاة أكثر من التوبة في المبتدعة، ولا نعني بذلك أن صاحب

البدعة لا يتوب، كلا، بل باب التوبة مفتوح يلجه كل مذنب، ولكن المقصود أن توبته منها طريقها ابتداء أن يعلم بقبحها، وهذا يحتاج إلى كشف الشبهة عن قلبه، وبيان وجه المخالفة.

٢٢٠٩. هل تُقبل توبة المبتدع إذا تاب؟

تقرر في الأدلة من الكتاب والسنة أن من أذنب بأي ذنب، ثم تاب وأتى بشرائط التوبة فإن الله يتوب عليه.

٢٢١٠. ما الدليل على هذا الحكم من القرآن الكريم؟

من أدلة هذا:

- قال تعالى: ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾، فقوله: ﴿ الذنوب ﴾ جمع دخلت عليه الألف واللام الاستغراقية، وقد أكد هذا العموم بقوله ﴿جميعاً ﴾ والأصل هو البقاء على العموم حتى يرد المخصص.
- وقال تعالى: ﴿حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ﴾.

٢٢١١. ما الدليل على هذا الحكم من السنة النبوية؟

من أدلة هذا:

- ورد في حديث الإفك الطويل: (إن العبد إذا اعترف بذنب، ثم تاب، تاب الله عليه). متفق عليه
- قال النبي ﷺ: (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه). رواه مسلم
- عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعا: (إن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر). رواه الترمذي

٢٢١٢. ما خلاصة القول في إمكانية توبة المبتدع؟

خلاصته القول: نعلم يقينا أن صاحب الكفر والشرك لو تاب من مخالفته،

وصدق في ذلك، تاب الله عليه، فلأن تقبل توبة المبتدع فهذا من باب أولى، وهذا فيه فتح باب للمذنبين أن لا يقنطوا من رحمة الله تعالى، ولا يتمادوا في معاصيهم، وفي الحديث: (والتوبة تهدم ما كان قبلها).

٢٢١٣. ما أقسام البدعة باعتبار تعلقها بأبواب الدين؟

تنقسم البدعة بهذا الاعتبار إلى قسمين:

- بدعة في باب العلميات: أي العقائد.
- وبدعة في باب العمليات: أي أمور الفقه.

وقد يجتمعان في بعض الصور، فيقال عنها: بدع عقدية عملية.

٢٢١٤. ما أمثلة البدع في الاعتقاد (العلميات)؟

من أمثلة البدع في الاعتقاد بدع القدرية والخوارج، وكل من خالف الهدي النبوي الصحيح، وغيرهم من الفرق التي تنتسب للقبلة.

٢٢١٥. كيف كانت هذه البدع تمسّ العقيدة وهي من العلميات؟

البدع التي أتى بها هؤلاء بدع عقدية، أو نقول: بدع في باب العلميات، فإنكار الصفات بدعة عقدية، وإنكار القدر بدعة عقدية، وإخراج الأعمال عن مسمى الإيمان بدعة عقدية، وإنكار قدرة العبد واختياره بدعة عمليه، واعتقاد كفر مرتكب الكبيرة وخلوده في النار بدعة عقدية، وغير ذلك.

٢٢١٦. ما أنواع البدع في العمليات؟

البدعة العملية أنواع، منها:

- ما يكون بدعة في أصل العبادة، وذلك بأحداث عبادة ليس لها أصل في الشرع؛ كإحداث صلاة، أو صيام غير مشروع، أو عيد غير مشروع؛ كأعياد الميلاد والأم ورأس السنة، أو اتخاذ بعض الموالد لبعض الأنبياء أو الأولياء عيداً، وكالطواف حول القبور، والأمثلة على ذلك كثيرة.
- ما يكون في الزيادة على القدر المشروع في هذه العبادة، كما لو زيد ركعة في صلاة الظهر أو العصر.

- ما يكون في صفة أداء العبادة، كفعل عبادة على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية ومطربة.
- ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع، أو تخصيص فعلها في مكان معين لم يخصصه الشرع؛ كتخصيص ليلة النصف من شعبان وليلته بصيام، أو قيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع لكن هذا التخصيص يحتاج إلى دليل،
- تخصيص مكان معين باعتقاد أفضلية فعل الصلاة فيه كمقبرة مثلاً، أو مسجد فيه قبراً أو مكان صلّى فيه نبي أو ولي ونحو ذلك، فهذا التخصيص يحتاج إلى دليل.

٢٢١٧. ما أقسام البدعة باعتبار حكمها الشرعي؟

تنقسم البدعة باعتبار حكمها الشرعي إلى قسمين:
- بدعة مكفّرة، أي ما يحكم عليه بأنه كفر.
- وبدعة غير مكفّرة، أي لا تصل إلى درجة الكفر، بل تبقى في درجة الظلم والفسق.

٢٢١٨. ما مثال البدعة المكفّرة؟

مثال البدعة المكفرة:
- بدعة الجهمية، أتباع الجهم بن صفوان الترمذي، فإن هؤلاء كفروا ببدعتهم وقد تقلد كفرهم خمسمائة عالم من أهل السنة، وذكر بعض أهل السنة المتأخرين اتفاق أهل السنة على أن الجهمية كفار خارجون عن الثلاث وسبعين فرقة، ولا يوصفوا بأنهم من أهل القبلة.
- القول بخلق القرآن، وقد أتفق السلف على أن القائل بهذا فهو كافر.
- بدعة القدرية الذين ينكرون علم الله السابق، والكتابة السابقة، ويزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف[١١٦]، وقد أتفق على تكفيرهم من تأخر موته من الصحابة؛ كابن عمر وأنس وأبي سعيد وأبي هريرة y وغيرهم،

١١٦- أي أن الأمر لا يعلمه الله إلا بعد وقوعه من الفاعل.

وسار أهل السنة على هذا الاتفاق.

- دعاء الأموات والذبح لهم والاستغاثة لهم في تفريج الكربات، والركوع والسجود إلى القبور، والحلف بغير الله تعظيما له كتعظيم الله تعالى.

٢٢١٩. ما مثال البدعة التي لا تصل إلى التكفير؟

مثال البدع التي لا تصل إلى حدّ الكفر:

- بدعة شدّ الرحال إلى القبور.
- بدعة الأذكار الجماعية أدبار الصلوات.
- بدعة تخصيص مكان أو زمان معين ببعض العبادات.
- بدعة إخراج العمل من الإيمان.
- بدعة تكفير مرتكب الكبيرة، ونحو ذلك.

٢٢٢٠. ما القول مع من يقرر أن هناك بدعة حسنة في الدين؟

هذا ابتداء مُطالب بالدليل، لأنه ناقل عن الأصل.

وقد تقرر في الأصول أن الدليل يطلب من الناقل عن الأصل لا من الثابت عليه، وعلى ذلك مضى سلف الأمة.

٢٢٢١. هل هناك بدعة حسنة في الدين؟

ليس في الدين بدعة حسنة، إنما كل بدعة في الدين ضلالة.

٢٢٢٢. كيف الجواب على من يقول: أن من البدع ما يكون حسناً، ويستدل بقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما جمع الناس على أبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صلاة التراويح فخرج فقال: (نعمت البدعة هذه)؟

لا دلالة في هذا القول وجود بدعة حسنة، وذلك لإننا عرّفنا البدعة الشرعية وهي إحداث شيء في الدين ليس عليه أمر الشارع، والاجتماع في صلاة التراويح مما عليه أمر الشارع.

٢٢٢٣. ما الدليل على وجودها في الشرع؟

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ صلّى في المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا في الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال: (قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إلا أني خشيت أن تفرض عليكم) وذلك في رمضان فدل هذا الحديث على كونها سنة. رواه البخاري

٢٢٢٤. **ما الدليل على ثبوت هذا الفعل النبوي وبقائه وعدم نسخه؟**

قيام رسول الله ﷺ أولاً دليل على صحة صلاة القيام في المسجد جماعة في رمضان، وامتناعه عنه بعد ذلك عن الخروج ليس بنسخ لهذا الحكم، بل علله بخوفه أن يفرض عليهم هذا القيام، ولرحمته بأمته أمتنع من الخروج وهذا التي يخشاه قد زال بموته ﷺ.

٢٢٢٥. **إن قيل: فلو كان كذلك، فلماذا لم تُفعل في عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟**

يُقال بأن هذا يرجع لأمرين:

أولاً: إما لأنه رأى أن قيام الناس آخر الليل وما هم عليه كان عنده أولى من جمعهم إلى إمام واحد أول الليل.

ثانياً: ضيق زمانه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النظر في ذلك الفرع مع شغله التام بأهل الردة وغير ذلك مما هو أوكد من صلاة التراويح،

٢٢٢٦. **كيف نعلم بأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يريد الأمر الشرعي في قوله؟**

نعلم ابتداء أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يعلم بأن الاجتماع في صلاة التراويح شيءتم فعله م النبي ﷺ فلذا هو مشروع.

وهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمعهم على عبادة مشروعة مع إمام واحد ابتعادًا عن التفرق، فعلمنا بذلك أن قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نعمة البدعة هذه)، أنه لا يقصد بها البدعة الشرعية، إنما يقصد بها البدعة اللغوية، والتي فيها إجتماعهم على إمام واحد، بموافقة من جميع الصحابة.

٢٢٢٧. **يستدل بعض محسّني البدع على تحسين بدعهم بقوله ﷺ: (من سنّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير**

أن ينقص من أجورهم شيء) فما وجه استدلالهم به، وكيف الإجابة عنه؟

هذا الحديث رواه مسلم رحمه الله تعالى، وهو واضح الدلالة وبيّن المقصود لا يدل على ما يريده محسنوا البدع؛ لا مطابقة ولا تضمنا ولا التزاما.

٢٢٢٨. ما بيان المقصود بالحديث؟

المقصود: إن الحديث فيه (من سنّ في الإسلام سنة حسنة) فليس فيه سوى ذكر السنة الحسنة والسيئة، ولم يرد ذكر للبدعة، والسنة في اللغة الطريقة.

٢٢٢٩. ما المقصود من حديث: (من سنّ في الإسلام)؟

المقصود به: أن من أتى بطريقة حسنة فسنّها للناس فهو من المثابين عليها، ولا يمكن تعرّف طريقة ما أنها حسنة إلا بدلالة الشرع على تحسينها.

فعندما تُوصف الطريقة بأنها حسنة كما في الحديث، فإن ذلك يدلّ على أن لها أصلاً في الشرع، كذلك قال أهل العلم في هذا الحديث.

٢٢٣٠. ما الفائدة الرئيسة في الحديث؟

الدلالةّ على أن الرسول ﷺ لم يطلق (السنة الحسنة) إلا على أمرٍ له أصل في الشرع.

٢٢٣١. ما مناسبة الحديث؟

سببه أنه جاء إلى الرسول ﷺ وفد من العرب كانوا على غاية من الحاجة والفقر، وحث النبي ﷺ أصحابه على التصدق عليهم، فجاء رجل من الأنصار فتصدق بصدقة كبيرة، ثم تتابع الناس من بعده على التصدق حتى تجمع قدر كبير من الصدقات، فأعجب فعل الأنصاري النبي ﷺ، فقال الحديث.

٢٢٣٢. ماذا كان مقصد النبي ﷺ من قوله السابق؟

النبي ﷺ إنما قصد بالسنة الحسنة فعلُ الأنصاري مِن ابتدائه بالصدقة في تلك الحادثة، ونعلم يقينا بأن الصدقة مشروعة من قبْلُ، فتقرر بهذا أن النبي ﷺ إنما أطلق السنة الحسنة على ما هو مشروع في الدين، فلا مجال لإقحام البدع تحت دائرة السنة الحسنة، إذ البدعة لا أصل لها في الشرع.

٢٢٣٣. لماذا لا يمكن وصفها بأنها بدعة حسنة؟

لا يمكن أن توصف بهذا وقد وصفها أعلم الخلق بالشريعة؛ النبي ﷺ، بأنها ضلالة وبأنها رد، فظهر بهذا بطلان استدلال محسني البدع بهذا الحديث.

٢٢٣٤. ما الضوابط والقواعد المهمة لمعرفة البدعة مع شيء يسير من شرحها؟

ذكر أهل العلم رحمهم الله تعالى بعض القواعد والضوابط المهمة لمعرفة البدعة والتميز بينها وبين السنة ودونك بعضها:

القاعدة الأولى: كل إحداث في الدين فهو رد، وهذا مأخوذ من الحديث المعروف: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)، والمراد بالإحداث هنا أي اختراع للقول أو الفعل لا دليل عليه من الكتاب والسنة، أو ما تفرّع عنها من الإجماع والقياس الصحيح، وهذه القاعدة هي أم القواعد في الباب وما بعدها من القواعد والضوابط فإنه متفرع عنها.

القاعدة الثانية: الأصل في العبادات الحظر والتوقيف، وهذه القاعدة كالتعبير الثاني لمعنى القاعدة الأولى.

القاعدة الثالثة: الأصل في العبادات الإطلاق عن الزمان والمكان والصفة المعينة، وبيانها: أن من قيّد عبادة بصفة معينة؛ فإن هذا القيد يتوقف قبوله على الدليل، ومن قيّدها بوقت معين فإن هذا القيد يتوقف قبوله على الدليل المعين، ومن قيّد عبادة بمكان معين فإن هذا القيد أيضاً قبوله على الدليل الشرعي الصحيح الصريح فمن أعطاه الله فهم هذه القاعدة فقد أوتي خيرا كثيرا.

القاعدة الرابعة: لا يُستدل على شرعية الوصف بشرعية الأصل، بل لا بد للوصف الزائد على الأصل من دليل خاص، ولا يحق أن يعمل العبادات على الوصف المخترع الذي لا دليل عليه، بل هذا الوصف يتطلب دليلاً زائداً على مجرد دليل الأصل.

القاعدة الخامسة: الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها للأدلة الصحيحة الصريحة، وليس لأحاديث لا تصح.

القاعـدة السادسـة: كل فهـم في نصـوص الصفـات والقدر واليـوم الآخر مخالف لفهم السـلف فهو بدعـة، أو نقول: ما لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولم يأثر عن الصحابة والتابعين من المعتقدات فهو بدعة.

٢٢٣٥. هل هذا مما يميّز علم السلف عن غيرهم؟

نعم، هذا الأصل يتضح به فضل السلف على الخلف، فإن السلف رحمهم الله تعالـى كانوا يفهمون من نصوص الصفات واليوم الآخر فهماً واضحا موافقاً لمراد رسول الله ﷺ.

٢٢٣٦. لو كان للإنسان فهم يخالف ما سبق بيانه، فما الحكم فيه؟

كل فهـم محـدث يخالف ما سـبق بيانـه فإنه بدعـة، وذلك كفهـم الجهمية والمعتزلـة وغيرهـم لنصوص الصفـات، وكفهم الفلاسـفة لنصوص اليوم الآخـر، وكفهم الجبرية والقدرية لنصـوص القدر، فكل هذه الفهوم باطلة، ومردودة على أصحابها لمخالفتها لفهم السلف.

٢٢٣٧. هل وضع السلف ميزان واضح في فعل العبادات؟

نعـم، وهذا مـا تتناوله القاعدة السـابعة وفيهـا: كل تعبّد قولـي أو فعلي لا يُعرف عن السلف فهو بدعة.

٢٢٣٨. ما توضيح هذه القاعدة؟

توضيحـه أن ننظـر إلى هـدي الآل والصحابة y في أمـور العبادات وكيفية تطبيقهـم لهـا، والأمـور التي وجد سـببها وحالها في زمنهم ثـم لم نجدهم قـد فعلوها، فما تمسـكوا به في الفعل فهذا واجب الأقتـداء بهم فيه، وغيره فواجب الترك له.

٢٢٣٩. ما الأمثلة الموضحة لهذه القاعدة؟

من أمثلة هذا:

- كالاحتفال بالمواليد، فإنه ليس معروفاً عند السلف.

- الطـواف حـول القبور والعكـوف عندها، والدعـاء والذبـح أو النذر لها

وتسبيجها وإسراجها، ووضع الأشجار الخضراء عليها، وتزويقها والكتابة عليها وتجصيصها، وعمل الختمة لها، وتوزيع الطعام والشراب في المقبرة بعد الدفن.

- أعياد الميلاد، فإن منشأه من النصارى.
- الذكر الجماعي والسماع الجماعي.
- التعبد لله بلبس الصوف، والهيام في البراري، ومعاشرة الوحوش طلباً للكرامة.
- التعبد لله بتحريم بعض الحلال؛ كنكاح أو طعام أو لباس.
- تخصيص شيء لا يُسجد إلا عليه، كما يفعل بعض بالناس.

وغير ذلك مما لا يكاد يحصى وقد انتشر وعمت به البلوى.

٢٢٤٠. كيف يمكن مناقشة من يحتفل بمولد النبي ﷺ؟

يمكن مناقشته من خلال النقاط الآتية:

١/ هل هذا الاحتفال طاعة، أو معصية؟

فإن قال معصية، فيكون النقاش منتهيًا.

وإن قال طاعة، فنسأله السؤال التالي:

٢/ هل علِم النبي ﷺ عن هذه الطاعة، أم جهلها؟

فإن قال لم يعلمها، فهذا اتهام للنبي ﷺ بالجهل، وهذا خطير.

وإن قال علمها، فنسأله السؤال التالي:

٣/ هل بلّغنا النبي ﷺ عن هذه الطاعة، أو لم يبلغنا؟

فإن قال لم يبلغها؟ فهو اتهام للنبي ﷺ بعدم البلاغ، بل فيه طعن ومخالفة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة:٦٧)

وإن قال بلغها! فنطلب منه أن يأتي بدليل واحد على هذه الدعوى!

٢٢٤١. الذي لم يفعله النبي ﷺ هل يدخل في جانب البدع؟

الأمر فيه تفصيل أكثر، وتوضيحه يتم وفق القاعدة الثامنة، وهي: (كل فعل توفر سببُ فعله على عهد النبي ﷺ ولم يفعله فالمشروع تركه).

٢٢٤٢. ما توضيح هذه القاعدة؟

توضيحها أن يُقال: الأشياء التي كانت أسباب فعلها متوفرة على عهد النبي ﷺ ومع ذلك فإنه لم يفعلها؛ لا هو ولا أحد من أصحابه فتركهُ لها يدل على أنها ليست من الشريعة.

٢٢٤٣. ما أهمية هذه القاعدة؟

تعتبر من الردود القوية، ويدخل فيها من البدع ما لا حصر لها مثل ما سبق بيانه.

٢٢٤٤. ما دور العادات في البدع والتشريع؟

في القاعدة التاسعة توضيح مهم، وهو: (لا مدخل للعادات في أمور التشريع).

٢٢٤٥. ما الفرق بين العبادات عن العادات اليومية في الحكم الشرعي؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن أعمال العباد تنقسم إلى: عبادات يتخذونها دينًا ينتفعون بها في الآخرة أوفي الدنيا والآخرة، وإلى عادات ينتفعون بها في معاشهم.

فالأصل في العبادات أن لا يُشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى.

والأصل في العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظر الله تعالى».

٢٢٤٦. هل الاختراعات الحديثة، لها تعلّق بالتحذير من البدع؟

الاختراعات، مثل وسائل التنقل، والتكنلوجيا في الاتصالات، فهذه كلها وغيرها كثير لا تدخل في البدع المذمومة المحرّمة، لأنها أمور دنيوية لا دينية.

٢٢٤٧. هل يمكن كسب الأجر من هذه المخترعات، مع أنها من الأمور الدنيوية؟

نعم، إذا تمّ استخدامها في أمور العبادات، فيكون فيها نفع للدين، وفي

أمور تيّسر لنا العبادة، مثل استخدام السيارة لبلوغ المساجد بيسر وراحة، واستخدام مكبرات الصوت للأذان،

٢٢٤٨. هل يمكن لهذه المخترعات أن يكون من بعدها الإثم؟

نعم، لو تم استخدامها لبلوغ المعاصي.

٢٢٤٩. ما الفرق بين البدعة وبين المصالح المرسلة؟

المصالح تدخل في الوسائل، أما البدعة فتدخل في المقاصد.

وكثيرًا ما يخلط المبتدعة بين الأمرين فيقيسون إحداثهم في الدين بالمصالح المرسلة، ويخلطون بين المقاصد والوسائل.

٢٢٥٠. كيف ظهر الخطأ في الخلط بين الوسائل والمقاصد؟

مثال ذلك: حينما نجد من يحتفل بالمولد النبوي مثلاً بحجة التذكير بالنبي ﷺ، فأحدث الاحتفال بيوم ميلاده.

فنتذكر بأن التذكير بسيرة النبي ﷺ من وسائل زيادة الايمان، إلا أن الاحتفال بيوم مولده يعتبر مقصدًا، وليس وسيلة للإعتقاد بالثواب الناتج عنه لذاته، أي الاحتفال بذات اليوم والاعتقاد بخصوصيته.

ونتذكر بأن المصالح لا تتعلق بها نية تعبدية لذاتها، إنما لغاياتها.

فيظهر لنا الفرق بين إقامة دروس في التلفاز لسيرة المصطفى ﷺ، عن إقامة الاحتفالات بيوم المولد.

٢٢٥١. ماذا نفعل في حال مخالفة العادات للشرع؟

العادات الموروثة إذا كانت مخالفة للشرع فيجب إلغاؤها واستبدالها بالمشروع، ولا يجوز الاحتجاج بأنها من عوائد القوم وأعرافهم التي ورثوها كابراً عن كابر، فإن هذه الحجة حجة إبليسية قديمة.

٢٢٥٢. هل يمكن تقديم قول أي إنسان على الكتاب أو السنة، أو مما أجمعت عليه الأمة؟

هذا محرّم فعله.

٢٢٥٣. ما دليل هذا الحكم؟

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾ فكل قول يخالف الكتاب أو السنة فهو مردود على صاحبه.

٢٢٥٤. الحكم السابق، هل يمكن تطبيقه حتى على كبار الصحابة؟

نعم، حتى ولو كان من الكبار منهم، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «تمتّع[١١٧] النبي ﷺ»، فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة! فقال ابن عباس: «ما يقول عريّة»؟ قال: يقول: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: «أراهم سيهلكون! أقول: قال النبي ﷺ، ويقول: نهى أبو بكر وعمر»؟. رواه أحمد

٢٢٥٥. ما وصية العلماء في هذا الجانب من الإتباع؟

- قال أبو حنيفة: «إذا صحّ الحديث فهو مذهبي».
- وقال مالك: «إنما أنا بشر أخطىء وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه».
- وقال الشافعي: «أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحلّ له أن يدعها لقول أحد».
- وقال أحمد بن حنبل: «رأي الأوزاعي، ورأي مالك، ورأي أبي حنيفة كل رأي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار».

١١٧- أي أداء الحج تمتعا

المبحث الرابع

ما يتعلق بأهل البدع

٢٢٥٦. ما المصائب التي وقع فيها المبتدعة، وكانت سبب ضلالهم في الاعتقاد؟

الأسباب كثيرة، يجمعها ما يلي:

الأول: عدم حصرهم أدلة الاعتقاد في الوحيين.

فإنهم يستدلون بالمنطق والفلسفة ويسمونها العقليات، وهي في حقيقتها جهليات، ولذلك فهم يعرضون النصوص على عقولهم، فما وافقها أخذوه، وما خالفها ردوه واتهموه.

الثاني: أنهم لا يأخذون الشرع على فهم السلف.

بل نجدهم يبتدعون من عندهم المعاني الغريبة والاصطلاحات الغامضة، ويقولون: هذا معنى هذا النص.

وقد تقرر في القواعد أنه لا بد من فهم الكتاب والسنة فهماً يوافق فهم السلف، فهم أصحّ فهوماً، وأعمق علوماً ممن أتى بعدهم.

الثالث: بناء استدلالهم على القواعد غريبة.

وتكون هذه الاستدلالات مناقضة للمعقول، ومخالفة للمنقول، ومعارضة لمنهج السلف في الاستدلال.

فهم يستدلون بالمتشابه ويدعون المحكم، ويأخذون بطرف من النصوص ويدعون الآخر، ويقدمون العقل على النقل، ويثبتون أمور الغيب بالقياس، ويأخذون بالمجمل ويدعون المبين، ويفسّرون بعض ألفاظ القرآن على غير ما تعرفه العرب من كلامها.

الرابع: الخوض في النصوص بلا علم ولا برهان.

ولا يقفون حيث وقف النص، بل يقحمون عقولهم فيما لا مجال لها فيه؛ كخوضهم في باب القدر وباب الصفات ونحوها، والسلامة في الوقوف عند ما وقف عليه النص.

الخامس: كثرة جدالهم وخصوماتهم ومرائهم.

السادس: اعتمادهم على الألفاظ البدعية المجملة وبناء معتقدهم عليها؛
كلفظ الجوهر، والعرض، والجهة، والجسم، والحيز، ونحوها، وهذه الألفاظ، ألفاظ محدثة بدعية لا تُعرف عن أحد من السلف.

السابع: الفهم الفاسد للنصوص.

كفهم الخوارج لبعض النصوص، وكفهم أهل التمثيل والتعطيل لنصوص الصفات، وكفهم الجبرية والقدرية لنصوص القدر، وكفهم المرجئة والوعيدية لنصوص الوعد والوعيد.

الثامن: اعتمادهم في اعتقادهم على الأحاديث الموضوعة والضعيفة.

التاسع: تقديم آراء الرجال وقواعد المذاهب على قول الله ورسوله ﷺ.
فلا يقبلون من النصوص إلا ما وافق مذهبهم وكلام مبتدعيهم.

العاشر: اعتقادهم التعارض بين العقل والنقل، وبين الحقيقة والشريعة.

الحادي عشر: اعتمادهم على الأهواء والشهوات.
ويظهر قبيح صنيعهم بتحكيمها في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

٢٢٥٧. بماذا يُعرف أهل البدع ؟

يمكن معرفة أهل البدع من خلال الأمور الآتية:

- الوقيعة في أهل السنة، ووصفهم بالأوصاف القبيحة المستهجنة التي هي بهم أليق، وهم بها ألصق.
- عقد الولاء والبراء على المسميات التي ما أنزل الله بها من سلطان.
- إتباع الهوى والإعراض عن الدليل.
- أنهم لا يذكرون إلا ما لهم فقط، ويكتمون ما عليهم، أو يكذبون به ويعرضون عنه ويقدحون فيه، وأما أهل السنة فيذكرون مالهم وما عليهم، مع الإجابة عنه.
- إتّباع المتشابه، كما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا

تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِه ﴾ (آل عمران:٧) وفي الصحيحين من حديث عائشة مرفوعاً: (فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم).

- كثرة التنقّل والتبديل والتغيير، فلا يثبتون على شيء فمذاهبهم غالباً تخضع للمستجدات والمتغيرات والأحداث والأهواء والشهوات وأقوال متبوعيهم، ومن نصبوه إماماً لهم، ولكثرة جدالهم ومن جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل، ولأن هذه المذاهب الفاسدة أصلاً لم تبن على أسس ثابتة بل بنيت على أهواء متغيرة وأفكار متبدلة، وشهوات متلونة.

- معارضة الكتاب والسنة بالأقيسة الفاسدة والمعقولات الكاسدة.

- دعواهم أن الأدلة لا تفي بالدين، ولا تكفي لتنظيم حياة الناس، وهم في ذلك بين مصرّح وملمح .

- كثرة الاختلاف والفرقة فيما بينهم، وهذا أمر واضح فلا تجدهم يتفقون على شيء، فانظر إلى فرق الخوارج وفرق الشيعة وفرق المعتزلة وهكذا، وهذا من أبرز صفاتهم.

- أنهم يتسمّون بالأسماء المحدثة، فمنهم من ينتسب إلى مؤسس الفرقة كالأشاعرة نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، والجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان الترمذي، والماتريدية نسبة إلى أبي منصور الماتريدي، والكلابية نسبة إلى محمد بن سعيد بن كلاب، ونحو ذلك.

- أنهم ينتسبون إلى أصل بدعهم، كالخوارج لأنهم خرجوا على عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أو لأنهم خرجوا على المسلمين وإمامهم، والجبرية نسبة إلى قولهم بالجبر، والقدرية نسبة إلى نفيهم للقدر السابق، وقولهم: إن العبد هو الذي يخلق فعله، ونحو ذلك، وأما أهل السنة رحمهم الله تعالى فإنهم لا يتسمّون إلا باسم الإسلام والإيمان، أو ما دل عليه الدليل، أو وقع اتفاق الصدر الأول عليه.

- التعصّب للآراء وعدم الرجوع للحق ولو بعد بيان الحق، بل يتعامون عن الحق تعامياً عجيباً، ولا نقول ألا كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى

الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

ومنها: بغض أئمة الحديث وأهل الأثر، فبغض أئمة الإسلام والدين؛ كالصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان؛ كالإمام أحمد والثوري والأوزاعي، وابن عيينة، وابن المديني، والبخاري، وابن تيميه، وابن القيم، ومحمد بن عبدالوهاب رضي الله عنهم، فإذا سمعت الرجل يقع في أحد من أئمة الإسلام والسنة فاعلم أنه صاحب بدعة وهوى.

المبحث الخامس

بغض أهل البدع

٢٢٥٨. ما حكم بُغض أهل البدع ؟

هـذا واجـب من واجبات الشـريعة، يُثاب فاعلة امتثالاً، ويسـتحق العقاب تاركه، وهو من الولاء والبراء الذي هو ركيزة من ركائز الاعتقاد.

٢٢٥٩. ما دليل هذا الحكم الشرعي؟

قـال تعالى: ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليـوم الآخر يوادون من حاد الله ولـو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشـيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان .. الآية ﴾ وغير ذلك من النقول.

٢٢٦٠. على أي صفة يكون هذا البغض؟

البغـض لهـم يختلـف باختلاف البدعـة، إن كانـت مكفرة، أو مفسـقة، أو عقدية، أو عملية، أو حقيقياً، أو إضافية وهكذا.

ويختلف أيضا باختلاف حالة المبتدع؛ فمنهم المستور ومنهم المعلن، ومنهم الداعية، ومنهم المعاند المكابر، ومنهم المتأول المخطي.

٢٢٦١. ما القول الجامع فيما سبق؟

يمكـن القول: ما كان من البدع مكفراً فإنه يجب أن نبغض صاحبها البغض المطلـق، ومـا لم يكـن مكفـراً منها فإننـا نبغض صاحبهـا بقدر مـا معه من المخالفة، أي نبغضه مطلق البغض لا البغض المطلق، وأما التفصيل في آحاد المبتدعة فإنه متروك في حال المسئول عنه.

٢٢٦٢. ما حكم الصلاة خلف المبتدع المحكوم بكفره؟

مثـل هـذا لا تصحّ الصلاة خلفـه باتفاق أهل السـنة؛ سـواء كان داعية إلى بدعته أو غير داعية.

٢٢٦٣. ما حكم صلاة المأموم خلف المبتدع؟

مـن صلّى خلفـه فعليه الإعادة مطلقـا، لأنه ائتم بمن ليس مـن أهل الصلاة أصلا.

٢٢٦٤. هل على مثل هذا يحمل قول العلماء بالنهي عن الصلاة خلف المبتدع؟

نعم، على ذلك يحمل كلام بعض السلف من نهيهم عن الصلاة خلف من حكموا بكفره من أهل البدع كالجهمية والرافضة والقدرية.

٢٢٦٥. ما دليل هذا الحكم؟

عن واثلة بن الأسـقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سـئل عن الصلاة خلف القدري، فقال: (لا يُصلى خلفه، أما لو صليت خلفه لأعدت).

وعن سـلام بن مطيع رحمه الله تعالى أنه سُئل عن الجهمية، فقال: (كفارٌ، ولا يُصلى خلفهم).

٢٢٦٦. ما حكم الصلاة خلف المبتدع الذي لم يكفر ببدعته، لكنه داعيا لها؟

إن كان داعيـة إليهـا فإنـه لا يصلى خلفه أيضـا، إلا إذا كان هـو إمام الجُمع والجماعـات التـي لا تصلى إلا خلفه، فإنها حينئذ تصلـى خلفه ولا إعادة، بل المتخلّف عن الصلاة خلف هذا الرجل معدود من أهل البدع.

٢٢٦٧. ما دليل هذا الحكم من أفعال سلف الأمة؟

- عـن عبيد الله بـن عدي أنه دخـل على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهـو محصور فقال: إنك إمام عامة ونزل بك ما ترى، ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرج، فقال: (الصلاة أحسـن ما يعمل الناس، فإذا أحسـن الناس فإحسـن معهم، وإذا أساؤا فاجتنب إساءتهم). رواه البخاري
- صلّى بعض الصحابة خلف أهل البدع، كما روى أبو زمنين عن سوار بن شبيب قال: (حج نجدة الحروري في أصحابه، فوادع ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فصلـى هذا بالناس يوما وليلة، وهذا بالناس يومـا وليلة، فصلى ابن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلفهما، فاعتـرض رجل فقال: يا ابـن عمر تصلي خلف نجدة الحروري؟ فقال ابن عمر: " إذا نادوا حيّ على خير العمل أجبنا، وإذا نادوا حي على قتل النفس، قلنا: لا. ورفع بها صوته " .

- قال ابن حزم رحمه الله تعالى: " لا نعلم أحدا من الصحابة رضي الله عنهم امتنع من الصلاة خلف المختار، وعبيد الله بن زياد، والحجاج، ولا فاسق أفسق من هؤلاء أ.هـ، وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: ومما يدل على أن الصحابة لم يكونوا يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم، وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وغيره من الصحابة يصلون خلف نجدة الحروري " .

٢٢٦٨. ما حكم الصلاة خلف المبتدع الذي لا يكفر ببدعته، ولم يكن داعيا لها؟

إذا كان لا يكفر ببدعته، ولم يكن داعية إليها وهو من عامة الأئمة، أي أنه يمكن إقامة الصلاة خلفه، فإن الأمر فيه تفصيل:

- فإن كان في ترك الصلاة خلفه تعطيل لهذه الجماعة فإنه يُصلى خلفه، لأنه إذا تعارضت المصالح والمفاسد، وكانت المفاسد أكبر فإن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.
- وإن كان لا يؤدي ترك الصلاة خلفه إلى تعطيل الجماعة في المسجد فإنه لا يصلى خلفه، وهذا من باب الزجر بالهجر ويبحث عن الإمام الأتقى، وقد تقرر في القواعد أنه كلما كان الإمام أجمع للصفات المعتبرة شرعاً كلما كانت الصلاة أكمل، بل ويكون ترك الصلاة خلفه من باب الوجوب إذا كان يفيد زجره عن بدعته التي يعتقدها أو يفعلها، وولي الأمر مطالب أن لا ينصب في الإمامة إلا الأتقى.

٢٢٦٩. هل يُصلى على من مات من أهل البدع ؟

الصحيح في هذه المسألة هو التفصيل، فلا نقول: يصلى عليهم مطلقاً، ولا نقول: لا يصلى عليهم مطلقاً.

٢٢٧٠. كيف التفصيل في هذه المسألة؟

- إن كان هذا المبتدع الذي مات محكوما بكفره ببدعته؛ كالجهمية والإسماعيلية والنصيرة فإنه لا يصلى عليه، لأن صلاة الجنازة مخصوصة بالمسلم الذي مات على الإسلام. وهذا المبتدع مات كافرا فلا يجوز الصلاة عليه.

- أمـا إذا كان هـذا المبتـدع الذي مـات ليس محكومـا بكفره بهـذه البدعة؛ كصاحب الذكر الجماعي ونحو هؤلاء، فإن الأصل أنه مسلم، وبدعته هـذه لا تخرجه عن أصل الإسـلام، وقد تقرر فـي القاعدة أنه يصلى على كل من مات مسلما.
- وإن كانـت المصلحـة أن يتخلّف عن الصلاة عليه إمام المسـلمين، أو نائبه وأهل العلـم والديانة والصـلاح، فإنهم يتركون الصـلاة عليه، زجرا للعامـة عن مواقعة هذه الفعلـة التي مات عليها، فإن الناس إذا علموا أن أهل العلم والصلاح تخلفوا عن الصلاة عليه من أجل هذه البدعة، أو هذه المعصية فإنه لا شك أنهم يحذرون من مواقعتها، وقد ثبت أن النبـي ﷺ لـم يصلي على الغـال، ولا على قاتل نفسـه، ولا على من اسـتدان ومـات ولا وفاء له حتـى تحمّله أحد الصحابـة، وهذا يدخل تحـت باب الزجر بالهجـر وهو تأديب نافع جدا له أثـره الحميد، لكن مبناه على مراعاة المصالح والمفاسد.

المبحث السادس

ما يتعلق بالوسطية

٢٢٧١. ما المراد بالوسطية؟

المراد بها هو بيان قول العلماء: (أهل السنة والجماعة وسطٌ بين فرق الأمة، كوسطية الأمة بين الأمم).

٢٢٧٢. هل للوسطية أقسام؟

نعم، فهناك وسطيتين: وسطية عامة، ووسطية خاصة.

٢٢٧٣. ما المراد بالوسطية العامة؟

يُراد بها وسطية الأمة الإسلامية بين سائر النحل كاليهودية والنصرانية.

فإننا إذا نظرنا إلى دين اليهود الذي هم عليه حاضرا، وجدناه دينًا يقوم على الغلو والإفراط والتشديد.

وإذا نظرنا إلى دين النصارى الذي هم عليه وجدناه دينًا يميل إلى التفريط والتساهل المخزي الفاضح في غالب أموره.

٢٢٧٤. ما مثال هذا في أمور العقيدة؟

فمثلاً: يعتقد اليهود أن عيسى ﷺ كذاب وابن بغي - نعوذ بالله من ذلك -، بينما يعتقد النصارى أنه هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا -، وكِلا الملتين على طرفي نقيض بين الإفراط والتفريط.

فتوسط المسلمون في ذلك وقالوا: (هو عبدالله ورسوله)، فقولهم: (عبد الله) ردّ على النصارى الذين غلوا فيه، وقولهم: (ورسوله) رد على اليهود الذين كذبوه وأهانوه، فاعتقاد المسلمين في عيسى عليه السلام - وسط بين هاتين الأمتين الضالتين المغضوب عليهما.

ومثال آخر: يعتقد اليهود في الحائض أنها نجسة العين، وبنوا على ذلك أنها لا يجوز مؤاكلتها ولا مجالستها، ولا الحديث معها ولا مسّها؛ لأنه

عندهم نجسة قذرة، وهذا هو الغلو بعينه، بينما يعتقد النصارى جواز فعل كل شيء معها حتى النكاح، وهذا تفريط وتساهل، فجاءت الشريعة الإسلامية فقالت: (اصنعوا كل شيء إلا النكاح)، وهذا رد على اليهود الذين قالوا: لا تصنعوا معها شيئًا، وقوله: (إلا النكاح) رد على النصارى الذين يجيزون ذلك.

٢٢٧٥. ما المقصود بالتوسط الخاص؟

إذا نظرنا إلى اعتقادات الفرق في سائر أبواب الاعتقاد وجدتهم على طرفي نقيض، ففرقة فرطت وفرقة أفرطت، وفرقة واحدة توسطت في سائر هذه الأبواب، وهم أهل السنة - رفع الله نزلهم في الفردوس الأعلى -.

٢٢٧٦. ما سبب التوسط لهم؟

سبب هذه الوسطية:

- أنهم اعتمدوا النص وأخذوا بكل أطراف الأدلة وقدموها على العقل وعظموا قدرها في نفوسهم فلم يخالفوها برأي ساقط ولا بعقل متهافت ولا بمذهب باطل.
- سلكوا في فهمهم لهذه النصوص مسلك الصحابة y، فهم لا يأخذون معتقدهم إلا من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.
- لا يدخلون في أبواب الاعتقاد متأولين بآرائهم ولا متوهمين بأفكارهم.

٢٢٧٧. هل يصدق عليهم أنهم الوسطية الواردة في القرآن؟

نعم، يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا﴾، فكما أن الأمة شهيدة على سائر الأمم، فكذلك أهل السنة شهداء على سائر الطوائف والفرق، وهذا الذي نعنيه بقولنا: الوسطية الخاصة.

٢٢٧٨. كيف ظهرت هذه الوسطية فيهم؟

حتى يتضح الأمر أكثر نضرب بعض الأمثلة، ومن ذلك:

منها: وسطية أهل السنة في باب الأسماء والصفات.[118]

ومنها: وسطيتهم في باب القدر بين الجبرية والقدرية.[119]

ومنها: وسطيتهم في باب مسائل الدين والأحكام بين الوعيدية والمرجئة.

ومنها: وسطيتهم في باب الصحابة وآل البيت، بين النواصب (الخوارج) والغلاة.

ومنها: وسطيتهم في باب التعامل مع الولاة.[120]

ومنها: وسطيتهم في باب الكرامات.[121]

ومنها: وسطيتهم في مسألة تسيير العبد وتخييره بين من قال بأنه مسير مطلقًا وهم الجبرية، وبين من قال مخير مطلقًا وهم القدرية ، فقال أهل السنة: (العبد مسير باعتبار سبق الكتابة ، ومخير باعتبار دخول الفعل تحت قدرته واختياره).[122]

ومنها: وسطيتهم في مسألة التعامل مع القبور وأصحابها بين من لم يعرف للقبور قدرًا ولم يقم عليها وزنًا وبين من غلا فيها وعظمها التعظيم الزائد حتى جعلها أوثانًا تعبد من دون الله.[123]

ومنها: وسطيتهم في مسألة تعليق الكلام بالمشيئة بين من يعلق كل كلامه بالمشيئة، وبين من لا يعرف للمشيئة طريقًا.[124]

ومنها: وسطيتهم في باب التعامل مع الأولياء.[125]

١١٨- تم توضيح هذا في (ص:)

١١٩- تم توضيح هذا في (ص:)

١٢٠- تم توضيح هذا في (ص:)

١٢١- تم توضيح هذا في (ص:)

١٢٢- تم توضيح هذا في (ص:)

١٢٣- تم توضيح هذا في (ص:)

١٢٤- تم توضيح هذا في (ص:)

١٢٥- تم توضيح هذا في (ص:)

المبحث السابع

ما يتعلق ببعض الفرق الإسلامية

أولا: المعتزلة

٢٢٧٩. من هم المعتزلة؟

المعتزلة هم أتباع واصل بن عطاء.

٢٢٨٠. متى كان ظهورهم؟

بدأ ظهورهم في أوائل القرن الثاني.

٢٢٨١. لماذا سمّوا بذلك ؟

سموا بذلك: لأن رئيسهم واصل بن عطاء كان في حلقة الحسن البصري، ثم اعتزلها لما خالفه في حكم مرتكب الكبيرة ، وجلس عند سارية في المسجد ليقرر هذا الرأي، فاجتمع معه بعض الأتباع؛ كعمرو بن عبيد وغيره، فسمي واصل ومن جلس إليه بالمعتزلة، لاعتزالهم حلقة أهل السنة وأهل الحديث.

٢٢٨٢. ما المسألة التي خالف فيها واصل بن عطاء شيخه الحسن رحمه الله تعالى؟

هي قضية مرتكب الكبيرة وما حكمه في يوم القيمة، فزعم أنه بين منزلتين، وهي من أوائل أصولهم، وهي التي بسببها سموا معتزلة.

٢٢٨٣. ما أبرز أصولهم التي يقوم عليها مذهبهم؟

حينما سلكوا منهجًا عقليًا متطرفًا في بحث العقائد الإسلامية، فنجد أنهم قرروا أصولا لمذهبهم قائمة على خمسة أصول، وهي التي يسميها أصحابها الأصول الخمسة، وبيانها كالآتي:

التوحيد: ويقصدون به نفي صفات الله تعالى، بحجة أنهم لو أثبتوا الصفات لاستلزم ذلك تعدد القدماء، فلابد من توحيد الله بالقدم، ولا يمكن ذلك إلا بإنكار الصفات وتحريفها.

وبه نعلم أن المعتزلة في باب الأسماء والصفات ينكرون الصفات جميعها، ويثبتون فقط الأسماء، وأسماء الله تعالى عندهم مجرد أعلام محضة لمجرد التعريف به فقط، فهم في باب الأسماء والصفات معطلة جهمية نفاة.

العدل: ويقصدون به إخراج أفعال العباد أن تكون مخلوقة لله تعالى؛ لأنهم يعتقدون أن العبد هو الذي يخلق فعله وأنه لا تعلق أبدًا لأفعال العباد بمشيئة الله تعالى، فالعبد هو الذي يوجد فعله استقلالاً، وبه تعلم أن المعتزلة في باب خلق أفعال العباد قدرية مجوسية ثنوية.

الوعد والوعيد: ويعنون به أنه يجب على الله تعالى إنفاذ وعده ووعيده، فلا يجوز على الله تعالى أن يخلف شيئًا مما وعد به، ولا مما أوعد به، وأصلهم هذا مخالف لما قرره أهل السنة في باب الوعد والوعيد.

أما أهل السنة، فقالوا في الوعد: إن العبد لا يستحق بنفسه شيئًا على الله تعالى.

واتفقوا رحمهم الله تعالى على أن الله تعالى لا يُخلف وعده أبدًا، لا لأن العبد يستحق ذلك بنفسه، وإنما لأن الله تعالى أوجب ذلك الوعد على نفسه لعبده تفضلاً منه وإحسانًا للعبد، والله تعالى لا يخلف الميعاد، فالله تعالى إذا وعد عباده بشيء كان وقوعه واجبًا بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق كما يقوله المعتزلة.

وأما الوعيد، فالمذهب فيه عند أهل السنة: أن الله تعالى قد يخلفه إحسانًا منه وتفضلاً ورحمة وجودًا وكرمًا على من استحق شيئًا من وعيده، فيجوز أن يعفو الله تعالى عن المذنب، ويخرج أهل الكبائر من النار فلا يبقى فيها أحد من أهل التوحيد.

والمقصود: أن المعتزلة يقصدون بهذا الأصل تخليد أصحاب الكبائر في النار، وهم في هذا الاعتقاد خوارج مارقة وعيدية.

المنـزلة بين المنـزلتين: ويعنون به أن مرتكب الكبيرة خرج من مسمى الإيمان، ولكنه لم يدخل في مسمى الكفر، بل أصبح بفعل الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر، فلا هو مؤمن ولا هو كافر، بل هو بين المنـزلتين،

وهذا كلام ساقط؛ وذلك لأن تقابل الإيمان والكفر الأكبر تقابل نقيض، فلا يجتمعان ولا يرتفعان، فلما سلبوا مطلق الإيمان عنه لزمهم وصفه بالكفر، لكن لأنهم هابوا من وصفه بالكفر الصريح فتستروا وراء هذه اللفظة، والدليل على ذلك حكمهم عليه في الآخرة، فإنهم يخلدونه في النار الخلود الأبدي، وهل يخلد في النار أبدًا إلا الكفار الكفر الأكبر؟

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ويقصدون به استعمال السيف والخروج على الأئمة بسبب ضلالهم وطغيانهم، فهم يجيزون الخروج على السلطان إذا فعل الكبيرة ووصف بالفسق، وأما أهل السنة فقد تقدم لك كيفية تعاملهم مع الحكام في سؤال مستقل.

ثانيا: فرقة الجهمية

٢٢٨٤. من هم الجهمية؟

هم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي، الذي أخذ مقالة التعطيل عن الجعد بن درهم، وهو الذي نشرها، فنسبت الفرقة إليه، وقتل الجهم في خراسان سنة (١٢٨) هـ، وهم من أخبث الطوائف وأضلها وأبعدها عن الحق.

٢٢٨٥. ما عقائدهم؟

قوام مذهبهم: إنكار أسماء الله وصفاته وتعطيلها.

ومذهبهم في أفعال العباد الجبر، أي أن العبد مجبور على فعله، فيسلبون العبد مطلق القدرة والاختيار، فهم في باب القدر جبرية.

ومذهبهم في الوعد الوعيد الإرجاء، أي أنه لا يضرّ مع الإيمان فعل الكبائر ما خلا الشرك، فهم في باب أسماء الأحكام والدين يقال لهم المرجئة.

٢٢٨٦. هل هم من فرق الأمة؟

وفق ما سبق بيانه في معتقداتهم، فإن كثيرًا من أهل السنة المتأخرين يخرجونهم من جملة طوائف الأمة؛ لأنهم كفار الكفر الأكبر، وقد ذكر بعض أهل السنة الإجماع على ذلك، ويعني به إجماع المتأخرين.

ثالثا: فكر الخوارج

٢٢٨٧. من الخوارج؟ ولماذا سموا بذلك؟

الخوارج هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخرجوا على الأمة الإسلامية.

ولذلك سموا بالخوارج لخروجهم على إمام المسلمين والأمة الإسلامية.

٢٢٨٨. ما أوصافهم؟

هم من أوائل الفرق خروجًا، ويقال لهم: الحرورية نسبة إلى حروراء موضع بالعراق قرب الكوفة، وهم يوصفون بأنهم من أشد الناس تدينًا كما قال ﷺ: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم إلى يوم القيامة).

٢٢٨٩. ما عقائدهم الواردة عنهم؟

من عقائهم:

- هم يستحلّون قتل المسلمين، ويجعلون ديارهم ديار حرب.
- هم يكفّرون أهل التحكيم كعلي ، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري، ومن شارك في القتال ورضي بالتحكيم.
- ينكرون الأخذ بالسنة، فلا يأخذون بها جملة وتفصيلاً.
- يكفّرون مرتكب الكبيرة، ويعتقدون أنه إن مات مصرًا عليها فهو خالد في النار أبدًا كخلود الكفار، وينكرون الشفاعة في الآخرة.

- يقولـون في كثير من الصفات كقول الجهمية، فينكرون الرؤية، ويقولون: إن القرآن مخلوق، ويحرفون سائر الصفات.

٢٢٩٠. هل هم فرقة واحدة؟

لا، تفرقـوا أحزابًا وتمزقوا شـيعًا وصـاروا طوائف كثيـرة، وفرقهم في هذا الزمان الإباضية.

رابعا: فرقة الأشاعرة

٢٢٩١. من هم الأشاعرة؟

هم الذين انتسبوا إلى أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى.

٢٢٩٢. ما عقائدهم في باب الأسماء والصفات التي ثبتت عنهم؟

فـي باب الأسـماء والصفات هـم معطلة، فهـم يثبتون الأسـماء، ولكن لا يثبتون من الصفات إلا سبع صفات فقط، وهي: الحياة، والكلام، والبصر، والسـمع، والإرادة، والعلم، والقدرة فقط، مع اختلاف مع أهل السـنة في طريق إثباتها، ويسمونها بالصفات العقلية.

٢٢٩٣. ما عقائدهم في باب القدر التي ثبتت عنهم؟

- هـم في باب القدر مرجئة، لأنهم يخرجون الأعمال عن مسـمى الإيمان، بل ويخرجون القول أيضًا،
- وهم في باب القدر جبرية، لاعتقاد أن العبد لا قدرة له ولا اختيار.

٢٢٩٤. ما عقائدهم في باب الإيمان التي ثبتت عنهم؟

يقولون أن الإيمان هو الاعتقاد القلبي فقط، وأما القول والعمل فهما فضلة زائـدة لا تأثير لوجودهما، ولا لعدمهما في زيـادة الإيمان ونقصه، فالإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص.

٢٢٩٥. لماذا ظهرت فيهم هذه الأقوال والأفكار؟

لأنهم أرادوا التقريب بين أقوال الفلاسفة اليونانيين مع نصوص الشريعة.

٢٢٩٦. هل استمر الإمام أبو الحسن على معتقدات هذه الفرقة المنتسبة إليه؟

الإمام أبو الحسن رحمه الله تاب وعاد إلى مذهب أهل السنة، وألّف في ذلك بعض الكتب، ولكن لم يسلم من بعض الألفاظ الكلامية حتى بعد توبته، فنسأل الله تعالى أن يعفو عنه ويغفر له.

خامسا: فرقة الشيعة

٢٢٩٧. متى ظهر مصطلح (الشيعة)؟

التشيّع في العصر الأول كان يطلق على من قدّم علياً على عثمان رضي الله عنهما، ولذلك قيل: شيعي وعثماني، فالشيعي من قدم علياً على عثمان، والعثماني: من قدّم عثمان على علي.[١٢٦]

ثم ظهر بصورة واضحة مع بدء الخلاف بين أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أهل الشام وواليهم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٢٩٨. متى ظهر التأصيل العقدي لهذه الفرقة؟

التأصيل العقدي والفقهي ظهر متأخرًا، وعلى مراحل كثيرة في التاريخ، حيث أساس النشأة لهم ابتداء إنما كان من باب المناصرة لأمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢٢٩٩. هل هذا يستلزم القول بأن الشيعة هم من ناصر عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأن السنة هم من ناصر معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

هذا لم يقل به أحد، فأهل السُّنّة يعتقدون أن الحق في الخلاف الذي دار بين الصحابييْن الجليليْن كان في جانب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجتهد ولم يصل إلى الصواب في المسألة، وعليه فانحياز رأي أهل السُّنة إلى علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واضح. كما أن الأفكار والمبادئ والعقائد التي يقول بها الشيعة لم تكن منطلقة من زمن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبدًا؛ ولذلك فلا يصح أن يقال: إن بداية الشيعة كانت في هذا الزمن.

١٢٦- مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣/ ١٥٣، ابن حجر/ فتح الباري: ٧/ ٣٤

٢٣٠٠. متى كانت النشأة الواضحة للشيعة وفق تميزهم بأمورهم عن أهل السنة؟

من المؤرخين من يقول: إن بداية الشيعة كانت بعد استشهاد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهذا رأي وجيه جدًّا.

٢٣٠١. كيف هذا؟

حينما خرج الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على خلافة يزيد بن معاوية، واتجه إلى العراق بعد أن دعاه فريق من أهلها إليها، ووعدوه بالنصرة، ولكنهم تخلَّوْا عنه في اللحظات الأخيرة، وكان الأمر أن استُشهد الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كربلاء، فندمت المجموعة التي قامت باستدعائه، وقرروا التكفير عن ذنوبهم بالخروج على الدولة الأموية، وحدث هذا الخروج بالفعل، وقُتل منهم عددٌ، وعُرف هؤلاء بالشيعة.

٢٣٠٢. هل نشوء هذه الفرقة كان أساسه المنهج العقدي والفقهي، أو السياسي؟

نشأة هذه الفِرقة كان في بدايته نشأة سياسية، في سبيل تحقيق اعتراض على الحكم الأموي، ومناصرة فكرة الخروج عليها، ولم يكن لها مبادئ عقائدية أو مذاهب فقهية مختلفة عن أهل السُّنَّة.

٢٣٠٣. ما أشهر فرقهم؟

من أشهر فرقهم (الإثنى عشرية): الذين يوالون اثنا عشر إمامًا.

٢٣٠٤. ما أسماء أولئك الأئمة؟

هم بالترتيب كما يلي: ١- علي بن أبي طالب. ٢- الحسن بن علي. ٣- الحسين بن علي. ٤- علي زين العابدين بن الحسين. ٥- محمد الباقر بن زين العابدين. ٦- جعفر الصادق بن محمد الباقر. ٧- موسى الكاظم. ٨- علي الرضا. ٩- محمد الجواد. ١٠- علي الهادي. ١١- الحسن بن علي العسكري. ١٢- محمد بن الحسن العسكري.

٢٣٠٥. كيف ظهرت معتقدات الشيعة؟

ظهرت المعتقدات من طرف فرقة السبئية الشيعية، حيث قالوا بإمامة علي

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنها فرض من الله عزّ وجلّ.

٢٣٠٦. من هم السبئية؟

هم أصحاب عبدالله بن سبأ ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة رضي الله عنهم وتبرأ منهم، وقال : إن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمره بذلك، فأخذه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسأله عن قوله هذا فأقرّ به ، فأمر بقتله.[١٢٧]

٢٣٠٧. ما أبرز أصولهم؟

من أبرز أصولهم العقدية، ما يأتي:

- اعتقاد العصمة في الأئمة، وأن كلام كل فرد منهم مثل كلام النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- اعتقادهم أن الإمام الأخير، موجود في سرداب في منطقة سامراء، وسيكون له أجل في الخروج.
- اعتقادهم أن الخلافة تم سلبها من أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- اعتقادهم أن الكثير من الصحابة ارتدوا بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- لهم مشابهة كبيرة بأصول الجهمية في نفي الأسماء والصفات، وكذا الصوفية في أمور القبور، وأيضا فرقة الخوارج في الخروج على الحاكم، وختامًا المعتزلة في شأن الجبر في الأفعال.[١٢٨]

١٢٧-كتاب (الأنوار النعمانية) لعالم الشيعة نعمة الله الموسوي الجزائري ج٢/ ٢٣٤)

١٢٨- لمزيد المعرفة بما يتعلق بفرقة الشيعة، أنصح بمراجعة كتاب (أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية)، للدكتور: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري

المبحث الثامن

ما يتعلق بالمُحكم والمتشابه

٢٣٠٨. ما تعريف المحكم والمتشابه؟

المحكم: هو الشيء البيّن الواضح الذي لا يلتبس أمره.

وأما المتشابه: فهو الشيء الذي يشتبه أمره على بعض الناس دون بعض.

٢٣٠٩. ما المقصود من هذا العنوان؟

أن هناك آيات مُحكمة بيّنة واضحة لا يلتبس أمرها في الفهم والحكم، وهذا هو الغالب في القرآن.

وهناك آيات مشتبهة في الحكم والمعنى، ويشتبه أمرها على بعض الناس دون بعض، فيعلم ما فيها العلماء ولا يعلمه الجهال، ومنها ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

٢٣١٠. هل الإحكام متنوع، أو واحد في آيات القرآن؟

هو متنوع، فهناك وصف لبعض الآيات بالإحكام العام، ووصف لبعض الآيات بالتشابه العام، ولبعضها بالإحكام ووصف لبعضها بالتشابه.

٢٣١١. ما الآيات الواردة في ما سبق بيانه؟

١/ وصفه بالإحكام العام: قال تعالى: ﴿كتاب أحكمت آياته﴾.

٢/ وصفه بالتشابه العام، قال تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا﴾.

٣/ وصف لبعضه بالإحكام ووصف لبعضه بالتشابه، قال تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات وأخر متشابهات﴾.

٢٣١٢. هل هناك من اختلاف بين الآيات؟

لا اختلاف بين الآيات ولا تناقض بينها.

فإن الإحكام العام معناه الإتقان، فالقرآن كله مُتقنٌ الإتقان المطلق في

ألفاظه ومعانيه وترابط آياته وعمق بلاغته وكبير إعجازه ووضوحه؛ وذلك لأنه كلام الله تعالى منزل غير مخلوق.

٢٣١٣. هل هناك من فرق بين التشابه العام والإحكام العام؟

التشابه العام هو بعينه الإحكام العام، أي أن بعضه يشبه بعضًا في أوامره وزواجره وأخباره وأمثاله، فهو يصدق بعضه بعضًا، ويؤيد بعضه بعضًا، ويوافق بعضه بعضًا، فهو متشابه في الكمال والإحسان والبلاغة والإعجاز والإتقان والائتلاف، فالإحكام العام هو التشابه العام، فلا اختلاف بين وصفه بالإحكام العام والتشابه العام.

٢٣١٤. ما القول في التشابه الخاص والإحكام الخاص؟

المراد بالإحكام الخاص: أي وضوح المراد وبيانه وظهور المقصود منه.

والتشابه الخاص: هو ما خفي معناه، ولم يتضح المراد به.

فبعض القرآن محكم ظاهر المعنى، وبعضه متشابه خفِي المعنى.

٢٣١٥. كيف يتعامل أهل العلم مع الآيات المتعلقة بالمحكم والمتشابه؟

مسلك أهل العلم الراسخين الموفقين أنه إذا ورد عليهم الأمر المتشابه الخفي في القرآن نجدهم يقولون: ﴿آمنا به كلٍ من عند ربنا﴾، كما وصفهم الله تعالى بذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾، فهذا مسلكَ الراسخين في العلم.

٢٣١٦. ما مسلك أهل البدع مع الآيات التي يتوهم وجود اختلاف بينها؟

مسلكهم معها هو اتباع هذا المتشابه واعتماده والصدور عنه، ومعارضة المحكم به.

٢٣١٧. ما مقصدهم من هذا الفعل؟

ابتغاء الفتنة للمؤمنين، كما وصفهم الله تعالى بذلك في قوله: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾.

٢٣١٨. هل حذّر النبي ﷺ من صنيع المبتدعة؟

نعم، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب...﴾ فقال ﷺ: (فإذا رأيت)، وعند مسلم: (فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله تعالى فاحذروهم) .

٢٣١٩. هل التشابه الخاص من الأمور المنضبطة والمعلومة لكل عالم في شريعتنا؟

التشابه الخاص أمر نسبي - أي باعتبار صاحبه -، فإنه قد يخفى على بعض أهل العلم ما لا يخفى على البعض الآخر، وقد يكون متشابهًا في حق البعض ما هو محكم في حق الآخر، وهذا يفيدنا أنه - أي التشابه الخاص - أمر نسبي - أي بالنسبة إلى صاحبه -، وبه نعلم أن التشابه ليس وصفًا ذاتيًا في الدليل، بل الأدلة في ذاتها واضحة كل الوضوح ومحكمة كل الإحكام.

٢٣٢٠. من أين جاء التشابه الخاص؟

التشابه إنما حصل في ذهن المجتهد - أي الناظر في الدليل -، وذلك لقلةٍ في العلم وضعفٍ في الفهم، بدليل أنه يتفاوت بين مجتهدٍ ومجتهد.

٢٣٢١. ما أنواع الأدلة التي يمكن أن تمر علينا؟

عندنا صنفان من الأدلة لابد أن نفرّق في الكلام على معانيها وكذلك عن كيفياتها التي هي عليه في الواقع.

٢٣٢٢. ما مثال هذا التقرير؟

مثال ذلك: الأدلة التي تثبت وقائع اليوم الآخر، وهي كثيرة في القرآن، فالمتقرر عند أهل السنة هو أننا نعلم معانيها، ونفوّض علم كيفياتها إلى الله تعالى، وكذلك ما يتعلق بصفات الله سبحانه.

٢٣٢٣. ما القول فيمن ينسب الجهل إلى أهل السنة في هذه الأدلة؟

هذا من الإدعاء الباطل، وهذه النسبة جهلٌ إن كان صاحبها جاهلاً بحقيقة

الحال.

وظلم وغواية إن كان صاحبها يريد التلبيس على العامة.

٢٣٢٤. ما حقيقة فهم أهل السنة للأدلة التي تمر عليهم؟

- أهل السنة يعلمون معاني أدلة الصفات واليوم الآخر، فيعلمون لغة معنى السمع، والنزول، والبصر، والوجه، واليد، والعلو، والاستواء ونحو ذلك، ولكنهم لا يعلمون كيفياتها على ما هي عليه في الواقع .
- وهم يعلمون عن آيات الصفات من جهة معانيها، ويجهلونها من جهة كيفياتها.
- وكذلك يعلمون معنى انشقاق السماء، وانكدار النجوم، وتكوير الشمس، والقمر، والميزان، والصراط، لكنهم يجهلون كيفيتها التي ستكون عليه في المستقبل.
- ويعلمون من اللغة معاني أسماء ما في الجنة من النعيم، وما في النار من العذاب الجحيم ونحو ذلك، ولكنهم يجهلون كيفيتها التي ستكون عليه في يوم القيامة.

٢٣٢٥. هل ما سبق بيانه في الكيفيات هو المتشابه؟

نعم، هذا الخفاء في كيفياتها أمرٌ عام لكل أحدٍ من المكلفين، وهو التشابه الحقيقي.

٢٣٢٦. ما سبب هذا الخفاء على الجميع؟

سببه لأنهم لم يروه، ولم يشاهدوا نظيره، بل لم يخبرنا الصادق ﷺ عن حقيقة كيفيته.

٢٣٢٧. هل يعني هذا قصورًا في الأدلة الشرعية، لخلل في البيان؟

ليس ذلك لعيب في الأدلة، أو أنها في ذاتها متشابهة - حاشا وكلا -، وإنما القصور في عقولنا، فإن كيفيات هذه الأشياء لا تحتملها عقولنا، وليست داخلة في حدود مدركاتها وما خُلقت له.

٢٣٢٨. ماذا كلّفنا الله مع مثل هذه الأدلة الشرعية؟

لم يكلفنا الله تعالى في هذين الصنفين من الأدلة إلا بالإيمان بها، وبما اتضح لنا من معانيها، وبالعمل بمقتضياتها والاستعداد لها.

وأما الغوص في معرفة تفاصيل كيفية هذه الأشياء فلم نكلّف به، بل كُلفنا باجتنابه والتباعد عنه؛ لأنه دخول فيما لا دليل عليه، وإقحام للعقل فيما ليس له فيه مجال.

٢٣٢٩. ما القاعدة في التعامل الصحيح مع الأدلة التي فيها تشابه مع الآيات المحكمة؟

القواعد فيها:

- (أنه يُرد إلى المحكم).
- (المحكم مقدّم على المتشابه).

وهذا هو المخرج الشرعي الصحيح في هذه المتشابهات التي فيها التشابه الخاص.

٢٣٣٠. هل هذا الصنيع فيه السلامة، وبلوغ للفهم الصحيح؟

نعم، فلم يسلم في دينه من اعتمد الكلام في المتشابهات، وخاض فيها وجادل بلا برهان ولا علم.

وإنما السالم في دينه هو من آمن بها، وقال: ﴿كلٌّ من عند ربنا﴾، وردّها إلى المحكمات الواضحات.

٢٣٣١. ما الحكمة من كون بعض القرآن في آيات متشابهة؟

الحكمة في ذلك ابتلاء العباد واختبارهم ليتبين الصادق في إيمانه، والراسخ في علمه، الذي يؤمن بالله وكلماته، ويعلم أن كلام الله تعالى ليس فيه تناقض ولا اختلاف، فيرد ما تشابه منه إلى المحكم، ليصير بذلك كله محكم.

٢٣٣٢. ما دليل هذا التعليل؟

دليلـه قـول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـابَهَ مِنْهُ ابْتِغَـاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَـاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ ﴾.

المبحث التاسع

ما يتعلق بمعرفة الغيب

٢٣٣٣. ما حكم من يدّعي علم الغيب؟

الحكم فيه أنه كافر الكفر الأكبر المخرج عن الملة بالكلية.

٢٣٣٤. ما دليل هذا الحكم؟

دليله قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾. (النمل:٦٥)

٢٣٣٥. ما وجه الاستدلال على كفر مدعي الغيب؟

الآية السابقة خبر من الله تعالى، وهو الصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فمن يدعي معرفته للغيب فهو مكذب للخبر القرآني ومصادم له وناقض لدلالته، وقد تقرر في القواعد أن من كذب بشيء من أخبار القرآن فإنه كافر بهذا التكذيب.

٢٣٣٦. كيف نستدل بهذا من النص القرآني؟

الآية السابقة قد صدرت بقوله تعالى: ﴿ قل ﴾، والخطاب للنبي ﷺ، فإذا كان الله تعالى يأمر نبيه ﷺ بأن يعلن أمام الملأ جميعًا أنه لا يعلم الغيب في السموات والأرض إلا الله تعالى، فغيره من باب أولى.

٢٣٣٧. قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) ﴾ أليس فيه إشارة أن هناكَ اطلاع من البشر على الغيب؟

قوله تعالى: ﴿ فلا يُظهر ﴾ هذا نفي، وقوله: ﴿ أحدًا ﴾ نكرة، فهو نكرة في سياق النفي، وقد تقرر في الأصول أن النكرة في سياق النفي تعمّ، فيدخل في ذلك النفي كل أحد، الملائكة والأنبياء، ومن دونهم من باب أولى، إلا أن الله تعالى قد استثنى جل وعلا من ارتضاه من رسول فإنه يعلمه من الغيب بما أراد جل وعلا .

٢٣٣٨. هل الجن يعلمون الغيب؟

لا، فالجن لا مدخل لهم في علم شيء من أمور الغيب.

٢٣٣٩. ما الدليل على هذا؟

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)﴾، فعلم الغيب من خصائصه جل وعلا.

٢٣٤٠. ما الممارسات الواقعية التي فيها دعوى لمعرفة الغيب؟

الأمثلة على ذلك كثيرة، ومن ذلك:

- الأبراج التي يضعها الكهنة على بعض صفحات الجرائد كبرج الثور وبرج الأسد ونحو ذلك، وهي معروفة، فإن واضعها كافر؛ لأنه مدع لعلم الغيب، ومصدّق ذلك كافر أيضًا إن كان عالما بحقيقة الحال.
- من يصدّق السحرة فيما يدّعونه من علم الغيب.
- وهو من يصدّق الشياطين فيما تُخبر به من أمور الغيب، وكذلك من يصدق الكهنة .

٢٣٤١. ما العلاج الكافي للوساوس الشيطانية في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته ونحو ذلك ؟

العلاج الشافي والكافي هو الأخذ بهدي الشرع، اعتقادًا وقولاً وعملاً.

٢٣٤٢. ما تفصيل هذا وفق الواقع؟

تفصيل ذلك في عدة أمور :

الأول: الاستعاذة بالله من هذه الوساوس لأن مصدرها الشيطان، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾، وقد أعلمنا ربنا جَل وعلا أنه بالاستعاذة يزول سلطانه عنَّا، قال تعالى: ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان

الرجيم. إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾، وهـذا العلاج من أعظم العلاجات، والاستعاذة بالله منه تسد عليه هـذه الأبواب التي ينفـذ منها، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: قال رسـول الله ﷺ: (يأتي الشـيطان أحدكـم فيقول: هذا اللـه خلق الخلـق، فمن خلق الله عـز وجل؟ فإذا بلغه فليسـتعذ بالله ولينته).

الثانـي: الانتهاء عن هذه الوسـاوس وقطع التفكير فيها والاشـتغال بغيرها وتغييـر الحـال الراهنة، فإن كان وحيدًا فليطلـب من يجلس معه، وإن كان سـاكتًا فليتكلـم بشـيء من ذكـر وتسـبيح أو قراءة قـرآن، ونحو ذلـك، بل ولو بحديث الدنيـا النافع، ودليل ذلك مـا في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق وفيه: (ولينته) .

الثالث: أن يقول آمنت بالله ورسله، ويكرر ذلك القول حتى يندحر عدو الله ويخفّ أثر وسوسـته على القلب والعقل، ودليـل هذا القول حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله ﷺ: (لا يزال الناس يقولون ما كـذا؟ ما كذا؟ حتى يقولوا: هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل: آمنت بالله ورسله) متفق عليه.

الرابـع: أن يعلـم العبد أن هذه الوسـاوس لا تدل على قلـة الإيمان وضعف اليقـين، بـل إنها تـرد على الجميع إلا مـن عصمه الله تعالـى، وليعلم أيضًـا أن نتائجها إذًا عوملت بالعلاج الشـرعي إنهـا طيبة، فقد كانت هـذه الوسـاوس تعـرض لبعـض الصحابـة وهـم أكمـل الأمـة إيمانًا وأعمقها علمًا، ففي صحيح مسـلم من حديـث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول اللـه، إنا لنجد في أنفسـنا مـا يتعاظم أحدنا أن يتكلم بـه. قال: (أوقد وجدتموه)؟ قالوا: نعم. فقال: (ذاك صريح الإيمان).

الخامـس: أن تقنـع نفسـك وتذكرهـا دائمًا أن هذه الوسـاوس لا أثـر لها ما دامت في حيز حديث النفس ووسوسـة الصـدر ، ولم تقرن بعملٍ أو قولٍ أو استرسـالٍ تسـتطيع أن تدفعه عن نفسك ، كما في الصحيحَين

من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله ﷺ: (إن الله تبارك وتعالى تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تتكلم) متفق عليه، وفي رواية: (ما حدثت به أنفسـها). وهذا من عظيم فضله جل وعلا.

السـادس: الحـرص التام على توطين النفـس لطلب العلم الشـرعي النافع، وإشغال النفس به الإشغال التام، وخصوصًا في أبواب المعتقد.

السابع: قراءة سـورة الإخلاص، فإنه قد ورد في بعض روايات حديث أبي هريرة: (وليقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾).

الثامن: الإكثار من دعاء الله تعالى بقلب حاضر ونبرةٍ صادقة أن يملأ القلب إيمانًـا ويقينًا وثباتًا وعافية، فلربَّ دعوة صادقة صارت سـببًا لسـعادة صاحبهـا فـي الدنيا والآخـرة، وكم وكم مـن البلاء الـذي دفع ورفع بسبب الدعاء.

التاسـع: إذا زادت هذه الوسـاوس ولـم تذهب بالعلاجات السابقة، وترقت حتى صارت من الوسـاوس القهريـة، فنوصي بمراجعة بعض الأطباء النفسـانيين الموثوقين فـي علمهم وديانتهم وأمانتهـم، فإن بعض هذه الوساوس تكون أسـبابها اضطرابات نفسية ومزاجية لأسباب معينة، فواجب الذهاب إليهم وأخبارهم بحقيقة ما يجده.

٢٣٤٣. هل بمقدور المسلم منع ورود الوساوس عليه؟

لا، فليـس فـي اسـتطاعة العبـد أن يمنـع مـن ابتـداء مثـل هـذه الوسـاوس الشيطانية.

٢٣٤٤. ما الواجب عليه معها؟

عليه فعل أمور، منها:

- عدم العمل بها ولا التكلم فيها.
- قطع الاسترسال معها.
- مجاهدتها بالطرق الشرعية.

٢٣٤٥. هل يلحق المسلم إثم لورود الوساوس عليه؟

لا، فهذه نعمة عظيمة ومنحة جليلة أنه لا يؤثم، ولا يجعله في عداد الذنوب والخطايا، فإنه عفو بنص الصادق المصدوق ﷺ، لكن بالشروط المذكورة سابقا.

٢٣٤٦. هل علّمنا النبي ﷺ سبلا لتجنب ورود الوساوس على ديننا؟

نعم، ومن ذلك:

- السؤال عما لا يليق كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا: (لا يزال الناس يتساءلون، حتى يقولوا: هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله؟) فالسؤال عن العلم مطلوب، ولكن الانسياق وراء هذه الأسئلة حتى تصل الحال بالعبد إلى هذه المرحلة المغلقة، فهذا هو الممنوع وصاحبه هالك؛ لأنه هو الذي تسبب في إثارة ذلك بالتنطع بمثل هذه الأسئلة وفي الحديث: (هلك المتنطعون!).
- تجنّب قراءة أو سماع الشُبه في الأسماء والصفات خاصة، فإن هذه الشُبه تخطف القلوب، وتطمس نور البصيرة، فلا يفتح الإنسان الباب على نفسه، فإنه إن فتحه فإنه لا يكاد يُغلق إلا بمشقة، ولذا واجب عليه أن يقبل على المعين الصافي والمورد العذب الشافي، وهو كتاب الله وسنة الحبيب ﷺ، ويكْثِرْ من قراءة كتب السلف، فإنها تعطيه العلم صافيًا لا شوب فيه ولا كدر.

٢٣٤٧. هل ممكن أن تقع الوساوس لأهل المعاصي أو الكفار؟

نعم، فلما سُئل ابن عباس عن السبب الذي جعلنا نوسوس واليهود والنصارى لا يوسوسون؟ قال: (وماذا يريد الشيطان بالبيت الخرب) ، فلو كان القلب خاليًا من الإيمان لما حرص على مثل هذه الوساوس، فالمؤمن يبشر بالخير ولا ينزعج ، فإن النتائج طيبة والعاقبة للمتقين.

الفصل الثامن
ما يتعلق بعلاقة الحاكم مع المحكوم

المبحث الأول: الحاكم والمحكوم
المبحث الثاني: العلاقة مع الحاكم
المبحث الثالث: حقوق ولي الأمر
المبحث الرابع: واجبات ولي الأمر
المبحث الخامس: الخروج على الحاكم
المبحث السادس: الحاكم المتغلّب على الحكم
المبحث السابع: البيعة للحاكم
المبحث الثامن: الحكم بغير ما أنزل الله
المبحث التاسع: الفكر الخارجي والحكام
المبحث العاشر: الخوارج القَعدية

المبحث الأول

الحاكم والمحكوم

٢٣٤٨. ما المقصود بهذا العنوان؟

يُراد به بيان كيفية العلاقة بين الحاكم مع المحكومين وفق النظرة الشرعية.

٢٣٤٩. هل معرفة هذا الجانب مهم في حياتنا؟

نعم، فالإنسان اجتماعي بطبعه، والحياة تحتاج إلى اجتماع.

ولا اجتماع إلا بتحقق الوضوح والتفاهم بين الناس.

ولا تفاهم إذا لم يكن بين الناس قانون.

ولا تحقّق للقانون إذا لم يكن هناك قوة لتحقيق الامتثال له بحسن الطاعة.

ولاطاعة واضحة منهم للقانون إذا لم يكن هناك قائد له قوة وعلم فيهم.

وهذا لتحقيق الاجتماع الكريم بين الراعي مع الرعية في البلد الواحد.

٢٣٥٠. ما أهمية دراسة هذا الجانب؟

معرف العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ومعرفة حقوق كل طرف من المباحث الدقيقة التي زلت فيها أقدام الكثيرين، ما بين إفراط وتفريط.

٢٣٥١. سوء الفهم في هذا الجانب..ما نتائجه؟

من نتائجه أن بعض الناس يوصل بالأئمة والحكام إلى درجة تقرب من التأليه؛ من إدعاء العصمة فيهم، أو منحهم حقوقا لم يشرعها الله، يتسلطون بها على عباد الله باسم الدين ونحو ذلك.

ومن الناس من يفرط في حقوق الأئمة فيكفّرهم ويخرج عليهم، أو ربما أقل ما يصدر منهم أنه يغتابهم ويتطاول عليهم، ونحو ذلك.

المبحث الثاني:

العلاقة مع الحاكم

٢٣٥٢. العلاقة مع الحاكم، هل منطلقها الشرع؟

نعم، فقد جاء التذكير مرارا بأهميتها في شريعتنا.

٢٣٥٣. ما دليل أهمية الطاعة لولاة الأمر القول السابق؟

دليله قول الله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩).

٢٣٥٤. لماذا جاء الأمر بالتعدد لولاة الأمر في قوله تعالى: ﴿وأولي الأمر منكم﴾؟

جاء التعدد لبيان أن الطاعة بالمعروف ليس لوليّ البلد، أي الحاكم في البلد، لكنها تشمل الحاكم وكل من له مسؤولية في أمر وعمل معين.

٢٣٥٥. ما الوصف الشرعي الذي ورد مشابها لمعنى ولي الأمر، بمعنى الحاكم؟

من تلك الأوصاف الشرعية: الأمير، الخليفة، الملك، الإمام، الرئيس، السلطان.

٢٣٥٦. هل وصف (ولي الأمر) يشمل كل مسؤول في البلد؟

نعم، يشملهم هذا الوصف، فكل مسؤول له رعاية وطاعة مناطة به وفق حدود الشرع والقانون المتعامل به.

٢٣٥٧. هل المسؤول نطيعه في كل أمر وقرار؟

لا، لكن الطاعة له كما قال النبي ﷺ: (إنما الطاعة في المعروف) متفق عليه، أي بما يناسب مقام المسؤولية والقانون، ويكون فيها حسن العمل، بعيدا عن المعصية لله تعالى.

٢٣٥٨. هل البيعة للحاكم واجبة؟

نعم، لقول النبي ﷺ: (من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من

السلطان شبرا مات ميتتة جاهلية). رواه البخاري

٢٣٥٩. ما القول مع من ليس في عنقه بيعة للإمام الحالي، إلا إذا وجد إماما واحدا لكل المسلمين؟

هذا قول باطل، فأمة الإسلام من بعد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظهرت الطوائف الكثيرة فيها وكل دولة لها إمامها المطاع شرعا، والناس لهم بيعة له.

٢٣٦٠. بعض العامة من الناس لا يطيع حاكم بلده المسلم أو غيره، متعلّلا بأنه لم يبايعه صراحة..فما توجيه القول له؟

ابتداء لنعلم بأنه ليس بواجب مبايعة جميع الناس في أي بلد لولي الأمر! فإذا بايعه أهل الحل والعقد فتكون البيعة العامة تمت لبقية الناس، ومثاله المبايعة لأبي بكر بالخلافة في السقيفة.

٢٣٦١. كيف يمكن أن يبلغ الإنسان للحكم؟

يمكنه بأحد الوسائل الثلاث:

- الإختيار والإنتخاب له.
- العهد له بالحكم (ولاية العهد).
- التغلب بالقوة على الحكم.

٢٣٦٢. ما أنواع الحكّام المتوقع تواجدهم في الحكم من جهة الإيمان والمعصية؟

محتمل أن يكون الحاكم أحد هؤلاء الثلاثة:

- مؤمن تقي مطبّق للشريعة، كأمثال أبي بكر وعمر وغيرهما.
- مسلم، وله معاصي ظاهرة، صغيرةً كانت أو كبيرة، مثل بقية المسلمين.
- كافر، معلوم الكفر.

٢٣٦٣. هل تختلف الطاعة لكل صنف من هذه الأفراد؟

لا تختلف في أمور الحياة العامة التي تنظّم معايش الناس واجتماعهم، لكن لا طاعة لأي حاكم لو أمر بمعصية.

المبحث الثالث

حقوق ولي الأمر

٢٣٦٤. ما الأمور الواجب على الرعية تحقيقها لولي الأمر؟

واجب عليهم تحقيق الأمور التالية:

١/ التوقير .

٢/ طاعته في غير معصية الله.

٣/ الصلاة خلفه، والحج والجهاد معه .

٤/ الدعاء له.

٥/ إخلاص النصيحة له: لقول النبي ﷺ: (ثلاث لا يغلّ عليهن قلب مسلم، إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم). رواه أحمد

٦/ الصبر على جوره: لحثّ النبي ﷺ إلى هذا، فقال: (من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية). متفق عليه

أولا: التوقير لولاة الأمر

٢٣٦٥. ما معنى التوقير لولي الأمر؟

يُراد به التبجيل والاحترام المناسب لهم، بلا غلو ولا جفاء.

٢٣٦٦. ما دليل وجوب هذا الأمر للحاكم؟

دليله ما ورد عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول : (السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله). وعنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: (من أجلّ سلطان أجلّه الله يوم القيامة). ذكرهما ابن أبي عاصم في السنة

٢٣٦٧. ما الحكم فيمن يُظهر للحاكم التوقير علانية؟

فعله صحيح، لقول معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عهد إلينا رسول الله ﷺ في خمس من فعل منهن كان ضامنا على الله: من عاد مريضا، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازيا في سبيل الله، أو دخل على إمام يريد تعزيره وتوقيره، أو قعد في بيته فيسلم الناس منه ويسلم). رواه أحمد

٢٣٦٨. **ما المراد في الحديث من مقولة (تعزيره وتوقيره)؟**

يراد بهما حسن التعامل والتبجيل مع النصرة له.

٢٣٦٩. **هناك من يتكلم بما لا ينبغي بالحاكم، فهل فعله صحيح؟**

هذا مخالف لما أوصانا به النبي ﷺ، ثم هو مخالف لما سار عليه سلف الأمة، قال عبد الله المبارك رحمه الله: «حقٌّ على العاقل أن لا يستخفّ بثلاثة: العلماء، والسلاطين، والإخوان، فإنه من استخفّ بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخفّ بالسلطان ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته».

٢٣٧٠. **ما نتيجة عدم مراعاة التوقير لولاة الأمر في حياة الناس؟**

له آثار قبيحة واضحة في حياة الناس، قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: «لا يزال الناس بخير ما عظّموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين؛ أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفُوا بهذين، أفسدوا دنياهم وأخراهم».[١٢٩]

الحق الثاني: طاعتهم في غير معصية الله.

٢٣٧١. **ما دليل هذا الحق لولاة الأمر ولغيرهم من الناس؟**

دليله قول النبي ﷺ: (إنما الطاعة بالمعروف).

ولقوله ﷺ: (السمع والطاعة على المرء المسلم، ما لم يُؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة). رواه البخاري

١٢٩- تفسير القرطبي (٥/ ٢٦٠)

٢٣٧٢. هل يعني هذا تحقيق الطاعة للحاكم ولو كان عاصيا لله؟

نعم، دليل هذا ما ورد عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: (يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون، فمن عرف بريء، ومن كره سلم، ولكن من رضي وتابع! قالوا: أفلا نقاتلهم؟» قال: لا، ما صلوا). رواه مسلم

٢٣٧٣. ما مثال الطاعة في التقرير السابق؟

مثاله: احترام القوانين التي تنظّم مصالح الناس، وأمور عملهم في مؤسسات الدولة، العامة والخاصة.

٢٣٧٤. هل هناك من تلازم بين طاعة ولاة الأمر مع محبتهم؟

لا تلازم في هذا، فقد تكون هناك حسن طاعة من الرعية للحاكم، من غير تحقق المحبة له.

٢٣٧٥. أليست الطاعة دلالة على الحب؟

لا، فإن المحبة لإنسان تكون بحسب ما قام به من دين الله، وهذا متحقق للحاكم والمحكوم، ولا حبّ له في أي أمر يخالف فيه الشرع.

٢٣٧٦. ما القول مع من يريد الطاعة فقط لحاكم يطبق شرع الله كاملا؟

هذا لم يقله أي عالم من العلماء! فمن يريد حاكما مثل الخلفاء الراشدين الخمسة، فهل عنده شعبا – وهو فيهم – مثل الصحابة، ليتكامل الحكم بين الطرفين بكل سعادة ووضوح؟

والقول السابق يعني القول بعصمة الحكام،وهو تقرير باطل، لهذا فالطاعة متوجهة للحاكم ولو خالف الشرع في حكمه

٢٣٧٧. هل من دليل على التقرير السابق؟

دليله ما ورد في حديث حذيفة رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: (يكون بعدي أئمة، لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس). قال حذيفة رضي الله عنه: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال ﷺ: (تسمع وتطيع، وإن ضرب

ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع). رواه مسلم

٢٣٧٨. هنـاك من يقول أن هـذه رواية لا تصحّ، بزيـادة (وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك)؟

يكفـي فـي الرد عليه أنهـا من رواية الإمام مسـلم في الصحيـح، ونقلها لنا الرواة الثقات، وأوضحها لنا العلماء الثقات.

٢٣٧٩. بعضهم يقول: أن الرواية السابقة تعلّمنا الذل والخضوع للحكام الفاسدين، والسكوت على ظلمهم؟

يمكن الرد عليه بالآتي:

- هل النبي ﷺ يعلّمنا الذل والهوان في حياتنا؟
- هذا قول يقوله من يريد إشاعة الثورات بين الناس بعيدا عن التقيّد بالهدي النبوي، ومعالجة ظلم الحكام بالتناصح والحكمة.
- هـذا قـول من قدّم عقلـه وعاطفته البعيـدة عن طاعة الله وحسـن الاتباع للهدي النبوي.

٢٣٨٠. هل الحثّ على حسن الطاعة للحكام مما قرره العلماء؟

نعم، فهذا مما استفاض في كتب العقيدة، ومن ذلك ما قاله الإمام الطحاوي فـي عقيـدة أهل السـنة: «ولا نرى الخروج علـى أئمتنـا وولاة أمورنا، وإن جـاروا، ولا ندعـو عليهـم، ولا ننزع يدًا مـن طاعتهم، ونـرى طاعتهم من طاعـة اللـه عز وجل فريضـة، ما لم يأمـروا بمعصية، وندعـو لهم بالصلاح والمعافاة».

٢٣٨١. لماذا يفعل الشعب مع الحاكم الواقع في المعاصي؟

عليهـم اتبـاع ما أمرهم به النبي ﷺ في مثل هـذه الأمور، فعن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (خِيارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُم ويُـحِبُّونَكُمْ، وتُصَلُّونَ عليهِم ويُصَلُّونَ عليكم، وشِرارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِيـنَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُـمْ ويلعنُونَكُمْ)،قلنا:

يـا رسـول الله، أفـلا نُنَابذُهُمْ عند ذلـك؟ قال ﷺ: (لا، مـا أقامُوا فيكم الصّلاةَ، لا مَا أقامُوا فيكُمُ الصّلاةَ، ألا من وَلِيَ عليه وَال فرآهُ يأتي شَيْئًا مِـنْ مَعْصِيَـةِ اللـه، فَلْيَكْرَهْ مَـا يَأْتِي من معصيَـة الله، ولاَ يَنْزِعَـنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ). رواه مسلم

٢٣٨٢. **لماذا لا يتم تغييره والثورة عليه ومنازعته على الحكم؟**

لأن النبي ﷺ لم يحثّنا إلى ذلك، لحديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السـمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان) متفق عليه.

٢٣٨٣. **من لا يتحمّل الاستمرار بالطاعة للحاكم المسلم الظالم، ما عاقبة الأمر له؟**

عليـه أن يتذكر تنبيه الصحابي الكريم أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج. فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشرّ منه حتى تلقوا ربكم»، سمعته من نبيكم». رواه البخاري

الحق الثالث: الصلاة خلفه، والحج والجهاد معهم

٢٣٨٤. **ماذا يُقصد من هذا العنوان؟**

يقصـد به أهميـة الاجتمـاع معهم لتحقيـق أعظم شـعائر الديـن، الصلاة، والحج، والجهاد.

٢٣٨٥. **لماذا التنصيص على هذه العبادات؟**

لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس الناس ويتولـى أمورهم فيها، ويقاوم العدو، وهـذا المعنى كما يحصل بالإمام البر الصالح، فإنه يحصل بالحاكم الفاجر.

٢٣٨٦. **ما الدليل على وجوب الاجتماع مع الحاكم للصلاة؛ ولو كان فاجرا ظالما؟**

دليله قول النبي ﷺ: (يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم). رواه البخاري، وفي الحديث: (أرأيت إذا كان عليك أمراء يميتون الصلاة عن وقتها) ؟ قال - أي أبو ذر -: فما تأمرني يا رسول الله؟ فقال: (صلِ الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصلِ خلفهم فإنها لك نافلة).

٢٣٨٧. هل وقع هذا الأمر واضحا في زمن الصحابة؟

نعم، فقد تحقق في زمن أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما جاءه أهل الفتنة، فقد سأل سائل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حُصر، وصلى بالناس شخص آخر، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنك إمام عامة، وهذا الذي صلى بالناس إمام فتنة؟ فقال: « يا ابن أخي، إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم». رواه البخاري

٢٣٨٨. هل فعل هذا الصحابة بعد زمن الخلفاء الراشدين مع الخلفاء الظلمة؟

صلّى ابن عمر وأنس خلف الحجاج، وصلى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خلف الوليد بن عقبة، وصلى جملة من علماء السنة خلف الأمراء الظلمة من بني أمية وبني العباس، وذلك جمعًا للكلمة، وحقنًا للدماء، وتوحيدًا للصف، ولدفع أعلى المفسدتين (القتل، وضياع الحقوق) بتحمل أدناهما (الصبر على حاكم غاشم).

الحق الرابع: الدعاء لولي الأمر

٢٣٨٩. ماذا يُقصد من هذا العنوان؟

يُقصد به حسن الدعاء لوليّ الأمر بالخير، والحرص عليه.

٢٣٩٠. هل قرر العلماء هذا الأمر في كلامهم؟

نعم، وعندهم فيه اتفاق على هذا، ومن ذلك ما قاله ابن تيمية: «ولهذا كان السلف- كالفضيل بن عياض وأحمد- وغيرهم يقولون: « لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسلطان».[١٣٠]

١٣٠- مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٧٩)

٢٣٩١. ما القول فيمن يدعو على الحاكم، لوجود ظلم ظاهر فيه؟

هذا لا ينبغي، فالمسلم لا ينظر إلى الأمر وفق عاطفته، ولكن ينظر للمآل من الأمر، فلعل الدعاء يصلح الحال، ويبدّل سلوك الحاكم.

٢٣٩٢. ماذا قرر الصحابة مع مسألة التطاول على ولاة الأمر؟

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ ينهوننا عن سبِّ الأمراء»،

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إياكم ولعن الولاة! فإن لعنهم الحالقة، وبغضهم العاقرة»، قيل: يا أبا الدرداء: فكيف نصنع إذا رأينا منهم ما لا نحب؟ قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اصبروا، فإن الله إذا رأى ذلك منهم حبسهم عنكم بالموت».

وقال أبو مجلز: «سبُّ الإمام الحالقة، لا أقول حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين».

٢٣٩٣. معلوم بأن الإمام أحمد ناله الكثير من العذاب مع ثلاثة من خلفاء بني العباس، فهل دعا على أحد منهم؟

لا، لم يثبت عنه هذا، لكن ثبت عنه قوله: «وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق، في الليل والنهار والتأييد، وأرى ذلك واجب عليّ». [١٣١]

٢٣٩٤. ما فوائد الدعاء لولاة الأمر؟

من فوائد هذا السلوك:

١/ الدعاء له فيه تعبّد لله سبحانه.

٢/ فيه إبراء للذمة في تحقيق النصح لولاة الأمر.

٣/ في الدعاء تصديق لمبدأ السمع والطاعة بحسن القول له.

٤/ الدعاء لولي الأمر عائد نفعه الأكبر إلى الرعية وإقرار به.

١٣١- السنة لخلال (ص:٨٣)

٥/ إذا بلغ ولي الأمر أن الشعب يدعو له! فإنه يُسر بذلك، ويدعوه ذلك إلى محبتهم وتيسير أمورهم، وربما بادلهم الدعاء بالدعاء لهم.

٢٣٩٥. كيف يكون للإكثار من الدعاء فيه إصلاح من جور الحاكم؟

قال أبو عثمان الزاهد « فانصح للسلطان، وأكثر له من الدعاء بالصلاح والرشاد بالقول والعمل والحُكم؛ فإنهم إذا صَلحوا صلح العباد بصلاحهم، وإياك أن تدعوا عليهم باللعنة فيزدادوا شرا، أو يزيد البلاء على المسلمين، ولكن ادع لهم بالتوبة فيتركوا الشر فيرتفع البلاء عن المؤمنين».

٢٣٩٦. بعض الناس يستنكر الدعاء للحاكم الظالم، فيدعو للتهييج وذكر مساوئه دائما، فهل هذا من فعل سلف الأمة؟

لا، فقد ثبت أن الفُضَيْلُ بن عِيَاضٍ قال: «لو كانت لِي دعوةٌ مُستجابةٌ لم أجعلها إلّا في إمام؛ لأنه إذا صلح الإمامُ أمنَ البلادُ والعبادُ». فقال ابن المبارك على كلمته: «يا معلم الخير، من يَجْتَرِئُ على هذا غيرُك». [١٣٢]

٢٣٩٧. ما القول مع من يحرص على الشتم والغيبة للحاكم؟

هذه من الدلالات على ابتعاده عن منهج السلف، ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «إن كان ولا بدّ؛ ففيما بينك وبينه، ولا تغتب إمامك». رواه سعيد بن منصور

وقال العلامة البربهاري: « إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان، فاعلم أنه صاحب بدعة، وإذا رأيت الرجل يدعوا للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة». [١٣٣]

٢٣٩٨. بعض الناس يتكلم في المجالس العامة عن مساوىء الحاكم ووزرائه، من باب الفضفضة والحديث بالشأن العام، فهل فعله صحيح؟

هذا ليس من فعل الحكماء، ولا ممن يتبع الهدي النبوي، فمن شغل نفسه

١٣٢- شرح أصول الاعتقاد للالكائي (١/ ١٩٣)

١٣٣- كتاب شرح السنة

بإصلاح حاله، والتناصح بالخير فسينشغل عن هذه الأقوال.

٢٣٩٩. **لماذا لا نتوجه بالدعاء على الحاكم الظالم لو تسلّط علينا؟**

أجاب عن هذا الحسن البصري، حينما سمع رجلا يدعو على الحجاج، فقال: «لا تفعل – رحمك الله– إنكم من أنفسكم أتيتم، إنما نخاف إن عزل الحجاج أو مات، أن تليكم القردة والخنازير»، ثم ذكرهم بوصية أحد العلماء، فقال: ولقد بلغني أن رجلا كتب إلى بعض الصالحين يشكو إليه جور العمال، فكتب إليه: «يا أخي، وصلني كتابك تذكر ما أنتم فيه من جور العمال، وإنه ليس ينبغي لمن عمل بالمعصية أن يُنكر العقوبة، وما أظن الذي أنتم فيه إلا من شؤم الذنوب، والسلام».[١٣٤]

الحق الخامس: النصح مع ولاة الأمر

٢٤٠٠. **هل النصح لولاة الأمر واجبٌ؟**

نعم، واجب على الرعية تقديم النصيحة والتوجيه لولاة الأمر.

٢٤٠١. **ما ضابط التناصح من الشعب لولاة الأمر؟**

واجب عليهم مناصحتهم بالحكمة والطرق الشرعية التي لا تُوجب المفاسد العامة، بلا قدح ولا تشهير أمام العامة.

٢٤٠٢. **ما دليل هذا؟**

ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: (إن الله يرضى لكم ثلاثا، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم). رواه مسلم

٢٤٠٣. **النصح للمسلمين هل يختلف وفق طبقتهم في المجتمع؟**

نعم، لقول النبي ﷺ: (الدين النصيحة). قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال ﷺ: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين، وعامتهم). ففي الحديث تفريق بين الولاة عن العامة بالنصيحة.

١٣٤– آداب الحسن البصري لابن الجوزي (ص: ١١٩)

٢٤٠٤. كيف الاختلاف في النصح بين الولاة عن العامة؟

يتحقق في كيفية توصيل النصح لهم، والأدب فيه، ومراعاة المصلحة عن المفسدة، والإسرار فيه، والنظر في عواقب الأمور، وهل النصح لأمور دنيا أو لمقاصد شرعية.

٢٤٠٥. أليس واجب علينا بأن من رأى منكرا يغيّره بيده، ثم بلسانه؟

نعم، ولكن التناصح مع ولاة الأمر له كيفية تليق بمقامهم الكريم.

٢٤٠٦. كيف يتحقق النصح لولاة الأمر؟

يكون وفق الشرع، فعن عياض بن غنم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ قال: (من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبد لـه علانية، ولكن ليأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبِل منه فذاك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه). رواه أحمد[١٣٥]

٢٤٠٧. هل حرص الصحابة على هذا التوجيه النبوي؟

بالتأكيد، ومن ذلك ما ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إن كان ولا بدّ؛ ففيما بينك وبينه، ولا تغتب إمامك». رواه سعيد بن منصور.

ووقع عمليا منهم، فعندما قيل لأسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبيل استشهاد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (ألا تدخل على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتكلمه؟! فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم! والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه). متفق عليه

٢٤٠٨. هل الاثر السابق يفيد بأن الحاكم يعلم أمورا تخفى عن العامة؟

بالتأكيد، فالعامي من الشعب تخفى عليه الكثير من الامور في الدولة، بعكس ولاة الأمر، ولذا فواجب إحسان الظن بولاة الأمر، ومناصحتهم والاستفسار منهم بالسر.

١٣٥- بعض العلماء يرى ضعف هذا الحديث سندا، لكن يبقى أن معناه صحيح وموافق لمقاصد الشرع.

٢٤٠٩. ما أمثلة الإنكار العلني على ولاة الأمر؟

مثالـه ما يُقال علـى المنابر، أو فـي الفضائيات، أو في وسـائل التواصل الحديـث؛ التويتـر ومثيلاتـه، وأخطرهـا مـا يتحقـق مـن بعضهـم فـي التجمعات العامة، والمسيرات الثورية.

٢٤١٠. قد يُقال: بأن النصح العلني ثبتت مشروعيته بما ثبت عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قول: (فقوّموني) فما التوجيه لهذا؟

على فرض صحة هذا الأثر الضعيف، فيمكن القول:

- معناه وجوب الإصلاح وفق الهدي الشرعي.
- التغيير ليس بالتغيير الثوري أو التطاول العاطفي.
- التقويم يعني التأدب في القول بغية الإصلاح، وليس الإهانة.
- التقويم: سلوك للحال الطيب، وليس بالتكسير وتعليم الناس البذاءة.
- (فقوّموني) كلمة تفيد الإذن من ولي الأمر لمن حوله من أهل الحل والعقد، وليس لكل فرد من العامة.
- (فقوّمونـي) كلمـة قيلت في زمن أمن وترابـط، وليس في موطن فتنة وتفرّق، تضيع معها كلمة الحق وسبيل النصح.
- مقولـة: (فقوّمونـي) قيلت أمـام الحاكم وفي وجهه، وليسـت خلفه، وفي صفوف من الغوغاء.

٢٤١١. أليس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرنا بمن رأى منكرا فليغيّره بيده ثم بلسانه، فلماذا لا يجوز الإنكار العلني للحاكم لو أخطأ؟

هـذا الحديث مـن الأصول العامة التي تخصّصهـا الروايات الدالة على وجوب النصح بالخلوة مع الحاكم.

الحق السادس: الصبر على ظلم الحاكم

٢٤١٢. ما المقصود من هذا العنوان؟

يُقصـد به أهمية الصبـر على قرارات الحاكم، ولو وقـع فيها ظلم في أموره

وأحكامه.

٢٤١٣. ما الحكم مع الإنكار العلني والتسخط على الحاكم لو وقع منه ظلم للرعية؟

هذا لا يجوز، فعن سعيد بن جهمان قال: (أتيت عبد الله بن أبي أوفى وهو محجوب البصر فسلمت عليه.. قلت: فإن السلطان يظلم الناس، ويفعل بهم! قال: فتناول يدي فغمزها بيده غمزة شديدة، ثم قال: ويحك يا ابن جهمان، عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم، إن كان السلطان يسمع منك فائته في بيته فأخبره بما تعلم، فإن قبِل منك، وإلا فدعه، فإنك لست بأعلم منه). رواه أحمد

٢٤١٤. لماذا نحث من وقع عليه ظلم من الحاكم بالصبر؟

لأن هذا متوقع وقوعه مع من يدير أطراف الدولة وينظر بأحوال رعاياها، فقد يقع منه حيف في بعض قراراته، فلذا وجب الصبر على بعضها رعاية لمصلحة أعظم وهي انتظام أمور العامة بعيدا عن أمور الخاصة.

٢٤١٥. أليس هذا من الرضا بالذل والهوان في الظلم؟

لا، لكنه من حسن الرعاية لعاقبة الأمور للعامة، بدلا من السعي للإنتقام وارادة التغيير بالعواطف، واحتمال وقوع الشر العام على المجتمع.

٢٤١٦. ثبت في الحديث: (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)، أليس هذا دليل على مشروعية الإنكار والنصح العلني للحاكم الظالم؟

نعم، لكن بشرط أن يكون بين يدي الحاكم، أي أمامه ودليله القول النبوي: (**عنده**) أي بين يديه، وليس بين الناس وبعيدا عنه.

٢٤١٧. بعضهم يقول أن عدم السماح بالإنكار العلني على الحاكم الظالم يعدّ من التقديس له والغلو فيه..فما بيان هذا؟

من تقيّد بالهدي النبوي فهو على الجادة الصحيحة، ولم يقع في الغلو ولا التقديس للحاكم الظالم، قال تعالى: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ أي إن

تلتزموا بهدي النبي ﷺ فستكونون على الجادة الصحيحة.

٢٤١٨. أليس عدم الثورة على الحاكم الظالم الفاجر يعدّ تعليم للشعب بمعيشة فيها خنوع وذل..فما القول مع هذا؟

من تمسّك بالهدي النبوي فسيكون في رفعة شأن عند الله، ومن شك أن النبي ﷺ يوجهنا إلى الذل في حياتنا فهذا على خطر عظيم فيما يعتقده.

٢٤١٩. هل طاعة وليّ الأمر واجبة في كل أمر ونهي؟

لا، لقول النبي ﷺ: (لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف). متفق عليه

٢٤٢٠. لو وقع الحاكم في ظلم للرعية، ماذا نفعل معه؟

واجب أولا عدم التسرع بفعل أي شيء إلا بعد الاستفسار من العلماء، وعدم سبق العاطفة والآراء الشخصية للحكم الشرعي.

ونعلم يقينا بأن القوانين المتعلقة بالمصالح الدنيوية لن يوافق عليها بعض الناس، لأنها تمس مصالحهم السياسية أو التجارية وغيرها.

٢٤٢١. لو قال قائل: حاكم ظالم مستبد طاغية، ويأخذ أموال الناس، ويضع من لا يستحق على رقاب الناس، لماذا لا يكفّر بذلك؟

يمكن الردّ على من يقول هذا الكلام بالآتي:

- هل هذا الإستئثار بأمور الدنيا، وفعل الكبائر لا يجعل من المسلم كافرا، إذا لم يستحلها؟
- هل هذا (التكفير) يمكن تطبيقه على كل مسلم يظلم الناس؟

٢٤٢٢. إذا تطاول الحاكم في ظلمه، إلى متى يمكن الصبر على سوء أفعاله؟

نهاية الصبر وفق ما قرره الشرع، فعن أسيد بن حضير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلا من الأنصار قال: «يا رسول الله، استعملت فلانا، ولم تستعملني»! فقال رسول الله ﷺ: (إنكم سترون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض). رواه الترمذي

٢٤٢٣. أليس شرعنا حثّ إلى الدفاع عن الحق، وأن من دافع عن ماله فمات فهو من الشهداء؟

نعم، لكن هذا الدفاع متعلق بالظلم الخاص، وصدّ من يتطاول على بيته، فواجب عليه شخصيا الدفاع ولو بالمقاتلة عن عرضه وماله ونفسه!

لكننا نتكلم عن علاقة واقعة خارج البيت؛ أي ظلم عام، وهو أمر بين الرعية عامة مع الحاكم، وهذا الذي حث له النبي ﷺ بالصبر وحسن التعامل والتناصح مع ولي الأمر، رعاية للعواقب العامة

٢٤٢٤. الوصول إلى الحاكم للتناصح يعدّ حاليا من الأمور المتعذر تحقيقها، فكيف نتناصح مع الحاكم الظالم؟

متوقع تعذر الوصول إلى الحاكم، لهذا فممكن توصيل النصح إلى من يُتوقع أن يكون قريبا من الحاكم من المستشارين أو الوزراء، أو لنا الإكثار من الدعاء بالغيب للحاكم بالصلاح وسداد الحال.

٢٤٢٥. كيف يمكن للمظلوم من أخذ حقه من الحاكم الظالم؟

التوضيح وارد في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنها ستكون بعدي أثرة، وأمور تنكرونها!) قالوا: «يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك ذلك منا»؟ قال ﷺ: (تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم). رواه مسلم

٢٤٢٦. هل التقاضي على أي مسؤول لو تطاول على حق أي مسلم يعدّ من الخروج عليه؟

لا، فالتقاضي وهو تقديم الدعاوى عند القضاء أمر مشروع، ومعمول به في شريعتنا، فيجوز للمسلم رفع الدعوى عند جهات الاختصاص على أي مسؤول ليسترجع حقه المسلوب.

٢٤٢٧. هناك من لا يرضى بالصبر على ظلم الحاكم، ويريد المجاهرة بالإنكار عليه، فما التوجيه له؟

شتان بين من يريد إرجاع الحق لنفسه وفق القنوات القانونية المعلومة،

والتي سمح بها الحاكم أو المسؤول، عن ذاك الذي لا يريد التقيّد بتوجيهات الشرع الداعية للصبر خشية من وقوع مفسدة كبيرة على الأمة.

٢٤٢٨. ما الأمور التي قد يكون فيها جور وظلم من الحاكم المسلم لرعاياه؟

قد يكون فيه جور واستبداد في تعيين بعض أقاربه، أو يستحوذ على جانب من أموال الدولة، أو لا يعدل في بعض أحكامه.

٢٤٢٩. ما النظرة الشرعية لهذا الجانب من التعامل مع الحاكم؟

عن أسيد بن حضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلا من الأنصار خلا برسول الله ﷺ، فقال: «ألا تستعملني كما استعملت فلانا؟ فقال ﷺ: (إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض). متفق عليه

٢٤٣٠. هل حرص الصحابة على الصبر مع الولاة الظلمة؟

نعم، فهذا ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما بويع ليزيد بن معاوية قال: « إن كان خيرا شكرنا، وإن كان بلاء صبرنا».[١٣٦]

٢٤٣١. أليس ديننا حث على وجوب التناصح وأهمية تغيير المنكر؟

نعم، ولكن وفق نظرة للمصلحة والمفسدة، وأيضا نظرة شاملة للأدلة الشرعية وفق فهم سلف الأمة.

٢٤٣٢. ما القول بثورة عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الدولة الأموية؟

ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يقم بأي ثورة على بني أمية! فالخليفة معاوية بن يزيد ترك الخلافة بعده، ولم يكن هناك من والي، فتقلدها ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في العراق والحجاز واليمن، ثم صارت المقتلة بينه وبين عبد الملك.

٢٤٣٣. كيف ثار الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخليفة يزيد، وأراد خلعه؟

لم يكن الأمر هكذا، فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يبايع ليزيد ابتداء، وكذا أهل العراق

١٣٦- التمهيد (١٠/ ٣٦)

لـم يفعلوا، فذهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لينظر فيما يكـون من أمر، ولـم يكن معه جيش للقتال.

٢٤٣٤. هل استمر الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما خرج لأجله؟

لـما علـم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخذلان أهل الكوفة له، ترك الـذي خرج لأجله، ثم أراد التوجـه ليزيد، لكنه مُنع من هذا بسـبب الجيش الذي أسـره، ثم وقعت المقتلة عليه، وتحققت له الشهادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.[137]

٢٤٣٥. هل كان العلماء يحثّون الناس بالصبر على جور الولاة، أو الخروج عليهم؟

نعـم، بـل يحثّونهم على التعقل والصبر، فعن عمرو بن يزيد قال: سـمعت الحسـن البصري أيام يزيد بن المهلب، يقول وأتـاه رهط، فأمرهم أن يلزموا بيوتهم، ويغلقوا عليهم أبوابهم، ثم قال رحمه الله: « والله، لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سـلطانهم صبروا، ما لبثوا أن يرفع الله عز وجل ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السـيف فيُوكلون إليه، ووالله، ما جاؤوا بيوم خير قط» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وتمت كلمت ربك الحسـنى على بني إسـرائيل بما صبروا ودمرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشـون﴾ (الأعراف: ١٣٧)

٢٤٣٦. ما أسباب جور الحكام؟

لعلـه مـن ظلم وجـور الرعية فتسـلّط عليهـم الحاكـم الظالم، قـال تعالى: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون﴾ (الأنعام:١٢٩)

٢٤٣٧. ماذا نفعل حتى يرفع الله نقمة الحاكم الظالم؟

علينا بحسـن العمل الصالح والتوبة، قال الحسن البصري: « اعلم- عافاك اللـه- أن جـور السـلطان نقمـة من نقـم اللـه تعالـى، ونقم اللـه لا تلاقى بالسـيوف، وإنمـا تتقـى وتسـتدفع بالدعـاء والتوبـة والإنابـة والإقلاع من الذنوب..إن نقم الله متى لقيت بالسيوف كانت هي أقطع، ولقد حدثت أن قائـلا قال للحجاج: إنك تفعل بأمة رسـول الله كيـت وكيت» فقال: أجل،

١٣٧- منهاج السنة (٤/ ٥٥٧، ٥٥٨)

إنمـا أنـا نقمة على أهـل العراق لما أحدثـوا في دينهم ما أحدثـوا وتركوا من شرائع نبيهم ما تركوا».

المبحث الرابع:

واجبات ولي الأمر

٢٤٣٨. ما المقصود بالواجبات؟

يُقصد بها الأمور الواجب على ولي الأمر تحقيقها للشعب.

٢٤٣٩. ما أهم الواجبات التي ينبغي على ولي الأمر تحقيقها والحفاظ عليها؟

من تلك الأمور المهم مراعاتها للرعية ما يأتي:

١/ إقامة الدين

٢/ أداء الأمانات.

٣/ حماية البلد والرعية والدفاع عنهم.

الواجب الأول: إقامة الدين

٢٤٤٠. ماذا يُقصد من هذا العنوان؟

يقصد رعاية شرع الله وتطبيقه في البلاد وبين العباد.

٢٤٤١. ما دليل هذا الواجب على ولي الأمر؟

دليله قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج:٤١)

٢٤٤٢. ما أهمية تحقيق هذا الواجب؟

ثمرته تظهر بانتشار العدل والأمن، ويظهر الإنصاف من الظالم للمظلوم.

٢٤٤٣. هل من رعاية الدين منع الأفكار الباطلة من الإنتشار؟

نعم، إذ تلويث عقول الناس وقلوبهم بالأفكار المخالفة للشرع من الأمور التي يحرص عليها أعداء الدين، من خلال الكتب أو المرئيات، لهذا واجب الاهتمام بتنقية المجتمع منها.

الواجب الثاني: أداء الأمانات

٢٤٤٤. ماذا يقصد بأداء الأمانات؟

يقصد بها رعاية الولايات والمناصب، وحفظ أموال الدولة.

٢٤٤٥. كيف يمكن تحقيق الأمانة في المناصب؟

يتحقق بتولية الإنسان المناسب في الموضع المناسب له.

٢٤٤٦. هل حرص النبي ﷺ على هذا الجانب؟

نعم، ومن أوضح الأدلة على تحقيقه لذلك، أنه حينما تسلّم مفاتيح الكعبة من بني شيبة طلبها منه العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ليجمع له بين سقاية الحاج وسدانة البيت، فأنزل الله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تودوا الأمانات إلى أهله وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾ (النساء:٥٨) فأرجعها النبي ﷺ لبني شيبة.

٢٤٤٧. اختيار العامل المناسب، هل فيه عون للحاكم في رعاية البلد؟

نعم، وهذا من توفيق الله له، كما قال النبي ﷺ: (من وليَ منكم عملا فأراد الله به خيرا جعل له وزيرا صالحا، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه). رواه النسائي

٢٤٤٨. ما أبرز الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها من يستعملهم الحاكم؟

من أبرز صفاتهم:

- **القوة**: لتعينه في حسن إدارة العمل الذي بين يديه.
- **الأمانة**: وهذه ترجع إلى وجود الخشية من الله فيه، وأن يتقي الله فيما يعمل.
- **العلم في التولية**: وهذا يعني وجود المؤهلات العلمية التي تعينه في حسن رعاية المهمة.
- **العدل**: لقول الله تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم

بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ (ص:٢٦)

- **البصيرة**: ويراد بها الفطنة وجودة الرأي في العمل المناط به، وسرعة البديهة في اتخاذ القرارات المناسبة.

٢٤٤٩. ماذا يجب على الحاكم بشأن أموال الدولة؟

واجب عليه المحافظة عليها، ووضعها فيما ينفع البلاد والعباد.

٢٤٥٠. بماذا أوصانا الله جميعا في هذا الجانب؟

قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ (البقرة:٢٨٣)

٢٤٥١. هل هناك من وعيد بشأن أكل الحاكم لأموال الناس بالباطل؟

نعم، قال النبي ﷺ: (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّاها الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله). رواه البخاري

الواجب الثالث: الدفاع عن العباد والبلاد

٢٤٥٢. ماذا يُقصد بهذا العنوان؟

يقصد به أن من واجبات الحاكم حماية الحدود، والعمل على استتباب الأمن.

٢٤٥٣. ما أثر تحقيق هذا الجانب في البلاد من الحاكم؟

يظهر أثره العظيم من خلال انصراف الناس إلى معايشهم، وانتشارهم في الأسفار آمنين، مع حسن عبادتهم لربهم بكل طمأنينة في بلادهم.

المبحث الخامس:

الخروج على الحاكم

٢٤٥٤. ماذا يُقصد من هذا العنوان؟

يُقصد به بيان الحكم الشرعي في قضية محاولة الإنقلاب والثورة على الحاكم، وإرادة تغييره بآخر.

٢٤٥٥. ما الفرق بين مصطلحات: ثورة، انقلاب، تمرد، عصيان؟

كلها تدلّ على أمر واحد، وهو عدم صبر الرعية على حال وقرارات الحاكم، والسعي لتغييره.

٢٤٥٦. ما أهمية دراسة هذا الموضوع؟

تظهر أهميته من خلال النظر شرعيا إلى الآتي:

- عواقب تغيير الحاكم، والسعي من بعض المسلمين للثورة عليه.
- جهالة طائفة من المسلمين في متى يُشرع السعي لتغيير الحاكم.
- تقليد شباب الأمة لأحوال الغرب في الثورات والمظاهرات.
- نقص التأصيل الشرعي لما يتعلق بسياسة الأمور.

٢٤٥٧. من أين أتى الوصف بمصطلح (الخروج)؟

ورد بما قاله النبي ﷺ عندما تطاول عليه ذاك رجل فقال: (اعدل يا محمد!)، وفي رواية (اتق الله يا محمد) فقال فيه النبي ﷺ: (إنه يخرج من ضِئْضِئ هذا الرجل من يحقر أحدكم صلاته عند صلاته..). فحكم النبي ﷺ عليه بأنه رأس الخوارج.

٢٤٥٨. هل قرر العلماء الحكم السابق على من تطاول على النبي ﷺ؟

نعم، تتابع علماءُ الحديث في ذِكر هذا الحديث في أول أبواب ذمّ الخوارج وصفاتهم، نذكر منهم على سبيلِ المثال لا الحصر:

• الإمام البخاري: ذكرَ هذا الحديث في أول باب: (مَن تَرَكَ قتال الخوارج للتّألُّف، وأن لا ينفرَ الناسُ عنه).

• الامام النووي: ذكره في أول باب: (ذِكر الخوارج وصفاتِهم).
• الامام البغوي: ذكره في باب: (قتال الخوارج والملُحدين).
• أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله: ذكره في أول باب: (أصل الخوارج وصفاتهم).

٢٤٥٩. هل الخروج على ولاة الأمر مخالف لأصول أهل السنة والجماعة؟

نعم، وهذا متواتر في كتبهم العقدية.

٢٤٦٠. ما القاعدة التي وضعها بعض العلماء في هذا الجانب؟

قال الإمام الطحاوي: «ولانرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة».

٢٤٦١. ما حكم الثورة على ولي الأمر المسلم لو كان مستبدا ظالما؟

هذا محرمٌ، إذ واجب الصبر على حالة الحاكم الجائر.

٢٤٦٢. هل وقوع الحاكم المسلم في استبداد أو طغيان أو ظلم للرعية، أو قتل منهم.. فهذا يقتضي تكفيره؟

لا، فهذه كلها معاصي، فيها الكبائر والصغائر، ولا يحكم بكفره إلا باجتماع العلماء، حينما يتبين لهم استحلال ما قال، ولا يتحقق الحكم فيه لأفراد المسلمين ليقرر كفر الولاة.

٢٤٦٣. هل ورد حثٌّ نبوي بكيفية التعامل مع أفعال الحاكم الجائرة؟

نعم، ففي الصحيحين: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يُؤمر بمعصية، فإن أمر بعصية فلا سمع ولا طاعة».

٢٤٦٤. هل الصبر على ظلم الولاة خيرٌ من الخروج عليهم؟

نعم، يقول الحسن البصري رحمه الله تعالى في الأمراء: «والله لا

يستقيم الدين إلا بهم؛ وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون مع أن طاعتهم لغبطة، وإن فرقتهم لكفر».

٢٤٦٥. هل يجوز الإنقلاب أو الخروج على الحاكم المسلم العاصي؟

لا يجوز، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حُجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية». رواه مسلم

٢٤٦٦. متى يمكن الخروج والثورة على الحاكم لتغييره؟

يمكن وفق ما اشترطه الشرع، من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إلا أن تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ من الله فيه بُرْهَانٌ». رواه الشيخان

٢٤٦٧. لو أمكن توضيح الشروط المعينة لتغيير الحاكم؟

نعم، إذا تحققت الشروط الآتية:

١/ ظهور الكفر الصريح فيه.

٢/ حكم العلماء بكفر الحاكم.

٣/ القدرة على تغيير الحاكم.

٤/ ألا يجرّ التغيير بسبب الفساد إلى مفاسد أعظم على الناس.

٢٤٦٨. أين الدليل على هذا الحكم؟

ورد عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دعانا النبي ﷺ، فبايعناهُ، فقال فيما أَخَذَ علينا: أن بايعنا عَلَى السّمع والطاعة في مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً علينا، وأن لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إلا أن تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فيه بُرْهَانٌ). متفق عليه

وفي رواية: (وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله فيه برهان». متفق عليه

٢٤٦٩. ما المقصود بجملة (تروا كفرا بواحا)؟

(الرؤية) هنا بمعني العلم، يعني إما أن تراه بعينك، وإما أن يكون هناك علما

يقينيا بوقوعه.

و(بواحا) أي صريحا، لا يحتمل التأويل.

٢٤٧٠. من الذي له القدرة بالحكم على تكفير الإنسان؟

ممكن هذا للعلماء مجتمعين لتقرير هذا.

٢٤٧١. هل الحكم بتكفير المسلم من الخطورة بمكان في شرعنا؟

نعم، قال النبي ﷺ: (أيما أمرئ قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه). متفق عليه.

٢٤٧٢. بعضهم يستدل بكفر الحاكم بقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، فما بيان القول له؟

هذا من الاستدلال القاصر، فهناك آيات جاءت بعدها بقوله تعالى: ﴿فأولئك هو الفاسقون﴾ وهناك قول الله: ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ فقد يكون الإنسان فيه ظلم أو فسق أو كفر.[١٣٨]

٢٤٧٣. هل الكفر والظلم والفسق على مراتب، وليس للواقع في أحدها الخروج من دائرة الإسلام؟

نعم، فهناك كفر دون كفر، بمعنى هناك كفر عملي أو قولي لا يخرج بسببه الفاعل من الإسلام، مثل الحلف بالمخلوق، ومثله الفسق أو الظلم الذي أخطره الوقوع في الشرك، وأقل منه الظلم للناس بأخذ أموالهم وسلب حقوقهم.

٢٤٧٤. الحكم بالكفر، هل يشمل كل معصية وقع فيها المسلم؟

لا، فرمي حكم التكفير على كل مسلم عاصي، من منهج الخوارج.

٢٤٧٥. بعضهم يذهب إلى تكفير الحاكم لو وقع في أي ظلم أو مخالفة للشرع، ثم يدعو للثورة عليه، فما القول في هذا؟

١٣٨- تم بحث هذه القضية في (ص:)

هذا مخالف للهدي النبوي، لحديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (خيار أئمتكم الذين يحبونهم ويحبونكم، وتصلّون عليه ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذي تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم). قلنا: «يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك»؟ قال ﷺ: (لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدا من طاعة). رواه مسلم

٢٤٧٦. الظلم والاستحواذ على ثروات البلد، هل هذا عذر في الخروج عليه؟

لا، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إنها ستكون بعدى أَثَرة [١٣٩]، وأمورٌ تُنكِرونها! قالوا: يا رسول الله فما تأمُرُنا ؟ قال: (تؤدّون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم) . متفق عليه

٢٤٧٧. ماذا قال العلماء في توضيح هذا الحديث؟

قال الإمام النووي- كما في شرح مسلم على هذا الحديث- « فيه الحث على السمع والطاعة، وإن كان المتولي ظالما عسوفا، فيُعطى حقّه من الطاعة، ولا يُخرج عليه ولا يُخلع، بل يُتضرع إلى اللهِ تعالى في كشف أذاهُ ودفع شَرّهِ وإصلاحه».

٢٤٧٨. ما أقوال العلماء في مسألة الخروج على الحاكم المسلم لو وقع في الظلم؟

من أقوال العلماء:

١- الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: (ولا يحلّ قتالُ السُّلْطَان ولا الخروجُ عليه لأحد من النّاس، فمن فعل ذلك فهو مُبتدع على غير السّنة والطريق). [١٤٠]

٢- قال الإمام البَرْبَهاري رحمه الله: (ولا يحل قتال السلطان والخروج

١٣٩- قوله: (أثرة): الإنفراد بالشيء عمن له فيه حق"، (أمور تنكرونها) : أي من أمور الدين

١٤٠-أصول السنة (ص: ٤٦)

عليه -وإن جاروا-، وذلك قول رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: (اصبر وإن كان عبدًا حبشياً)، وقوله للأنصار: (اصبروا حتى تلقوني على الحوض). وليس من السنة قتال السلطان، فإن فيه فساد الدين والدنيا).[141]

٣- قال الإمام النووي رحمه الله: (وأمّا الخروجُ عليهم -يعني: الأئمة- وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فَسَقَة ظالمين).[142]

٤- قال ابن تيمية رحمه الله: (ولِهذا كان المَشهُورُ مِنْ مَذْهَب أهل السُّنّة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظُلم، كما دلّتْ على ذلك الأحَادِيثُ الصحيحة المستفيضةُ عن النّبيّ ﷺ).[143]

٢٤٧٩. ما الأساس الذي يبنى عليه أمر الخروج على الولاة الظلمة؟

أساسه إدراك المصلحة وتحصيل الخير.

٢٤٨٠. هناك من له وسائل في رد الأحاديث المتعلقة بالخروج، ما بيان هذا الصنيع؟

هذا من أفعال الخوارج في رد الأحاديث الصحيحة إن لم توافق هواهم وشهوتهم، ويحاولون الطعن فيها، وهذا من مسلكهم قديماً وحديثاً.

٢٤٨١. ماذا قال العلماء في الراد للأحاديث التي تخالف أفكاره؟

قال ابن تيمية[144] عن الخوارج إذا لم يعقلوا الأحاديث: (فيطعنون تارة في الإسناد، وتارة في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول ﷺ، بل ولا بحقيقة القرآن).

٢٤٨٢. ما الوسائل الحديثة للطعن وإظهار معايب ولاة الأمر؟

١٤١-شرح السنة للبربهاري ص:٥٨)

١٤٢-شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٢٩)

١٤٣- منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٩١)

١٤٤- الفتاوى (ج١٩ص٧٣)

من ذلك ما يكون في الصحف أو وسائل التواصل أو المدونات، ويحتجون أنه من باب التعبير عن الرأي، وهذا غير صحيح شرعا.

٢٤٨٣. هل منع التعبير عن الرأي مسلك غير حضاري، وفيه إقصاء للرأي الآخر؟

التعبير عن الرأي واجب انضباطه بضوابط الشرع، وليس وفق ما يهواه المتكلم، بل ليس كل رأي واجب احترامه، فالقول المخالف للشرع لا كرامة له، وواجب منع انتشاره بين الناس.

٢٤٨٤. هل هناك من دليل يحثّ لمنع الآراء المخالفة؟

نعم، مثلما فعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رجل يقال له صبيغ بن عسل، وقصة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أشهر القضايا، فانه بلغه أنه يسأل عن متشابه القرآن، حتى رآه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسأل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الذاريات ذروا، فقال: ما اسمك؟ قال عبدالله صبيغ. فقال: وأنا عبدالله عمر، وضربه الضرب الشديد.

وكان ابن عباس اذا ألحّ عليه رجل فى مسألة من هذا الجنس، يقول: ما أحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بصبيغ!

وهذا لأنهم رأوا أن غرض السائل ابتغاء الفتنة، لا الاسترشاد والاستفهام.

٢٤٨٥. هل يكون الخروج على الحاكم بالسلاح فقط؟

لا، فحمل السلاح لابد أن يسبقه القول، ثم التهييج للعامة، فتثور العواطف ويظهر الفعل، وبعد التمادي بالأقوال نجد الرفع للسلاح، ثم سفك الدماء.

٢٤٨٦. هل قرر العلماء هذه القضية في مسألة الخروج؟

نعم، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (وأما الواقع، فإنا نعلم علم اليقين، أن الخروج بالسيف فرع عن الخروج باللسان والقول، لأن الناس لم يخرجوا على الإمام بمجرد أخذِ السيف، لا بد أن يكون توطئة وتمهيد: قدح في الأئمة، وستر لمحاسنهم، ثم تمتلئ القلوب غيظًا وحقدًا، وحينئذٍ

يحصل البلاء).

٢٤٨٧. ما القول لمن يقرر بأن الخروج المقصود بالنصوص الشرعية هو فقط ما يكون بالسلاح؟

سُئل الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى: هل الخروج على الأئمة يكون بالسيف فقط، أم يدخل في ذلك الطعن فيهم، وتحريض الناس على منابذتهم والتظاهر ضدهم؟

فأجاب بقوله: «الخروج على الأئمة يكون بالسيف، وهذا أشد الخروج، ويكون بالكلام: بسبّهم، وشتمهم، والكلام فيهم في المجالس، وعلى المنابر، هذا يهيج الناس ويحثهم على الخروج على ولي الأمر، وينقص قدر الولاة عندهم، فالكلام خروج».[145]

٢٤٨٨. هل يعدّ ذكر أخطاء الحاكم من التهييج والإثارة للتحريض بالخروج؟

نعم، ودليله ما ورد عن هلال بن أبي حميد قال: سمعت عبد الله بن عكيم يقول: «لا أعين على دم خليفة أبدًا بعد عثمان»! فقيل له: يا أبا معبد، أوَ أعَنْتَ على دمه؟ فيقول: «إني أعُدُّ ذِكْر مساويه عونًا على دمه». طبقات ابن سعد

٢٤٨٩. نحن في عصر الكلمة، وواجب التناصح بنشر الأخطاء لتحقيق الإصلاح، فما المانع من هذا مع كل مسؤول في البلد؟

سُئلَ العلامة عبدالعزيز الراجحي حفظه الله: هل الخروج عليٍ الحكام يكون بالسيف فقط، أم يكون باللسان أيضًا؟ كمَن ينتقد الظلم مثلًا، أو من يطالب بتغيير المنكرات علانيةً عن طريق الإعلام والقنوات الفضائية؟

فأجاب: «نعم، الخروج على الولاة يكون بالقتال وبالسيف، ويكون أيضاً بذكر المعايب ونشرها في الصحف، أو فوق المنابر، أو فيِ الإنترنت؛ في الشبكة أوغيرها؛ لأن ذكر المعايب هذه تبغِّض الناس في الحكّام، ثم تكون

١٤٥- الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية (ص: ١٠٧)

سببًا في الخروج عليهم.

أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما خرج عليه (الثوار) نشروا معايبه أولاً بين الناس، وقالوا: إنه خالف الشيخين الذين قبله أبو بكر وعمر، وخالفهما في التكبير، وأخذ الزكاة على الخيل، وأتمّ الصلاة في السفر، وقرّب أولياءه، وأعطاهم الولايات.. فجعلوا ينشرونها، فاجتمع (الثوار)، ثم أحاطوا ببيته وقتلوه.

فلا يجوز للإنسان أن ينشرَ المعايب، هذا نوعٌ من الخروج، فإذا نُشرت المعايب -معايب الحُكام والولاة- على المنابر، وفي الصحف، والمجلات، وفي الشبكة المعلوماتية، أبغضَ الناس الولاة وألّبوهم عليهم، فخرج الناس عليهم». [١٤٦]

٢٤٩٠. أليس ما سبق بيانه يعدّ من الغلو والتقديس في تعظيم الحاكم، كأنه هناك اعتقاد بعصمته وأنه لا يخطىء؟

لا، لكنه يعدّ حسن تعامل مع ما قد يقع مستقبلا من الإثارة لعواطف العامة بشحن القلوب بالحقد والكراهية على ولاة الأمر، وعدم الخوض بأخطاء الولاة علنا بين العامة لا يمنع من بيانها لمن يمكنه أن يبلغ الحاكم بالأخطاء بين يديه، إن لم نتمكن من الوقوف بين يدي الحاكم لمناصحته.

٢٤٩١. كيف يمكن مناصحة الحاكم، مع تعذر الوصول عليه؟

يمكن توصيل المناصحة له من خلال وزرائه أو المستشارين حوله، ومع هذا فهناك الدعاء له دائما بالخير والهداية.

١٤٦-«شرح المختار في أصول السنة» للراجحي (ص: ٢٨٩)

المبحث السادس:

الحاكم المتغلّب على الحكم

٢٤٩٢. ما المقصود من هذا العنوان؟

يُقصد به العمل مع من تغلّب على الحاكم الموجود ليكون هو بدلا عنه.

٢٤٩٣. ماذا يطلق على مثل هذا في الزمن المعاصر؟

يُطلق عليه أوصاف: الإنقلاب، التغلّب، الثورة، التغيير، التسليم السلمي، انتقال السلطة.

٢٤٩٤. من يمكن القول فيه أنه تغلّب على الحاكم السابق وأصبح هو الحاكم الجديد؟

يمكن الحكم له بالتغلب حينما يقوم بتنحية الحاكم السابق، ثم تكون له القوة في البلد؛ مثل أن يكون معه السلاح والقوة العسكرية.

٢٤٩٥. من تغلّب في بلد، وأصبح هو الحاكم الجديد، وعزل الحاكم السابق، فهل واجب الخروج عليه؟

لا، فليس هذا من هدي سلف الأمة، إذ لم يُعرف عنهم أنهم أرجعوا حقّ بني أمية بعد تغلّب بني العباس عليهم.

٢٤٩٦. أليس إرجاع الحقوق لأصحابها من الأمور الواجبة؟

نعم، لكن النظر إلى قضية أعظم وأعم على جميع المسلمين؛ وهي حفظ دماء الناس جميعا، وهو أوجب من النظر إلى حق شخص واحد، فالقضية متعلقة إلى قضية مراعاة المصلحة العامة، ودرء المفسدة في مصالح الأمة.

٢٤٩٧. هل التغلّب الصحيح يتحقق إذا تمت المبايعه من الجميع للحاكم الجديد؟

هذا كلام لن يتحقق واقعيا، لأنه هو مخالف للواقع العملي، فليس في أي زمن حاكم يوافقه جميع شعبه! لكن الحكم للأغلب من الشعب،

ولمن تكون بيده أسلحة الدولة، وولاء هيئات الدولة.

٢٤٩٨. ما أقوال سلف الأمة في قضية التغلّب؟

تواتر القول عنهم في الحرص على دماء المسلمين والاجتماع مع من تغلب على الحكم.

قال الشافعي: «كلُّ في غلب على الخلافة بالسيف، حتى يسمى خليفة ويُجمعُ الناس عليه، فهو خليفة». مناقب الشافعي

وقال الإمام أحمد: والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة، واجتمع الناس عليه ورضوا به، ومنّ عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين». أصول السنة للإمام أحمد

٢٤٩٩. لماذا لم يحثّ العلماء على نصرة الحاكم المخلوع؟

لأنهم نظروا إلى المصلحة العامة، وحفظ دماء المسلمين من التقاتل، وثبات الأمان في البلاد، وعدم تعطيل مصالح وأشغال الناس، وهذا هو المقصد من وجود الحاكم، فالعبرة بوجوده وصفا وعملا، وليس بالنظر إلى ذات معينة.

٢٥٠٠. ما القول بأن (إرادة الشعب) فوق كل أمر؟

هذا القول قد يوصل صاحبه إلى الشرك! فهو لم ينظر للحكم الشرعي ليكون حاكما على الناس، ولكن جعل إرادة الشعب هي الحاكم والقائد في حياتنا.

٢٥٠١. هل شريعتنا تحضّ على وجود (حاكم) وصفاً، وليس بشخص الحاكم؟

نعم، فكل من كان على يديه حفظ مصالح المسلمين ورعاية أمورهم العامة فواجب حسن التعامل معه، وطاعته بالمعروف.

المبحث السابع

البيعة للحاكم

٢٥٠٢. ما المقصود من هذا العنوان؟

يُقصد به أن يكون عند المسلم مبايعة؛ أي عهدٌ بحسن السمع والطاعة للحاكم، كأن المبايع يعاهد أميرَه على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين.

٢٥٠٣. ما تعريف البيعة لغة؟

البيعة هي الصفقة على إيجاب البيع، وتقوم على الرضا والطاعة.

٢٥٠٤. هل هذا الأمر موجود في شريعتنا؟

نعم، لقول وفعل النبي ﷺ لمن حوله، فكان ﷺ يبايع الصحابة، ويقول لهم: (ألا تبايعوني على الإسلام؟).

٢٥٠٥. على ماذا كان يبايع النبي ﷺ الصحابة؟

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: دعانا النبيُّ ﷺ، فبايعناهُ، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السَّمْعِ والطاعة فِي مَنْشَطِنَا ومكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأمْرَ أَهْلَهُ إِلَا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ). متفق عليه

٢٥٠٦. هل البيعة واجب تحقيقها من كل فرد من الرعية؟

لا، فهي واجبة على أهل الحلّ والعقد في البلد، وباقي الناس يدخلون ضمنا في هذا.

٢٥٠٧. كيف تتحقق البيعة من عامة الناس للحاكم؟

تكون بحسن التعامل له، وكريم الاحترام للقوانين العامة بما يجعل البلد في هدوء واستتاب أمن.

٢٥٠٨. مـن يقـول بأنه لم يبايـع الحاكم، فـإذا الطاعه للحاكم غير واجبـة عليه، فما الرأي فيه؟

هـذا قول من يجهل الشـريعة، وأيضا فقه العلماء لما يتعلـق بالبيعة، وكيف كانت تتم للخلفاء.

٢٥٠٩. هل البيعة تكون لكل حاكم؟

تكون فقط للحاكم المسلم، ولو كان فيه ظلم للرعية.

٢٥١٠. ما خطورة عدم المبايعة لأي حاكم؟

يخشى أن يشمله الوعيد النبوي، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول اللـه ﷺ يقول: (مـن خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية). رواه مسلم

٢٥١١. ما الحكم في مسلم يعيش في دولة كافرة، كيف تكن المبايعة له؟

ليـس له بيعة لـه، لكن واجب عليه مراعاة قوانين الدولة التي لا تخالف الشـرع فيلتزم بها المسلم، ويحرص على الامتثال بها، ويحسن التعايش معهم بكل أمانة وصدق.

المبحث الثامن

الحكم بغير ما أنزل الله

المطلب الأول: مقدمة مهمة

٢٥١٢. ما المراد من هذا العنوان؟

يُراد به بيان ما النظرة الشرعية مع من لم يحكم بحكم شرعي.

٢٥١٣. ما الآيات المتعلقة بهذا الموضوع؟

من ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾
- وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)﴾
- وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)﴾

٢٥١٤. ما الواجب دراسته قبل النظر في آيات الحكم بغير ما أنزل الله؟

الواجب النظر هل الكفر يتفاوت، وكذا الظلم، وأيضا الفسق؟

٢٥١٥. ما بيان ما سبق التساؤل عنه؟

أي أن هناك كفرا أكبر، وكفرا أصغر لا يمكن الحكم على الإنسان بعده بالخروج عن ملة الإسلام، ومثل هذا للظلم والفسق.

٢٥١٦. هل الكفر يتفاوت؟

نعم، ولذا ورد عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنـزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾؛ قال: ليس بالكفر الذي يذهبون إليه».[١٤٧]، أي هو أكبر دون الأكبر.

٢٥١٧. ما مثال هذا التفاوت؟

١٤٧- أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٥٢٢/ ٥٧٤) بإسناد صحيح. «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للإلباني (٦/ ١١٤)

مثاله قول ربنا: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور: ٤)، فآية القذف لا تفيد أن القاذف الفاسق خرج عن ملة الإسلام.

٢٥١٨. ما أهمية التفصيل السابق؟

تظهر أهميته مع سماعنا لبعض الناس حينما يرمي بكل جرأة وسرعة لحكم التكفير على كل من لم يحكم بشرع الله، وهذا مسلك خطير دال على جهالة واضحة، وبغي على المجتمع المسلم، وعدم الرجوع لرأي العلماء.

٢٥١٩. ما مثال التسرّع لسوء الفهم للآيات السابقة في الفرق الإسلامية؟

من أمثلة هذا طائفة الخوارج، فقال الإمام السمعاني في تفسيره للآية: «واعلم أن الخوارج يستدلون بهذه الآية، ويقولون: من لم يحكم بما أنزل الله؛ فهو كافر، وأهل السنة قالوا: لا يكفر بترك الحكم».

٢٥٢٠. هل قضية الحكم بغير ما أنزل الله متوجهة فقط للحاكم؟

لا، هي ليست مقتصرة للحكام، فهي تشمل لكل من يحكم ولو على نفسه بأمرٍ لم يأمر الله به.

٢٥٢١. ما قول العلماء مع الآيات المتعلقة بالتحكيم لغير الله؟

قال إسماعيل بن سعد: «سألت أحمد: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾، قلت: فما هذا الكفر؟ قال: «كفر لَا يخرج من الملة».[١٤٨]

٢٥٢٢. أين اللبس في أذهان من يسارع للحكم بتكفير من لم يحكم بشرع الله من المسلمين؟

أوضح هذا الإمام الأصولي الشاطبي، فقال: «هذه الآية والآيتان بعدها نزلت في الكفار، ومن غيّر حكم الله من اليهود، وليس في أهل الإسلام

١٤٨- سؤالات ابن هاني (٢/ ١٩٢)

منها شيء؛ لأن المسلم –وإن ارتكب كبيرة– لا يُقال له: كافر».[149]

٢٥٢٣. ما توجيه القول مع من يحتج بأن الآيات وإن جاءت في غير المسلمين، لكن الحكم يعمّ كل فاعل؟

هذا قول صحيح، لكن له توجيه مهم، فقال ابن حجر: «إن الآيات، وإن كان سببها أهل الكتاب، لكن عمومها يتناول غيرهم، لكن لما تقرر من قواعد الشريعة: أن مرتكب المعصية لا يسمى: كافراً، ولا يسمى – أيضاً – ظالماً؛ لأن الظلم قد فُسر بالشرك، بقيت الصفة الثالثة»؛ يعني الفسق».[150]

٢٥٢٤. هل التكفير السابق يُراد به التكفير للأعيان؟

الكلام السابق هو من باب التكفير بالوصف، ولا ينطبق على الأعيان إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع، فإن تكفير الأعيان بلية لا يطيق أي مسلم تحملها، ومسئولية عظيمة يعجز الكاهل عنها، واللسان عن قولها والقلم عن كتابتها، وإنما المقصود الحكم العام، وقد تقرر لنا أن الحكم العام لا ينطبق على الأعيان إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع.

٢٥٢٥. ما القول مع من يتكرر منه الحكم بغير ما أنزل الله؟

قال الشيخ عبد المحسن العباد البدر: «يبدو أنه لا فرق بين الحكم في مسألة، أو عشرة، أو مئة، أو ألف – أو أقل أو أكثر – لا فرق؛ ما دام الإنسان يعتبر نفسه أنه مخطىء، وأنه فعل أمراً منكراً، وأنه فعل معصية، وانه خائف من الذنب، فهذا كفر دون كفر.

وأما مع الاستحلال – ولو كان في مسألة واحدة، يستحل فيها الحكم بغير ما أنزل الله، يعتبر نفسه حلالاً–؛ فإنه يكون كافراً».[151]

٢٥٢٦. هل من الأهمية الرجوع لأقوال العلماء في مسائل التكفير في جانب الحكم؟

١٤٩– الموافقات (٤/ ٣٩)

١٥٠– «فتح الباري» (١٣/ ١٢٠)

١٥١–سُئل في المسجد النبوي في درس شرح سنن أبي داود بتاريخ: ١٦/ ١١/ ١٤٢٠

نعـم، فمن يقرأ توجيهاتهم سـيعلم رسـوخ علمهم، ومن مثـال هذا ما قاله الإمـام الشـنقيطي: «واعلـم: أن تحريـر المقـال في هـذا البحـث: أن الكفر والظلـم والفسـق، كل واحـد منها أطلق في الشـرع مراداً بـه المعصية تارة، والكفـر المخـرج من الملة أخرى: ﴿وَمَـن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنـزَلَ اللَّهُ﴾ معارضاً للرسل، وإبطالاً لأحكام الله؛ فظلمه وفسقه وكفره كلها مخرج من الملة. ﴿وَمَـن لَّـمْ يَحْكُم بِمَا أَنـزَلَ اللَّهُ﴾ معتقداً أنه مرتكب حراماً، فاعل قبيحاً، فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج من الملة».[١٥٢]

المطلب الثاني: قواعد مهمة

٢٥٢٧. ما القواعد المتعلقة بهذا الجانب العظيم؟

من تلك القواعد المهمة المتعلقة بهذا الأمر

الأولى: الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم.

٢٥٢٨. ما المفهوم من هذه القاعدة؟

أن التحاكم إلى شرع الله واجب على كل مسلم مكلف.

٢٥٢٩. ما دليل هذه القاعدة؟

دليلها قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥)

٢٥٣٠. هل الحكم بشرع الله واجب؟

نعم، دليله: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (المائدة:٤٩)

٢٥٣١. عدم التحاكم إلى شرع الله، ما عاقبته؟

لـه عواقـب وخيمة، قـال تعالـى: ﴿ فَلْيَحْـذَرِ الَّذِيـنَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْـرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (النور:٦٣)

١٥٢- في «أضواء البيان» (٢/ ١٠٤)

الثانية: وقوع المرء في شيئ من المكفرات لا يلزم منه كفره.

٢٥٣٢. ماذا تعني هذه القاعدة؟

تعني أنه لا يلزم من فعل أمرا من المكفرات إطلاق الحكم على فاعله.

٢٥٣٣. ما قول العلماء في هذا الجانب؟

قال ابن تيمية: «وليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وان أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»[١٥٣].

٢٥٣٤. ما المقصود بإقامة الحجة؟

إقامة الحجة تعني التأكد من توفر شروط تكفير المعين في ذلك الإنسان؛ كالعلم المنافي للجهل، والقصد المنافي للخطأ، والاختيار لمنافي للإكراه، وعدم التأويل المنافي لوجود التأويل السائغ.

الثالثة: كفر الحاكم لا يلزم منه الخروج عليه.

٢٥٣٥. متى يجوز الخروج على الحاكم؟

يجوز الخروج على الحاكم إذا توافرت خمسة شروط:

١- وقوعه في الكفر البواح، الذي عندنا من الله فيه برهان.

٢- إقامة الحجة عليه.

٣- القدرة على إزالته.

٤- القدرة على تنصيب مسلم مكانه.

٥- ألا يترتب على هذا الخروج مفسدة على المسلمين أعظم من مفسدة بقائه.

٢٥٣٦. ما القاعدة الفقهية المتعلقة بهذا الجانب؟

القاعدة الشرعية تنص: (لايجوز إزالة الشر بما هو أشرّ منه).

١٥٣- الفتاوى (١٢/ ٤٦٦)

٢٥٣٧. ماذا يفعل من كان الحاكم عنده كافرا؟

قال ابن تيمية: «فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف، أو في وقت هو فيه مستضعف، فليعمل بآية الصبر و الصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب و المشركين، و أما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون».[١٥٤]

٢٥٣٨. هل قرر هذا علماؤنا في زماننا المعاصر بمثل ما سبق؟

نعم، قال ابن عثيمين عن الخروج على الحاكم الكافر: « إن كنا قادرين على إزالته فحينئذ نخرج، وإذا كنا غير قادرين فلا نخرج؛ لأن جميع الواجبات الشرعية مشروطة بالقدرة والاستطاعة، ثم إذا خرجنا فقد يترتب على خروجنا مفسدة أكبر وأعظم مما لو بقي هذا الرجل على ما هو عليه، لأننا [لو] خرجنا ثم ظهرت العزة له؛ صرنا أذلة أكثر وتمادى في طغيانه وكفره أكثر».[١٥٥]

الرابعة: الأصل في الأعمال المخالفة للشرع عدم التكفير، والتكفير طارىء على هذا الأصل، ناقل عنه.

٢٥٣٩. ماذا تعني هذه القاعدة؟

تعني أن جميع الأعمال المخالفة للشرع غير مكفّرة، إلا ما دل الدليل على التكفير به.

٢٥٤٠. هل يتفرّع على ما سبق أي أمور؟

نعم، يتفرع من هذه القاعدة مسألتان:

١/ من أراد نقل عمل من الأعمال منهي عنه من أصله (عدم الكفر) إلى خلاف أصله (الكفر) فيلزمه الدليل، فإن لم يأت بدليل فلا عبرة بما قال.

٢/ من أراد عدم التكفير بعمل من الأعمال المنهي عنها، فيكفيه الاستدلال بالأصل، وعدم وجود الدليل الذي ينقل من ذلك الأصل.

١٥٤-الصارم المسلول (٢/ ٤١٣)

١٥٥- الباب المفتوح ٣/ ١٢٦ ، لقاء ٥١ ، سؤال ١٢٢٢)

٢٥٤١. ما القاعدة الشرعية المتعلقة بهذا الجانب؟

القاعدة: (اليقين لا يزول بالشك).

٢٥٤٢. ما تقرير العلماء لهذا الجانب؟

قال ابن عبد البر: « كلٍ من ثبت له عقد الإسلام في وقت بإجماع من المسلمين، ثم أذنب ذنباً، أو تأوّل تأويلاً، فاختلفوا بعدُ في خروجه من الإسلام، لم يكن لاختلافهم بعدَ إجماعهم معنى يوجب حجة، ولا يخرج من الإسلام المتفق عليه إلا باتفاق آخر، أو سنة ثابتة لا معارض لها».[١٥٦]

الخامسة: الحكم بغير ما أنزل الله لا تختص بأحد دون أحد.

٢٥٤٣. ماذا تعني هذه القاعدة؟

تعني أن الحكم بغير ما أنزل الله لا يختص في أحكامه بأحد دون أحد، فهي ليس فقط متعلقة بالحاكم الأعلى، لكنها تشمل القاضي والأمير، وكل من حكم بين إثنين.

٢٥٤٤. ما تقرير العلماء في هذا؟

قال ابن تيمية: « وكل من حكم بين اثنين فهو قاض، سواءً كان صاحب حرب، أو متولِّي ديوان، أو منتصباً للاحتساب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط؛ فإن الصحابة كانوا يعدُّونه من الحكام».[١٥٧]

٢٥٤٥. ماذا يلزم من التقرير السابق؟

يلزم أن الحكم على الأمير يتحقق في غيره، ومن كفر في أي صورة من صور المسألة السابقة لزمه أن يكفر كل من وقع في تلك الصورة، أميرا كان أو غير أمير.

١٥٦- التمهيد (١٦/ ٣١٥)

١٥٧- الفتاوى (١٨/ ١٧٠)

السادسة: الإجمال سبب في كثير من الإشكالات.

٢٥٤٦. ما أهمية معرفة هذه القاعدة؟

قال ابن تيمية: «وأما الألفاظ المجملة، فالكلام فيها بالنفي والإثبات دون الاستفصال، يوقع في الجهل والضلال والفتن والخبال والقيل والقال».[١٥٨]

٢٥٤٧. ما الواجب على كل مسلم مع الألفاظ المحتملة لأكثر من معنى؟

الواجب التفصيل في أي مسألة فصلتها الأدلة الشرعية، ولا يصح إطلاق الأحكام على الأفعال دون اعتبار التفصيل الذي اقتضاه الدليل.

المطلب الثالث: حالات وقوع الكفر الأكبر

٢٥٤٨. ما المقصود من هذا المطلب؟

بيان الحالات والأحوال التي يحكم من بعدها على الواقع فيها أن كافر كفرا أكبر.

٢٥٤٩. ما الحالات التي يمكن الحكم عليها أنها من الكفر الأكبر؟

من تلك الحالات: الاستحلال- الجحود- التكذيب- التفضيل- المساواة- التبديل- الاستبدال- التقنين- التشريع العام.

الأولى: الاستحلال

٢٥٥٠. ما معنى الاستحلال؟

الاستحلال أمر قلبي؛ وذلك أن حقيقته هي: اعتقاد حل الشيء.

قال ابن تيمية رحمه الله: «والاستحلال: اعتقاد أنها حلال له».[١٥٩]

وقال ابن القيم: «فإن المستحلّ للشيء هو: الذي يفعله معتقدًا حله».[١٦٠]

١٥٨- منهاج السنة (٢/ ٢١٧)

١٥٩- الصارم المسلول (٣/ ٩٧١)

١٦٠- إغاثة اللهفان (١/ ٣٨٢)

٢٥٥١. ما صورة هذا الأمر؟

صورته: أن يحكم بغير ما أنزل االله معتقدا أن الحكم بغير ما أنـزل االله أمر جائز غير محرم.

٢٥٥٢. ما حكم هذا الفعل؟

حكمها: اتفقوا على أن هذه الحالة مكفرة الكفر الأكبر .

٢٥٥٣. ما دليل هذا الحكم؟

دليل هذا أمران:

الأول: اتفاق أهل السـنة على كفر من إسـتحل شيئا من المحرمات ، قال ابن تيمية: «من فعل المحارم مستحلاً لها فهو كافر بالاتفاق».[١٦١]

الثانـي: اتفـاق أهل السـنة علـى كفر من اسـتحل الحكم بغيـر ما أنـزل االلـه، قـال ابن تيمية: «والإنسـان متـى حلل الحرام المجمـع عليه، أو حرّم الحلال المجمع عليه، أوبدل الشرعالمجمع عليه:كان كافرًا مرتدًا باتفـاق الفقهـاء، وفي مثل هذا نزل قوله تعالـي – على أحـد القـولين – ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ(٤٤)﴾ (المائدة)، أي: هو المستحل للحكم بغيرماأنزل االله».[١٦٢]

٢٥٥٤. ما أنواع الاستحلال؟

إلى قسمين: القلبي – الفعلي.

٢٥٥٥. هل الاستحلال الفعلي يقود إلى الكفر الأكبر؟

قـال ابـن عثيمين رحمـه االلـه : « وأمـا الاسـتحلال الفعلي فينظـر: لو أن الإنسـان تعامل بالربا، لا يعتقد أنه حلال لكنـه يصر عليه؛ فإنه لايكفر؛ لأنه لايستحله».[١٦٣]

١٦١- الصارم المسلول (٣/ ٩٧١)

١٦٢- الفتاوى(٣/ ٢٦٧)

١٦٣- الباب المفتوح (٣/ ٩٧)، لقاء٥٠، سؤال١١٩٨)

٢٥٥٦. كيف نعرف الاستحلال القلبي؟

لا يمكن هذا إلا بالتصريح بما في النفس.

٢٥٥٧. ما الدليل على التقرير السابق، وأن الأفعال لا تعتبر من القرائن على تكفير الفاعل للكفر؟

لا أثر للقرائن في الحكم على صاحب الفعل بالاستحلال، ودليل ذلك في قصة الرجل الذي قتل نفرًا من المسلمين، ولما تمكن منه أسامة رضي االله عنهما نطق بالشهادة، فقتله أسامة ظنا منه أنه إنما قالها تخلصا من السيف، فأنكر عليه النبي ﷺ، وقال: «أقتلته بعد ماقال لاإله إلاالله؟!» قال أسامة: فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ). متفق عليه

٢٥٥٨. ما وجه الاستدلال من هذا الحديث؟

فلوكان الأخذ بالقرائن معتبرًا في الحكم على مافي القلوب لكان اجتهاد أسامة بن زيد رضي االله عنهما أولى بهذا الاعتبار؛ فقد اجتمع في ذلك الرجل من القرائن التي تقوي القول بعدم صدق إسلامه ما لا يكاد أن يجتمع في غيره، ومع هذا فقد ألغى النبي ﷺ اجتهاد ذلك الصحابي الجليل، ولم يقبل منه أخذه بالقرائن للحكم على ما في القلوب ، فاجتهاد غير الصحابي أولى بالإلغاء.

٢٥٥٩. ماذا نستفيد من إحدى روايات الحديث: «هلا شققت عن قلبه»؟

قال الخطابي رحمه االله: «وفي قوله ﷺ (هلا شققت عن قلبه) دليل على أن الحكم إنما يجري على الظاهر، وأن السرائر موكولة الى االله سبحانه».[١٦٤]

٢٥٦٠. إذا كان الظاهر عند إنسان فعل المحرمات وأنه يستحلها، فلماذا لا نسارع إلى تكفيره؟

لا يمكن هذا، وعلل ابن تيمية السبب فقال: «وكذلك الإيمان ؛ له مبدأ وكمال ، وظاهر وباطن؛ فإذا علقت به الأحكام الدنيوية ؛ من الحقوق والحدود – كحقن الدم والمال والمواريث والعقوبات الدنيوُية – علقت

١٦٤- معالم السنن (٢/ ٢٣٤)

بظاهره، ولا يمكن غير ذلك؛ إذ تعليق ذلك بالباطن متعذر، وإن قدر أحيانا؛ فهو متعسر علما وقدرة، فلا يُعلم ذلك علما يثبت به في الظاهر، ولا يمكن عقوبة من لم يعلم ذلك منه في الباطن». [165]

٢٥٦١. المداومة على فعل المنكرات والمكفرات، هل يعتبر هذا دلالة على الاستحلال؟

لا، فالمداومة أو الإصرار على فعل ليس بدليل لتحقق الاستحلال.

٢٥٦٢. ما برهان هذا التقرير؟

برهان هذا يظهر من وجوه أربعة، وهي:

الأول: لم يقل به أحد من أهل العلم المتقدمين ، ولو كان حقا لسبقونا إليه.

الثاني: يلزم منه تعارض دليلين من الإجماع:

١. الإجماع على عدم كفر أهل الذنوب، قال ابن عبد البر: «اتفق أهل السنة والجماعة–وهم أهل الفقه والأثر– على أن أحدًا لا يخرجه ذنبه–وإنعظم–من الإسلام » [166] ، وهذا الإجماع مطلق لا قيد فيه ، فيعم المذنب المداوم والمصر.

٢. الإجماع على كفر من استحلال ذنب، قال ابن تيمية رحمهاالله: «من فعل المحارم مستحلاً لها فهو كافر بالاتفاق». [167]

فإطلاقهم الإجماع على عدم كفر أهل الذنوب، مع إجماعهم على كفر من استحل محرما؛ دليل على عدم اعتبار المداومة والإصرار استحلالا.

الثالث: يلزم منه تكفير أهل الذنوب ، وذلك ما أجمع أهل السنة على خلافه، فمن قارف الذنب دهره، وداوم عليه، وأصر عليه – بفعله –: فهو كافر عند من قرر ذلك؛ لأنه يراه مستحلاً ما حرم االله، وليس

١٦٥– الفتاوى(٧/ ٤٢٢)

١٦٦- التمهيد (١٦/ ٣١٥)

١٦٧- الصارم المسلول (٣/ ٩٧١)

بكافر بإجماع أهل السنة.

الرابع: أن حقيقة الاستحلال هي اعتقاد الحل، ولا يمكن أن يصار إلى معرفة الاعتقاد – معرفة يقينية – إلا بإفصاح صاحب ذلك الاعتقاد عما في نفسه، ولذلك فإننا نجد من العصاة اعترافًا بالذنب وتأثرا من النصيحة وربما يعزم أحدهم على التوبة كثيرًا، والاستحلال لا يتصور مع الإقرار بالذنب.

الثاني: الجحود

٢٥٦٣. ما المقصود من هذا الجانب؟

أن يحكم إنسان بغير ما أنزل الله جاحدا حكم الله تعالى.

٢٥٦٤. ما معنى الجحود في اللغة؟

قال الراغب الأصفهاني: «الجحود: نفي ما في القلب إثباته، وإثبات مافي القلب نفيه».[١٦٨]

وقال الفيروزآبادي: «جحده: ... أنكره مع علمه».[١٦٩]

٢٥٦٥. كيف نفهم الجحود؟

الجحود أمر قلبي، وحقيقته أن ينكر الشيء بظاهره مع الإقرار به في باطنه.

٢٥٦٦. ما الدليل على هذا الصنيع يدخل في حيز الكفر الأكبر؟

دليل ذلك أمران:

الأول: اتفاق أهل السنة على كفر من جحد شيئًا من دين الله، قال ابن باز: «وهكذا الحكم في حق من جحد شيئا مما أوجبه االله ... فإنه كافر مرتد عن الإسلام بإجماع أهل العلم».[١٧٠]

الثاني: اتفاق أهل السنة على كفر من جحد وجوب الحكم بما أنزل االله،

١٦٨- المفردات (ص:٩٥)، جحد

١٦٩- القاموس المحيط (١/ ٣٨٩)

١٧٠- الفتاوى (٧/ ٧٨)

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه االله في هذه الحالة:«وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم...فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة». [171]

٢٥٦٧. **إذا كان الجحود أمرا قلبيا، فهل يمكن الحكم على مسلم أنه جاحد؟**

ما كان أمرا قلبيًا فإنه لا يعرف إلا بالتصريح بما في النفس.

٢٥٦٨. **هل يمكن لاستفادة من القرائن على تحقق الجحود؟**

لا أثر للقرائن في الحكم على صاحب الفعل بأنه جاحد.

٢٥٦٩. **لو استعمل إنسان وصف الجحود على غيره، فهل هذا يستلزم دخوله في التكفير؟**

لا، فقد يصف أهل العلم بعض العصاة بالجحود وذلك بالنظر المجرد لفعله ولو لم يقترن به اعتقاد قلبي، لكنهم لا يقولون بكفره، فهذا التعبير – وإن كان موجودًا – إلا أنه توسع في العبارة، ولا يراد به التكفير، فلايحتج به.

الثالث: التكذيب

٢٥٧٠. **ما صورة هذا الأمر في الوقوع؟**

أن يحكم بغير ما أنزل االله مكذبًا حكم االله.

٢٥٧١. **ما حكم هذا الصنيع؟**

اتفقوا على أن هذه الحالة مكفرة الكفر الأكبر .

٢٥٧٢. **ما دليل هذا الحكم؟**

دليل ذلك:اتفاق أهل السنة على كفر من كذب الله ورسوله.

٢٥٧٣. **ما قول العلماء في هذا؟**

قال ابن تيمية رحمه االله : «ثم يقال لهم: إذا قلتم (هو التصديق بالقلب أو باللسان أوبهما)، فهل هوالتصديق المجمل؟ أو لابد فيه من التفصيل؟

---

١٧١ – تحكيم القوانين (ص: ١٤)

فلـو صـدق أن محمـدًا رسـول االله، ولـم يعرف صفات الحـق؛ هل يكون مؤمنًـا؟ أم لا؟ فـإن جعلـوه مؤمنا؛ قيـل: فإذا بلغه ذلك فكّذب به؛ لـم يكن مؤمناً باتفاق المسلمين». [172]

وقال رحمه االله: «فكل مكذب لما جاءت به الرسل فهو كافر». [173]

الرابع: التفضيل

٢٥٧٤. ما صورة هذا الأمر؟

صورتـه: أن يحكـم بغير مـا أنزل الله معتقـدا أن حكم غيـر الله أفضل من حكم الله.

٢٥٧٥. ما حكم هذا الصنيع؟

حكمها : اتفق العلماء على أن هذه الحالة مكفرة الكفر الأكبر .

٢٥٧٦. ما دليل هذا الحكم؟

دليل ذلك أمران :

الأول: أن معتقد هذا مكذب لقـول االله عـز وجـل:﴿ وَمَنْ أَحْسَـنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة:٥٠)، أي: لاأحد أحسن من الله حكما.

الثانـي: الأجمـاع، قال ابن بـاز رحمـه االله : «من حكم بغيـر مـا أنـزل االله يـرى ذلـك أحسن من شرع الله فهو كافر عند جميع المسلمين».١٧٤

٢٥٧٧. مجرد الاعتقاد بهذا الأمر هل يدخل معتقده في دائرة الكفر الأكبر؟

نعـم، يكفرفـي هذه الحالة ولو لـم يحكم بغير ما أنزل الله، مـادام يعتقد أن حكم غير الله تعـالى أفضل من حكم االله تعالى.

٢٥٧٨. ما موطن التفضيل في الإنسان؟

١٧٢- الفتاوى (٧/ ١٥٢)

١٧٣- الفتاوى (٢/ ٧٩)

١٧٤- الفتاوى (٤/ ٤١٦)

التفضيل أمر قلبي ؛ وذلك أن حقيقته : أن يعتقد أفضلية أمر على آخر .

٢٥٧٩. إذا كان التفضيل أمرا قلبيا فكيف معرفته في الإنسان؟

ما كان أمراً قلبياً فإنه لا يعرف إلا بالتصريح بما في النفس.

٢٥٨٠. هل يمكن الاعتماد على القرائن الدالة على التفضيل للحكم بالكفر؟

لا أثر للقرائن في الحكم على صاحب الفعل بأنه مفضل.

٢٥٨١. استعمال بعض العلماء مصطلح تفضيل أو تقديم طاعة الشيطان على بعض الناس، هل يعني هذا تكفيرهم للعاصي؟

لا يستلزم هذا، فهذا التعبير -وإن كان موجودًا- إلا أنه توسّع في العبارة، ولا يراد به التكفير، فلايُحتج به.

الخامس: المساواة

٢٥٨٢. ما المقصود بهذا العنوان؟

أن هناك من يحكم بغير ما أنزل الله، معتقدا تساوي حكم غير الله مع حكم الله تعالى.

٢٥٨٣. ما حكم هذا الصنيع؟

اتفق العلماء أن هذه الحالة مكفرة الكفر الأكبر.

٢٥٨٤. ما دليل التقرير السابق؟

دليله: أن معتقد هذا مكذّب لقول الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة٥٠)،أي:لا أحد أحسن من الله حكما.

قال ابن باز رحمه الله معلقاً على الناقض الرابع من نواقض الإسلام: «ويدخل في القسم الرابع: من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أنها مساوية لها ، أو أنه يجوز التحاكم إليها»).[١٧٥]

٢٥٨٥. من لم يحكم بغير ما أنزل الله، هل نحكم عليه بالكفر؟

١٧٥- الفتاوى (١/ ١٣٢)

نعـم، يكفـر في هذه الحالـة ولو لـم يحكم بغير مـا أنزل االله، مـا دام يعتقد مساواة حكـم البشر مع حكم االله تعالى.

٢٥٨٦. اعتقاد المساواة أمرا قلبيا، كيف السبيل إلى معرفة هذا في أي إنسان؟

اعتقاد المســاواة أمر قلبي؛ وذلك أن حقيقته: أن يعتقد التســاوي بين أمرين، وما كان أمراً قلبياً فإنه لا يعرف إلا بالتصريح بـما في الـنفس.

٢٥٨٧. هل ممكن الاعتماد على القرائن للحكم بالتكفير؟

لا أثر للقرائن في الحكـم على صـاحب الفعل بأنـه يعتقـد المسـاواة.

سادسا: التبديل

٢٥٨٨. ما صورة هذا الفعل؟

أن يحكم بغير ما أنزل الله تعالى ويزعم أن ماحكم به هو حكم الله.

٢٥٨٩. ما حكم هذا الصنيع؟

حكمها : اتفق العلماء على أن هذه الحالة مكفرة الكفر الأكبر .

٢٥٩٠. ما دليل الحكم السابق؟

دليـل ذلك: الإجماع، قـال ابن تيمية رحمـه االله: «والإنســان متى حلل الحــرام المجمع عليـه، أو حرم الحلال المجمع عليه، أو بدل الشـرع المجمع عليه كان كافرا مرتدًا باتفاق الفقهاء».[١٧٦]

٢٥٩١. هل هذا الجانب له ارتباط بما سبق من حالات؟

الكفر في هذه الحالة له تعلق بحالة الجحـود؛ فإن نسـبته حكمـه إلى حكـم االله تعـالى تتضمن جحده حكـم االله تعالى الذي تركه.

٢٥٩٢. هذا النوع، هل يشترط وقوعه في حكم واحد، أو جميع الأحكام؟

يكـون الحاكـم كافـرًا في هـذه الحالة ولـو بدّل في مسـألة واحـدة، أو مرة

١٧٦- الفتاوى (٣/ ٢٦٧)

واحـدة، فلا عبرة بالعـدد؛ لأن الإجماع لم يقيد بذلك، ولا يصح تقييد الدليل بلا دليل.

٢٥٩٣. هل يشترط نسبة الحكم المبدل إلى الله؟

نعم، وقد أوضح هذه القضية العلماء من وجهين:

الأول: قـال ابـن العربـي – ونقله الشـنقيطي عن القرطبي مقراً لـه – : «إن حكم بما عنده على أنه من عند االله فهو تبديل له يوجب الكفر».[١٧٧]

الثانـي: قـال ابن تيمية رحمه الله: «الشـرع المبدَّل: وهو الكـذب على االله ورسـوله، أو على الناس بشهادات الزور ونحوها والظلم البين، فمن قـال: (إن هـذا مـن شرع االله) فقدكفربلانزاع».[١٧٨]

٢٥٩٤. ما تعليل الأقوال السابقة؟

أقول: فقد فسـر المبدل بأنه الحكم المزعوم بأنه مـن عنـد االله، وسـماه كـذب عـلى الله ورسوله،ونص علىقول الزاعم: (هذامن شرع الله).

٢٥٩٥. هل القضية في هذا الجانب هي مجرد الاستبدال؟

لو كان التغيير المجرد هو التبديل للزِم من هذا تعارض إجماعين :

١. الإجمـاع على كفـر المبدل، وهوإجماع مطلق لاقيد فيـه، قال ابـن تيمية رحمهـا اللـه: «والإنسـان متى حلـل الحـرام المجمع عليـه، أو حرم الحـلال المجمـع عليه، أو بـدل الشـرع المجمـع عليه كان كافـرًا مرتدًا باتفاق الفقهاء».[١٧٩]

٢. الإجماع علىعدم كفر من جار في الحكم، قال ابن عبد البر رحمه االله: «وأجمـع العلماء على أن الجور فـي الحكم من الكبائر لمن تعمد ذلك عالما به».[١٨٠]

١٧٧- أحكام القرآن (٢/ ٦٢٥)، أضواء البيان (١/ ٤٠٧/ ١)

١٧٨- الفتاوى (٣/ ٢٦٨)

١٧٩- الفتاوى (٣/ ٢٦٧)

١٨٠- التمهيد (١٦/ ٣٥٨)

٢٥٩٦. ماذا نستفيد من التقرير السابق؟

نستفيد وجوب القطع بأن صورة التبديل ليست استبدالاً مجردًا، لإطلاقهم الإجماع على التكفير بالتبديل، مع إجماعهم على عدم التكفير بالجور الذي هو استبدال مجرد من نسبة الحكم الجديد للدين.

٢٥٩٧. كيف يمكن التبيين بأن الاستبدال ليس هو التبديل؟

لو لم يكن التبديل غير الاستبدال، للزم من هذا تكفير أصحاب الذنوب، كحالق اللحية، ومسبل الإزار خيلاء؛ لأن كل واحد منهم قد قام بالاستبدال؛ حيث أبدل حكم االله بحكم هواه.

قال ابن حزم رحمه االله : «فإن االله عز وجل قال :﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ (المائدة) ، وقال تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)﴾ (المائدة)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)﴾ (المائدة)؛ فليُلزَم المعتزلة أن يصرحوا بكفر كل عاص وظالم وفاسق، لأن كل عامل بالمعصية فلم يحكم بما أنزل االله»).[١٨١]

٢٥٩٨. ما القول مع ما ذكره البخاري: «فلم يلتفت أبو بكر إلى مشورة إذ كان عنده حكم رسول االله ﷺ في الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة وأرادوا تبديل الدين»؟[١٨٢]

الإمام البخاري أراد قوماً وقعوا في التبديل بالمعنى الذي تم تقريره؛ حيث زعموا أن ترك الزكاة من الدين، واستدلوا على أن الزكاة لا تؤدى إلا للرسول ﷺ بقول االله تعالى:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ (التوبة ١٠٣).

وبرهان ذلك فيما قال ابن حجر: «قال القاضي عياض وغيره: كان أهل الردة ثلاثة أصناف ... وصنف ثالث استمروا على الإسلام، لكنهم جحدوا الزكاة وتأوّلوا بأنها خاصة بزمن النبي ﷺ، وهم الذين ناظر عمر أبا بكر في قتالهم كما وقع في حديث الباب».[١٨٣]

١٨١- الفصل (٣/ ٢٧٨)

١٨٢- الصحيح «قبل الحديث رقم٧٣٦٩)

١٨٣- فتح الباري (١٢/ ٢٨٨)، قبل الحديث رقم ٦٩٢٤

المطلب الرابع: أفعال لا تصل إلى الكفر الأكبر

أولا: الاستبدال

٢٥٩٩. ما صورة هذا الأمر؟

صورتها: أن يحكم بغير ما أنزل االله مجردا عما تقدم .

٢٦٠٠. ما معنى هذا القول؟

أي أنـه يبـدل حكــم االله تعـالـى بحكـم غيـره، ولا يكـون مسـتحلاً، ولا جاحــدا، ولامكذبًا، ولامفضلاً، ولامسـاويًا، ولاينسـب الحكم الذي جاء به لدين الله.

٢٦٠١. ما حكمه؟

حكمها: الكفرالأصغر، لاتخرج من ملة الإسلام.

٢٦٠٢. ما دليل التقرير السابق؟

دليل ذلك أمران :

١ . إجماعهــم علىعدم تكفيـر الجائر، قال ابن عبد البــر: «وأجمع العلـماء عـلـى أن الجـور في الحكم من الكبـائر لمن تعمـد ذلـك عالما بـه»[١٨٤] ، والجائر هو المسـتبدل، إذ لا فرق بينهما؛ حيـث إنه ما أصبح جائرا إلا بعدما استبدل.

٢ . عـدم وجود دليـل يوجب الكفر الأكبـر، بحيث نرد بـه الإجماع المتقدم ونخرج به هذا المسلم من إسلامه الذي دخله بيقين.

٢٦٠٣. ما الفرق بين التبديل والاستبدال؟

يمكـن إجمـال الفرق في وجهين :

الأول وهو في صورة المسـألة: أن المبدل يزعم أن مـا جـاء بـه هـو حكـم االله تعـالـى، أما المستبدل فلا يزعـم ذلك.

١٨٤- التمهيد (١٦/ ٣٥٨)

والثاني وهو في حكم المسألة: أن المبدل كافر بإجماع أهل العلم، أما المستبدل فلا دليل على تكفيره.

٢٦٠٤. من وقع في كفر الاستبدال ماذا يلزم عليه؟

من كفر بالاستبدال لزمه التكفير بمجرد ترك الحكم بما أنزل االله، لأنه لا يتصور أن يكون المرء حاكما وتاركًا لحكم الله عز وجل، ثم يجلس بين قومه من دون أن يحكم بشيء! فأصبح حكم الاستبدال كحكم الترك - تماما - بلا فرق .

٢٦٠٥. الترك لأي واجب هل يدخل في حكم التكفير؟

التكفير بالترك المجرّد لم يقُل به أحد من أهل السنة، بل يتعارض مع أثر عبد الله بن شقيق رحمه الله: «كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة». رواه الترمذي والحاكم

٢٦٠٦. إن قيل : أليس التكفير بالترك هو ظاهر قول الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) ﴾ (المائدة)؟

بلى، هو ظاهر الآية، ولكن أهل السنة والجماعة أجمعوا على عدم الأخذ بهذا الظاهر، بل نسبوا أخذ الآية على ظاهرها إلى الخوارج والمعتزلة.

٢٦٠٧. ما قول العلماء في هذا الجانب؟

- قال الآجري رحمه االله: «ومما يتبع الحرورية من المتشابه قول الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾، ويقرؤون معها: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: ١)، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر! ومن كفر فقد عدل بربه! فهؤلاء الأئمة مشركون! فيخرجون فيفعلون مارأيت، لأنهم يتأولون هذه الآية».[١٨٥]

- وقال ابن عبد البر رحمه االله : «وقد ضلت جماعة من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة في هذا الباب فاحتجوا بهذه الآثار ومثلها في تكفير

١٨٥- الشريعة (ص: ٤٤)

المذنبين، واحتجوا من كتاب االله بآيات ليست على ظاهرها مثل قوله عز وجل: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾.[186]

- وقال القرطبي رحمه االله: «﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾: (يحتج بظاهره من يكفر بالذنوب، وهم الخوارج، ولا حجة لهم فيه».[187]

- وقال أبو حيان الأندلسي رحمه االله: «واحتجت الخوارج بهذه الآية على أن كل من عصى االله تعالى فهو كافر، وقالوا: هي نص في كل من حكم بغير ما أنزل الله؛ فهو كافر، وكل من أذنب فقد حكم بغير ما أنزل الله؛ فوجب أن يكون كافراً».[188]

- وقال محمد رشيد رضا رحمه االله: «أما ظاهر الآية لم يقل به أحد من أئمة الفقه المشهورين، بل لم يقل به أحد».[189]

ثانيا: التقنين.

٢٦٠٨. ما صورة ها الفعل؟

صورتها:أن يحكم بغير ما أنزل الله بحكم هو أتى به من عنده.

٢٦٠٩. كيف يتحق هذا التصرف؟

أن يكون هو الذي اخترع ذلك الحكم أو القانون، ولا يكون مستحلاً، ولا جاحداً، ولامكذبا، ولامفضلاً، ولامساويًا، ولاينسب الحكم الذي جاء به لدين الله.

٢٦١٠. ما حكم هذا الصنيع؟

١٨٦- التمهيد (١٦/ ٣١٢)

١٨٧- المفهم (٥/ ١١٧)

١٨٨- البحر المحيط (٣/ ٤٩٣)

١٨٩- تفسير المنار (٦/ ٣٣٦)

حكمه:الكفر الأصغر، أي لا يخرج من ملة الإسلام.

٢٦١١. ما دليل هذا القول؟

دليله عدم وجود دليل يوجب تكفيره، فالشريعة لم تعلّق الكفر الأكبر على مصدر الحكم، كما أن الأدلة لم تفرق بين من حكم بحكم غيره ومن حكم بحكم نفسه، ولو كان هذا التفريق حقًا لما أغفلته الشريعة ، ولورد في الأدلة الشرعية ما يعضده.

٢٦١٢. هل الذي يخترع قوانين يعد فعله منازعة لله تعالى في شيئ من خصائه؛ وهو التشريع؟

الواجب التفصيل في هذا، لأن المقنن لا يخلو من حالتين:

الأولى: أن يقوم بالعمل ويدعي لنفسه حق التشريع بالتصريح لا بمجرد الفعل؛ فهذا كافر الكفر الأكبر بلا شك؛ لأنه مستحل لأمر حرمه االله تعالى .

الثانية: أن يقوم بالعمل، ولا يدّعي لنفسه ذلك؛ فهذا لا يكفر لثلاثة أمور:

١. لادليل على كفره.
٢. عدم تكفير أهل السنة لصديق السوء الذي يقنن للذنب ويزيّنه ويدعوله.
٣. عدم تكفير أهل السنة للمصورين الذين لايستحلون التصوير المحرم، فقد قال الله عنهم في الحديث القدسي: «من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟» متفق عليه، ولا فرق بينهما؛ إذ المصور جعل نفسه خالقا مع الله، والمشرع جعل نفسه مشرعا مع االله، فمن كفر المشرع مع االله فليكفر الخالق! سواء بسواء.[١٩٠]

٢٦١٣. إذا سنّ الحاكم قانوناً يتضمن أنه لا حد على الزاني ، أو لا حد على السارق، فه ليتم لحكم عليه بالكفر الأكبر؟

هذه الحالة من أشد الحالات نزاعا بين طلاب العلم، إلا أن علماء العصر الثلاثة: ابن باز والألباني وابن عثيمين رحمهم االله اتفقوا على عدم التكفير

١٩٠- واتفاق أهل السنة على عدم كفر صديق السوء والمصور دليل قاطع على ما قررته آنفا.

بها.

٢٦١٤. ما قول العلماء في هذه لمسألة؟

قال ابن باز رحمه االله : » فإذا سنّ قانونـاً يتضمن أنه لا حد على الزاني، أو لا حد على السارق ... : فهذا قانون باطل، وإذا استحله الوالي كفر ».[١٩١]

وهذا ما قرره الألباني رحمه االله من عدم تكفير من شرع القانون إلا إن استحله.[١٩٢]

وقال ابن عثيمين رحمه االله : «الحكم بغير ما أنزل االله ليس بكفر مخرج عن الملة، لكنه كفر عملي (أي أصغر) ؛ لأن الحاكم بذلك خرج عن الطريق الصحيح، ولا يفرق في ذلك بين الرجل الذي يأخذ قانونا وضعياً من قبل غيره ويحكمه في دولته وبين من ينشيء قانوناً ويضع هذا القانون الوضعي؛ إذ المهمَ هو هل هذا القانون يخالف القانون السماوي؟أم لا؟».[١٩٣]

ثالثا: التشريع العام

٢٦١٥. ما صورة هذا الفعل؟

أن يحكم بغير ما أنزل الله، ويجعل هذا الحكم عاما على كل من تحته.

٢٦١٦. هل يتصور أنه يكون مستحلا أو جاحدا لشرع الله؟

لا يتصور هذا، بمعنى أنه يستبدل حكم االله بحكم غيره، فلا يشترط أن يكون مستحلاً، أو جاحدًا، أو مكذبًا، أو مفضلاً، أو مساويًا، ولاينسب

١٩١- الفتاوى (٧/ ١٢٤)

١٩٢- في أشرطة سلسلة الهدى والنور، الشريط ٨٤٩ ، الدقيقة ٧٢

١٩٣- فتنة التكفير ص٢٥، حاشية١ . و مراده رحمه االله: أن العبرة بمخالفة أو موافقة القانون للحكم الشرعي، وأنه لا ينظر لمصدر ذلكم القانون؛ هل هومن وضع ذلك الحاكم؟ أم أنه أخذه عن غيره؟

الحكم الذي جاء به لدين االله.

٢٦١٧. ما حكم هذا الصنيع؟

حكمه: الكفر الأصغر.

٢٦١٨. ما دليل على عدم دخوله إلى الكفر الأكبر؟

دليل ذلك: عدم وجود دليل يوجب تكفيره، فالشريعة لم تعلق الكفر الأكبر على تعميم الحكم أو على الإلزام به، كما أن الأدلة لم تفرق بين الحاكم الذي يعمم أو الذي لا يعمم، ولا بين الحاكم الذي يلزم من تحته أو الذي لا يلزم، ولو كان هذا التفريق حقا لما أغفلته الشريعة، ولورد في الأدلة الشرعية ما يعضده.

٢٦١٩. هل القضية متوجهة إلى عظم هذا الفعل، أو دخوله في الكفر الأكبر؟

صحيح أن من حكم حكما عامًا أو ألزم من تحته قد يعد أكثر جرمًا من الذي لم يحكمُ الحكم العام أو لم يلزم به، ولكن محل البحث هو: الكفر الذي لا دليل عليه،لا في تحقيق الأشد جرمًا.

المطلب الخامس: فتاوى العلماء

٢٦٢٠. هل وردت فتاوى للعلماء في هذه القضية المهمة؟

نعم، ومن ذلك: من لم يحكم بما أنزل الله هل هو مسلم، أم كافر كفرًا أكبر، وهل تقبل منه أعماله؟

الجواب: ... قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ (المائدة) وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)﴾ (المائدة) وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)﴾ (المائدة). لكن إن استحل ذلك واعتقده جائزًا: فهو كفر أكبر وظلم أكبر وفسق أكبر يخرج من الملة، أما إن فعل ذلك من أجل الرشوة أو مقصد آخر، وهو يعتقد تحريم ذلك: فإنه آثم يعتبر كافرًا كفرًا أصغر وظالمًا ظلمًا أصغر وفاسقًا فسقًا أصغر لا يخرجه من

الملة؛ كما أوضح ذلك أهل العلم في تفسير الآيات المذكورة.[١٩٤]

١٩٤- فتاوى اللجنة الدائمة (٧٨٠/ ١)

المبحث التاسع

الفكر الخارجي والحكام

٢٦٢١. ما علاقة هذا الموضوع مع مباحث الحاكم والمحكوم؟

العلاقة وثيقة، من جهة أن أخطر ما يزعزع صفو العلاقة بين الحاكم والشعب هم أهل الخروج، ويحمل هذا الشر الفكر الخارجي.

٢٦٢٢. لماذا التحذير من فرقة الخوارج؟

قال الآجري رحمه الله: (لم يختلف العلماء قديما وحديثا أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله عز وجل، ولرسول الله ﷺ، وإن صاموا وصلوا واجتهدوا في العبادة؛ فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس بنافع لهم لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين، وقد حذر الله عز وجل منهم، وحذرنا رسول الله ﷺ، وحذرنا الخلفاء الراشدون بعده، وحذرنا الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان رحمة الله عليهم).[١٩٥]

٢٦٢٣. من هو أول الخوارج إنكارًا على الحاكم؟

أول هؤلاء الخوارج هو ذو الخويصرة التميمي وقصته في الصحيحين، عن أبي سعيد الخدري قال: (بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: اعدل! فقال ﷺ: ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قال: خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله ائذن لي فيه، فأضرب عنقه! فقال ﷺ: دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية).

٢٦٢٤. ما الدليل على أن فكر الخوارج وحامليه نشأوا من هذا الرجل؟

١٩٥- كتاب الشريعة (ص:٢١)

دليله قول النبي ﷺ في الحديث السابق: (فإن له أصحابا..)

٢٦٢٥. من خرج على الحاكم يشمله وصف الخوارج؟

نعم، فكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان.[١٩٦]

٢٦٢٦. متى ظهر الوصف السابق بصورة جلية؟

ظهر بكل وضوح بعد الخروج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، قال أبو الحسن الأشعري: «السبب الذي سمّوا له خوارج خروجهم على علي ابن أبي طالب رضي الله عنه»[١٩٧].

٢٦٢٧. هل لابتعادهم عما كان عليه عامة المسلمين سببٌ في تسميتهم بالخوارج؟

نعم، وهذا ما ذكره ابن قتيبة الدينوري: «وأما الخوارج؛ فإنهم سموا بذلك لخروجهم عن البيضة، وشقهم العصا، ولذلك سماهم المارقين، والمروق: الخروج».

٢٦٢٨. ما أخطر اعتقاداتهم، المخالفة للشرع ولها علاقة بالحاكم؟

من أخطرها حينما قرروا: أن مرتكب الكبيرة من أمة محمد ﷺ كافر مخلد في النار، فكان هذا يستلزم تكفيرهم للحاكم الجائر، والخروج عليه لتغيير المنكر.

٢٦٢٩. هل يختلف شكل ظهور الخوارج في كل زمن ومكان؟

نعم، قد يتنوع شكل ظهورها بأصول جديدة مختلفة عن الأصول والمذاهب التي ظهرت أولا، لكن الجامع لها كونها تكفّر المسلمين وتستحل دماءهم.

١٩٦- الملل والنحل (١/ ١١٣)

١٩٧- مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٧)

٢٦٣٠. هل شرّهم وفتنتهم مستمرة أو تنتهي في زمن معين؟

شـرهم متجدّد على الأمة، فعن ابن عمر قال: ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قطع. قال ابن عمر: سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: (ثم كلما خرج قرن قطع – أكثر من عشـرين مرة– حتى يخرج في عِرَاضِهِم الدجال). أخرجه ابن ماجه

٢٦٣١. هل الخروج على الحاكم يعتبر من منهج الخوارج؟

نعم، قال ابن العثيمين في شرح الواسطية: (وأول بدعة حدثت في هذه الأمـة هـي بدعة الخـوارج، لأن زعيمهـم خرج على النبـي ﷺ وهو ذو الخويصرة من بني تميم، حين قسـم النبي ﷺ ذهيبة جاءت فقسـمها بين الناس، فقال له هذا الرجل: يا محمد اعدل فكان هذا أول خروج خرج به على الشريعة الإسـلامية، ثم عظمت فتنتهم في أواخر خلافة عثمان وفي الفتنة بين علي ومعاوية، فكفروا المسلمين واستحلوا دماءهم).

٢٦٣٢. هل الاعتراض القولي العلني على الحاكم يُدخل القائل في أفكار الخوارج؟

نعـم، قال الشـيخ ابن عثيمين في تعليقه على هـذا الحديث (بل العجب أنه ـ يعني ذي الخويصرة ـ وجّه الطعن إلى الرسول ﷺ، وقال له: اعدل، هذه قسـمة ما أريد بها وجه الله، وهـذا أكبر دليل على أن الخروج على الإمام يكون بالسيف، ويكون بالقول والكلام، يعني: هذا ا أخذ السيف علـى الرسـول ﷺ لكنـه أنكر عليـه، ونحن نعلـم علم اليقـين بمقتضى طبيعة الحال أنه لا يمكن خروج بالسـيف إلا وقد سـبقه خروج باللسـان والقول).

٢٦٣٣. هـل ممكن وصف مـن فيه فكر الخروج على الحاكم أنـه على فكر الخوارج، ولو لم يعتقد جميع أصولهم؟

نعـم، لأن أول مـن ظهر من الخوارج لم يكن فيـه إلا فكر التطاول على الحاكـم؛ وهو النبي ﷺ، وأيضـا الذين خرجوا على عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أو عليا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لـم تكن فيهم جميـع أفكار الخوارج، وحكم العلمـاء عليهم أنهم من الخوارج.

٢٦٣٤. هل يغضب على الحكم ويتطاول عليه، كان نُصرة لدين الله؟

لا، هـو لدنيـا، ومن أدلة هذا ما ذكره أبو حيـان التوحيدي، قال «أتى رجل من الخوارج إلى الحسن البصري ، فقال له : ما تقول في الخوارج؟

قال الحسن: هم أصحاب دنيا!

قـال: ومـن أين قلت أنهم أصحـاب دنيا، والواحد منهم يمشـي بين الرماح حتى تتكسر فيه، ويخرج من أهله وولده؟

قال الحسن: حدثني عن السلطان! هل منعك من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والعمرة؟ قال: لا.

قال: فأراه إنما منعك الدنيا، فقاتلته عليها».[198]

٢٦٣٥. هل هذا ما فهمه العلماء لاحقا؟

نعم، قال ابن تيمية: «قال أبو برزة الأسـلمي عن فتنة ابن الزبير وفتنة القراء مع الحجاج، وفتنة مروان في الشام: «هؤلاء، وهؤلاء، وهؤلاء، إنما يقاتلون على الدنيا».[199]

٢٦٣٦. ماذا نستفيد من شهادات وتقريرات العلماء السابقة؟

نسـتفيد أهميـة الحـرص والتمسـك بالهـدي النبـوي، بعيدا عـن عواطف وشـبهات الخوارج! إلا إن كان هناك من يتوهم بأن الإمام الحسـن البصري وابن تيمية من المرجئة، عند خوارج الزمن المعاصر؟!

٢٦٣٧. ما وجه الشبه بين خوارج الزمان الماضي عن زمننا الحاضر؟

وجـه الشـبه أننا نرى الخـوارج يقاتلون على السـلطة ويكفّـروا الحكام، ثم بعـد أن وصلوا للحكم لم يطبقوا شـرع الله، ودخلوا فـي الديمقراطية التي كفّروا الحكام من أجلها، فهم -حقيقة- طلاب دنيا بشهادة الحسن البصري السابقة.

١٩٨- كتاب «البصائر والذخائر» (١/ ١٥٦)

١٩٩- منهاج السنة (٥/ ١٥٣)

٢٦٣٨. لماذا نجد أن من خالف أفكار الخوارج، كانوا يطلقون عليه لقب: مرجىء؟

لأنهم يريدون بهذا تبرئة ساحتهم من التكفير والتطاول على الحكام، وهذا سبيل أهل البدع حينما تنعدم عندهم الحجة الشرعية يتعلقون بالتنابز بالألقاب، وبذاءة الألفاظ المنفرة للناس عن أهل الحق.

٢٦٣٩. بعض الناس يرمي على من كان ضد عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه من الخوارج، فما توجيه القول؟

هذا من سوء الفهم، وقاصر النظر في فهم فكر الخوارج، في سبب افتراق معاوية ومن معه عن علي ومن معه رضي الله عنهم جميعا.

٢٦٤٠. هل يُقال أن البغاة هم الخوارج؟

لا، وللعلم في إن هذا وصف يقصده الذي يريد الحكم بأن عائشة وطلحة وعبد الرحمن بن عوف من الخوارج!

٢٦٤١. ما توجيه هذا من كلام العلماء؟

قال ابن تيمية: «قول القائل: إن الأمة اجتمعت على أن لا فرق بينهما -(أي: البغاة والخوارج)- إلا في الاسم فدعوى باطلة، ومدعيها مجازف؛ فإن نفي الفرق بينهما إنما هو قول طائفة من أهل العلم، من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وغيرهم..وأما جمهور أهل العلم فيفرقون بين الخوارج المارقين، وبين أهل الجمل وصفين، وغير أهل الجمل وصفين، ممن يعد من لابغاة المتأولين، وهذا هو المعروف عن الصحابة، وعليه عامة أهل الحديث والفقهاء والمتكلمين، وعليه نصوص أكثر الأئمة وأتباعهم من أصحاب مالك وأحمد والشافعي وغيرهم».

٢٦٤٢. ما وجه التفريق في هذا من الهدي النبوي؟

دليله ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (تمرق مارقة من الناس، يلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق) رواه أبو داود. وهذا الحديث يتضمن ذكر الطوائف الثلاثة، ويبين أن المارقين نوع ثالث ليس من جنس أولئك».

المبحث العاشر

الخوارج القَعدية

٢٦٤٣. ما ارتباط هذا المبحث مع ما ورد في قضية علاقة الحاكم والمحكوم؟

حينما تم توضيح الأمور الشرعية الواردة في ضبط العلاقة بين الراعي والرعية، ثم جاء التحذير من فرقة الخوارج التي تعكر صفو العلاقة بين الطرفين بحمل السلاح ونشر الرعب بين السلمين، وجب التحذير من طائفة خطيرة تعيش بين المسلمين تنشر الفكر الخارجي لكن بطريق غريب.

٢٦٤٤. هل الخوارج لهم فرقا متعددة؟

نعم، الخوارج فرق متعددة؛ منهم الأزارقة والنجدات والإباضية والصفرية وغيرهم، ومن هذه الفرق فرقة: (الخوارج القعدية).

٢٦٤٥. ما موقع (القعدية) بين فرق الخوارج، وبماذا تتميز عنهم؟

هي من أخطر فرقهم، ومن أخبثها، ومما تتميز به أنها لا ترى الحرب على الحكام، لكن تسعى بتزيينه للآخرين.

٢٦٤٦. من أين جاء الوصف لبعض الخوارج بأنهم من القَعَدَة؟

وصف العلماء هذه النوعية من الناس بأنهم (الخوارج القَعَدِيّة)، لأنهم الذين يهيجون الناسَ على حكامهم؛ بذكر مثالبهم والتشهير بعيوبهم؛ ويزينوا الخروجَ عليهم، ولكنهم لا يرون الخروجَ بالسيف، ولا يُباشرون ذلك.[٢٠٠]

وقال الزبيدي رحمه الله: (القَعدة قوم من الخوارج، قعدوا عن نصرة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن مقاتلته ..... وهم يرون التحكيم حقا، غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس ... والقعد: الذين لا يمضون إلى القتال، وهو اسم للجمع، وبه سمي قعد الحرورية ـ فرقة من فرق الخوارج ـ والقعد: الشراة ـ أيضا فرقة من فرق الخوارج ـ الذين يحكمون

٢٠٠ – ذكر ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله هدي الساري (ص: ٤٥٩)

ولا يحاربون، وهوجمع قاعد).[٢٠١]

٢٦٤٧. ما السبب في أن القَعَدة يعتبرون من أخطر فرق الخوارج؟

السبب في هذا للآتي:

- أنهـم يزيّنون الخروج علـى حكامهم في أذهان الشـعوب العامة الجاهلة لتحقيـق مقاصدهـم، وآثـروا القعـود وانصرفوا عـن قتال الحـكام وحمل السلاح.
- هـم الذيـن يهيجـون الناس، ويزرعـون الأحقـاد في قلوبهـم على ولاة الأمر.
- يصـدرون الفتـاوى باسـتحلال ما حرم الله باسـم تغيير المنكـر، قال ابن تيمية رحمه الله[٢٠٢] عن الخوارج ولهم خاصتان مشـهورتان فارقوا به جملة المسـلمين وأئمتهم إحداهما: خروجهم عن السـنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة، أو ما ليس بحسنة حسنة).

٢٦٤٨. هل هناك من مثال عن مشاهير الخوارج القَعَدة؟

نعـم، قـال الحافظ ابن حجر في ترجمة عمران بن حطان: (تابعي مشـهور، وكان مـن رؤوس الخـوارج مـن القَعَدية، بفتحتـين، وهم الذين يحسّـنون لغيرهم الخروج على المسـلمين ولا يباشـرون القتال، قاله المبرد، قال وكان من الصفرية، وقيل القعدية لا يرون الحرب وإن كانوا يزينونه)»[٢٠٣]

٢٦٤٩. ماذا نستفيد من الترجمة السابقة؟

نسـتفيد أن عمـران بن حطان لم يقاتل بنفسـه، بل ذكر فـي ترجمته أنه كان يهرب خوفاً على حياته، لكنه كان يشيع فتنة الخروج.

٢٦٥٠. هل يمكن القول بأن غالب الفساد في البلدان يخرج من تحت أيديهم؟

نعم، فهم يعتبرون من حركات الخوارج الثورية.

٢٠١- تارج العروس (٥\١٩٥)

٢٠٢- الفتاوى (ج١٩ص٧٢)

٢٠٣- الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٣٠٢

٢٦٥١. هل التحريض يعدّ من أشرّ الأفعال الثورية؟

نعم، إذ أن الكلام وشحن القلوب بالأحقاد، وإثارة العامة على ولاة الأمر لـه أبلغ الأثـر في النفوس، وخاصـة إذا خرج من رجل بليـغ متكلم يخدع الناس بلسانه وتلبسه بالسنّة، ولهذا روى أبو داود في مسائل أحمد عن عبد الله بن محمد الصعيف أنه قال: « قَعَد الخوارج هم أخبث الخوارج».

٢٦٥٢. من يهيّج الناس للتطاول على الحاكم، هل ينقصه العلم وحفظ القرآن؟

لا ينقصه، فلربما يكون من حفظة كتاب الله، ويقدمونه العامة للصلاة، وله بلاغة في الخطب، لكن ينقصه الفقه الصحيح، والاستفادة من نظر العلماء، ودعوة الناس للصبر.

٢٦٥٣. ما المنهج السليم الذي يسلكه المسلم عند جور الحاكم؟

هذا سؤال عظيم القدر جليل المنزلة، وخصوصاً في هذه الأزمنة التي كثرت فيهـا تنوع الشـبهات، وألتبس فيهـا الحق بالباطل، وخلاصة المنهج السـليم يتضح في أمور:

الأول: الاعتصـام بالكتاب والسـنة، فإنهما النجاة مـن كل فتنة، قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ فلا نجاة إلا بالاستمساك بهما، وقال ﷺ:(إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما ؛ كتاب الله وسنتي). رواه الحاكم

الثانـي: لـزوم الجماعة والحذر مـن الفرقة، فعن ابن عمـر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خطب بالجابية فقال: (من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد) أخرجه الترمذي وأحمد.

الثالث: ردّ الأمر إلي الرسول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإلي أولي الأمر وهم أولوا العلم، قال تعالـى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُـمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْـنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِـهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُـولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْـرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْـتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النسـاء:٨٣)، فلاَ ينبغي أن يصدَر في أمرَ الفتن عن الأصاَغر وأحَداث الأسـنان والغوغائيين الذين همهم إثارة الفتن؛ مـن الذين لا يُعرفون بعلـم ولا فهم ولا فقـه، ولا بمراعاة المصالح والمفاسـد، وإنما مقصود

الواحد منهم أن يروي غليله ويطفي غيض قلبه على المخالف.

الرابع: حبس اللسان وكفه عن الخوض في هذه الفتن، فإن الفتن كالظلم والغياهب التي تعمي البصر والبصيرة، فالواجب أن لا تؤخذ في هذه الفتن كلمة منك إلا وأنت على علم كامل تام بعواقبها.

الخامس: الترفق في الأمور، وخصوصاً في إصدار الأحكام، فإنه الفتن يكثر فيها الهرج والمرج والقيل والقال وتكثر فيها التصريحات، وتفنن وكالات أنباء في نقل الأخبار على ما تريده من زيادة ونقص، يخدم مصالح أخرى، فاحذر من أن تتعجل في بناء حكم بمجرد خبر سمعته أو جريدة قرأتها، أو تحليل أخباري سمعته.

السادس: الامتثال على أمر الله تعالى بتزكية النفس؛ بالإكثار من الطاعة وصدق التوبة، والتضرع إليه بالدعاء الصادق أن يكفي الأمة شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، فإن هذه الفتن تفرق شأنها.

٢٦٥٤. ما الأسباب التي بسببها ضلّ من ضلّ في أبواب الاعتقاد؟

الأسباب كثيرة، ونذكر أهمها:

الأول: إرادة الهدى من غير الكتاب والسنة، فإن هذه الطوائف حادت في هذا الباب، حيث لم تأخذ معتقداتها كاملة من الوحيين، وإنما أخذت عقائدها ومناهجها من عقولها المجردة، وأهوائها القاصرة، ويصدق عليهم قوله تعالى: ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾.

الثاني: اختلاط المصدر، فهناك بعض الطوائف الإسلامية تأخذ بالكتاب والسنة، وعوّلت على مناهج أخرى، كمناهج أهل الكلام وأهل الفلسفة، فكدّر هذا الأخذ الآخر أصل المنبع الشافي والمورد الكافي الصافي كالأشاعرة، فهم لم يتركوا الكتاب والسنة جملة وتفصيلا، بل أخذوا بهما، لكن في بعض المسائل فقط.

الثالث: عزل أدلة الكتاب والسنة عن فهم السلف الصالح، فهم وإن أخذوا بآيات القرآن والسنة لكنهم لا يفهمونها كما فهمها الصحابة والتابعين،

وإنما اخترعوا لها فهمًا آخر يكون في كثير من أحيانه مناقضًا المناقضة التامة لما فهمه السلف.

الرابع: تحميل الأدلة مالا تحتمل، أو التقصير عنها من حدّ دلالتها، فهم بين طرفين: إما مُفْرِطٌ، وإما مُفَرِّطٌ، فترى طوائف منهم تذكر أشياء في الأدلة لم يدل عَليها النص لا مطابقة ولا تضمنًا ولا التزامًا، وتجد بعض الطوائف تبتر دلالة النص فتأخذ ببعضه وتترك بعضه، وذلك كاستدلال بعضهم على نفي الصفات بقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾، فأين وجه الاستشهاد؟، وكاستدلال بعضهم على نفي الصفات أيضًا بقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾.

الخامس: اتباع الأهواء وتحكيمها في الأدلة وعرض الأدلة عليها، فما وافقها قبلوه، وما خالفها ردوه واتهموه، ولذلك فإن أهل السنة يطلقون على هذه الطوائف: أهل الأهواء.

السادس: تقعيد القواعد المخالفة للمنقول، والمناقضة للمعقول، فتجد هذه الطوائف تقعّد بعض القواعد، ثم تنزل عليها أدلة الكتاب والسنة، وتلوي أعناق الأدلة حتى تتوافق مع هذه القواعد.

وإذا كانت نتائج هذا الإنزال لا تتناسب مع مذاهبهم فإنهم يقعون في الأدلة ردًا وتحريفًا وتعطيلاً وجحودًا، كل ذلك حتى لا تنخرم هذه القاعدة، فيحرفون كلام رب البشر صيانة لكلام حثالة البشر.[٢٠٤]

٢٠٤- ومثال ذلك أن القاعدة المتقررة عند عامة أهل الكلام أن (**الاتفاق في الأسماء يستلزم الاتفاق في الصفات**)، وهي قاعدة باطلة، فلما أنزلوا أدلة الصفات على هذه القاعدة وبانت نتائجها رضي بها أهل التمثيل فمثّلوا، وأباها أهل التعطيل فعطلوها، فما وقع أهل التمثيل في التمثيل إلا بسبب هذه القاعدة، وما وقع أهل التعطيل في التعطيل إلا بسبب هذه القاعدة.

وما وقع المرجئة والوعيدية في إنكار زيادة الإيمان ونقصه إلا بسبب تقعيدهم لقاعدة: (**الإيمان جزء واحد فلا يزيد ولا ينقص**) ، فخالفوا بهذه القاعدة أدلة الوحيين وعطلوها عن مدلولاتها الصحيحة صيانة لهذه القاعدة .

وما وقع الجبرية في القول بالجبر والقدرية في نفي القدر إلا بسبب تقعيدهم للقاعدة

السابع: كثرة الجدال والخوض بالباطل بلا علم ولا برهان، مع التعصب المقيت، وهذا سببه ضعف التعبد لله تعالى وعدم تجرد النفس من الهوى، قال تعالى: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾، وقال تعالى: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾، وقال ﷺ: (ما ضل قوم بعد هوى إلا أوتوا الجدل).

الثامن: تقديم العقول على النقول، وهذا أصل من أصول فسادهم، ولذلك فإنهم يعرضون النقول على العقول، فما وافقها أخذوه واعتمدوه، وما خالفها ردوه، سندًا إن كان آحادًا، وقالوا: إن الآحاد لا يقبل في مسائل الاعتقاد، وبحجة أنه لم يتناسب مع عقولهم.

التاسع: ضعفهم في معرفة لسان العرب، وهذا أمر واضح فيهم، فإن الأدلة من الكتاب والسنة نزلت باللسان العربي المبين، فيشترط أن يكون الناظر فيها ذا معرفة باللسان العربي، فيعرف العام والخاص، والمطلق والمقيّد، والمحكم والمتشابه، والمجمل والمبين، ونحو ذلك، ولكن هؤلاء الطوائف معرفتهم بلسان العرب ضعيفة، فإن غالبهم من الأعاجم، ويعرف ذلك من تتبع تراجمهم.

العاشر: الأخذ بالمرويات الضعيفة، فنلاحظ أنهم يبنون معتقداتهم على النقول الكاذبة، والمرويات الباطلة التي يروونها.

التي تقول: (**كل مراد لله فهو محبوب**) وهي قاعدة باطلة، فلم يفرقوا بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية وغير ذلك، فلأنهم قعدوا هذه القواعد المخالفة للكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة ضلوا في كثير من أبواب الاعتقاد، وأما أهل السنة فإنه لما كانت كل قواعدهم مستمدة من الوحيين كانوا هم أهل الهدى والحق.

الخاتمة

اللهم لك الحمد كله، ولك الفضل كله، ولك الشكر كله، على توفيقك وتيسيرك وجميع ما أنعمت به عليّ، ومن ذلك العون لتقديم هذا الكتاب وماسبقه من كتب معينة في فهم أركان الإسلام.

فما سبق عرضه وتقديمه في هذا الموضوع، مع كثرة الأسئلة كان لمقصد مهم في أساس الكتاب؛ وهو تقديم هذه المعلومات بوضوح ويسر عن أكرم وأعظم ما يتقرب به الإنسان عند ربه وهي العقيدة الصحيحة الموافقة لما ورد في القرآن والسنة الصحيحة، ووفق فهم سلف الأمة، من الصحابة، وممن سار على دربهم بإحسان إلى يوم الدين

وهذا ما لاحظه القارىء الكريم لكثرة الأسئلة مع التبسيط قدر الوسع في توضيح الإجابات، وذلك سعيا لتوصيل المعلومات العقدية بأوضح كلمة، وأيسر عبارة، وبالدليل الصحيح الدال عليها.

ولا أدّعي أنني أحصيت جميع ما يتعلق بمسائل العقيدة، لكنني أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفقت لجمع قدراً كريما منها، لتوضيح أساسيات التوحيد والعقيدة، مع الحرص على ترك الكثير من النقاشات، أو التوسع في عرض بعض المسائل، وخاصة في ما يتعلق بالفرق الإسلامية.

فإن أصبت فهو فضل من الله تعالى، وإن كان هناك من زلةٍ أو خطأ فهو من النفس المقصّرة الضعيفة، ومنه العفو والمغفرة سبحانه.

من مراجع الكتاب

- الحكـم بغيـر ما أنـزل الله، مناقشـة تأصيلية علميـة هادئة، لبنـدر بن نايف المحياني العتيبي، من إصدارات جمعية إحياء التراث الإسلامي، الطبعة السابعة (١٤٣١- ٢٠١٠)

ضوابـط التكفيـر عند أهل السـنة والجماعة، لسـعد الدين بـن محمد الكبي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى (١٤١٧- ١٩٩٧)

الفهرس